

# المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي



تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد



١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

السنة الحادية عشرة

العدد ٢٨

### شروط نشر البحوث في المجلة

- ١ - ان يعتمد البحث الاسس العلمية في اعداد وكتابة البحوث.
- ٢ - ان يكون منسجما مع اهداف اتحاد المؤرخين العرب.
- ٣ - ان لايزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة.
- ٤ - ان لا يكون قد سبق نشره، او قبل للنشر في مجلة اخرى، على ان يقدم كاتب البحث تعهدا يؤكد ذلك مرفقا برسالة مع البحث موجهة الى مدير التحرير.
- ٥ - تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية، وباللغتين العربية والانجليزية.
- ٦ - يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة، ويفضل ان يكون مختصرا، ويثبت اسم الباحث او اسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم.
- ٧ - يطبع البحث على وجه واحد من الورقة، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص، ويقدم بنسختين.
- ٨ - في حالة البحوث المقدمة الى مؤتمرات او ندوات، ينبغي ان يُضمّن البحث حاشية توضح اصله وينطبق هذا القول على ما كان مُستَلا من دراسة اكبر.
- ٩ - لامور فنية خاصة بالطباعة يجب ان توحد الهوامش الخاصة بالبحث من اول هامش في البحث الى اخر هامش فيه، وتعطى تسلسلا واحدا.
- ١٠ - يحال البحث المقدم للنشر الى خبير مختص، ويعاد الى كاتبه لاجراء التعديلات المقترحة ان وجدت على ان يعاد الى مدير التحرير في غضون خمسة ايام.
- ١١ - رتبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبر عن آراء اصحابها مع التاكيد على ان مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى، والبحوث التي ترد للمجلة لاتسترجع الى اصحابها في حالة عدم نشرها.
- ١٢ - على الباحث ان يذكر اسمه وعنوان بحثه وعنوان عمله كاملا باللغة الانجليزية.

ترسل البحوث باسم مدير التحرير

ص . ب : (٤٠٨٥ بغداد - الجمهورية العراقية)

مجلة المؤرخ العربي - اتحاد المؤرخين العرب

ت : (٤٤٤٨٠٠٦)

### الاشتراكات السنوية في مجلة المؤرخ العربي

- ١ - الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في داخل العراق (٥٠) ديناراً، وفي خارج العراق (١٥٠) دولار امريكي.
- ٢ - للمؤرخين في داخل العراق (٢٠) ديناراً، وفي خارج العراق (٦٠) دولارا امريكيا.
- ٣ - لطلبة التاريخ في داخل العراق (١٠) دينار، وفي خارج العراق (٣٠) دولارا امريكيا.

### هيئة التحرير

- ١ - الاستاذ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار - رئيسا للتحرير (الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب)
- ٢ - الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي (عضوا)  
(رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق)
- ٣ - الدكتور عبد المنعم رشاد (عضوا)  
(رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين في الموصل)
- ٤ - الدكتور جهاد صالح العمر (عضوا)  
(رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين فرع البصرة)
- ٥ - الدكتورة عالية احمد سوسة (محررة القسم الاجنبى)
- ٦ - الدكتور محمد جاسم حمادى المشهدانى (مدير التحرير)
- ٧ - السيد كفاح كاظم الخزعلي (سكرتير التحرير)

### الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربى

- ١ - الدكتورة عائشة السيار - دولة الامارات العربية المتحدة
- ٢ - الدكتور يوسف غوانمة - المملكة الاردنية الهاشمية
- ٣ - الشيخة هيا الخليفة - دولة البحرين
- ٤ - الدكتورة نزيهة محجوب - الجمهورية التونسية
- ٥ - السيد محمد الطويل - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، مدير مركز الدراسات التاريخية والمكلف بالوثائق الوطنية
- ٦ - الدكتور عبدالله العثيمين - المملكة العربية السعودية
- ٧ - الدكتور يوسف فضل - جمهورية السودان الديمقراطية
- ٨ - الدكتورة ليلى الصباغ - الجمهورية العربية السورية
- ٩ - الدكتور محمد مختار - جمهورية الصومال
- ١٠ - الدكتور وميض جمال عمر نظمي - الجمهورية العراقية
- ١١ - الاستاذ عامر محمد الحجيري - سلطنة عمان/ مدير عام الثقافة ووزارة التراث القومى والثقافة
- ١٢ - الدكتور خيرية قاسمية - فلسطين
- ١٣ - الدكتور مصطفى عقيل - دولة قطر
- ١٤ - الدكتورة نجاة عبدالقادر القناعي - دولة الكويت
- ١٥ - الدكتور مسعود ظاهر - الجمهورية اللبنانية
- ١٦ - الدكتورة نجاح القابسي - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
- ١٧ - الدكتور رؤوف عباس - جمهورية مصر العربية
- ١٨ - الاستاذ محمد الحنش ولد محمد صالح - جمهورية موريتانيا الاسلامية
- ١٩ - الدكتور محمد مرزني - المملكة المغربية
- ٢٠ - الدكتور سيد مصطفى سالم - الجمهورية العربية اليمنية
- ٢١ - الدكتور صالح رمضان - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



## المحتويات

### أولاً : بحوث التاريخ الحديث والمعاصر :

- ١ - « الخلفية التاريخية لموانئ الخليج العربي » .  
الدكتور محمد مرسى عبدالله ، مدير مركز الوثائق والدراسات . أبوظبى .
- ٢ - « في تقسيم المراحل التاريخية لدول نمط انتاج مشترك - الدولة الاسيوى » .  
أحمد عبدالباست حسن - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة أسيوط .
- ٣ - « الصراعات الدولية والاسكندرونة » .  
الدكتور يقظان سعدون العامر - قسم التاريخ - جامعة البصرة .
- ٤ - « ردود الفعل التركية تجاه قيام الوحدة العربية بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ » .  
عوني عبد الرحمن السبعواوى - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الموصل .
- ٥ - « العراق والغزو القره قوينلو في القرن الخامس عشر الميلادى » .  
على شاكر على - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الموصل .

### ثانياً : بحوث التاريخ العربى الاسلامى :

- ٦ - « اماره عربية اندلسية في جزيرة اقريطش - كريت - »  
الدكتور أمين توفيق الطيبى - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الفتح .
- ٧ - « القرامطة و قبائل الاعراب البادية » .  
الدكتور عبدالله أبوعزة - المجمع الثقافى - أبوظبى .
- ٨ - « الاتصالات مع الجهات البيزنطية الرسمية في الشام ، في العصر الراشدى من خلال المصادر العربية » .  
الدكتور جاسم صكبان على - رئيس قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة البصرة .
- ٩ - « عمرو بن العاص » .  
الدكتور بدرى محمد فهد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد .
- ١٠ - « حركة عبدالرحمن بن الأشعث ضد الخلافة الأموية » .  
الدكتور محمد جاسم حمادى المشهداتى - رئيس قسم الدراسات التاريخية - معهد الدراسات القومية والاشتراكية - الجامعة المستنصرية .
- ١١ - « الفضل بن الربيع ، الحاجب والوزير » .  
الدكتورة فضيلة الشامي - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد .
- ١٢ - « العائلة البغدادية شهرة الأبرى ورواياتها في تواريخ النساء » .  
الدكتور حسن عيسى الحكيم - كلية الفقه - الجامعة المستنصرية .
- ١٣ - « من خصائص سيرة السيدة شغب » .  
الدكتورة مليحة رحمة الله - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد .
- ١٤ - « مسألة شغور كرسي الحكم من تنازل معاوية بن يزيد الى تسلم مروان بن الحكم » .  
الدكتور خليل شاكر حسين - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الموصل .
- ١٥ - « الناصر داود الأيوبي وشعره الحزين » .  
الدكتور موسى بنادى العليلي . وزارة الأوقاف . الجمهورية العراقية .

### ثالثاً : بحوث التاريخ القديم :

- ١٦ - « قبيلة جرت ودورها السياسى في تاريخ اليمن قبل الاسلام » .  
الدكتور منذر عبدالكريم البكر - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة البصرة .
- ١٧ - « نظرة في ديموستين وخطبه » .  
الدكتور سامى سعيد الاحمد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد .

### كلمة العدد

يسرنا ان نقدم هذا الجزء الجديد من مجلة المؤرخ العربى لياخذ مكانه في المكتبات العربية والعالمية، وهو يضم بحوثا ومقالات متنوعة تناولت جوانب مختلفة من التاريخ العربى على مد عصوره، حيث ضم بحوثا في التاريخ الحديث والمعاصر والتاريخ العربى الاسلامى اضافة الى التاريخ القديم، وساهم في كتابتها نخبة من المؤرخين العرب من ذوى الاختصاص المختلفة. ان مجلة المؤرخ العربى هى المعبر الواقعى للموس لاقلام المؤرخين العرب، الذين يرفدون بها بصورة دائمة تعكس لمؤرخى ومفكرى العالم المنهجية العلمية التى يتميز بها المؤرخون العرب، وفي مختلف تخصصاتهم، وتعكس ايضا جدارة هؤلاء المؤرخين في اقتحام مواضيع مهمة وفاعلة في التاريخ العربى، واضعين بذلك مؤرخي العالم اجمع امام حقيقة ماثلة ان تاريخ الامة العربية ليس اخلص له الا ابناء الامة، وانه مضى الزمن الذى كان فيه المستشرقون يعتاشون على قلب وتشويه حقائق هذا التاريخ، وبما يخدم اهدافهم واغراضهم التى دفعتهم الى النيل من تاريخ الامة العربية.

ان انتظام صدور مجلة المؤرخ العربى ليؤكد للمؤرخين والمفكرين العرب جميعا بان مسيرة الاتحاد منتظمة مزدهرة في علو وشموخ، وما يمر الزمن الا ويزداد العطاء الذى يمنحه للقضية التاريخية والعربية التراثية والمعاصرة. واننا اذ نقدم هذا العدد من المجلة، نؤكد للمجتمع العربى بان ما يصدر عن الاتحاد مستقبلا سيكون اوفر واوسع واروع، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

الاستاذ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار  
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب  
رئيس التحرير

### تابع المحتويات

١٨ - « نحت نذرى محور لانفى عليه رموز فلكية »  
عبدالجليل عبدالعزيز عمرو - قسم الآثار - الجامعة الأردنية .

رابعاً : عرض الكتب ونقدها .

خامساً : رسائل علمية .

سادساً : وثائق

- البيان الختامي ، والقرارات الصادرة عن المؤتمر الاسلامى .

# الخلفية التاريخية للخليج

الدكتور محمد مرسى عبدالله

مدير مركز الوثائق والدراسات

أبو ظبي

١ - ظهور دور الإنسان من سكان الخليج وأهله في انتعاش حركة الملاحة والتجارة وازدهار موانئهم وسرور حهد البحر الخليج في كسب الثراء العريض الذي تميزت به المنطقة طوال تاريخها الطويل. هناك المغامرة في ركوب البحر بحثاً عن التجارة. وهناك بناء السفن والمهارة في الملاحة. وهناك حسن السياسة والكياسة في التعامل مع التجار من أبناء الأمم الأخرى. ولم يكتف أهل الخليج بذلك، بل هاجر بعض أبنائه وأقاموا لهم مستوطنات وجاليات في بلاد بعيدة وهناك قول راجح أن الفينيقيين قد خرجوا من الخليج واستوطنوا ساحل لبنان حيث انشأوا لهم مدناً تحمل اسم موانئهم القديمة في ساحل عمان. ثم أبحروا غرباً وأقاموا لهم مدينة قرطاجة في تونس. واستمرت هذه الظاهرة في العهد الإسلامي وأقام العرب المسلمون لهم جاليات في جنوب الصين وغرب الهند وشرقي أفريقيا. ولعبت هذه الجاليات دورها الحضاري في نشر الإسلام في ربوع هذه البلاد بالحكمة والموعظة الحسنة والتزاوج وحسن التعامل مع الأهالي. لقد كان ثراء أهل الخليج وازدهار الحياة في موانئهم نتيجة جهد بشري كبير، ومهارة إنسانية فائقة وكلل هذه الفترة الملاح الملاح العربي المشهور ابن ماجد بما كتبه وسجله عن فنون الملاحة وعلوم البحار التي توارثها العرب جيلاً بعد جيل في الخليج. وكان ذلك أواخر القرن الخامس عشر وقبل وصول البرتغاليين بسنوات قليلة.

٢ - اتساع نشاط موانئ الخليج ليمتد في منطقة الشرق الأوسط، وإنشاء تكامل في الحياة الاقتصادية مع سكان البحر الأبيض المتوسط. وقد ارتبطت بتجارة الخليج طرق قوافل وأماكن استراحة وتموين في الصحراء على طول الطريق، كما كان هناك عقود واتفاقيات مع قبائل الصحراء لحماية القوافل.

وتنتهى هذه التجارة في موانئ على البحر الأبيض وترتبط هذه الموانئ بالتالي بموانئ أخرى في أوروبا. لهذا عرف التاريخ القديم ممالك مثل تدمر والبتراء على خطوط هذه القوافل. ولقد من الله سبحانه وتعالى على أهل مكة بوقوعها على طريق تجاري تمر به رحلة الشتاء والصيف.

وهكذا كان ازدهار الخليج مرتبط بازدهار الحياة الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط. ولقد كان لتجارة مملكة هرمز وتجارة طريق

أولاً : تراث موانئ الخليج حتى عام ١٥٠٠.

ثانياً : أثر ظهور البرتغاليين والقوى الأوروبية.

ثالثاً : موانئ الخليج الجديدة منذ القرن الثامن عشر.

رابعاً : موانئ الخليج والتنمية بعد الحرب العالمية الثانية.

أولاً : تراث موانئ الخليج حتى عام ١٥٠٠ :

كان لموقع الخليج العربي في جنوب غرب آسيا مطلقاً على ساحل أفريقيا الشرقي من ناحية، ومتصلاً عبر نهري دجلة والفرات بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، ومرتبطة عبر خليج عمان بالمحيط الهندي، كان لهذا الموقع أثره الكبير في تحديد شخصية إقليم الخليج ودور أبنائه ونشاطهم في الملاحة والتجارة الدولية عبر العصور حتى عام ١٥٠٠. لقد تجمعت في موانئ الخليج المتناثرة على شطآنه تجارة الشرق الأقصى والهند وشرق أفريقيا، وعرفت موانئهم فترات من الازدهار. وارتبط هذا الازدهار بقيام دول معينة وزوالها، بالإضافة إلى اتفاقه مع تقلب السياسة الدولية والأوضاع المحلية في الخليج.

عرفت صحار فترات من الازدهار مع صور وميناء الأبله في العصر القديم، وبعد أن أنشأ العرب ميناء البصرة سرعان ما أصبحت ميناءهم الرئيسي في منطقة الخليج لقرون عدة. ثم تحركت حركة التجارة إلى ميناء سيران الذي وصل أقصى ازدهاره أيام بني بويه. وتدهور الميناء بنهاية دولتهم. وأخيراً انتهى ميراث التجارة الدولية في الخليج إلى جزيرة قيس ثم مملكة هرمز، تلك المملكة التي عاصرت وصول البرتغاليين إلى مياه الخليج، وكانت هذه المملكة التجارية الفنية تمتد في الخليج من القطيف والبحرين إلى ساحل إيران الجنوبي وساحل الإمارات الشمالية في دولة الإمارات، وضممت هذه المملكة أيضاً ساحل الباطنة، وتنتهى عند ميناء قربات، تلك المدينة العمانية التي قدمت لهذه المملكة أسرتها الحاكمة العربية. ولم يكن وصول البرتغاليين إلى الهند وسلسلة هرمز بداية فترة تاريخية فقط في تاريخ الخليج، بل مرحلة جديدة أيضاً في تاريخ البلدان العربية عامة في منطقة الشرق الأوسط.

وقد برزت معالم واضحة توارثتها موانئ الخليج وأهله خلال تلك القرون الطويلة نجعلها فيما يلي :



البحر الاحمر دور في الثراء الذي عرفته مصر في عهد المماليك. ويذكر لنا المؤرخون امثلة من هذا الثراء ان مهماز فرسان وحرس بعض حكام المماليك كان من الذهب الخالص. ومما لاشك فيه ان حركة بناء المدن وعمرانها، واقامة المساجد والمدارس والبيمارستانات في كل من مصر والشام والعراق انما يعود الى الازدهار الاقتصادي الذي ساهمت فيه التجارة الشرقية مساهمة كبيرة. لقد لعبت هذه التجارة الشرقية على يد ابناء الخليج وموانيه دورها الكبير في تراث الحضارة الاسلامية. ولهذا ليس غريبا ان تدرك مصر خطر ظهور البرتغاليين في المياه الشرقية. وان يعد السلطان قانصوه الغوري اسطولاً بحرياً كبيراً لضرب هذه القوة الاوروبية الغربية. في مياه المحيط الهندي. اذ ان حكام مصر وقتذاك يدركون تماماً ان رخاء بلدهم مرتبط تماماً برخاء الخليج وتجارتها.

٣ - لقد عرف الخليج دورات من الغنى والثراء طوال تاريخه الطويل حتى عام ١٥٠٠، وليس ثراء النفط هذه الايام بالامر الغريب في حياة موانئ الخليج وعلى ابنائه في الماضي. ونحن اذا راجعنا كتب الجغرافيين العرب بصفة خاصة في الفترة الاسلامية الزاهية لوجدنا الكثير من الوصف الذي يعكس غنى وازدهار الحياة في موانئ الخليج. فمن بيوت حجرية عالية ذات طوابق تصل الى سبع. ومن بيوت بنيت بخشب الساج او اخشاب زنجبار وقد زينتها حدائق غناء، وتعجب بعض زوار هذه الموانئ في تلك الفترة من وجود فاكهة الشتاء في وقت الصيف في أسواق هذه المدن. كما وصف لنا الجغرافيون العرب المصنوعات والمنسوجات المتيسرة في متاجر هذه الموانئ من المغرب ودمشق والصين. ولقد قال الرحالة الايطالي ماركو بولو جملته المشهورة بعد زيارته لمملكة هرمز :

اذا كان العالم خاتماً فان هرمز جوهرته .

## ثانياً : أثر ظهور البرتغاليين والقوى الأوروبية :

ظهر البرتغاليون في الهند ومياه المحيط الهندي منذ عام ١٤٩٨ كالعاصم المدمر. وقد امتلأت نفوس البرتغاليين بروح صليبية حاقدة ضد العرب والمسلمين، وضد نشاطهم التجاري العريق في المياه الشرقية. جاء البرتغاليون يدمرون الموانئ العربية على ساحل بحر العرب وعند مدخل الخليج، ويعتدون على سكان هذه الموانئ. ولم تكن السفن العربية ذات الطابع التجاري المسالم مهياة لنزال السفن البرتغالية الكبيرة المزودة بالمدافع الحديثة. وكانت هذه السفن البرتغالية ثمرة مجهودات متتالية خلال قرن من الزمان لكشف الطريق الى الهند والتمكن من الملاحة في المحيط الاطلسي بأمواله المتلازمة العالية.

وفي عام ١٥٠٧ سيطر البوكيرك القائد البرتغالي على قلعة هرمز. كما اقام للبرتغاليين قاعدة جديدة لهم في جوا على ساحل الهند الغربي. وقد استمر النفوذ البرتغالي في مياه الخليج حتى عام ١٦٢٢ حينما استرد الشاه عباس هذه الجزيرة منهم. وتابع ائمة اليعاربة جهودهم لتحرير عمان، وتمكنوا من تحرير قلعة جلفار عام ١٦٣٨، كما سقطت قلاع مسقط في ايديهم عام ١٦٥٠، وهكذا زال النفوذ البرتغالي في الخليج.

كان للوجود البرتغالي في الخليج بين عام ١٤٩٨ وعام ١٦٥٠ بداية مرحلة تاريخية في حياة اهل الخليج. لقد فقدت موانئ الخليج تجارة الشرق التي كانت تجتمع فيها. وكان هذا بداية العزلة والانقطاع بين موانئ الخليج والموانئ العربية على البحر الابيض المتوسط. ولم يسمح البرتغاليون للتجار العرب في الخليج الخروج الى البحر دون ترخيص منهم، واصبح الخليج سوقاً لنشاط التجار والملاحين البرتغال من قاعدتهم في جزيرة هرمز، ومنع البرتغاليون تصدير الخيل من جزيرة العرب بصفة خاصة الى الهند وذلك لاضعاف قوى الدويلات الاسلامية المحيطة بهم في هضبة الدكن من الناحية الحربية.

وما ان قامت دولة اليعاربة حتى نشطت موانئ عمان في بناء السفن الكبيرة لمنازلة البرتغاليين في البحر، وتعقب العمانيون البرتغاليين في ساحل افريقيا الشرقى وحرروا الكثير منها. وفي القرن الثامن عشر ظهرت الموانئ الجديدة في الخليج، ميناء الكويت وميناء الزبارة وميناء رأس الخيمة. وظن اهل هذه الموانئ ان زوال البرتغال يعنى عودة التجارة والملاحة العربية القديمة كما كانت، ولكن موجات المستعمرين من الهولنديين والفرنسيين والانجليز تتالت وبدأ البريطانيون يفرضون سيطرتهم التجارية والسياسية بعد حملتهم على رأس الخيمة عام ١٨١٩ وذلك بعد ان سقطت الدرعية في العام السابق على يد قوات محمد علي والي مصر. وسرعان ما بدأ يظهر أثر توقف تجارة الشرق عن الموانئ العربية في حوض البحر الابيض المتوسط. ويذكر لنا الجبرتي المؤرخ المصري، المجاعات والقحط الذي عرفته مصر خلال القرن الثامن عشر. وقد انعكس هذا التدهور في احوال الشرق الاوسط مع توالي الزمن وتوقف العمران الزاهي الذي عرفته هذه البلاد في القرون السابقة لظهور البرتغاليين واغلقت المدارس والكثير من الخدمات التي كان ينفق عليها اغنياء التجار.

## ثالثاً : موانئ الخليج الجديدة منذ القرن الثامن عشر :

في أوائل القرن الثامن عشر، وعقب سقوط دولة اليعاربة في عمان عام ١٧٢٤ وزوال الدولة الصفوية في عمان عام ١٧٢٢، ظهرت حركات من الهجرة من داخل عمان ومن داخل تجد نحو السواحل العربية والايرانية للخليج. وكان من نتائج هذه الحركة ان ظهرت تحالفات كونت موانئ جديدة مثل الكويت والزبارة ورأس الخيمة وابوظبي ولنجة. وكانت هذه الموانئ نواة امارات جديدة وكيانات سياسية سوف تشكل خريطة الخليج السياسية في الوقت الحالي. وعاشت هذه الموانئ الجديدة على النشاط البحري من تجارة وغوص وراء اللؤلؤ وبناء السفن. وحاول سكان هذه الموانئ الحصول على حاجياتهم مباشرة من سواحل الهند وشرق افريقيا. واصطدمت امارة القواسم الناشئة مع البريطانيين في اواخر القرن الثامن عشر وذلك بعد ان اقام القواسم لهم مركزاً لاستقبال تجارة الهند في باسيدو في جزيرة كشم. وحاول القواسم توزيع هذه التجارة في منطقة الخليج. ولكن شركة الهند الشرقية، وقد رأت تأثر تجارة وكالتها في بندر عباس من نشاط القواسم، اعتدت على مقر

وبدا هؤلاء التجار يرأسلون ممثلي شركة الملاحة التجارية البريطانية في بومباي للمرور على دبي بدلا من لنجة. وفي عام ١٩٠٢ بدأت سفن هذه الشركة تزور دبي مرة كل اسبوعين. ومنذ ذلك التاريخ بدأ نشاط ميناء دبي في توزيع البضائع البريطانية والهندية على امارات ساحل عمان والجزء الجنوبي من منطقة الخليج. وهكذا مع منتصف القرن التاسع عشر، لم يبق لاهل موانئ الخليج من مصدر للرزق غير الغوص وتجارة اللؤلؤ، وقد بلغت هذه التجارة اوجها قبل الحرب العالمية الاولى وقد منع البريطانيون استخدام بعض الاوروبيين للوسائل الحديثة في جمع اللؤلؤ خوفا على هذه الحرفة الباقية لاهل الخليج. وتخوفوا انه اذا ضربت هذه التجارة الباقية، فقد يؤدي هذا الى حالة من الضيق واليأس تسفر آخر الامر الى الحاق الاضرار ومهاجمة كل المصالح البريطانية في الخليج.

ومع ظهور الأزمة الاقتصادية الدولية في عام ١٩٢٩، ثم ظهور اللؤلؤ الصناعي تأثرت تجارة الغوص في الخليج. وتمتلى الوثائق البريطانية في فترة الثلاثينات من القرن العشرين بمطالبة الرعايا الهنود بديون طائلة على كبار التجار في موانئ الخليج. وهكذا مع اقتراب سنوات الحرب العالمية الثانية، كان الخليج قد سار شوطا طويلا منذ ظهور البرتغاليين في تدهور احواله الاقتصادية، فمن فقدانه للتجارة الدولية وعزلته عن بقية اجزاء الوطن العربي، الى فقد بناء سفن كبيرة والتجارة المحلية ثم ضرب تجارة اللؤلؤ. وكان من فضل الله ظهور البترول الذي غير أوضاع موانئ الخليج رأسا على عقب. وبسبب قرب فترة الثلاثينات وذكرياتها على اهل الخليج، ونسيان الماضي البعيد الزاهي قبل ظهور البرتغاليين، ظن الكثيرون ان الغنى والثراء الذي أتى به البترول هو شيء طارئ غريب على موانئ هذه المنطقة، ولكن الحقيقة كما ذكرها ماركو بولو في القرون السابقة، اذا كان العالم خاتما فان هرمن وموانئ الخليج كانت دائما زمرده.

#### رابعاً: موانئ الخليج والتنمية بعد الحرب العالمية الثانية

جاء دخل البترول في الخليج مصدر ثراء جديد بعد ان وصل مد الانحسار الاقتصادي الذي ظل يعمل منذ عام ١٩٠٠ في منطقة الخليج مداه الاخير قبل الحرب العالمية الثانية. وتطورت الموانئ العربية في الخليج خلال الثلاثين عاما الماضية واصبحت مدنا عامرة حديثة ذات موانئ متطورة. كما نشأت موانئ ذات طابع جديد وهي موانئ تصدير البترول بكل امكانياتها وخصائصها. ولقد ظهر هذا الثراء وهذا الدخل في النصف الثاني من القرن العشرين في عهد تحدر الأمة العربية من الاستعمار، وظهور جامعة الدول العربية في ظروفها التاريخية المعروفة. وتطورت القوى الدولية بعد الحرب العالمية الثانية. وختتم هذه التطورات الجذرية الانسحاب البريطاني من الخليج في ديسمبر عام ١٩٧١.

انه ثراء جديد ذو فائض للاستثمار، في عالم عربي ودولي جديد. ومع ان طبيعته مختلفة عن ثراء ما قبل عام ١٩٠٠، وعالمه الذي عسر فيه عربيا ودوليا وحضاريا يختلف تماما عما كان قبل عام

تجارتهم، وانتهى الصراع بين القواسم والانجليز بالحملة البريطانية على رأس الخيمة وموانئ عمان عام ١٨١٩، ثم فرضت حكومة الهند معاهدة السلام على شيوخ الساحل. وفي هذه المعاهدة قيدت حكومة الهند حكام الامارات بعدم بناء سفن كبيرة، كما تابعت هذا البند بعد ذلك وفرضت منع بيع اخشاب بناء السفن لاهل الخليج. وهكذا اصبح اغلب سفن هذه الموانئ الجديدة الناشئة في الخليج من النوع الصغير الصالح للغوص والنقل البسيط. ويسجل لنا الدليل الجغرافي للخليج الذي اشرف عليه لوريمر بأمر من حكومة الهند عام ١٩٠٥، كيف غلب اسطول الغوص في نهاية القرن التاسع عشر على ممتلكات أهالي الموانئ، وكيف اختفت السفن الكبيرة.

ويعتبر ظهور الملاحة البخارية في مياه الخليج في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة خط الهند البريطاني للملاحة البخارية، مرحلة جديدة في احتكار حكومة الهند لتجارة الخليج، ولم يكن ظهور محطات التلغراف ومراكز البريد التي انشأها البريطانيون في موانئ الخليج منذ الستينات من القرن التاسع عشر، رمزا لظهور المدينة الحديثة في الخليج بالقدر الذي هو تأكيد ارتباط تجارة الخليج مع بومباي مقر النشاط الصناعي البريطاني في غرب الهند. وقضت المنسوجات البريطانية القطنية على الحرف وصناعة المنسوجات البسيطة القديمة المتناثرة في جنبات الخليج وخاصة في عمان. وهكذا كان فتح قناة السويس عام ١٨٦٩، وظهور هذه الوسائل الحديثة في المواصلات، سببا في تمكين النفوذ والاقتصاد البريطاني في الخليج. وكان ميناء لنجة هو الميناء المزدهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والذي كانت تمر به خطوط الملاحة البريطانية بانتظام. ومن هذا الميناء وزعت تجارة ومصنوعات بومباي على امارات الساحل وقطر والبحرين. ومع النشاط الاقتصادي البريطاني المتزايد في منطقة الخليج، واحتكار بريطانيا لتجارة المنطقة، بدأت تظهر اعداد كبيرة من الرعايا الهنود، تقيم في موانئ الخليج، يعملون وكلاء للشركات والمصالح البريطانية. وكان هؤلاء الهنود يحملون بطبيعة الحال الجنسية البريطانية، ويتمتعون بنظام الامتيازات الذي تفرضه الهيمنة والاتفاقيات البريطانية مع اهل موانئ الخليج. وقد اصطدم الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني حاكم الدوحة، وهو الميناء الناشئ الجديد في منتصف القرن التاسع عشر، مع هؤلاء الرعايا البريطانيين الذين اضرخوا بمصالح رعاياه ومصالح تجارته الشخصية عام ١٨٨١. وتدخل الانجليز وهددوا الشيخ قاسم الذي هدد هو بدوره بطرد كل هؤلاء الهنود من الدوحة. وقبلا قام بتنفيذ وعده وتعرض لضرب قلعته بمدافع المراكب البريطانية. وقد فسر الوكيل الانجليزي في البحرين تصرفات الشيخ قاسم بن ثاني بأنه صدى لما وصل الى علم تجار اللؤلؤ العرب في بومباي من اخبار ثورة الزعيم احمد عرابي في مصر ضد النفوذ الاجنبي.

وكان آخر الموانئ ظهورا وانتعاشا في الخليج ميناء دبي. وذلك انه بعد ان سارت الحكومة الايرانية على سياسة فرض نفوذها على السواحل الايراني. واحتلت جزيرة صرعى عام ١٨٨٧، ثم قضت على امارة القواسم في لنجة عام ١٨٩٩، هاجر تجار لنجة الى ميناء دبي

١٥٠٠ ، إلا أنه بالفكر والتخطيط يمكن أن يكون أساس تطوير الحياة الاقتصادية في دول الخليج العربي . وكذلك إعادة الترابط الاقتصادي ، وما نسميه اليوم التكامل الاقتصادي وحياء السوق العربي المشترك ، وكلها موضوعات متداولة اليوم بأقلام الاقتصاديين العرب .

مما لا شك فيه أن لكل نمو وازدهار جوانب ايجابية ، وأخرى سلبية ترافقه تحتاج البصر بها لتوجيهها الى ايجابيات . ويمكن أن نوجز بعض ملامح التنمية الحديثة في موانئ ودول الخليج في الأمور التالية :

١ - أن ثراء البترول محدود الزمن ، ولابد وأن ترسم له خطة ليكون مصدر خير في المستقبل لأبناء الخليج . ولو اتجهت استثمارات الخليج الى وحى التاريخ والمضى وأسس ثرائها قديما ، واستمعت الى صوت البيئة وما تفرضه وترسمه من خطط المستقبل ، لاهتم أبناء الخليج والموانئ بإعادة مجد البحرية العربية . نحن نحتاج مشاركة أكثر في سفن نقل البترول لكسب جزء من دخل العملية البترولية في مراحلها المختلفة . ونحن نحتاج أسطولا تجاريا عربيا يزاحم السفن الأجنبية في موانئ الخليج العربية . لنسأل أنفسنا كم نسبة السفن العربية التي تنقل لنا مواد التنمية الهائلة التي نحصل عليها من انحاء العالم . وكم قيمة وأجر هذا النقل البعري . بل نحن نريد أن نكتسب خبرة بشرية ملاحية عالمية . ويكون لنا قباطنة لأعلى البحار . وتعمل سفننا العربية الخليجية بين موانئ العالم كما تعمل سفن اليابان وأوروبا والولايات المتحدة . وكما تعمل سفن رجل فرد مثل أوناسيس . فرض اسمه وثرأه بأسطوله الملاحى بين موانئ العالم . هذا الاتجاه سوف يعلى الجانب البشرى والاهتمام بالعلم والثقافة والخبرة . وسوف يعيد لنا قيمة الانسان وابن الخليج في عملية التنمية والحصول على دخل ثابت في المستقبل . ويعالج هذا القول الشائع أن دخل البترول جاء دون جهد بشري من أبناء الخليج .

٢ - لقد وضعت موانئ الخليج الحديثة ودولها المستقلة استثماراتها للمستقبل في المجتمع الغربى . ووصلت استثمارات عرب الخليج هنالك ٨٠ مجموع مدخراتها ، وأسباب ذلك كثيرة ومعروفة . ولعل هذا الأمر اليوم قد أصبح محل تساؤل بعد أن ثبت أن الغرب

يمكنه في أي محنة سياسية أن يصادر الأموال ، كما يواجه العالم العربى مشكلة أمن غذائى وتنمية بصفة عامة . ولو تصورنا وجود حلول جذرية لاستثمار بعض هذا الفائض الخليجى في المشروعات التى نسمع عنها عن الأمن الغذائى للأمة العربية ، لعاد الترابط الاقتصادى الذى لعبت موانئ الخليج فيه دورا رئيسيا في تاريخ الأمة العربية في الماضى . وإذا ما حدث الترابط الاقتصادى ، سوف يحس العرب جميعا أن أمنهم واحد وأنهم جسد واحد ، وأنه إذا أصاب عضو حمى ، تداعى له سائر الجسد بالسهر واللعون . ولحدث ما أحس به حكام الماليك في مصر من مسئولية وثيقة للدفاع عن تجارة الشرق أيام ظهور البرتغاليين .

٢ - إذا أخذنا موضوع التنمية بمعناه الواسع ومغزاه القومى ، أى اشباع الحاجات الروحية والقومية لدى الأمة العربية ، لوجدنا الدور الناصع الذى لعبته موانئ الخليج ودولها في القضية الفلسطينية . لقد كان الخليج المكان الذى فتح صدره للأخوان الفلسطينيين بعد نكبة عام ١٩٤٨ . وبين جنبات الخليج ، بعد فترة من تضييد الجراح ، قام نفر من الشباب الفلسطينى وتحرك وبدأت حركة المقاومة الفلسطينية . دعمها الفلسطينيون بما جمعوا من أموال الخليج . ودعمتها دول الخليج بما أنعم الله عليها من أموال البترول . لكن تبقى هنالك ناحية تحتاج من موانئ الخليج أن تقدمها للفكر العربى والنهضة العلمية العربية . لقد سبقنا الغرب في العلم والبحث وصارت الفجوة بيننا وبينهم واسعة جدا ونحن في حاجة الى مراكز للأبحاث متخصصة في مجالات الحياة المختلفة ، يجمع بها عدد من نخبة العلماء العرب ، هؤلاء في الاقتصاد وهؤلاء في التاريخ والجغرافيا ، وهؤلاء في الطب والهندسة وعلوم الذرة ، وتتوزع هذه المراكز ومسئولياتها في دول الخليج ، وتجمع الطيور المهاجرة العربية ، ويتوقف نزيف الهجرة العلمية العربية الى خارج الوطن العربى ، لسوف تكون نهضة علمية وقومية خلال أجيال قليلة . ويكون مال الخليج وموانئه قد أسهم اليوم ، كما أسهم ثراؤه في الماضى ، في ازدهار حضارة اسلامية ذات طابع جديد ، يجمع بين الأصالة والحداثة ويعيد للأمة العربية مجدها وعزها ويلعب فيه الخليج وموانئه كما لعب في الماضى دور شريان الحياة المتدفق .. والله الموفق .



# في تقسيم المراحل التاريخية لدول نمط إنتاج المشترك الدولة الآسيوي نطبق على مصر

أحمد عبدالباسط حسن  
كلية الآداب - جامعة أسيوط

والملاحظ انه يوجد فارق زمني كبير بين أول تاريخ (٣١٢م) وآخر تاريخ (٨٠٠م) يكاد يبلغ خمسمائة عاما. وهذا الفارق قد يضيع في هذه التخططات الزمنية، او يعتبر كعصور وسطى منكبة وبالنسبة لمصر، لا تتفق هذه التواريخ جميعها، او غيرها، مع بداية أو نهاية الفترة البيزنطية التي تبدأ اصطلاحا في عام ٢٨٤ م، وتنتهى في عام ٦٤٢ م عند الفتح العربى الاسلامى. وقد نتج عن هذا ان البعض قد اعتبر هذه الفترة امتدادا للتاريخ القديم في مصر، بينما اعتبرها آخرون - وهم الاغلبية - في نطاق تاريخ لعصور الوسطى - من وجهة نظر التاريخ البيزنطى

ب) اشكاليات تاريخ العصور الوسطى  
أدى الفتح العربى الاسلامى لمصر الى نشأة عديد من المشاكل للدراسة التاريخية، فقد اعتبر بعض المؤرخين التقليديين ان الفتح العربى الاسلامى لمصر الذى واكب تحولات هامة في اوروبا - من وجهة نظرهم - دفعتها الى ابواب العصور الوسطى - هذا اذا لم تكن قد دخلتها بالفعل - اعتبروا ذلك بداية للعصور الوسطى في مصر. وهؤلاء يضافون الى من يعتبرون ان الفترة البيزنطية هي البداية الحقيقية للعصور الوسطى في مصر ويضاف الى هذا الاختلاف، اختلاف آخر حول تحديد نهاية هذه العصور «الوسطى».

فالمعروف ان تحديد نهاية العصور الوسطى الاوروبية غير متفق عليه ايضا بين المؤرخين البورجوازيين الاوروبيين هذا اذا سلمنا بوجود تاريخ واحد عبرت فيه كل دول اوروبا معا عصورها الوسطى والتاريخ الشائع بين اكثر المؤرخين هو عام ١٤٥٣ وهو عام سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين.

وبالنسبة لمصر، يرى بعض المؤرخين ان العصور الوسطى الاسلامية تنتهى عام ١٥١٧ م بدخول العثمانيين مصر وبعض آخر يرى هذه النهاية في عام ١٧٩٨ م (الحملة الفرنسية)، وبعض ثالث ينهيها بحكم محمد علي (١٨٠٥) وهناك اتحاد ضعيف بتقسيم العصور الاسلامية الى فترتين.

- فترة العصور الاسلامية القديمة (٩) وتنتهى بسقوط دولة

تتميز دول نمط انتاج المشترك - الدولة بالركود النسبى، حيث ان تطورها الاقتصادى الاجتماعى نحو الاشكال الاكثر تقدما من الانماط الانتاجية مثل العبودية والاقطاعية والراسمالية يكاد يكون منعما، او في أحسن الأحوال - بطيئا وقد أبرز بعض الباحثين هذه الخصيصة في دراساتهم (٢).

وقد أدى هذا الركود الى عدم وضوح المراحل التاريخية الخاصة التى مرت بها دول هذا النمط. ولأجل هذا يعانى المؤرخون الذين يتبنون نظرية نمط الانتاج الآسيوى (بمختلف سيماته) من مشكلة تقسيم المراحل التاريخية الخاصة ببلادهم. كما يعانى هذه المشكلة أيضا المؤرخون التقليديون حينما يأخذون بالتقسيمات التاريخية الغربية التقليدية التى تقسم التاريخ الى عصور رمزية ترتبط بتغييرات ظاهرية مثل تغير الارستقراطيات الحاكمة (الدول) أو تغير المظاهر الحصارية بقوة اذ لا تتفق بدت وبهايات العصور التاريخية الأوروبية مع بدايات ونهايات العصور التاريخية في دول العالم الثالث أو دول نمط انتاج المشترك - الدولة

وبالنسبة لتاريخ مصر، فإنه نتج عن الأخذ بهذه التقسيمات الغربية البورجوازية وتقسيماتها (العصور القديمة، الوسطية، الحديثة، المعاصرة) عديد من الاشكاليات المنهجية والدراسية وأهم هذه الاشكاليات هي :

١) اشكاليات التاريخ القديم  
المعروف أنه يوجد خلاف كبير بين المؤرخين الغربيين البورجوازيين حول تحديد نهاية ما يسمى بالتاريخ القديم وبداية ما يسمى بالعصور الوسطى اذ توجد عديد من التواريخ - تزيد عن العشرة - التى تحدد هذه النهاية وتلك البداية، وأهم هذه التواريخ هي السنوات

- ٣١٢ م (اعتناق قسطنطين المسيحية)
- ٣١٣ م (اعلان حرية العقيدة في الامبراطورية الرومانية)
- ٣٢٤ م (تولى قسطنطين حكم الامبراطورية)
- ٣٢٥ م (مجمع نيقية المسكونى)
- ٣٣٠ م (تأسيس القسطنطينية)
- ٣٩٥ م (تقسيم الامبراطورية الرومانية)
- ٤١٠ م (فتح روما على يد الاريك القوطى)
- ٤٧٦ م (سقوط روما في يد ادواخر)
- ٨٠٠ م (تتويج شارلمان امبراطورا)

الفترة القادمة التي تلى هذه. ويبدو انهم سيتركون هذه المشكلة للاجيال القادمة.

## اشكالية تفسير تاريخ مصر في ضوء نمط انتاج المشترك - الدولة باستخدام التقسيم البورجوازي الغربى :

وعندما نفسر تاريخ مصر في ضوء نمط انتاج المشترك - الدولة فإننا لن نستطيع ان نضع مراحل تاريخية حضارية واضحة تستند على أسس اقتصادية اجتماعية كما تستند المراحل الخمس (المشاعية، العبودية، الاقطاعية، الرأسمالية، الاشتراكية) التي تنطبق بحق - وبخاصة المراحل الاربعه الاولى منها - على تاريخ دول أوروبا

وقد اظهرت بعض الدراسات الحديثة (٣)، ان مصر بدأت تخرج من نمط انتاج المشترك - الدولة في النصف الأول من القرن التاسع عشر بتأثير اعمال محمد علي الاقتصادية في الريف المصرى التي أدت الى تحلل المشترك القروى الذى يمثل الاساس الاقتصادى والاجتماعى للنمط

وعلى هذا هل يمكن تقسيم تاريخ مصر الى فترتين او عصرين كبيرين اولهما يبدأ ببداية ظهور المشترك القروى والدولة المركزية في بداية العصر الفرعونى، وينتهى في منتصف القرن التاسع عشر، وثانيهما يبدأ من هذا التاريخ ويمتد حتى الآن ان تصور هذا التقسيم غير علمى من وجهتين .

١ - الوجهة المنهجية حيث ان التقسيم الى مراحل تاريخية يساعد كثيرا في الدراسة المتخصصة المتعمقة.

٢ - الوجهة العلمية التاريخية حيث ان على الرغم من صحة التحليل المذكور، فإن الدراسات المشار اليها سابقا قد اظهرت ايضا انه في بعض الفترات التاريخية كانت تحدث تحولات في نمط انتاج المشترك - الدولة كانت تغير بعض ملامحه الى ملامح أخرى، مثل ظهور ما يتسبه الاقتصاد السلعى (النقدى)، ومثل ظهور بعض اشكال الملكية الخاصة وانتشارها لدرجة ظهور بعض الملامح الاقطاعية ولكن هذه التحولات لم تكن من القوة لدرجة تخرج مصر من هذا النمط الى انماط اقتصادية اكثر تقدما مثل العبودية أو الاقطاعية ففترات التحول هذه تحتاج ان تدرس دراسة اكثر تعمقا لتبين أسبابها ومعوقاتهما، وقد تصبح فترات تاريخية نمطية خاصة في تقسيم تاريخى أشمل

وفي ضوء هذا فإنه لا يمكن لنا الأخذ بالتقسيم التقليدى الغربى للعصور التاريخية حيث انه - بالإضافة الى محوره لتاريخ مصر على تاريخ أوروبا - فإنه مبنى على تحولات فوقية لا تتناسب وتقسيم تاريخ مصر في ضوء نمط انتاج المشترك - الدولة. وهذا ينطبق ايضا على بقية دول هذا النمط

لكل ما سبق فأننى اضع هنا تصورا لتقسيم تاريخ مصر، بوصفها إحدى دول نمط انتاج المشترك - الدولة ونموذجا هاما لها. يستند هذا التقسيم - الذى يمكن ان نسميه التقسيم الحقيقى Classification-Periodic - التقسيم التاريخى الحالى للعصور - على التحديدات الزمنية الموحدة للعصور

- فترة العصور الاسلامية الوسطى وتشمل الدولتين الايوبية والملوكية

وأخير يرى بعض المؤرخين في الشرق (وبصفة خاصة في الهند). وفي الغرب (وبصفة خاصة المدرسة الامريكية الاستعمارية) ان التاريخ الاسلامى يمتد حتى ايامنا هذه.

وقد أدى الى هذا الاختلاف في تحديد نهاية العصور الوسطى في تاريخ مصر اسباب ثلاثة هي

١ - الخلط بين العصور الوسطى الاوروبية وبين التاريخ البيزنطى، حيث اعتبر البعض ان بداية التاريخ البيزنطى ملازمة لبداية العصور الوسطى الأوروبية. ومنها اتى اعتبار بعض المؤرخين ان بداية الفترة البيزنطية في مصر هي بداية للعصور الوسطى بها

٢ - الربط بين ظهور الاسلام والفتح الاسلامى لمصر وبين العصور الوسطى الاوروبية وهذا اوقع في اشكالية عدم توافق استمرار الاسلام مع انتهاء العصور الوسطى.

٣ - ربط فترة الحروب الصليبية بتاريخ الدول المعاصرة لها في مصر (الدولة الفاطمية - الدولة الايوبية والدولة الملوكية) واعتبر المتخصص في تاريخ هذه الدول متخصصا في تاريخ العصور الوسطى الاوروبية (وهذا تقليد شائع في مصر على الرغم من خطئه علميا)

وقد أدى هذا الاضطراب التاريخى الى التخطي في تحديد انتماءات بعض الفترات للعصور التاريخية مثل الفترة العثمانية التي يعتبرها البعض امتدادا لتاريخ العصور الوسطى الاسلامية، بينما يعتبرها آخرون بداية للتاريخ الحديث في مصر بدعوى احداث وضع جديد في الدول العربية الاسلامية وبخاصة في مصر.

جـ) اشكاليات التاريخ الحديث انعكس الاضطراب الحادث في تحديد نهاية التاريخ الاسلامى او العصور الوسطى الاسلامية في تحديد ما يسمى بالعصور الحديثة فقد اختلف المؤرخون التقليديون - كما سبق ان اشرت - في تحديد انتماء الفترة العثمانية : هل هي امتداد للعصور الوسطى الاسلامية، أم هي بداية للعصور الحديثة ؟ وهناك من المؤرخين - كما سبق القول - من يحدد بداية هذه العصور بالحملة الفرنسية (١٧٩٨) او حكم محمد علي (١٨٠٥).

والمقاييس الفكرية وراء هذه التحديدات الزمنية غير محددة او موحدة فهي التحديث Modernization تارة (كما في حالة الأخذ بالتواريخ ١٧٩٨، ١٨٠٥) وهي متابعة سياسة محورة الذات الاوروبية تارة أخرى (كما في حالة الأخذ بالتاريخ ١٥١٧ الذى يكاد يقترب الى حد كبير من بداية العصور الحديثة الاوروبية) وفي كلتا الحالتين - كما في معظم تقسيماتنا التاريخية - هناك ارتباط ما محوره الذات الاوروبية

وأخيرا تاتى مشكله التاريخ المعاصر. فعلى الرغم من عدم دقة ومنهجية هذا المصطلح، فإن مؤرخى هذه الفترة يختلفون ايضا في تحديد بدايتها فبعض يراها في عام ١٨٨٢ (الاحتلال البريطانى والبعض الآخر يراها في عام ١٩١٩ (الثورة المصرية) كما انهم لم يحدوها بنهاية لها واعتقد انهم لم يفكروا بعد بمدى سبب

٤ - الحقبة الرابعة : وتمتد من عام ٦٤٢ م وحتى عام ١٥١٧ م (الفتح العثماني). وتقسم هذه الحقبة الى فترات متوالية، وكل فترة تشمل حكم دولة او دولتين من الدول الاسلامية التي حكمت مصر حتى قدوم العثمانيين.  
٥ - الحقبة الخامسة : وتبدأ من عام ١٥١٧ م وتشمل الفترات الآتية .

١ - الفترة الاولى : من عام ١٥١٧ وحتى عام ١٨٠٥ (وهي الفترة التي تعرف الآن بالعصر العثماني).  
ب - الفترة الثانية : من عام ١٨٠٥ م وحتى عام ١٩١٩.  
ج - الفترة الثالثة : من عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٥٢ م.

### هوامش - في تقسيم المراحل التاريخية

١١. سبق ان طرحنا هذه التسمية للنمط الضائع باسم "نمط الانتاج الاسيوي" في دراسة عن الرقيق في مصر في العصر الروماني - وهي في سبيلها الى النشر الآن - وبسبب الدواعي منهجية والمعمولة التي دعمتها في طرحها.
١٢. انظر عي سنبل المثال. محمد عي نصر الله. اصواء على "نمط الانتاج الاسيوي". د احمد صادق سعد مشرهم وباشترى ست دراسات في النمط الاسيوي للانتاج ببيروت ١٩٧٩ ص ٦١ - ٨٢ ومقالات اخرى في نفس المؤلف المذكور.
١٣. جبريل النجر دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ترجمة محمد عبدالحق لاشين. سعاد محمد فهمي النجمال. القاهرة ١٩٧٦.
- احمد صادق سعد. نشأة التكوين المصري وتطوره. بيروت ١٩٨١ ص ١٠٣.

التاريخيه والاتفاق على بدايات ونهايات محددة واحدة تم الغاء كافة مسميات العصور التاريخية مثل التاريخ القديم، التاريخ الوسيط، التاريخ الحديث... الخ، او التاريخ الاسلامي، او العثماني. الخ. ثم تقسيم العصور التاريخية الى حقب Periods وفترات Epochs متوالية تعطى ارقاما ترتيبية. ولكي اوضح هذا التصور فانني اضع تقسيما لتاريخ مصر طبقا له .

- ١ - الحقبة الاولى : ما قبل الاسرات
- ٢ - الحقبة الثانية - من بداية الاسرات حتى نهاية العصور الفرعونية، أي حتى عام ٣٣٢ ق. م (فتح الاسكندر)
- ٣ - الحقبة الثالثة - وتمتد من عام ٣٣٢ ق م حتى عام ٦٤٢ م (الفتح العربي) وتشمل ثلاث فترات
- ١ ( الفترة الاولى First Epoch من عام ٣٣٢ ق. م وحتى عام ٣٠ ق. م (وهي الفترة التي تسمى الآن العصر البطلمي او الاغريقي).
- ب ( الفترة الثانية Second Epoch من عام ٣٠ ق. م وحتى عام ٢٨٤ م (وهي الفترة التي تسمى الآن العصر الروماني).
- ج ( الفترة الثالثة Third Epoch من عام ٢٨٤ م وحتى عام ٦٤٢ م (وهي الفترة التي تسمى الآن العصر البيزنطي)

# الصراعات الدولية والإسكندرون

الدكتور  
يقظان سعدون العامر  
كلية التربية - جامعة البصرة

أهمية الموقع الاستراتيجي لسوريا بشكل عام والاسكندرون بشكل خاص. فالدول الأوروبية بشكل عام وبريطانيا وفرنسا بشكل خاص خاضت تنافسا شديدا على سوريا. ويرجع التنافس الاستعماري البريطاني - الفرنسي على سوريا الى القرن الثامن عشر (٦). فم منذ الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، حاولت فرنسا الحصول على موطئ قدم لها على السواحل الشرقية للبحر المتوسط. ولكن بريطانيا كانت لها بالمرصاد باستثناء الاحتلال الفرنسي المؤقت لجبل لبنان أبان الازمة اللبنانية لعام ١٨٦٠ - ١٨٦١، عندما وافقت الحكومة البريطانية على خطة لاتزال قوات فرنسية تمثل الدول الأوروبية في لبنان بحجة اعادة الامن والاستقرار الى ذلك الجزء من الدولة العثمانية (٧). وباستثناء هذه الحادثة فان بريطانيا افشلت جميع خطط فرنسا في شرق البحر المتوسط. فالقضاء على محمد علي باشا، وشراء اسهم قناة السويس من الحكومة المصرية عام ١٨٧٥، وفشل السياسة الفرنسية في مصر والذي انتهى باحتلال بريطانيا لذلك البلد عام ١٨٨٢ (٨). وكذلك حادثة فاشودا Fashoda عام ١٨٩٩، كلها امثلة للتنافس البريطاني في تلك المنطقة (٩). ولكن عندما عقد مؤتمر برلين في حزيران ١٨٧٨، لمناقشة بنود معاهدة سان ستيفانو San Stefano (١٠). وعدت الحكومة البريطانية، على لسان وزير خارجيتها اللورد سالزبوري Lloyd Salisbury فرنسا «بان تعترف بطريقة خاصة بالمطلب الفرنسي القديم لحماية المسيحيين اللاتين في سوريا، مقابل اعتراف فرنسا بالاحتلال البريطاني لجزيرة قبرص» (١١).

كانت غاية الحكومة البريطانية بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ربط البحر المتوسط بالخليج العربي بسكة حديد. وبالفعل، فقد تأسست شركة سكة حديد وادي الفرات البريطانية Euphrates Valley Railway Cowpany عام ١٨٥٦ وتمكن الجنرال جسنى F.R. Ghesney في العام الثاني من الحصول على امتياز سكة حديد من الاسكندرون الى مدينة البصرة (١٢) ولكن معارضة الحكومة البريطانية للمشروع وفتح قناة السويس ادى الى التخلي عن المشروع مؤقتا (١٣). ظهر المشروع من جديد عام ١٨٧١ عندما عين مجلس العموم البريطاني لجنة خاصة لدراسة

تمثل هذه الدراسة اضمحاضا جديدة الى تلك الشحة القليلة والضئيلة جداً من الدراسات العربية التي تناولت بالبحث التاريخي مقاطعة الاسكندرون، مستقصية بعض الجوانب الهامة التي اهملتها او تغافلتها تلك الدراسات القليلة. ولذا فان أهمية هذه الدراسة الحالية تنبع من كونها تهدف الى كشف واستجلاء أهمية الموقع الاستراتيجي لهذه المقاطعة واثارها في سياسات الدول الأوروبية الكبرى وما نتج عن ذلك من صراع طاحن لتحقيق مصالح وسياسات هذه الدول وعلى وجه الخصوص خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر وكذلك النصف الاول من القرن الحالي.

تقع مقاطعة الاسكندرون في أقصى الشمال الغربي من سوريا، ويقع بين مدينة الاسكندرون ومدينة انطاكية مضيق «بلان الجبل» الذي كان المفتاح المؤدي الى قلب الامبراطورية العثمانية - أي الى آسيا الصغرى» (١). وكانت الاسكندرون اثناء السيطرة العثمانية تابعة الى ولاية حلب التي كانت جزءا من سوريا. واستوطن الاسكندرون «العرب وأقلية من الأتراك والاكرد» (٢). ويعتبر ميناء الاسكندرون احد الموانئ الرئيسية للتجارة الخارجية في سوريا حيث الواردات أكثر من الصادرات (٣). إضافة الى ذلك، انها كانت من أهم المراكز التجارية لجميع الاقاليم المجاورة حتى بلاد فارس. ففي القرن الثامن عشر، كانت القوافل القادمة من بلاد فارس تتجه اليها مرتين في السنة حاملة الحرير والاصواف هذا وكانت تجارة الاسكندرون مع مرسيليا، على سبيل المثال، لا بأس بها. فبلغت نسبة ما صدرته مرسيليا وتم تفريغه في ميناء الاسكندرون عام ١٧٨٤ - ١٤٪ من مجموع ما تم تفريغه في موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط. اما نسبة ما تم تصديره من ميناء الاسكندرون الى مرسيليا من المجموع الكلي فقد بلغت ١٥٪ (٤) وعلى الرغم من تشييد ميناء بيروت خلال الفترة ١٨٩٠ - ١٨٩٥، فقد ظل ميناء الاسكندرون من أهم الموانئ حيث بلغ مجموع عمليات الشحن العام فيه عام ١٩١٠ - ٦٣٢,٠٠٠ طن أي خمس المحمومع الكلي لعمليات شحن موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط (٥).

وبما ان الاسكندرون كانت جزءا من سوريا فلاند من معرفة

مشروع سكك حديد الاسكندرونة - البصرة وتأجل المشروع مرة أخرى بسبب الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ حتى الغى نهائياً عام ١٨٨٦ (١٤). وعلى الرغم من تخلى الحكومة البريطانية عن مشروع السكك الحديدية، إلا أن موقع الاسكندرونة أثار اهتمام الحكومة البريطانية. فقد شهد العقد السابع من القرن التاسع عشر انتفاضة شعوب البلقان ضد الهيمنة العثمانية، وانتهزت روسيا القيصرية الفرصة للتدخل الى جانب العناصر السلافية التي سحقت القوات العثمانية انتفاضتها. لذا أعلنت روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية، وبدأت قواتها بالزحف نحو القسطنطينية وارمينيا، والتي هي عبارة عن «الخطوة الاولى للزحف نحو خليج الاسكندرونة» (١٥). أثار التقدم الروسى الحكومة البريطانية. فقررت احتلال «مواقع» في الشرق. أثير موضوع الاحتلال مرة ثانية عندما عقدت الحكومة البريطانية اجتماعات في ٢٧ آذار ١٨٧٨، وقررت أن تقوم حملة عسكرية هندية باحتلال قبرص والاسكندرونة (١٦). سواء بموافقة السلطان العثمانى عبد الحميد (١٨٧٦ - ١٩٠٨) او رغما عنه (١٧). واقترحت الحكومة البريطانية ضمان عوائد كل من قبرص والاسكندرونة الى السلطان العثمانى (١٨). وكان الهدف من وراء احتلال هذين الموقعين هو انهما «سيعيقان التقدم الفعلى الروسى.. الى خليج الاسكندرونة» (١٩). وانه «سيتم مد سكك حديدية في بلاد ما بين النهرين من الاسكندرونة. سواء من قبل الحكومة البريطانية او بمساعدتها» (٢٠). ولكن الحكومة البريطانية تخلت عن فكرة احتلال الاسكندرونة لانها خشيت تدهور علاقاتها مع الدول الأوروبية وخاصة فرنسا التي تعتبر سوريا منطقة نفوذ فرنسية على الرغم من معرفة الحكومة البريطانية بأن موقع الاسكندرونة اكثر فائدة من تلك التي تتمتع بها قبرص (٢١).

أما روسيا فكانت تنظر الى الاسكندرونة على انها ميناؤها في المستقبل (٢٢)، وانها مصممة للوصول اليها (٢٣). علاوة على ذلك، انه عند حصول شركة سكك حديد الاناضول الالمانية على امتياز مد سكك حديد برلين - بغداد، وتصميم تلك الشركة على مد سكك حديد فرعية كالتى بين ارضة والاسكندرونة (٢٤)، أعلنت روسيا وبصراحة معارضتها للمشروع لانه يتعارض مع مشروعها المقترح بمد سكك حديد بين ارمينيا والاسكندرونة والذي اذا تم تنفيذه فانه سيمنح البضائع الروسية منفذا جيداً خلال السنة، أي الوصول الى المياه الدافئة (٢٥).

ألا ان السنوات ١٩٠٠ - ١٩١٤، شهدت نشاطات مكثفة وخاصة من الفرنسيين لتعزيز نفوذهم الاقتصادى والسياسى والدينى في سوريا، لقد نظر الفرنسيون الى البريطانيين كمنافسين رئيسيين لهم في سوريا. والواقع، ان الأدلة تؤيد بأنه على الرغم من اعترافها بالاهمية الاستراتيجية لسوريا، وانها تهدف، كما تهدف فرنسا ايضا، الى الحد من توسع النفوذ الالمانى في المقاطعات العثمانية. إلا ان بريطانيا حاولت مرات عديدة اما الحد من النفوذ الفرنسى او الحصول على هيمنة بريطانية في سوريا لتستخدمها كنقطة مساومة في حالة انهيار الحكم العثمانى (٢٦) يضاف الى ذلك ان بريطانيا اعتقدت ان النفط متوفر في سوريا. لذلك دخلت في

وقت لاحق في مفاوضات مع الاتراك، هدفها الحصول على امتياز التنقيب عن النفط في بلاد ما بين النهرين وشبه جزيرة العرب بالاضافة الى سوريا. فاعيد اقتراح مشروع مد سكك حديد من الاسكندرونة مارة بحلب متخذة من وادى القرات مساراً لها حتى مدينة بغداد. ويعود سبب هذا الاقتراح الى ان مجموعتين من اصحاب رؤوس الاموال الفرنسيين اظهروا اهتمامهم بمد سكك حديد تربط البحر المتوسط ببلاد ما بين النهرين (٢٧)، ولكن المشروع الفرنسى لم يحالفه الحظ بسبب المعارضة البريطانية، وكذلك حصول بريطانيا خلال محادثات ١٩١٣ - ١٩١٤ مع تركيا على امتياز يعطى بريطانيا وحدها حق ربط سوريا وبلاد ما بين النهرين بسكك حديد (٢٨). يضاف الى ذلك ان اهتمام الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة للدفاع عن قناة السويس جعلها تهتم بأهمية الموقع الاستراتيجى لسوريا بالنسبة الى قناة السويس، مما جعل سوريا عاملاً للتوتر في العلاقات البريطانية - الفرنسية، فمذ النزاع حول سيناء عام ١٩٠٦، وضعت لجنة الدفاع الامبراطورى Committee Of Imperial Defence خططها في حالة الهجوم على الجناح الشرقى من قناة السويس. وفي العام التالى تم تشكيل لجنة فرعية برئاسة اللورد مورلى Lord Morley وزير الدولة لشئون الهند لدراسة الاحتياجات العسكرية للامبراطورية في حالة الدفاع عن قناة السويس. فبعد ان ايفنت اللجنة ان جزءاً ما من سوريا يجب احتلاله لتتخذ كنقطة انزال للقوات البريطانية في حالة الدفاع الهجومى عن قناة السويس، حددت ثلاث مناطق للفرض اعلاه وهى بيروت والاسكندرونة وحيفا. استبعدت اللجنة بيروت وكذلك الاسكندرونة لبعدها عن قناة السويس، وفضلت حيفا لقربها ولوقعها الاستراتيجى. ونتيجة لذلك، قامت بريطانيا بعمليات استطلاع في لبنان وفلسطين ومطقة سيناء - النقب في السنوات التالية مما أثار شكوك فرنسا من هذا النشاط البريطانى. ومما زاد من هذه الشكوك قيام موظفين بريطانيين معينين في مصر بزيارات الى لبنان وسماحهم بنشر مقالات مناوئة لفرنسا في الجرائد العربية الصادرة في القاهرة (٢٩)، لذلك بدأت فرنسا منذ اواسط عام ١٩٠٩ بتوضيح سياستها تجاه سوريا لدى الحكومة البريطانية مؤكدة تصميمها على المحافظة على نفوذها في سوريا ولبنان. وكان عام ١٩١٢ عاماً حاسماً في العلاقات البريطانية - الفرنسية فيما يتعلق بسوريا، خاصة بعد ان افصح فرنسا عن مخاوفها تجاه التقارير التي تردّها من موظفيها والتي تؤكد على عزم بريطانيا لضم سوريا الى مصر. وبدأت مراسلات بين السفير الفرنسى في لندن بول كامبون Paul Cambon والسفير ادورد كرى Sir Edward Grey وزير الخارجية البريطانية في ٢٦ تشرين الثانى ١٩١٢ وانتهت في الخامس من كانون الاول من نفس العام باعلان كرى الشهر الذى اكد فيه بأنه ليس لبريطانيا نية في ضم سوريا الى مصر وانه ليست لها اية مطامع في سوريا (٣٠). ولكنه أعلن بوضوح ان ذلك لايعنى اعتراف بريطانيا بالنفوذ الفرنسى في سوريا «وان ما قلته يصدد سوريا لايعنى تغير الوضع الراهن والذي هو هدفنا» (٣١).

وفي الحقيقة ان فرنسا قد جابهت ايضا محاولات المانيا

الفيصرية تعبرير مصالحها في سوريا. الا انه امكن التوصل الى اتفاقية بسبب المبادرة التي قام بها اصحاب المصالح الفرنسيين وبموجب هذه الاتفاقية التي تم التوقيع عليها في ١٥ شباط ١٩١٤، قسمت مناطق نفوذ سكك الحديد الالمانية والفرنسية في سوريا واحتفظ الالمان على نفوذهم حول خليج الاسكندرونة، وابتعدوا نفوذ السكك الحديد الفرنسية حتى جنوب مدينتي حلب واللاذقية (٢٢) وفي الحقيقة، ان موقع الاسكندرونة الاستراتيجية قد جذب انتباه المانيا، ففي ١٥ تشرين ١٩١٤ سأل المستشار الالمانى بيثمن هولويل Bethman Hollweg الاميرال هوغو فور بوهل Hugo Von Pohl عن خطط المانيا في الجبهة الشرقية. فأبلغه ان المانيا ستحتل الاسكندرونة لتستخدمها كقاعدة بحرية (٢٣). وعلى كل حال فان الفرنسيين وقعوا ايضا معاهدة اخرى مع تركيا في ٩ نيسان ١٩١٤ وبذلك ضمنوا نفوذهم في سوريا (٢٤).

وعلى اثر نشوب الحرب العالمية الاولى ودخول الامبراطورية العثمانية الحرب الى جانب المانيا وحلفائها في تشرين الاول ١٩١٤ (٢٥)، ازداد الارهاب التركى ضد العرب في سوريا مما زاد تذرهم من الحكم العثماني وبدأت الاستعدادات للثورة والتخلص من هذا الحكم، وبعد ترشيح الحسين، شريف مكة، لتزعّم الثورة (٢٦)، عرضت بريطانيا على الشريف حسين (٢٧) مشروعاً يتضمن انه اذا ساعد العرب بريطانيا فان الاخيرة تتعهد بان تمنع اى تدخل في بلاد العرب وان يمنح العرب كل مساعدة ضد اى اعداء خارجي يقع عليها. ويظهر انه ليس في نية بريطانيا دعم ثورة عربية كبرى، لان العرض البريطاني كان مقتصرًا على عرب الحجاز (٢٨) الا ان شريف مكة الذي وافقت الجمعيات العربية السرية على ان يبداهم بالثورة في الحجاز، اتصل بتلك الجمعيات التي عينت جيود البلاد العربية الاسيوية التي ستنتال استقلالها. فقد حددت الحدود الشمالية من خط مرسين - أضنه حتى العمادية وحدود فارس اى ان الاسكندرونة تقع في الجزء الذي يجب ان ينال استقلاله (٢٩). استؤنفت مفاوضات حسين مع الانجليز الذين مثلهم السير هنري مكماهون Sir Henry Macmahon المفوض السامي البريطاني في القاهرة وقد اثيرت مسألة تحديد المنطقة التي ستنتال استقلالها. فاعتقد مكماهون ان تحديد المنطقة سابق لاوانه لان الحرب لازالت قائمة ولازال غالبية المناطق موضوع البحث تحت الاحتلال التركي. الا ان الحسين رد على مكماهون بقوله «ان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائه ومفاوضته بعد الحرب، بل هي مطلب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق باجمعه على هذا الاعتقاد.. وفوق هذا، فان العرب لم يطلبوا في تلك الحدود مناطق يقطنها شعب اجنبي بل كان ما يصرون عليه هو توحيد البلاد التي تسكنها قروعه المنحدرة من اصل واحد» وأوضح الحسين «باني لست أنا شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره يعتقد انها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية» (٤٠). ولكن الحكومة البريطانية استثنت مرسين والاسكندرونة وبعض الاجزاء الساحلية التي تقع غرب دمشق وحمص وحماء وحلب، واهضت على عدم ضمها في الحكومة العربية (٤١). وافق الشريف حسين على

التنازل عن أضنه والتي تشمل على ميناء مرسين. الا انه رفض التنازل عن الاسكندرونة او الاجزاء الساحلية، لانها عربية خالصة (٤٢)

اعلنت الحكومة البريطانية رأيها بصراحة عندما طلبت من ممثلها مكماهون ابلاغ الشريف حسين بان الاجزاء الساحلية هي مناطق عربية خالصة. ولكنها لازالت تعلن تحفظها عن ضم هذه الاجزاء الى الحدود العربية التي ستنتال استقلالها لان «مصالح حليفها فرنسا داخلية فيها» (٤٣). وبسبب طول فترة المفاوضات مع الحكومة البريطانية والتي بدأت منذ تموز ١٩١٥، وانتهاء الاستعدادات المكثفة لاعلان الثورة ضد الحكم العثماني، وكذلك خشية حدوث خلافات بين بريطانيا وفرنسا اذا اصر الشريف مكة على ضم الاجزاء الساحلية، لكل هذه الاسباب اخبر الحسين مكماهون بانه سيوافق على تأجيل موضوع ضم الاجزاء الساحلية حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى. ولكنه حدد موقفه من المسألة بلغة واضحة حين اخبر مكماهون: «انا سنطلب في اول فرصة بعد انتهاء الحرب استرداد (الاجزاء الساحلية) التي نغض الطرف عنها والتي هي في هذه الساعة تحت رعاية فرنسا». وأكد الحسين: «انه لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على مساحة قدم مربع من هذه المناطق» (٤٤). الا ان مكماهون بلغ الحسين انه من الخطا الاعتقاد بان العلاقات البريطانية - الفرنسية ستعرض الى الفتور بعد الحرب. والواقع ان بريطانيا لم تبد موافقتها سواء الصريحة او السرية بشمول سنجق الاسكندرونة ضمن المنطقة العربية المراد منحها الاستقلال كما يعتقد بعض المؤرخين (٤٥) فمراسلات الحسين - مكماهون لم تشر الى ذلك، ولكن هذه المراسلات اوضحت وبشكل قاطع تراجع بريطانيا عن موقفها السابق الذي شكك بعروبة الاجزاء الساحلية والاسكندرونة، واعترافها بعروبتها، الا انها رفضت ضم هذه الاجزاء الى المنطقة العربية بحجة ان لفرنسا مصالح فيها وهكذا تم التوصل الى «اتفاقية» مبهمة بين الشريف حسين، نيابة عن العرب، والحكومة البريطانية، ولكن ما اظهرته هذه المراسلات هو ان الحسين لم يوافق على ابعاد اية بقعة عربية عدا قليقيا (٤٦).

وبينما كان مراسلات الحسين - مكماهون جارية، كانت بريطانيا تعتقد صفقة مع حلفائها، روسيا وفرنسا، لتحديد مناطق نفوذهم في الدولة العثمانية تقاديا لاي خلاف يقع بينهم في المستقبل (٤٧). ففي ١٨ آذار ١٩١٥ عقدت معاهدة القسطنطينية بين فرنسا وبريطانيا وروسيا، ونصت المادة الثالثة على اعتبار ميناء الاسكندرونة ميناء دوليا وتعلن حريته. لقد اصبحت هذه المعاهدة الاساس الذي اعتمدت عليه الاتفاقيات الدولية والتي عقدت في وقت لاحق (٤٨)، فقد نصت المادة الخامسة من اتفاقية سايكس بيكو الموقعة في عام ١٩١٦، وهي ما تعرف ايضا باتفاقية لندن، والتي تتعلق بميناء الاسكندرونة بان «يكون ميناء الاسكندرونة ميناء حرا فيما يتعلق بتجارة الامبراطورية البريطانية، وان لا يكون هناك تمايز في معاملة التجارة والنقل البحري البريطاني، وان تتمتع البضائع البريطانية بحق المرور (الترانسيت) في الاسكندرونة» (٤٩). لكن هل اجبرت الظروف الدولية بريطانيا على الموافقة على ضم



فرنسا الاسكندرونة. ثم ان بريطانيا وافقت على ذلك صوعا وكحرء من سياستها الدولية ، يبدو ان الحكومة البريطانية لم تكن قد قررت سياستها تجاه الاجراء الاسيوية من الدولة العثمانية. ولكن وزارة الحربية والبحرية ايضا كانت لديها بعض الافكار كان قسم من العسكريين يخطى موافقة الحكومة البريطانية على ضم فرنسا للاسكندرونة، فهم يعتقدون بان فرنسا ستقوم ببناء قاعدة بحرية فيها وقاعدة غواصات وقوارب طوربيد في بيروت (٥٠)، وفي حالة دخول بريطانيا في حرب ضد فرنسا، فسيؤدي ذلك الى تفاقم الصعوبات القائمة على ابقاء الاتصالات البريطانية في منطقة البحر المتوسط مفتوحة. وستكون سكك حديد حيفا - الموصل - بغداد المقترحة معرضة الى تهديد مستمر اما من قبل روسيا او فرنسا او من قبلهما (٥١)، فاقترح السير ماكسويل SIR G. Maxwell قائد القوات البريطانية في مصر في نهاية عام ١٩١٤ (٥٢)، قيام القوات البريطانية بالانزال على ميناء الاسكندرونة والتوسع في سوريا وبذلك تؤسس دولة عربية تحت حماية بريطانيا (٥٣). وتبنى هذا الاقتراح كل من اللورد كتشنر (٥٤)، Lord Fisher قائد البحرية واللورد وستون تشرشل Lord W. Charehill واللورد ارثر بلفور Lord A. Balfour من البحرية البريطانية. فبالبحرية البريطانية نظرت الى الاسكندرونة بأنها وبالدرجة الاولى احسن موقعا لتسهيل المواصلات السريعة بين البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين والهند (٥٥)، فعندما طرح الحلفاء فكرة شن هجوم على تركيا في مطلع عام ١٩١٥ اقترح اللورد كتشنر واللورد فيشر ان تكون هذه العملية والاهداف سياسية وعسكرية ضد اما الاسكندرونة او حيفا. ففي الثالث من كانون الثاني عام ١٩١٥ اخبر فيشر تشرشل بأنه يجب ارسال الجيش البريطاني الى حيفا والاسكندرونة وان احتلال بريطانيا للاخيرة يجب ان يكون دائما وذلك لقيمتها الكبيرة فيما يتعلق بحقول النفط في المنطقة. اي بلاد ما بين النهرين وكذلك بلاد فارس. واقترح فيشر ايضا ربط بلاد ما بين النهرين والاسكندرونة بسكك حديد (٥٦) ولكن فرنسا افشلت عملية الانزال، واتخذ الحلفاء قرارا بشن هجوم على الدردنيل.

في تلك الظروف اجبرت بريطانيا وفرنسا على تحديد موقفها تجاه المطالب الروسية في القسطنطينية والدردنيل وافقت بريطانيا على هذه المطالب «لان الاسباب العسكرية والبحرية تجربنا على قبول المطالب الروسي» (٥٧)، الا ان اللجنة الحربية War Committee اجتمعت في ١٠ اذار وناقشت مرة اخرى الرد المراد ارساله الى روسيا. اكد كتشنر وتشرشل الحاجة الى احتلال بريطانيا للاسكندرونة لانه احسن ميناء على الساحل السوري، فذكر تشرشل انه اذا تمكنت بريطانيا من تشتيت القوة البحرية الالمانية فانه باستطاعتها بناء اسطول في البحر المتوسط ضد كل من الفرنسيين والروس (٥٨).

اما كتشنر فكان يرى ان الاسكندرونة تتمتع بقيمة استراتيجية اكثر من حيفا (٥٩) لانه في حالة احتلال روسيا للقسطنطينية ومضائق البسفور والدردنيل فان تقسيم الدولة العثمانية سيكون

محتما. وفي معرض رده على النقاط التي اوردتها لويدي جورج Lloyd George وزير المالية والتي ترى ان موضوع الاسكندرونة ربما يقود الى نزاع مع فرنسا. اكد كتشنر انه اذا ظهرت روسيا كدولة قوية في البحر المتوسط بعد استيلائها على القسطنطينية وسيطرت فرنسا على سوريا وايطاليا على جزيرة رودس فانه سيتعذر الدفاع عن الحدود البريطانية في مصر اذا احتلت اية قوة الاسكندرونة (٦٠) لذا فانه يتوجب على بريطانيا احتلال الاسكندرونة «لان الابقاء على هيمنتنا البحرية في البحر المتوسط أمر ضروري» (٦١) يضاف الى ذلك، ان كتشنر رأى انه اذا قررت بريطانيا ضم بلاد ما بين النهرين الى الامبراطورية البريطانية فان احتلال الاسكندرونة سيكون امرا لا مفر منه «وانا لم تضم بلاد ما بين النهرين فان روسيا وبدون شك ستضمها عاجلا ام اجلا. وهذا سيجعل لروسيا مفعلا الى الخليج العربي، وبالتالي ستمكنها من فرض هيمنتها العسكرية والتجارية في الخليج العربي، وان الموارد الزراعية والمعادن الكامنة في بلاد ما بين النهرين، وخاصة النفط، ذات قيمة كبيرة لا يمكن تجاهلها». وهكذا، فاذا احتلت بريطانيا الاسكندرونة فان بلاد ما بين النهرين وسكك حديد بغداد ومصر وقناة السويس ستكون في مأمن كبير. اضافة الى ذلك، ان كتشنر يرى انه اذا احتلت بريطانيا الاسكندرونة والمناطق المجاورة فانه سيسهل على بريطانيا استثمار المعادن في اسيا الصغرى وستحمى مصالحها في بلاد فارس (٦٢) وهكذا اقترح كتشنر اعطاء فلسطين الى فرنسا مقابل تنازلها عن الاسكندرونة (٦٣)، حتى وصل الامر به ان اعلن في اجتماع اللجنة الحربية في ١٨ اذار ١٩١٥ انه اذا لم تحتل بريطانيا الاسكندرونة فانه من المستحسن عدم احتلالها لبلاد ما بين النهرين (٦٤).

أيد لويدي جورج وبلفور عضوي اللجنة الحربية، فكرة احتلال بريطانيا للاسكندرونة وبلاد ما بين النهرين (٦٥)، اما السير ادوارد كرى Sir Edward Grey وزير الخارجية البريطاني، الذي أبدى معارضته لفكرة احتلال بريطانيا لفلسطين، واقترح اعطاها الى بلجيكا (٦٦) فيبدو انه كان متحيرا. فعلى الرغم من عدم موافقته اضافة اراض جديدة تحت السيطرة البريطانية لان ذلك، في نظره سيورط بريطانيا في مشاكل عويصة، الا انه ابدى استعداده الى حصول بريطانيا على حصتها من الدولة العثمانية اذا بدأت فرنسا وروسيا بتقسيم تلك الدولة (٦٧)، ويبدو ان كرى كان من مؤيدي احتلال بريطانيا للاسكندرونة، ففي حديث له مع السفير الفرنسي في لندن بخصوص الاسكندرونة رد كرى بلهجة لاتخلو من الشدة قائلا: «الا انك سوف لا تطلب منى الاعتراف بان الاسكندرونة هي جزء من سوريا» (٦٨) ويتضح ان كرى كان يهدف من ذلك فصل الاسكندرونة عن سوريا ليحرد بذلك ادعاءات فرنسا فيها ويضعها اخيرا تحت السيطرة البريطانية. ومما يؤيد اهتمام كرى بفكرة احتلال بريطانيا للاسكندرونة انه كان مستعدا لعقد صفقة مع فرنسا تتنازل بريطانيا بموجبها عن حقوقها في المستعمرات الالمانية في افريقيا الى فرنسا، مقابل تنازل الاخيرة عن الاسكندرونة لبريطانيا (٦٩)، اما هربرت اسكويث Herbert Asquith رئيس الوزراء البريطاني، فعلى الرغم من عدم تأييده فكرة

احتلال بريطانيا لأراضٍ جديدة إلا أنه أعلنها بوضوح «أننا إذا تركنا بقية الدول، بسبب أو لآخر، تزحف على تركيا من دون أن نحصل على أي شيء لأفغنسا، فإننا بذلك قد قصرنا في واجبنا» (٧٠)

لقد أدت فكرة احتلال الاسكندرونة الى انقسام في الوزارة البريطانية الى مؤيد ومعارض لذا ومن اجل التأكد من رغبة الحكومة البريطانية في تحديد المنطقة المراد احتلالها اسكويث في ٨ نيسان ١٩١٥ لجنة سميت لجنة تركيا الاسيوية Committee on Asiatic Turkey برئاسة السير موريس دي بونسن Sir Maurice de Bunsen مساعد وكيل وزير الخارجية (٧١) وطلب رئيس الوزراء من اللجنة دراسة طبيعة المناطق في الاجزاء الاسيوية من تركيا المراد احتلالها من قبل بريطانيا بعد انتهاء الحرب وخروج الحلفاء منتصرين على الدول المركزية. عقدت اللجنة ثلاثة عشر اجتماعا في الفترة ما بين ١٢ نيسان و ٢٥ مارس، وقدمت تقريرها في ٣٠ حزيران مقترحة اربع خطط لحل المشاكل التي تنجم بعد انتهاء الحرب فيما يتعلق بالامتلاكات العثمانية في اسيا.

ذكرت اللجنة انه من اجل تعزيز المصالح البريطانية في الاقسام الاسيوية من تركيا يجب «الحفاظ على وضعنا الاستراتيجي في شرق البحر المتوسط والخليج العربي والحفاظ على طرق مواصلاتنا..» فالخطة الاولى كانت اقتراح تقسيم الدولة العثمانية لذا وجب «تقرير حدود المنطقة». وأشارت اللجنة الى ضم الموصل الى النفوذ البريطاني لان ذلك «سيحقق ضرورتين مهمتين لاحتلال ولاية البصرة وبعداد عسكريا». ففي حال قيام روسيا بشن هجوم على بلاد ما بين النهرين. فانه من المستبعد ان تتمكن حكومة الهند توفير قوات للدفاع عنها وحتى في هذه الحالة الطارئة، فإن الفرق بين النجاح والافقار يعتمد على درجة سرعة اتصال هذه التعزيزات الى المنطقة المهددة «وبسبب هذا الاعتبار، فانه يصبح ضرورة عسكرية تأمين باب خلفي للعراق من جهة منطقة شرق البحر المتوسط. ويبدو طبيعيا ان تكون الاسكندرونة الخيار الطبيعي، لانها احسن ميناء على ساحل سوريا وهي ايضا مرتبطة بشبكة سكك حديد بغداد، وسيكون لضمها فائدة مضاعفة لانها ستمنحنا التسهيلات التي نحتاجها لتعزيز وجودنا في العراق من جهة البحر المتوسط، وكذلك منع القوى الاجنبية من احتلال الميناء الوحيد في سوريا والذي يمكن تحويله الى قاعدة بحرية». الا ان اللجنة ذكرت بان فرنسا سوف لا ترحب بايجاد نفوذ بريطاني يتطرق «نفوذها» في سوريا الى قسمين، ويقطع خطوط مواصلاتها وتحرمهم من الاسكندرونة، «الميناء الجيد الوحيد في هذه المنطقة»، واذا وافقت فرنسا على ذلك «فستكون سككنا الحديدية تحت رحمتها وستكون قريبة جدا من الاراضي الروسية»، وفي حالة احتلال بريطانيا للاسكندرونة فانها لا تتمكن من معارضة الاحتلال الفرنسي للاجزاء الجنوبية من سوريا، والذي يعني بان فرنسا ستد حدودها الى شبه جزيرة العرب «ولا يمكننا قبول مثل هذا الوضع». واختتمت اللجنة خطة التقسيم بالاقتراح «بعد ضم الاسكندرونة الى حدود المصالح البريطانية وان يتم اسنادها بحيفا» على الرغم من اعتراف اللجنة «بعدم كونها ميناء طبيعيا كالاسكندرونة» وأوضحته اللجنة ان

فرنسا ستنشئ «عاجلا ام اخلا قاعدة بحرية في الاسكندرونة، ربما قاعدة بحرية لغواصات والطوربيدات في بيروت». وان ايطاليا بإمكانها «انشاء قاعدة بحرية في مرمريز Marmaris وهذا مما يزيد صعوباتنا في ابقاء خطوط مواصلاتنا البحرية مفتوحة في شرق البحر المتوسط في حالة اندلاع حرب مع احدى هاتين القوتين، الامر الذي سيجبر بريطانيا على ارسال قوات بحرية الى تلك المنطقة للسيطرة على الاساطيل المتواجدة في تلك الموانئ، وهذا «يتطلب منا انشاء قاعدة. محصنة في الاسكندرونة وكذلك ميناء احتياطي محمي للنقل وقاعدة غواصات في حيفا.

اما الخطة الثانية فهي تحديد مناطق نفوذ، واقترحت اللجنة منطقة النفوذ البريطاني وهي كالمثلث قاعدته تمتد من ميناء العقبة حتى الخليج العربي، واصلعه تبدأ من عكا في الغرب حتى مدينة البصرة في الشرق، وتقع الموصل في قمة المثلث، اما الخطة الثالثة، فهي تشكيل اتحاد لامركزي عثماني مع فصل بعض المناطق عنه فالبصرة تصبح بريطانية وكذلك المنطقة الممتدة حتى زاخو شمالا والعمادية شرقا وميناء عكا غربا، وتضم المنطقة ايضا ميناء حيفا على البحر المتوسط، والذي سيكون بديلا عن الاسكندرونة كميناء وكنهاية لخط سكك حديد. وتشمل هذه المنطقة ايضا مدينة الموصل، واعطت اللجنة رأيها، مفضلة الخطة الثالثة - خطة اللامركزية - كاحسن حل «يحفظ المصالح الحيوية لبريطانيا العظمى». (٧٢)

لقد ادعت اللجنة ان سبب اختيار حيفا بدلا عن الاسكندرونة لا يعود الى خشية الحكومة البريطانية من فرنسا (٧٢) ولكن الحقائق لا تؤيد هذا الرأي. فكما لاحظنا ان اللجنة كانت تخشى من امتداد النفوذ الفرنسي الى قناة السويس ومصر وتسبب جزيرة العرب في حالة ضم بريطانيا للاسكندرونة (٧٤)، علاوة على ذلك ان فرنسا أدركت اهتمام الحكومة البريطانية في ضم الاسكندرونة، مما اثار شكوكها لقد كانت فرنسا تعتبر الاسكندرونة مجالا لنفوذها وكبوابة الى اسيا الصغرى، وكنقطة حيوية لاستراتيجيتها للهيمنة على البحر المتوسط (٧٥). وهذا يفسر لنا اصرار فرنسا على ابقاء الاسكندرونة جزءا من سوريا، وكانت ترمي من وراء ذلك الحصول على اعتراف الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا «بحقوقها في سوريا والاسكندرونة..» (٧٦) لقد أبدت فرنسا معارضتها لخطة الانزال البريطانية على الاسكندرونة او على اية منطقة اخرى على الساحل السوري، وهددت بالاحتجاج ضد بريطانيا اذا قامت بتنفيذ تلك العملية، واشترطت فرنسا ان تكون مهمة مراقبة الساحل السوري من الاسكندرونة حتى حيفا من عمل البحرية الفرنسية (٧٧). لقد خشيت الحكومة البريطانية ان يتكون لدى فرنسا انطباع بان البريطانيين يرمون الى تعزيز مصالحهم في سوريا على حساب المصالح الفرنسية (٧٨) وهذا يؤدي الى تدهور العلاقات البريطانية - الفرنسية الذي كان يخشاه كرى الذي كان مخلصا لمبدأ المحافظة على «الوفاق الودي» مع فرنسا (٧٩) لقد أبدى كرى تحفظه من تأييد مصالب الشريف حسين في سوريا (٨٠) وايدى رأى تشرشل - الذي تراجع هو الآخر عن موقفه - باعطاء الفرنسيين ما يشاؤون حتى الاسكندرونة «لان تعاوننا معهم في البحر المتوسط وفي

حربها مع قوات تركيا الكمالية. ومن أجل الحفاظ على النفوذ الفرنسي في سوريا ولبنان، والحصول على صداقة حكومة تركيا الكمالية (٨٨)، أبدت الحكومة الفرنسية استعدادها للتوصل الى اتفاق معها، وخلال انعقاد مؤتمر لندن في شهرى شباط وأذار ١٩٢١، والذي اشترك فيه وفد فرنسي برئاسة ارستيد بريان Aristide Briand وزير خارجيتها ووفد يمثل تركيا الكمالية برئاسة وزير خارجيتها بكر سامي، توصل الطرفان الى اتفاقية دعت الى وقف اطلاق النار بينهما وانسحاب فرنسا من الاراضي الواقعة شمال حدود معاهدة سيفر وكان الثمن الذي تقاضته فرنسا وعود بمنح امتيازات اقتصادية في التي ستستسحب منها، وترك تركيا القيام بمهمة «حماية» الاقليات «وكان جزء من الثمن الفرنسي هو تشكيل نظام خاص في الاسكندرونة» (٨٩)

توقفت الحرب بين تركيا الكمالية وفرنسا، ولكن الجمعية الوطنية الكبرى التركية Grand National Assembly لم تصادق على اتفاقية لندن بسبب انفاء بكر سامي، ممثل تركيا في هذه الاتفاقية من منصبه. لذا سافر هنري فرانكلين بويون Henri Franklin Bouillon رئيس هيئة لجنة الشؤون الخارجية Chamber Committee On Foreign Affairs الى انقرة للتفاوض على اتفاقية موسعة.

وهكذا بدأت المفاوضات وبحث جميع لمطالب التركية وانتهت هذه المباحثات بالتوصل الى اتفاقية جديدة ثم التوقيع عليها في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢١. فقد نصت المادة السابعة من اتفاقية انقرة او فرانكلين - بويون على «تأسيس نظام اداري خاص الاسكندرونة، وان يتمتع سكان المقاطعة من الاتراك بكافة تسهيلات وذلك لتطوير ثقافتهم وان يتم الاعتراف باللغة التركية كلفة رسمية» (٩٠). أما المادة الثامنة فقد خططت حدودا جديدة بين تركيا وسوريا، كانت في مصلحة تركيا واكثر مما حددته معاهدة سيفر (٩١)، وبعبارة اخرى تنازلت فرنسا لتركيا حوالى ١٠ عشرة الاف من الكيلومترات اضافة الى الانسحاب من قليقيا (٩٢). علاوة على ذلك ان تخطيط الحدود بصورة ترضى تركيا ادى الى ازدياد نسبة الاتراك في مقاطعة الاسكندرونة من ٢٩ / الى ٣٩ ٪ (٩٣). وفي المقابل، اعلنت حكومة الجمعية الوطنية الكبرى على نقل امتياز سكك حديد بغداد بين مدينتي بوزنتي Bozanti ونصيبين وكذلك فروعها في مدينة اصفه الى مجموعة فرنسية ترشحها الحكومة الفرنسية مع جميع الحقوق والامتيازات والفوائد الناجمة من هذه الامتيازات فيما يتعلق بالتنقيب والمواصلات

الا ان الحكومة التركية ابدت على لسان وزير خارجيتها يوسف سلمان تحفظها على بعض مواد الاتفاقية ففيما يتعلق بالاسكندرونة وانطاكية اعلنت تركيا رغبتها «بضرورة منح السكان حق اتخاذ علم خاص يظهر عليه العلم التركي» وطالبت الحكومة التركية «ان يتمتع المواطنون والممتلكات والعلم التركي بحرية استخدام ميناء الاسكندرونة وان يتم معاملتهم على مبدأ المساواة مع ساكني سكان المقاطعة» وان يتم «تأخير منطقة في الميناء الى تركيا ليتم استخدامها كمقطة مرور مباشر للبضائع من والى تركيا، وان يتم توفير جميع تسهيلات الى تركيا لربط هذه المنطقة بسكك حديد تربط

مناطق اخرى سيتعرض الى الدمار، اذا جعلناهم يشكون بنا في منطقة سوريا» (٨١). اضافة الى ذلك، انه على الرغم من اقتراح لجنة دي بونسي ضم الموصل الى منطقة النفوذ البريطاني، الا ان الحكومة البريطانية وافقت على ضمها الى فرنسا وذلك بموجب معاهدة سايكس - بيكو (٨٢)

الا ان توصيات لجنة دي بونسي، وانسحاب روسيا القيصرية من الحرب العالمية الاولى، وكذلك احتلال القوات البريطانية بمساعدة حلفائها العرب سوريا وكذلك احتلالها الموصل، كل هذه الاسباب عززت موقف بريطانيا وشجعها على المطالبة بتعديل معاهدة سايكس - بيكو بضم الموصل الى النفوذ البريطاني. فعند زيارة جورج كلمنصو Georges Clemenceau رئيس وزراء فرنسا الى لندن في اوائل شهر كانون الاول ١٩١٨ طالب لويد جورج، الذي اصبح رئيسا لوزراء بريطانيا بتعديل المعاهدة فيما يخص الموصل وفلسطين. وبعد مفاوضات تمكن لويد جورج من الحصول على ضمان من كلمنصو بان فرنسا ستوافق على ادارة بريطانية بدلا من ادارة دولية على فلسطين، وكذلك تحويل الموصل من النفوذ الفرنسي الى البريطاني، مقابل الاعتراف البريطاني بالسيطرة الفرنسية الكاملة على دمشق وحلب وكذلك الاسكندرونة وبيروت واذا تم العمل بنظام الانتخاب، فان هذه المقاطعات ستكون تحت الانتخاب الفرنسي (٨٣) وفي مؤتمر الصلح الذي عقد في اوائل ١٩١٩، قادت مناقشة القضايا العربية الى قضية ارمينيا، فاقترح الوفد الارمني في شباط تأسيس دولة ارمينية مستقلة ومن ضمن المقاطعات التي طالب بها كانت الاسكندرونة (٨٤)، وعلى كل حال، فقد وقعت بريطانيا وفرنسا في ١٥ ايلول اتفاقا عسكريا في باريس تضمن انسحاب القوات البريطانية من سوريا واستبدالها بقوات فرنسية، وعند انعقاد المجلس الاعلى للحلفاء والذي ضم بريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة واليابان في سان ريمو في نيسان ١٩٢٠، تم اقتسام الانتدابات، ووضعت دمشق وحلب وبيروت والاسكندرونة تحت الانتخاب الفرنسي (٨٥).

الا ان قوات حكومة انقرة برئاسة مصطفى كمال، والتي رفضت قبول معاهدة سيفر التي وقعتها حكومة السلطان العثماني محمد السادس في آب ١٩٢٠، حاولت طرد القوات الفرنسية من منطقة جنوب الاناضول، نجحت في اعادة مدينة مرعش، الا انها فشلت في اجبار القوات الفرنسية على الانسحاب من قليقيا. وعلى الرغم من ذلك، فقد بقيت تهاجم القوات الفرنسية

في الوقت نفسه، شهدت باريس في اوائل عام ١٩٢٠ مجيء القوميين الى الحكم، فاعتقدوا بضرورة التوصل الى اتفاق مع الاتراك الكماليين لاسباب عديدة: ان العلاقات الفرنسية - البريطانية لم تكن جيدة بسبب خلافهم على الموصل، وانزعاج الفرنسيين من النفوذ البريطاني في القسطنطينية والمضائق التركية واتهامهم لبريطانيا بخلق المشاكل في سوريا (٨٦). وكذلك امتعاض بل غضب فرنسا من مباحثات بريطانيا السرية مع بلاد فارس والتي ادت بالتالي الى توقيع الاتفاقية البريطانية - الفارسية في ٨ آب ١٩١٩ (٨٧)، وانتشغال فرنسا بمسكك توصية انداسها على سوريا بسبب المقاومة السورية، وان القوات الفرنسية قد منيت بخسائر مبررة

داخليا. ويعود سبب ذلك الى انشغال تركيا بمشكلة الموصل ووقوف فرنسا موقف الحياد في الوقت نفسه كانت فرنسا تود التقرب الى تركيا لانها كانت تحسب المطالب الايطالية والتي كانت موجهة ضد فرنسا، هذا وان علاقات ايطاليا مع بريطانيا كانت طيبة، بينما العلاقات الفرنسية - البريطانية غير جيدة (٩٨) وهكذا كانت علاقات تركيا مع فرنسا جيدة، فتم توقيع معاهدة حسن جوار بينهما في شباط ١٩٢٦ وكذلك توقيع اتفاقيات المواصلات الجديدة في تموز من نفس العام. والاهم من هذا، ان كلا من فرنسا وتركيا تعاونتا من اجل تطويق الثورة في سوريا (٩٩).

وعلى الرغم من هذه الامتيازات التي حصلت عليها تركيا من فرنسا وعلى حساب سوريا، بقيت العلاقات بين تركيا وسوريا غير طيبة واستمرت تركيا جاهدة بالسعي الى مد حدودها جنوبا على حساب سوريا منتهزة الظروف المضطربة في سوريا. فاستمرت باثارة القلاقل على الحدود مع سوريا، واعلنت انها لا تزال تعتبر الاسكندرونة «اللزاس واللورين» (١٠٠)، في الوقت نفسه شجعت تركيا سكان الاسكندرونة من الاتراك على الانفصال عن سوريا والانضمام الى تركيا. ففي آذار ١٩٢٦ استغل نواب الاسكندرونة وانطاكية الانفصاليين الاضطرابات التي حدثت بعد انتخابات ١٩٢٦ واعلنوا تحت تأثير تركيا، تشكيل مجلس تأسيسي واتخذوا قرارا باستقلال مقاطعة الاسكندرونة وانفصالها عن حكومة دمشق ووضع دستور خاص بها والحاقها مباشرة بالفوض السامي الفرنسي، وطالبوا تعيين ديرير Durieure مندوبه في المقاطعة رئيسا لها، ولم يعدل المجلس عن اجراءاته الا بزيارة وزير العدل والمالية السوريين لاقتناعه بسحب هذا القرار (١٠١) ولكن سلطات الانتداب الفرنسي استجابت لمطالب العناصر التركية بنقل مركز المقاطعة من الاسكندرونة الى انطاكية عام ١٩٣٠ (١٠٢).

وفي العام نفسه صدر دستور دولة سوريا والذي اعترفت مادته الاولى باستقلال دولة سوريا وعدم السماح بالتفريط بأي جزء كان من اراضيها اما المادة الثانية فانها اكدت على وحدة سوريا السياسية وغير القابلة للتجزئة (١٠٣). وصدر في العام نفسه ايضا النظام الاساسي لمقاطعة الاسكندرونة الذي يتعلق بالنواحي الادارية والمالية (١٠٤). وبعد صدور الدستور السوري، وافقت عصبة الامم على التنظيم الاداري للدولة السورية الذي أكد النظام الاداري المالي الخاص بالمقاطعة مع تبعيةها لسوريا (١٠٥).

وفي ٩ ايلول ١٩٣٦ عقدت المعاهدة السورية - الفرنسية حيث بقي النظام الاداري لمقاطعة الاسكندرونة على حاله ضمن الوحدة السياسية السورية (١٠٦) وقد نصت المادة الثالثة من انه عند زوال الانتداب الفرنسي تنقل الى الحكومة السورية «وحدتها الحقوق والواجبات الناجمة عن جميع المعاهدات والاتفاقيات وسائر العقود الدولية التي عقدتها الحكومة الفرنسية فيما يخص سوريا وباسمها، ومن بين هذه العقود اتفاقياتها مع تركيا (١٠٧) وبعد عقد المعاهدة السورية - الفرنسية، والتي نصت على سوريا الموحدة، اخذت تركيا تشعر بان مستقبل الاسكندرونة اصبح معرضا للخطر فأبدت اعتراضها في الحال (١٠٨). وهكذا قدم ممثل تركيا في عصبة الامم عدة مذكرات أعلن فيها قلق حكومته على «سكان»

الاسكندرونة مع الاراضي التركية، وكذلك فيما يتعلق بالانشاءات والتأجير واعمال المطقة اعلاه. (٩٤). وفي الواقع ان هذه التحفظات توضح اطماع الحكومة التركية في مقاطعة الاسكندرونة. وسيوضح البحث الى اي مدى تم استخدام الاعراء الاقتصادية والتهديد لتحقيق هذه الاطماع.

وهكذا، اعلنت الحكومة التركية على لسان وزير خارجيتها يوم توقيع اتفاقية انقرة، رغبتها «لتعزيز المصالح المشتركة بين تركيا وفرنسا، واستعدادها «منح امتياز استثمار خامات الحديد والكروم والفضة في وادي Karshut لمدة ٩٩ سنة لمجموعة فرنسية ويجب تشكيل شركة من هذه المجموعة الفرنسية بعد مرور خمس سنوات على توقيع هذا الامتياز على ان يشكل الاسهام التركي نصف رأس مال الشركة واعلنت تركيا ايضا استعدادها «وبنية طيبة، دراسة الطلبات للحصول على امتيازات عمل في المناجم والسكك الحديد والموانئ والانهار التي يمكن ان يتقدم بها الفرنسيون «بشرط ان تكون هذه الطلبات منسجمة مع مصالح كل من تركيا وفرنسا» وناشدت تركيا الحكومة الفرنسية تخويل اصحاب رؤوس الاموال الفرنسيين الدخول في علاقات اقتصادية ومالية مع حكومة الجمعية الوطنية الكبرى في تركيا». واخيرا اعلنت تركيا عن حاجتها للاستفادة «من عمل مشرفين فرنسيين مختصين في المدارس المهنية، وانها ستخبر الحكومة الفرنسية بطلباتها» (٩٥).

ان توقيع تركيا الكمالية على معاهدة انقرة مع فرنسا ومن قبلها اتفاقية مع ايطاليا عام ١٩٢١، قد شجعها على الغاء بنود معاهدة سيفر. فبعد ان تمكنت من دحر القوات اليونانية واسترجعت سيادتها عن المضائق حضرت المؤتمر الذي عقد في لوزان. ثم توصل المؤتمر الى توقيع معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣، اعترفت مادتها الثالثة بالمادة الثامنة من اتفاقية انقرة فيما يتعلق بالحدود التركية - السورية والتي ابقى مقاطعة الاسكندرية ضمن الحدود السورية وتحت الانتداب الفرنسي اضافة الى ذلك جردت المادة ١٦ من معاهدة لوزان تركيا من اية سيادة او حقوق سياسية او حق المطالبة بالسيادة على الاراضي التي سلخت منها. ولكن هذه المادة استثنت «اية ترتيبات ناجمة عن علاقات الجوار المعقود او التي ستعقد بين تركيا والاقطار المجاورة» (٩٦).

من جهة اخرى، كانت سياسة فرنسا منذ دخول قواتها العسكرية دمشق في ٢٤ تموز ١٩٢٠ مبنية على تقسيم المناطق الواقعة تحت انتدابها الى وحدات سياسية وادارية صغيرة. فتم بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٢ تشكيل الوحدات السياسية: دولة لبنان الكبير، حكومة حلب، حكومة دمشق، مقاطعة الاسكندرونة، بلاد العلويين و الدروز. كما تم تشكيل الوحدات السياسية التالية بين عامي ١٩٢٢، ١٩٢٥ الاتحاد السوري الذي ضم حكومة حلب وحكومة دمشق وبلاد العلويين ومقاطعة الاسكندرونة الذي اصبح له استقلال مالي واداري داخل الاتحاد. ومن الوحدات السياسية ايضا دولة لبنان الكبير ودولة جبل الدروز (٩٧).

وبعد توقيع معاهدة انقرة لم تظهر تركيا تشددا فيما يتعلق بالحدود السورية - التركية وكذلك فيما يتعلق بموضوع الاسكندرونة التي وعدت فرنسا منحه نظاما خاصا واستقلالاً

التي لا تنص على فصل مقاطعة الاسكندرونة عن سوريا وأخبرت فرنسا تركيا انه بعد ان كانت سوريا استقلالها فانه يتوجب عليها تنفيذ جميع التعريفات التي عقدتها فرنسا بسمها ومنها اتفاقية انقرة، والتي ليست مستعدة لاقتطاع ارض سورية وتمنعها للاستقلال، والذي بمعه تكوين ثلاث دول سورية وهو امر مخالف لنظام الانتخاب، وان المادة السابعة من اتفاقية انقرة نصت على ادارة المقاطعة فقط (١١٧).

وفي نفس الوقت طلب المندوبون الاتراك في المجلس الوطني التركي وكذلك الصحفيون الاتراك من الحكومة التركية ضم الاسكندرونة. يضاف الى ذلك ان مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية اشار في المجلس في تشرين الثاني ١٩٣٦ الى موضوع الاسكندرونة واعتبرها الموضوع الخطير الذي يشغل بال الشعب التركي (١١٨)، لذا عرضت الحكومة التركية على فرنسا الدخول في مفاوضات لحل «مشكلة الاسكندرونة». قبلت فرنسا هذا العرض، بشرط اشراك الحكومة السورية في هذه المفاوضات. ولكن تركيا رفضت ذلك لانها لا تريد ان يكون لسوريا أية علاقات بالاسكندرونة وقد وصل الامر حدا ان طلبت تركيا من السكان الاتراك في الاسكندرونة مقاطعة انتخابات المجلس السوري لعام ١٩٣٦ وبالفعل قاطعوا الانتخابات وتظاهروا، وحددت اصطدامات مع الشرطة في كانون الاول ١٩٣٦ وكانون الثاني ١٩٣٧ (١١٩) تبادلت الحكومتان الفرنسية والتركية المذكرات خلال شهر تشرين الاول وتشرين الثاني عام ١٩٣٦ من دون التوصل الى اتفاق. ولكن فرنسا اقترحت في ٨ كانون الاول عرض الموضوع عن مجلس عصبة الامم، قبلت تركيا هذا الاقتراح والذي يعتبر انقصارا لها، ناقش مجلس عصبة الامم موضوع الاسكندرونة في ١٤ كانون الاول ١٩٣٦ (١٢٠)، وبعد الاحفاق في التوصل الى حل، أقر المجلس ارسال لجنة من ثلاثة مراقبين محايدين من هولنده والنرويج وسويسرا لتقصي الحقائق في الاسكندرونة.

استمرت الاتصالات بين فرنسا وتركيا، واقترحت الاخيرة في ١١ كانون الثاني ١٩٣٧ مشروعا تضمن تأليف اتحاد من سوريا ولبنان والاسكندرونة، واشترك «الدول، الثلاث في العلاقات الخارجية واتحاد الكمارك والعملة، وتوزيع النفقات في الامور المشتركة بنسبة عدد كل «دولة» وتاليف لجنة تنفيذية لممارسة السلطة التنفيذية في الامور المشتركة، واعتبار مقاطعة الاسكندرونة ضمن الاتحاد محايدا وليس مسلحا، وعقد معاهدة فرنسية - تركية جديدة تضمن تأليف الاتحاد وضمان حماية الاسكندرونة من أي اعتداء وتتضمن حقوقا وامتيازات لتركيا في ميناء الاسكندرونة، واخيرا اجراء انتخابات في الاسكندرونة لبرلمان يضع دستوره ويكون شكل الحكم جمهوريا وتكون اللغة التركية هي اللغة الرسمية (١٢١) وخدمت التعيرات السياسية الداخلية في فرنسا تركيا ففي بداية عام ١٩٣٧ تولى ليون بلوم L. Blum الاشتراكي رئاسة الوزارة، ووضع بلوم سلامة وامن فرنسا في أوروبا وفي شرق البحر المتوسط اولا. لذا اهتم بموضوع الاسكندرونة ويعود ذلك الى حاجة فرنسا الى كسب ود تركيا بعد التهديد الايطالي في منطقة شرق البحر

الاسكندرونة من الانزال، لقد ادعت الحكومة التركية من خلال هذه المذكرات بان معاهدات ١٩٢١ و ١٩٢٦ قد اعطت «ضمانات» كافية للسكان الاتراك عندما كانت فرنسا الدولة المنتدبة على سوريا، ولكن وضعهم بعد ابرام المعاهدة سيستعير بعد منح سوريا الاستقلال. وقد ادعت الحكومة التركية بان ضم الاسكندرونة الى سوريا اجراء غير قانوني وطالبت بان توقع فرنسا معاهدة منفصلة مع سكان الاسكندرونة الذين ادعت بان غالبيتهم من الاتراك (١٢٠)، لقد ذكرت الصحافة التركية ارقاما تمثل سكان مقاطعة الاسكندرونة فذكرت ان السكان يقدرون بـ ٣٠٠ الف مقسمين وفق أسس دينية ومذهبية الى ٢٤٠ الف من الاتراك و ٢٠ الف من العرب السنيين و ٢٥ الف من الارمن و ١٥ الف من المسيحيين وآخرين (١٢٠) وادعت تركيا ايضا ان على فرنسا بموجب المعاهدة الفرنسية - التركية منح مقاطعة الاسكندرونة الاستقلال وهو مطلب يتفق مع ميثاق عصبة الامم. وصك الانتخاب واتفاقية انقرة لعام ١٩٢١ ان هذه الادعاءات يعوزها الدقة فقد اوضحنا في ما سبق ان نسبة السكان الاتراك الى مجموع سكان مقاطعة الاسكندرونة الكلي قبل توقيع اتفاقية انقرة لعام ١٩٢١ كانت ٢٩٪ ثم ارتفعت الى ٢٩٪ بسبب تخطيط الحدود الجديد بين سوريا وتركيا، اضافة الى ذلك، انه طبقا لاحصائيات فرنسية موثوقة، فان سكان المقاطعة بلغ ٨٠٠٢١٩ منهم ٨٥٢٤٢ (١١١) من الاتراك، أي ان نسبتهم ٣٨٫٩٠٩٪ من مجموع السكان العام. اما السكان العرب فقد بلغ عددهم ١٠٢٥٣٨ أي ٤٦٪ في حين بلغ عدد سكان المقاطعة من الارمن ٢٤٩١١ أي ٣٦٪ اما الاكراد فبلغ عددهم ٨٢٢٢ أي ١٦٪ (١١٢) وادا اخذنا بنظر الاعتبار ان سكان المقاطعة من الارمن ليسوا من السكان الاصليين، بل ان مواطنهم الاصلي هو ولايات الاناضول الشرقية وطردتهم تركيا بعد عام ١٩١٦ واستقروا في حلب ودمشق والموصل (١١٢) لذا فان الغالبية العظمى من السكان هم من العرب. وهكذا فان العرب والعناصر غير التركية شكلوا الاكثية الساحقة من سكان مقاطعة الاسكندرونة (١١٤) علاوة على ذلك، ما هو الاساس الذي استندت عليه الحكومة التركية في مطالبة فرنسا كدولة منتدبة على سوريا بتوقيع معاهدة مع مقاطعة الاسكندرونة والتي هي جزء لا يتجزأ من سوريا كما نصت على ذلك جميع المعاهدات الموقعة بين تركيا وفرنسا (١١٥)؟ وكيف يتفق اجراء فرنسا على منح المقاطعة الاستقلال - في حالة موافقتها على الطلب التركي - مع ميثاق عصبة الامم كما ادعت تركيا؟ لقد نصت المادة الرابعة من نظام الانتخاب الفرنسي على سوريا على «ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن الحفاظ على كيان سوريا.. وان لا تقوم بالتخلي عن او تاجير او وضع اي جزء من اراضيها تحت سيطرة قوة اجنبية» (١١٦) واخيرا هل نصت اتفاقية انقرة لعام ١٩٢١ على منح مقاطعة الاسكندرونة الاستقلال عن سوريا. أم انها منحتها نظاما اداريا ضمن الوحدة السورية؟

لم يكن رد فرنسا حاسما، فعلى الرغم من عدم قبولها لوحدة النظر التركية إلا انها كانت مستعدة للتوصل الى حل وسط، لذا اعلنت استعدادها للدخول في مفاوضات ضمن حدود اتفاقية انقرة

المتوسط وحالة الانعزال التي عاشتها فرنسا. فأسكب سوم جميع الاصوات الفرنسية الراضية للتنازل عن الاسكندرونة الى تركيا مثل فينو P. Vienot مساعد سكرتير الدولة للشؤون الخارجية وكذلك رئاسة الاركان للقوات المسلحة الفرنسية. وهكذا ابدى بلوم التساهل مع تركيا بشأن الاسكندرونة. فاقترح على الحكومة التركية في ١٨ كانون الثاني ١٩٣٧ ابقاء الاسكندرونة تحت الاستاد الفرنسي. بعد استقلال سوريا، عن طريق اقامة نظام خاص بها وبإشراف مفوض سام فرنسي تعينه عصبة الامم (١٢٢)، لم يحقق الاقتراح التركي او الاقتراح الفرنسي اى نجاح، وأكدت كلا الدولتان - ايهما السابق وهو ان تقوم عصبة الامم دراسة الموضوع

قامت لجنة المراقبين التابعة لعصبة الامم بزيارة الاسكندرونة وبعدها رجعت الى مقرها في جنيف حيث عقدت في الفترة ٢٤ - ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٧ اجتماعات مطولة، وفي ٢٧ كانون الثاني قدمت اللجنة تقريرها الذي تبناه مجلس العصبة والذي تضمن منح مقطعة الاسكندرونة استقلالاً كاملاً في شؤونه الداخلية عدا الكمارك والعملة، وان تناط شؤونه الخارجية بسوريا، واعتبار اللغة التركية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية، وعلى ان يحتفظ مجلس العصبة الحق لنفسه في المصادقة على اى اتفاق دولي تعقده سوريا له اساس بمركز المقاطعة، وان يتم تعيين مندوب فرنسي يختاره مجلس العصبة لضمان احترام نظام المقاطعة، وان توضع لائحة القانون الاساسى للاسكندرونة. تبني مجلس العصبة ايضا اقتراحات اخرى للجنة كتحديد الاسكندرونة، وان تلزم فرنسا وتركيا بقرارات المجلس (١٢٣) وبعد موافقة عصبة الامم على هذا التقرير تم تعيين لجنة لاعداد قانون خاص بالمقاطعة. ووضع اللجنة القانون حيث جعلت اللغة العربية لغة ثانية بعد التركية. واقترحت ايضا تشكيل مجلس مكون من ٤٠ عضواً يتم انتخابهم بنسبة الاقليات المتواجدة في الاسكندرونة، وتكون تحت اشراف لجنة خاصة تعينها العصبة. وافق مجلس العصبة على هذه الاقتراحات، وكذلك عقدت فرنسا وتركيا - في نفس الوقت - اتفاقية خاصة لضمان استقلال المقاطعة ونظامها الجديد وتقرر تنفيذها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ (١٢٤) «وبذلك حدثت اول ثلثة في الوحدة السورية حيث فصلت الاسكندرونة واقعيًا عن الجمهورية الجديدة» (١٢٥)

وكان اهتمام وتشجيع السياسة الاتراك لاتراك الاسكندرونة للانفصال والانضمام الى تركيا، وكذلك الاضطرابات والمصادمات بين العرب والاتراك من سكان المقاطعة، وموضوع عرض موضوع الاسكندرونة على مجلس عصبة الامم مثار قلق الوطنيين العرب السوريين، الذين ايقنوا ان سياسة فرنسا الموالية لتركيا ستؤدي بالنهاية الى ضم الاسكندرونة الى الدولة الاحيرة (١٢٦) فقدم سكان المقاطعة العرب عريضة الى المفوض السامي الفرنسي يعربون فيها «عن استنكارنا واستيائنا الشديد عن قيام فئة من موظفي الحكومة في (الاسكندرونة) بتوقيع عريضة لرفعها لفخامتكم ولعصبة الامم تنافي امانينا واماني البلاد السورية عن...» الى

تجزئة البلاد السورية، واضاف عرب الاسكندرونة انه «اتخذ التفرقة المذهبية اساساً لهذه التجزئة، فذلك ما نرفضه رفضاً باتاً، ونعلن لفخامتكم تعلقنا الشديد بالوحدة والاستقلال التام» (١٢٧) اضافة الى ذلك تم في كانون الاول ١٩٣٦ تسمية وفد سوري ليسافر الى جنيف «لمساعدة» الوفد الفرنسي في المفاوضات المتعلقة بالاسكندرونة واصبح موضوع الاسكندرونة التسفل الشاغل للتفكير السياسي السوري خلال السنتين التاليتين. بل انها اثارت هياج حركات الشباب وقامت لجنة العمل القومي بشن هجمات على وزارة التجمع الوطني لمواقفها الهزيلة (١٢٨) فتأسست عشرات اللجان للدفاع عن الاسكندرونة وحدثت اضطرابات وتظاهرات وفي شباط ١٩٣٧ غادر وفد سوري الى باريس لبحث الموضوع، بينما زادت المعارضة السورية بعد مصادقة مجلس العصبة والحكومتين الفرنسية والتركية في ٢٩ مارس ١٩٣٧ على نظام الاسكندرونة وقانونها الاساسي (١٢٩)، والذي يعتبر خطوة اساسية نحو فصل الاسكندرونة وضمها نهائياً الى الاراضي التركية (١٣٠)، وزادت ايضا المصادمات بين عرب واتراك الاسكندرونة وانطاكيا، وعلى الرغم من تدخل الحيش، الا ان المصادمات استمرت خلال اشهر حزيران وتموز واب (١٣١) ولم تقتصر هذه المصادمات على العرب والاتراك من سكان الاسكندرونة، بل انها شملت الارمنيين الناطقين باللغة التركية والكاهيين لتركيا. فكان العرب والارمنيون متحدين في معارضتهم لضم المقاطعة الى تركيا وضد اترك المقاطعة (١٣٢).

عقدت فرنسا وتركيا في نفس العام اتفاقية تحديد الحدود التركية - السورية اصافة الى الاتفاقية المتعلقة بضمان استقلال ونظام الاسكندرونة الجديد. فازداد قلق الحكومة السورية لهذه التطورات. لذا سافر وفد سوري الى انقرة في حزيران لبحث موضوع الاسكندرونة مع الحكومة التركية ولكن هذه انتهت بالفشل وبعد اعلان تطبيق النظام الجديد للاسكندرونة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ حدثت مصادمات دموية، فقاطع عرب الاسكندرونة الادارة الجديدة حيث رفض الموظفون العرب العمل. مقابل ذلك تسللت اعداد كبيرة من اترك تركيا الى الاسكندرونة، وتم افتتاح قنصلية تركيا في الاسكندرونة واخرى في انطاكيا (١٣٣)، ومصرف تركيا في الاسكندرونة، علاوة على ذلك فقد رست سفينة تركية في الميناء (١٣٤).

من الجدير بالذكر ان مجلس العصبة كان قد اقترح في ٢٩ مارس تسمية لجنة خاصة تقوم بوضع مسودة قانون الانتخابات المزمع اجراؤها في الاسكندرونة وتقوم ايضا بالاشراف على تلك الانتخابات. فتم تسمية هذه اللجنة في تشرين الاول من ممثلي بريطانيا (رئيسا) وبلجيكا وهولنده والنرويج وسويسرا. زارت اللجنة انقرة ودمشق وبيروت. وبعد ان امضت شهراً واحداً عادت الى مقرها في جنيف حيث قدمت توصياتها الى مجلس العصبة والتي افترحت اجراء الانتخابات على مرحلتين الاولى في ٢٨ اذار والتالية في ١٢ نيسان من عام ١٩٣٨. وبعد موافقة مجلس العصبة على توصياتها رجعت اللجنة الى الاسكندرونة لمباشرة عملها في تسجيل اساء الباحين (١٣٥)



باشرت اللجنة المشرفة على تسجيل الناخبين عملها في كانون الاول ١٩٣٧ وقد اظهرت نتائج عملية التسجيل ان اترك الاسكندرونة يشكلون اقلية صغيرة. تدخلت تركيا التي كانت قد اعلنت منذ البداية انها لن تقبل اية نتائج انتخابية لاتضمن نجاح اقلية تركية في المجلس النيابي في الاسكندرونة. ومارست ضغوطا على اللجنة فكانت اسس تسجيل الناخبين تعتمد على ان يعلن الناخب قوميته بنفسه. ولكن تركيا رفضت هذا الاساس وطالبت ان تقوم اللجنة بالتقصي عن قومية الناخبين من غير الاترك. ويبدو ان هدف تركيا من وراء ذلك هو اعتبار الارمنيين الناطقين التركية اتركا، حتى يكون الاترك الاغلبية وسيكون لهم الاغلبية في المجلس لان مقاعد المجلس توزع حسب نسبة الاقليات الى مجموع السكان وبسبب الضغوط التي مارستها تركيا وافق مجلس عصبة الامم على تشكيل لجنة اخرى لدراسة اعتراض تركيا فتشكلت هذه اللجنة من ممثلي تركيا وفرنسا والسويد وبريطانيا وبلجيكا التي رفعت توصياتها التي تتطابق مع الاعتراض التركي. ويعد هذا اكبر نصر تحققه تركيا، الا ان رئيس اللجنة المشرفة على تسجيل الناخبين، وهو بريطاني الجنسية، اعترض وشجب هذه التوصيات فقدم استقالته واتهم حكومته بانها ايدت تركيا في قضية الاسكندرونة لان بريطانيا تعارض فكرة اتخاذ فرنسا من الاسكندرونة قاعدة بحرية لها (١٣٦) رشتحت بريطانيا ممثلا جديدا لرأس اللجنة المشرفة على تسجيل الناخبين التي وضعت اسس جديدة للانتخابات في ١٩ آذار ١٩٣٨ وبعد ان عادت تلك اللجنة الى الاسكندرونة بدأت بفتح باب تسجيل الناخبين حسب الاقتراح التركي واستمرت عملية التسجيل خلال شهرى نيسان ومايس في جو مشوب بالتوتر بعد ان اصبحت المظاهر التركية تطغى على الاسكندرونة، فأصبح يوم الاحد عطلة بدلا من يوم الجمعة واصبح يحتفل بالاعيان الوطنية التركية (١٣٧)

وعلى الرغم من اتخاذ الاقتراح التركي اساسا، الا ان عملية تسجيل الناخبين اظهرت في نهاية مايس بان الاترك لارالوا يشكلون اقلية في مقاطعة الاسكندرونة، لذا اوقف العمل بتسجيل الناخبين وكما رأينا، فان الظروف التي جابهتها فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية خدمت تركيا، التي استفادت من موقعها الاستراتيجي الذي يسيطر على المواصلات بين الاتحاد السوفييتي وفرنسا (١٣٨) فقد انشغلت فرنسا بتحركات المانيا هتلرية في اوروبا الوسطى، واتباع بريطانيا سياسة التهدة مع المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية، اضافة الى ضغط الحكومة البريطانية على فرنسا للتساهل مع تركيا لكسبها الى جانبها. علاوة على قيام ايطاليا الفاشية منذ عام ١٩٢٨ ببناء قواعد بحرية وكذلك جوية في البحر المتوسط وخاصة في جزيرة رودس وجزيرة ليروس Ieros ومياه بورتولاغوس Portolagos (١٣٩). وهكذا وافقت فرنسا على دخول قوات تركية في الاسكندرونة في حزيران ١٩٣٨ في الوقت نفسه عيبت فرنسا مندوبا ساميا جديدا في الاسكندرونة كان يمثلها بتعصمه ضد العرب وبعاطفه مع تركيا فعين صباط اتركا في مناصب حساسة في الاسكندرونة بعد ان تم اقصاص الموظفين العرب (١٤٠) لحدبعت والنوادي العربية (١٤١) وتهديد لسكان

بوجوب تسجيل انفسهم اتركا لقد اتارت هذه السياسة امتعاض الموظفين العرب وغير الاترك في الاسكندرونة فاعلوا الاصراب العام اعلنت حالة الطوارئ في ٢ حزيران واعلن عن فتح عملية تسجيل الناخبين مجددا، ولكنها كانت تحت اشراف لجنة فرنسية - تركية لتزوير عملية التسجيل من اجل اظهار الاترك بانهم الاغلبية فاحتجت لجنة عصبة الامم الخاصة بالاشراف على عملية تسجيل الناخبين على هذا الاجراء واتهمت فرنسا بوقوفها الى جانب تركيا. فاقفقت اعمالها وغادرت الاسكندرونة في ٢٦ حزيران. من جهة اخرى عقدت فرنسا وتركيا في ٣ تموز ١٩٣٨ اتفاقا في انطاكيا يتضمن دخول القوات المتواجدة في انطاكيا الى الاسكندرونة ووفعت في اليوم التالي في انقرة معاهدة صداقة فرنسية - تركية. وفي الخامس من تموز دخلت الاسكندرونة وحدات تركية للقيام بمناورات مشتركة مع القوات الفرنسية وكذلك تزوير الانتخابات وبعد اسبوع واحد (١٤٢) ظهرت نتائج «القوائم الانتخابية المزورة والمهياة في ظل الاشراف الفرنسي - التركي المشترك» عن حصول اترك الاسكندرونة على ٦٣ ٪ من مجموع السكان، بعد ان قاطعه السكان العرب والارمنيين الذين تركوا منازلهم، والهرب الى سوريا ولبنان بسبب الاضطهاد الفرنسي - التركي فقد مارس المندوب السامي الفرنسي ضغوطا على الناخبين الذي طلب منهم ان يعتبروا انفسهم اتركا (١٤٤) ونتيجة لذلك حصل الاترك على ٢٢ مقعد من اصل ٤٠ مقعدا، وهكذا صار بإمكانهم توجيه المجلس كما يشاؤون فاتخذوا اجراءات تتعلق بالحدسمة والضرائب والمحاكم والادارة وايحاد علم جديد لاسكندرونة مشابه الى العلم التركي مع اضافة نجمة حمراء في اخر رحمة العلم التركي، وارتداء القبعات وتنظيم المدارس واستقدام موظفين اترك لتنظيم ادارة المقاطعة وفي كانون الثاني ١٩٣٩. اصبحت القواوين التركية الجرائية والمدنية نافذة المفعول في الاسكندرونة ثم استخدم نظام العملة والبريد والمالية التركي وتم انتخاب رئيس «الدولة» ورئيس الوزراء في الاسكندرونة كاعضاء في المجلس الوطني التركي في الانتخابات التي جرت في آذار ١٩٣٩ (١٤٥)

وخوفا من ضياع الاسكندرونة توسط العراق، بناء على طلب سوريا، لدى الحكومة التركية لانهاء المشكلة على اساس مبدأ التقسيم. ولكن هذه الوساطة لم تحرز اى تقدم بسبب اصرار تركيا وسوريا على ابقاء انطاكية تحت نفوذهما (١٤٧).

وفي ايلول ١٩٢٨ وضع المجلس النيابى في الاسكندرونة الاتراك في المناصب الرئيسية، وابدل اسم المقاطعة والمدينة الرئيسية من الاسكندرونة الى هاتاي واسكندرونة بالتناوب. وفي الحقيقة، لم تكن هاتاي الا حكما فرنسيا - تركيا، لذا لم تستمر الا اقل من سنة واحدة بسبب الالاحاح التركى لضمها. فاتصلت وزارة الخارجية التركية بالسفير الفرنسى في انقرة الذى ابلغته حكومته بعدم ابداء اية صعوبات حول الموضوع، وفي الوقت نفسه، اجرت القوات العسكرية التركية في الاسكندرونة بعض المناورات للظاهر بسيطرتها التامة. ولكن مباحثات انقرة لم تسفر عما تهدف اليه تركيا. فعمدت مباحثات بين الجانبين في باريس انتهت بتوقيع الاعلان المشترك للمساعدة المتبادلة في ٢٢ حزيران ١٩٣٩، مقابل ذلك تنازلت فرنسا كليا عن الاسكندرونة الى تركيا. وتمت المصادقة على هذه الصفقة في ١٢ تموز حيث وعدت تركيا بموجبها على احترام خط الحدود بينها وبين سوريا والحفاظ على كيان جارتها سوريا اما فرنسا فعمدت بالانسحاب من مقاطعة الاسكندرونة (١٤٨).

عقد المجلس النيابى في الاسكندرونة جلسته الاخيرة في نهاية حزيران، وبعدها اصبحت ولاية تركية، وعند وصول الوالى التركى قابله وهباده امر القطاعات الفرنسية في الاسكندرونة. وقد اتبع هذا الوالى سياسة معادية للسكان من غير الاتراك. فطرد جميع الارمنيين الذين اتجهوا الى لبنان، وغادر العرب من سكان المقاطعة الى سوريا اما الباقين فاصبحوا تحت سيطرة الجمهورية التركية (١٤٩).

ونستنتج مما سبق ان موقع الاسكندرونة قد جذب اهتمام غالبية الدول الاوروبية فبالاضافة الى كونه من اهم الموانئ والمراكز التجارية في شرق البحر المتوسط والاضول فان القيمة الاستراتيجية لهذا الميعة كان عامل تافس بين الدول الاوروبية في القرن التاسع عشر والعشرين. الا ان الدولة التى اهتمت بصورة ملحوظة بموقع الاسكندرونة كانت بريطانيا وهذا ما ورنطها مع فرنسا التى كانت تعتقد ان لها مهمة خاصة في سوريا. لقد دخلت الحكومة البريطانية قبل وخلال الحرب العالمية الاولى في مباحثات مع اطراف عديدة كان هدفها ضمان مصالح بريطانيا في المنطقة، ووضعت الاسكندرونة موضع اهتمامها الخاص. فشككت بعروبة الاسكندرونة خلال المراسلات مع الشريف حسين بهدف عدم صم الاسكندرونة الى المنطقة العربية التى ستستقل من الدولة العثمانية وحولت ابعاد فرنس من سورب ومن الاسكندرونة خصوصا عن طريق مساومتها بالاستعمرات الالمانية في افريقيا وحاولت التشكيل بان الاسكندرونة ليست اراض سورية ولكن خوفا الحكومة البريطانية من تعرض التعاون انبريطانى - فرنسى خلال احرب الى التصزع في حالة قلق الفرنسيين لرؤية رجوع البريطانيين الى عاداتهم التقليدية باسهار الحروب الاوروبية الكبرى كفرنسبة لتوسيع ربة نفوذهم خارج اوروبا (١٥٠).

استراتيجية اخرى كاهمية موقع فلسطين بالنسبة الى المصالح البريطانية في مصر وقناة السويس، لهذه الاسباب وافقت بريطانيا بموجب معاهدة سايكسى - بيكو على التنازل عن ادعائها في الاسكندرونة الى فرنسا. وعلى الرغم من هذه الموافقة الصريحة، الا ان بريطانيا طالبت في نهاية عام ١٩١٨ الغاء معاهدة سايكسى بيكو وذلك لوضع اتفاقية جديدة تؤمن فيها على مصالحها. فبالظروف كانت في صالحها حيث احتل الجيش البريطانى سوريا، وهكذا تمت المساومة بين فرنسا وبريطانيا: تنازلت فرنسا عن الموصل التى كانت تحت النفوذ الفرنسى حسب اتفاقية سايكسى - بيكو وكذلك عن فلسطين مقابل ذلك اعترفت بريطانيا بالسيطرة الفرنسية الكاملة على سوريا مع دمشق وحلب وبيروت والاسكندرونة.

كانت بريطانيا تخشى بقاء الاسكندرونة تحت السيطرة الفرنسية والتى ستحولها فرنسا الى قاعدة بحرية تؤثر بالتالى على المصالح البريطانية في المنطقة وهذا يفسر لنا التأييد والتشجيع الذى قدمته بريطانيا لتركيا في سياستها الرامية الى ضم الاسكندرونة. فتركيا استغلت الظروف الدولية التى مرت بها فرنسا خلال فترة ما بين الحربين، وانتهجت اساليب عدة. فتارة تحاول اغراء فرنسا بمنحها امتيازات اقتصادية وتارة اخرى تهدد باستعمال القوة ضد فرنسا. فالخلافا البريطانية - الفرنسية والتهديد الايطالى وكذلك الالمانى النازى، كل هذه الاسباب جعلت فرنسا تحاول كسب ود تركيا فسمحت فرنسا للقوات التركية الدخول الى الاسكندرونة لتزوير الانتخابات. وعملت بريطانيا عن طريق ممثلها وهو رئيس لجنة الانتخابات في الاسكندرونة تزوير الانتخابات ايضا اما هدف تركيا من ضم الاسكندرونة فهو القضاء على اية تحكيمات او قوى عسكرية في حدودها الجنوبية، وان نستفيد من خليج الاسكندرونة ~~الذى سترى~~ اهمية عظيمة بعد ربط خطوطنا الحديدية بخطوط ايران (١٥١).

## الهوامش

(١) لوتسكي فلاديمير تاريخ الاقطار العربية الحديث . ترجمة د . عفيفة البستاني . (موسكو ١٩٧٧) ص ١٢٧.

(٢) تشومسكي . هورج . الشرق الأوسط في الشؤون العالمية . ترجمة جعفر هياط . ح ٢ (بغداد ١٩٦١) ص ٥٢.

(٣) M. Az, M. Ottoman Reform in Syria and Palestine 1843-1861, (Oxford University Press, 1968), P. 179.

(٤) Issawi, C. (ed.) The Economic History of the Middle East 1800-1914 (The University of Chicago Press, 1966) P. 33.

(٥) Ibid. P. 207.

(٦) حول لشبط الفرنسى وشباطات الدول الاوروبية في الشرق عموما وسورب خاصة انظر (٧) انظر

Y.S. Azzam, British Reaction to Germany's Ottoman Policy, 1870-1885 (Unpublished Ph.D. thesis, University of Bradford, 1978) Vol. 1, pp. 59-61.

وكذلك لندمسين انظر ترجمي . محمد احمد . الاسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي . دراسة مقارنة (دار الامن الحديدية بيروت ١٩٨٨) ص ١٢١ - ٢٠٠ انظر

(٨) جون ستانفيس الفرنسى - البريطانى على مصر والذى انتهى بالاحتلال البريطانى انظر

Bernier, A.L. Anglo-French Rivalry in the Levant from 1855 to 1914, The Journal of Modern History, Vol. XXVIII, December, 1956, No. 4, PP. 280-305. Marlowe, L. Perditions Albion: The Origins of Anglo-French Rivalry in the Levant (London, 1941).

(٩) Evans, L. United States and the Partition of Turkey, 1914-1918, (Hopkins Press, 1968) P. 13.

- بريطانيا وهؤلاء الشيوع - وافق كل من ابن سعود وشيوخ الكويت والمحمدة على التعاون - بريطانيا من أجل احتلال البصرة ، معاني موافقة البصرة على عدم إبقاء البصرة تحت السيطرة التركية . والواقع ان هذه التأكيدات هي التي مهدت مراسلات الحسين . مكرم
- Kent, M., *Asiatic Turkey 1914-1918*, in *British Foreign Policy under Sir Edward Grey*, edited by F.H. Hinsley (Cambridge University Press, 1977), P. 439.
- (٣٩) يحيى ، جلال ، المصدر السابق ص ٥٤٩ ، موسى ، سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥
- (٤٠) قاسمي ، خيريه ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ، موسى ، سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ - ٢٠٧
- (41) Antonius, Op. Cit. P. 170
- (٤٢) موسى ، سليمان ، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، (عمان ١٩٥٧) ص ٤٥
- (43) Longrigg, S.H., *Syria and Palestine under French Mandate*, (Oxford University Press, 1958), P. 55
- (٤٤) موسى ، سليمان ، الحسين بن علي ، ص ٦٦
- (٤٥) المصدر نفسه ، ص ٧٢
- (46) Down, C.F., *From Ottomanism to Arabism, Essays on the origins of Arab Nationalism* (University of Illinois Press, 1973), PP. 33, 116
- (٤٧) تعزى موافقة بريطانيا على احتلال روسيا لقسطنطينية والدرديد لأسباب ثلاث هي استمرار روسيا في الحرب لقاء حصولها على الثمن ، وعدم استمرار الدول الأوروبية في استمر من أجل تحقيق مطامع روسيا ضد ألمانيا والنمسا - المجر ، أو مساعدة أخرى أجار روسيا من المشاركة بالحرب ، والسبب الأخير هو ان كرى وراء الحفاظ على مصالح بريطانيا في الشرق وتوجيه انظار روسيا نحو أوروبا للمزيد انظر
- Ekstein, M.G., *Russia and the Straits 1914-1918*, in *British Foreign Policy under Sir Edward Grey*, edited by F.H. Hinsley (Cambridge University Press, 1977), PP. 423, 36
- (٤٨) عبدالقادر ، صلاح الدين ، الضواء على مشاكل عربية ودولية ، (بغداد ١٩٧٢) ص ٧٥
- (49) Antonius, G., Op. Cit., Appendix 13, P. 429
- (50) Friedman, I., *The Question of Palestine 1914-1918*, British Jewish Arab Relations (London, 1973), PP. 20, 104
- (51) Ibid., P. 20
- (٥٢) عمال اراء مختلفة حول من هو المسئول عن فكرة الاجرام البريطاني على الاسكندرية فالراى الاول يقول ان الفكرة من جورج هجست بل يصح للسفير ماكسويل فاند القوات البريطانية في مصر ويدعى لورنس ان حصة الاسكندرية هي «اولا وخير من ابتكرى» وان كلنشر وافق عليها وامر بها ، في حين يدعى الشريف حسين بابها «ثالث حطته هو وانه لم يستطع قط ان يدرك السبب الذي ادى الى تجاهل نصيحه» ان ان الحقائق تشير الى ان الجثة ليست من صنع لورنس او الشريف حسين او لويد جورج بل ماكسويل وكلنشر قد بافشا ، هذا المشروع اكثر من مرة قبل الحرب
- Antonius, Op. Cit. 191:2, Monro, F., *Britain's Moment in the Middle East 14-1956* (London, 1963), P. 27
- الدجنوتى ، ريتشارد ، لورانس في البلاد العربية ، ترجمة محمود عرت موسى ، ومقدمة الدكتور محمد انيس ، (القاهرة ١٩٦٦) ص ١٧٧ - ١٧٨
- Woodward, Sir L., *Great Britain and the war of 1914-1918* (London, 1967), P. 95
- بايتي ، فيليب ، الخطي من حياة لورنس العرب ، ترجمة ايل لاوند واخرين ، (بيروت ١٩٧٨) ص ٤٩
- (53) Friedman, Op. Cit., P. 11
- (٥٤) وافق كلنشر على هذه الخطة وامر بها على ان تتولاها قوات استرالية ونيوزيلندية الدجنوتى ، المصدر السابق ، ص ١٧٨
- (55) Kent, M., Op. Cit. P. 443
- (56) Cuthbert, W.W., *Studies in Secret Diplomacy during the First World War* (London, 1957), P. 29 Kent, M., *Oil & Empire: British Policy & Mesopotamian Oil 1900-1920* (London, 1976), P. 120 Kent, M., *Asiatic Turkey*, P. 443
- (57) Cabinet Meeting, 9 March 1915, cited in Nevakini, Op. Cit., P. 15
- (58) War Council Meeting, 10 March 1915, cited in Ibid., PP. 15-6, Lowe, C.F. *Italy and the Balkans 1914-1915*, in *British Foreign Policy under Sir Edward Grey*, edited by F.H. Hinsley, (Cambridge University Press, 1977), P. 418
- (٥٩) يعبد لويد جورج عكس هذا الراى وليس لاهميتها الاستراتيجية بل ، سبب انه وبالمقام السابق من احتلالها
- (60) Friedman, Op. Cit., PP. 16, 87
- (61) War Council Meeting 10 March, 1915, cited in Nevakini, P. 16
- (62) Lowe, C.F., Op. Cit., P. 418
- (٦٠) عقدت هذه المعاهدة في اذار ١٨٧٨ بين روسيا والدولة العثمانية اثر اندلاع الحرب بين هاتين الدولتين بسبب انتفاضة التتار لعام ١٨٧٥
- (٦١) Blunt, W.S. *Secret History of the English occupation of Egypt* (London, 1909), PP. 35-6, Marsden, A., *British Diplomacy and Turin 1878-1902* (London, 1971), PP. 80-55
- (٦٢) Fraser, D., *The Short Cut to India*, (London, 1909), PP. 32-3 Hoskins, H.I., *British Routes to India* (London, 1966), PP. 331-342, (33) Ibid., P. 407
- (٦٣) Ibid., PP. 429, 433-5, 446-9
- (٦٤) Langer, W.I., *European Alliances and Alignments 1870-1890* (New York, 1966), P. 140
- (٦٥) Buckle, G.E., *The Life of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield*, Vol. VI (London, 1920), P. 264
- (٦٦) Ibid., PP. 273-4
- (٦٧) Ibid., PP. 264-5
- (٦٨) Langer, Op. Cit., P. 143
- (٦٩) Hoskins, Op. Cit., PP. 445-6
- (٧٠) Ibid., P. 440
- (٧١) Dillon, F.J., *The Baghdad Railway*, *The Contemporary Review*, Vol. 83, May 1903, PP. 742-3
- (٧٢) Weber, F.G., *Eagles on the crescent: Germany, Austria and the Diplomacy of the Turkish Alliance (1914-1918)* (Cornell University Press, 1970), PP. 187, 226-7
- (٧٣) حول تفاصيل سكة حديد برلين - بغداد انظر Chapman, M.K., *Great Britain and the Baghdad Railway 1888-1941* (Northampton, Mass., 1948), Al-Amir, Y.S., *Great Britain and the Baghdad-Berlin Railway 1899-1903* (unpublished M.A. dissertation, University of East Anglia, 1973)
- (٧٤) Hopwood, K., *The Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914* (Oxford University Press, 1969), P. 99
- (٧٥) Shortrock, W.I., *French Suspicion of British Policy in Syria 1900-1914*, *Journal of European Studies*, Vol. VI, 1976, PP. 190-191, 203-5.
- (٧٦) من الجدير بالذكر ان الاستثمارات الفرنسية قد احتكرت سوريا كلها وبالتالي حصلت على احتكار مد سكك حديد وكذلك بناء الموانئ الرئيسية وتشبيد الطرق في سوريا
- (٧٧) Nevakini, J., *Britain, France and the Arab Middle East 1914-1920*, (London University Press, 1969), PP. 3-4
- (٧٨) Ibid., PP. 7-8 Shortrock, Op. Cit., PP. 198-203.
- (٧٩) Ibid., PP. 195-197
- (٨٠) Grey, A., *Goschen*, 24 January 1913, cited in Nevakini, Op. Cit., P. 9
- (٨١) Ibid., P. 11
- (٨٢) Koch, H.W. (ed) *The Origins of the First World War*, (London, 1972), P. 237
- (٨٣) Shortrock, Op. Cit., P. 205
- (٨٤) حول علاقة ألمانيا بالدولة العثمانية انظر Trumpener, L., *Germany and the Ottoman Empire 1914-1918* (Princeton University Press, 1968)
- (٨٥) لمزيد من التفاصيل انظر ، قاسمي ، خيريه ، الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، (القاهرة ١٩٧١) ص ١٥ - ٢٨
- (٨٦) حول علاقة الشريف حسين ببريطانيا انظر ، يحيى ، جلال ، العالم العربي الحديث ، (القاهرة ١٩٦٧) ص ٥١٣ - ٥١٨ ، ٥١٩ - ٥٦٥ ، موسى ، سليمان ، الحركة العربية المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، (بيروت ١٩٧٧) الفصلين الثاني والثالث
- (٨٧) قاسمي ، خيريه ، المصدر السابق ، ص ٢٧ حول مراسلات الحسين ، مكهاون راجع
- Kedourie, F., *Cairo and Khartoum on the Arab Question 1915-1918*, *The Historical Journal*, Vol. VIII, 1964, No. 2, PP. 280-97 Antonius, G., *The Arab Awakening*, (Beirut, 1969), PP. 163-83, 114-17 Kedourie, F., *In the Anglo Arab Laboratory* (Cambridge University Press, 1976)
- وكذلك رين ، نور الدين ، رين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، (بيروت ١٩٧٨) ، ص ٦ - ٦٩ ، موسى ، سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٦٠ في ١٨٨ - ١٩١١ طلب كرى من نائب الملك البريطاني في الهند دراسة بعض الاحراءات امكن اتخاذها في حالة اندلاع القتال مع تركيا في منطقة الخليج العربي من أجل تحويل انظار تركيا الى اوقات نفسه صغار المصالح البريطانية ، ويتضح لذلك ، حصل نائب الملك على وعود «التعاون المخلص» من شيوخ الكويت والمحمدة وبعض شيوخ العرب ، وخلال شهرى آب وابلول أرسلت حكومة الهند تأكيدات جماعه Collective Assurances الى شيوخ الكويت والمحمدة وبعد ذلك اثر فطر وامر نحد والادرس ، استندت هذه التأكيدات على المعاهدات والمعاهدات ،

(92) Yusuf Kemal Bay to M. Franklin Bouhassan, Angora, 20 October 1921, enclosure No. 2, cited in Temperley, Op. Cit., PP. 608-9.

(93) Sanjian, A.K., The Survival of Alexandria Hatay: Its Impact on Turkish-Syrian Relations 1939-1956, The Middle East Journal, Vol. X, 1956, No. 4, P. 379.  
Grenville, J.A.S., The Middle International Tragedies 1914-1974: A History and Guide with Texts, (London, 1974), PP. 79-80.

(٩٧) محافظة ، علي ، المصدر السابق ، ص ٨٥

(98) Howard, Op. Cit., P. 265.

(٩٩) قرقوط ، دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، ص ١٥٩

(100) Longrigg, Op. Cit., P. 141.

(101) Ibid., P. 172.

(١٠٢) قرقوط ، دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، ص ١٥٩ - ١٦٠

(١٠٣) قرقوط ، دوقان ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ص ٢٤٣ - ٢٥٥

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ - ٣٥٨

(١٠٥) محافظة ، علي ، المصدر السابق ، ص ٨٩

(106) Longrigg, Op. Cit., P. 224.

(١٠٧) قرقوط ، دوقان ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٤٢٩

(١٠٨) بشوفسكي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢

(109) Longrigg, Op. Cit., P. 238.

(110) Sanjian, Op. Cit., P. 380.

(١١١) من الجدير بالذكر ان قسما من الآثار كانوا يكتسبون الكراهية لحكومة انقره لانهم

ينتسبون الى المدرسة القديمة لتركيا العثمانية Longrigg, Op. Cit., P. 211.

(112) Sanjian, Op. Cit., P. 380. Longrigg, Op. Cit., P. 238.

(١١٣) ان عدد الارض ادين تركوا ديارهم في ربيع عام ١٩١٧ طبقا لاهصانات الغياضل

الامان في بلاد ما بين النهرين وسوريا كالآتي

(٤٥) الف استقر في حلب

(٣٠) الف استقر في دمشق

(٨) الف استقر في الموصل

Trumpener, L., Op. Cit., PP. 233-246.

(١١٤) حسيبي ، عبدالرزاق ، الجغرافيا السياسية ، (بغداد ١٩٧٦) ص ٢١

(115) Sanjian, Op. Cit., P. 380.

(116) Temperley, Op. Cit., Appendix V, PP. 645-650.

(١١٧) قرقوط ، دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، ص ١٦٠

(118) Longrigg, Op. Cit., P. 236.

(١١٩) عبدالقادر ، صلاح الدين ، المصدر السابق ، ص ٧٨

(١٢٠) حسيبي ، فاضل ، محاضرات عن مؤتمر لوزان واثاره على اسلاد العربية ، (القاهرة

١٩٥٨) ص ٥٧

(١٢١) المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ ، عبدالقادر ، صلاح الدين ، المصدر السابق ، ص

٧٩

(١٢٢) محافظة ، علي ، المصدر السابق ، ص ٩٠

(١٢٣) حسيبي ، فاضل ، محاضرات عن مؤتمر لوزان ص ٥٨ - ٥٩

(124) Longrigg, Op. Cit., P. 240.

(١٢٥) لبشوفسكي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣

(١٢٦) المصدر نفسه

(١٢٧) قرقوط ، دوقان ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٤٢٦

(١٢٨) يبدو ان الوزارة السورية قد وافقت على عملية سلاح الاسكندرية وانها اقترحت على

ان يتم تعويضها بمصم طرابلس الى سوريا

Longrigg, Op. Cit., PP. 240, 252.

حول موقف الحكومة السورية انظر محافظة ، علي ، المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٢

(١٢٩) قرقوط ، دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، ص ١٦١

(١٣٠) محافظة ، علي ، المصدر السابق ، ص ٩١

(131) Longrigg, Op. Cit., P. 240.

(132) Ibid., P. 249.

(١٣٣) محافظة ، علي ، المصدر السابق ، ص ٩٢

(134) Longrigg, Op. Cit., P. 239.

(135) Ibid., PP. 240-241.

(136) Ibid., P. 241.

(137) Ibid.

(138) Frisk, R.L., The United States Response to Turkish Nationalism in U.R.C.I. 1914-1939 (The University of Minnesota Press, 1963), P. 235.

(139) Busch, B.C., British War Aims in the Middle East, 1914-1918, University of California Press, 1971, PP. 434-435, Key, M., Oils & Empire, P. 120.

(140) Friedman, Op. Cit., PP. 26-27.

(141) Ibid., P. 1.

(142) Nevakivi, Op. Cit., P. 7.

(143) Rothwell, A.H., British War Aims and Policy: Diplomacy 1914-1918, (Oxford University Press, 1971), P. 79.

(144) Kent, M., Asiatic Turkey, P. 337.

(145) Gottlieb, Op. Cit., P. 67.

(146) Busch, Op. Cit., P. 283. Friedman, Op. Cit., P. 101, Kedourie, In the Anglo-Arab Labyrinth, P. 33.

(147) Nevakivi, Op. Cit., P. 17.

(٧١) تألفت اللجنة من

G.R. Clerk عن وزارة الخارجية

J.W. Holderness عن وزارة الهند

H.B. Jackson عن البحرية

C.F. Callwell عن وزارة الحرب

M. Sykes عن وزارة التجارة

H. Smith

(72) Nevakivi, Op. Cit., PP. 18-25, British War Aims in Ottoman Asia: Report of the De Bunsen Committee 30 June 1915, in J.C. Hurtwitz (ed.), The Middle East and North Africa in World Politics: A Documentary Record, Vol. 2, British French Supremacy 1914-1945, (Yale University Press, 1979) Doc. No. 12, PP. 26-36.

(73) Robbins, K., Sir Edward Grey, (London, 1971), PP. 328-9, Kedourie, In the Anglo-Arab Labyrinth, P. 33.

(74) Friedman, Op. Cit., P. 20.

(75) Roberts, S.H., The History of French Colonial Policy 1870-1925, (London, 1963), PP. 591-2, Cassar, G.H., The French and the Dardanelles, (Letchworth, 1971), P. 54, Gottlieb, Op. Cit., PP. 80-81.

(76) Ibid., P. 101.

(77) Ibid., 81, Cassar, Op. Cit., 220-1.

بقيت خطة الانزال على الاسكندرية حية وكانت مرتبطة بالاحداث في منطقة المشرق كالاندحار البريطاني في الكويت عام ١٩١٦ وبقيت ايضا عام ١٩١٧ ، الا ان الخطة ماتت موتا طبيعيا بعد نجاح الحملات البريطانية على العراق وفلسطين من الاستيلاء على الانطاكي التابعة للامبراطورية العثمانية

Busch, Op. Cit., P. 117.

(78) Friedman, Op. Cit., 101.

(79) Ibid.

(80) Ibid.

(81) Cassar, Op. Cit., P. 89.

(٨٢) في الحقيقة ان بريطانيا كانت تهدف الى استخدام النفوذ الفرنسي كحاجز بين النفوذ

الروسي والنفوذ البريطاني لذلك وافقت على وضع الموصل تحت النفوذ الفرنسي

(83) Friedman, Op., Cit., PP. 109-10.

(84) Howard, H.N., The King-Crane Commission, (Beirut, 1963), P. 67.

(٨٥) حسيبي ، فاضل ، مشكلة الموصل ، (بغداد ١٩٦٧) ص ٧ - ٨

(٨٦) رين ، نور الدين زين ، المصدر السابق ، ص ١٦٢

(٨٧) كان لفرنسا مطامع في بلاد فارس ، وكانت قد اعلنت عن عزمها ارسال لجنة خاصة الى

ذلك البلد ، لذا سارعت بريطانيا الى توقيع اتفاقية مع بلاد فارس لوضع حد للزحف الفرنسي

Busch, B.C., Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West Asia 1918-1923, (State University of New York Press, 1976), PP. 131-43, 269-392.

(88) Howard, H.N., The Partition of Turkey: A Diplomatic History 1913-1923, (University of Oklahoma Press, 1931), P. 262.

(89) Busch, B.C., Mudros to Lausanne, P. 312.

(90) Angora Agreement for the promotion of peace: Peace and the Provisional Nationalist Government of Turkey, 20 October 1921, Temperley, H.W. (ed): A History of the Peace Conference of Paris, Vol. VI, (Oxford University Press, 1969), P. 607. Hurtwitz, J.C., Op. Cit., Vol. II, Doc. No. 64, PP. 263-4.

(91) Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey, (Oxford University Press, 1968), PP. 253-4.

(92) Howard, Op. Cit., P. 261.

(٩٣) محافظة ، علي ، لواء الاسكندرية ، الموزع العربي ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٣ ، ص ٨٨

(٩٤) قرقوط ، دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ١٩٢٠ - ١٩٢٩ (بيروت ١٩٧٥)

ملحق رقم ٢٥ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، قرقوط ، دوقان ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ،

قراءة في تاريخ سوريا المعاصرة ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) ص ١٦٣ - ١٧٤

Hurtwitz, Op. Cit., Doc. No. 64, P. 265.

139) Ibid. PP. 242-3

(١٤٦) مرقوط دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، ملحق رقم ٢٦١ ، ص ١ - ٢

(١٤٧) حسيني ، فاضل ، محاضرات عن مؤتمر لوزان ، ص ٦٢ - ٦٤

(١٤٨) انظر نص المعاهدة في الكيالي ، عبدالوهاب واحدي ، الموسوعة السياسية ، (بيروت ١٩٧٤) ، ص ٦٥٥ - ٦٥٨

140) Longrigg Op Cit P. 243

50) Bayly, B.C. Britain, India and the Arabs, P. 115

(١٥٩) مرقوط دوقان ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، ص ٢ - ٣ - ٣٠٣

139) Howard Op Cit P. 289

140) Longrigg Op Cit P. 241

(١٤١) عبدالقادر ، صلاح الدين ، المصدر السابق ، ص ٨١

142) Longrigg Op Cit P. 242

يذكر الدكتور دوقان مرقوط بأن عملية الانتخابات جرت في شهر آب وبالانتراب ٢٥/٨/٤٧

صوتا وحصلوا وفقا لنظام الانتخاب الموضوع لهذه الغاية على (٢٢) مقعدا من اصل (٤٠)

مقعدا تطور الحركة الوطنية في سورية ، ص ١٦١

(١٤٣) لشوفسكي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤

144) Longrigg Op Cit P. 242



# ردود الفعل التركية تجاه قيام الوحدة العربية بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ في ضوء الصراع الدولي وآثاره في المنطقة العربية

العلاقات العربية التركية - بعد الحرب العالمية الأولى

عوني عبدالرحمن السبعواي  
كلية التربية / جامعة الموصل

سارع الاستعمار الغربي بزرع دولة الكيان الصهيوني على ارض فلسطين لتكون سدا منيعا امام أية خطوة لاحقة يقدم عليها العرب بعد تحقيق استقلالهم وهي اعادة التوحد العربي ضمن دولة مركزية

لقد شغلت قضية تحقيق الوحدة العربية باعتبارها تشكل نقمضا لواقع التجزئة الاقليمية، وعامل نهوض قومي شامل في شتى ميادين الحياة الفكرية والحضارية.. ومازالت تشغل حيزا مهما في تفكير ونضال الشعب العربي في شرق الوطن العربي ومغربه منذ زمن ليس بالقصير، وبروز العديد من المفكرين والوحديين والحركات والاحزاب السياسية في الوطن العربي التي نادت بتحقيق الوحدة العربية.

ومنذ ذلك الحين برزت عدة مشاريع ومحاولات وحدوية عربية بعضها جاد وحقيقي، والبعض الآخر شكلي وسطحي.. ومن هذه المشاريع (مشروع الهلال الخصيب، ومشروع سوريا الكبرى، جامعة الدول العربية، الوحدة السورية المصرية..)

ولقد اتسمت المواقف التركية تجاه محاولات العرب السابقة نحو الوحدة أو الاتحاد بالعداء والرفض لكونها لا تنسجم مع مصالحها ومصالح القوى الغربية في المنطقة العربية.

فلقد عارضت تركيا محاولات العراق تحقيق اتحاد مع سوريا ومع غيرها من اقطار المشرق العربي في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن، حين ابدت مخاوفها تجاه خطط حكومة ياسين الهاشمي ونهجها القومي في اواسط الثلاثينات من اقامة تحالف مع سوريا وفلسطين مراعاة للمصالح البريطانية في فلسطين، وخشيئتها من ان يكون لهذا الاتحاد قوة دعم واسناد لسوريا في قضية الاسكندروية التي كانت تركيا تنهيا للاستحواذ عليها وضمها الى حدودها الاقليمية، كما يفسر تأييدها الكبير لانقلاب بكر صدقي ضد حكومة ياسين الهاشمي عام ١٩٢٦ (٢).  
عبر الموقف التركي الراض للوحدة عن نفسه عندما حاول

اتسمت العلاقات العربية التركية منذ تأسيس دولة تركيا الحديثة عام ١٩٢٣ بالتوتر وعدم الاستقرار حيناً، وبالتحسن والتطوير لهذه العلاقات حيناً آخر

كما تباينت هذه العلاقات بين قطر عربي وآخر في علاقاته مع تركيا تبعا لظروف ذلك القطر واوضاعه وقضاياها

وساهمت ظروف ومتغيرات السياسة الدولية، وطبيعة المصالح التركية وارتباطاتها بالمصالح الغربية في الشرق الاوسط بشكل عام وفي المنطقة العربية بشكل خاص، وتطورات اوضاعها السياسية والاقتصادية الداخلية في صنع سياستها الخارجية تجاه الاقطار العربية.

ولعبت السياسة الثقافية التي اقراها مصطفى كمال اتاتورك في التوجه نحو الحضارة الغربية، وتوطيد علاقات تركيا مع الدول الغربية، وقطع الصلة الثقافية بالتراث العربي الاسلامي في تعميق عزلة تركيا الفكرية والحضارية تجاه الاقطار العربية (١).

هذا بالإضافة الى الشعور العام في تركيا الذي يحمل العرب مسؤولية خسارة الاتراك في حروبهم ضد الحلفاء ابان الحرب العالمية الاولى (٢)، متجاهلين حقيقة الثورة العربية ودوافعها التي قادها الشريف حسين عام ١٩١٦ ضد سياسة التتريك التي اتبعتها الحكومة العثمانية تجاه القوميات غير التركية ضمن اطار الامبراطورية العثمانية، وتحقيق طموحات العرب المشروعة في الاستقلال والوحدة، شأنها في ذلك شأن بقية الحركات القومية الاخرى حتى ان هذه الثورة قد تعاطفت مع الاتراك انفسهم ابان حرب التحرير الوطنية التركية التي قادها مصطفى كمال اتاتورك ضد القوى الغربية الاستعمارية (٣)

## تركيا ومشاريع الوحدة العربية

خاض الشعب العربي في مختلف اقطاره نضالا طويلا ومربيا من أجل التخلص من براثن السيطرة الاستعمارية العديدة وما كادت الاقطار العربية تنال استقلالها السد.



نوري السعيد وزير الخارجية العراقية في لقائه الخفي مع وزير الخارجية التركية توفيق رشدی ارأس في استانبول عام ١٩٤٠ ان ينال موافقة الحكومة التركية على اقتراحه المنصمّن تنازل العراق عن جزء من اراضيهِ في المنطقة الشماليّة (لم تعرف مساحتها وحدودها) الى تركيا مقابل سكوت الاخيرة في حالة طلب السوريين الاتحاد مع العراق. لكن تركيا لم توافق على ذلك رغم الاغراء الذي قدمه نوري السعيد لمعارضتها اى نهج وحدوى عربى (٤).

لقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية منذ ذلك الوقت أهمية تركيا من ناحية موقعها الاستراتيجي التحكم بالمضائق وبقدراتها العسكرية والبشرية، واستقرار أوضاعها الداخلية وكونها من أكثر الدول الشرقية ميلاً للعب وتثبيت حضارته فعملت على دفعها من أجل ضمان السكينة العربية ضمن المحور الغربي، وساهمت في تشكيل موازنات عربية من المخاطر الناجمة عن أي نوع من التغيرات في الشرق الأوسط، لاقطار العربية، ومن الطبيعي أن يجد هذا التوجه يومياً مسألة تقع ضمن قضايا السياسة الدولية، وبذلك تكتسب الولايات المتحدة الأمريكية دوراً مهماً في توجيه هذا التوجه، الأمر الذي يتسبب بدوره في حصد العرب ومشاريعه في المنطقة العربية.

كما انعكست هذه المخاوف التركية على ما نشرته الصحف التركية حول الوحدة العربية في تلك الفترة وتحليلاتها حول إمكانية تحقيقها من عدمه (٦).

المعروف بـ"كبير" - كما لتكتل اقليمى يحول دون أى مشروع عربى وحسوى. كانت معاهدة العراقية التركية عام ١٩٤٦ (٩). والتي ~~كانت~~ ~~لحلول~~ ~~اقطار~~ عربية اخرى اليها فهي بداية سلسلة من المشاريع والاحلاف الغربية في المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية التي ابتدأت اوائل الخمسينات من خلال التصريح الثلاثى الذى شاركت في اصداره الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا في ٢٥ أيار ١٩٥٠ الذى استهدف التدخل في شؤون الاقطار العربية وإبقاءها مجزأة، والحفاظ على مصالح الغرب الحيوية في المنطقة من خلال انشاء منظمة اقليمية تحت ستار الدفاع عنها ضد الخطر السوفيتى. ومشروع قيادة الشرق الاوسط الذى شاركت في اعداده الدول الثلاث الى جانب تركيا عام ١٩٥١ لاحتواء مصر وجعلها قاعدة للنفوذ والوجود الغربى في المنطقة تحت غطاء مواجهة الخطر السوفيتى ايضا (١٠) لكنها فشلت في مساعيها رغم نجاح الضغط الامريكى على بريطانيا حول مطالب مصر بتعديل معاهدة ١٩٣٦ بمعاهدة جديدة تم التوصل اليها في ١٩ تشرين الاول ١٩٥٤ وقررت فيها بريطانيا الجلاء عن قناة السويس

وقد تجسدت هذه الحقائق في موضوع البحث عن ردود فعل تركيا تجاه قيام الوحدة العربية بين سوريا ومصر في شباط ١٩٥٨ كأول تجربة وحدوية عربية حقيقية ومتميزة في هذا العصر.

ولفهم خلفيات هذه المواقف وابعادها لابد ان نشير الى جملة قضايا واحداث كان لها تأثيراتها المباشرة او غير المباشرة على طبيعة العلاقات القائمة بين تركيا والاقطار العربية.

**وأثره في السياسة الخارجية التركية**

طورت تركيا علاقاتها مع الدول الغربية في الميادين التي تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية والاقليمية في المنطقة. حيث حققت تحكما بمضائقها (البسفور والدرنديل) في مؤتمر (مونترلو) عام ١٩٢٦. ثم باقتطاعها وبالنواطئ مع فرنسا (الاسكندرونة) من سوريا وضمها الى رقعته الاقليمية عام ١٩٣٩ ثم وقوفها على الحياد ابان الحرب العالمية الثانية الذي التزمت به الى اواخر الحرب حتى اعلنت انضمامها الى جانب الحلفاء ضد المحور كصيغة شكلية تجيز لها المشاركة في مؤتمر السلام بعد انتهاء الحرب

للامير عبداله في سوريا بعدتولى الملك فيصل الثانى سلطاته الدستورية في العراق عام ١٩٥٣ (١٤).

وبدأت حملات الضغط تتوالى على سوريا لارغامها على الدخول في حلف بغداد والقبول بمشروع ايزنهاور الذى طرحته الولايات المتحدة الامريكية في آذار ١٩٥٧، حيث ابلغ السفير الامريكى في دمشق الحكومة السورية عن تأييد حكومته لحلف بغداد، وعبر عن املها في انضمام سوريا اليه (١٥). لكنه جوبه بالرفض كما جاء على لسان وزير الخارجية السورية آنذاك صلاح الدين البيطار بان «مشروع ايزنهاور وحلف بغداد جسمان لروح واحدة» (١٦). مما حدا بالولايات المتحدة الامريكية الى ممارسة نوع من الحصار الاقتصادي على سوريا وذلك بان عرضت على دول عدة كانت تشتري القمح السوري بشرائه من الولايات المتحدة الامريكية بأسعار ادنى من كلفة انتاجه (١٧). كما طلبت من حكومات لبنان والاردن والعراق وتركيا والكيان الصهيونى تشديد الحصار لعزل وتدمير مؤامرات لقلب نظام الحكم فيها، ولكن سرعان ما تم كشف هذه الخطط والقضاء عليها. في نفس الوقت الذى استطاعت فيه سوريا ان تعقد اتفاقيات عسكرية واقتصادية كبيرة مع الاتحاد السوفيتى في آب ١٩٥٧ (١٨). ففشلت بذلك المؤامرات التى دبرتها الحكومة الامريكية وفشل حصارها الاقتصادي على سوريا، فاشجعت نحو تركيا لتلعب دورها في محاولات الضغط على سوريا عام ١٩٥٧ نظرا لاطمئنانها التام اليها، حيث اصبحت تركيا في عهد عدنان مندريس كما جاء في صحيفة (اللوموند) الفرنسية «تحاول ان تلعب دور الممثل الحاصل على كل الصلاحيات لتمثيل الغرب في الشرق الاوسط» (١٩). بحكم موقعها الجغرافى القريب من سوريا ومعاداتها للاتحاد السوفيتى وامتلاكها لأكبر قوة عسكرية في الشرق الاوسط آنذاك، ورغبتها في حث الولايات المتحدة الامريكية على تقديم المزيد من المساعدات لتركيا مقابل الضغط على الاقطار العربية. هذا بالإضافة الى ان رئيس الوزراء التركى عدنان مندريس كان يريد ان يدعم موقفه داخليا الذى اخذ بالتصديق بسبب ارتداده عن خطوات مصطفى كمال الاصلاحية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعى (٢٠). وتفاقم الازمات الداخلية ومنها العجز التجارى الكبير الذى كاد ان يعصف بحكومة مندريس التى تعرضت الى نقد شديد حتى من قبل الحزب الديمقراطى الحاكم نفسه (٢١). وحتى في مجال السياسة الخارجية عمل مندريس على انتهاز سياسة جديدة بديلة لسياسة مصطفى كمال الاستقلالية تجاه الغرب تمثلت بمحاولات التوسع نحو الشرق العربى (٢٢).

ويذكر في هذا الصدد بان تركيا بدأت بالتطلع الى مصالحها في الشرق الاوسط منذ تولى الحزب الديمقراطى الحكم عام ١٩٥٠. ومنذ منتصف الخمسينات عملت على استعادة النفوذ التركى في المنطقة العربية وتحقيق مطامعها الاقليمية فيها. وقد لوح جوار

اهمها ترايد انتاجه النفطى، وتضاعف اهميته الاستراتيجية لوقوعه على الخليج العربى المنطقة الغنية بالنفط. كما ان كبار سياسته وفي مقدمته نورى السعيد وعبداله كانوا ميالين للتعاون مع الغرب بشكل صريح وسبق لهم وان دخلوا معه في معاهدات واحلاف.

ولما كانت تركيا ضالعة في هذا المخطط منذ مجيء الحزب الديمقراطى الى الحكم برئاسة عدنان مندريس عام ١٩٥٠. وارتباطها بحلف شمال الاطلسى عام ١٩٥٢ ثم بحلف البلقان مع يوغسلافيا واليونان عام ١٩٥٣. فان فشل جهودها في جرمصر لبناء هيكل امنى للدفاع عن الشرق الاوسط جعل العراق الخيار البديل والمناسب، فعقد الحلف العراقى التركى في ٢٤ شباط ١٩٥٥، وتطور الى حلف بغداد بعد دخول بريطانيا وايران وباكستان فيه، ومشاركة الولايات المتحدة الامريكية في بعض لجانه الفرعية (١١). على امل ان تؤدى الضغوط الى توسيع الحلف ليشمل اقطارا عربية اخرى.

لكن وقوف مصر بوجه الحلف ورفضها الانضمام اليه رغم الضغوط التى تعرضت لها اضعفته كثيرا الى درجة جعلته مقتصرًا على العراق فقط دون مشاركة أى قطر عربى اليه. فقد اعتقد الرئيس جمال عبدالناصر بان حلف بغداد سيؤدى الى انقسام الوطن العربى والى عزل مصر وجعلها تواجه الخطر الصهيونى وحدها (١٢). وقد سعى في محاولة سياسية تكتيكية عرقلة مساعى حلف بغداد في تحقيق مراميه واهدافه السياسية في المنطقة العربية باقناع كل من العراق وتركيا بضرورة التخلي عن محاولتهما ادخال اقطار عربية اخرى الى الحلف، فقد نسب اليه قوله انه يريد التفاهم مع تركيا حول الشيوعية و(اسرائيل) وكل ما يشترطه للوصول الى مثل هذا التفاهم ان تتخلى تركيا ويتخلى العراق عن سياستهما في الضغط على الاقطار العربية للانضمام الى حلف بغداد، وعندذاك تعتبر مصر حلف بغداد امرا واقعا بالنسبة لتركيا والعراق (١٣). لكنه فشل في تحقيق مساعيه مما اضطر مصر الى ان تعقد موافيق دفاعية ضد هذا الحلف مع سوريا والمملكة العربية السعودية في ٢٠ و ٢٧ تشرين الاول ١٩٥٥. ثم انضمت اليمن اليهم في نيسان ١٩٥٦، رغم المحاولات الامريكية التى حاولت عرقلة عقد اتفاقيات عسكرية بين مصر والاقطار العربية الأخرى. ولاسيما مع سوريا بسبب تأثير ذلك مباشرة على امن الكيان الصهيونى، ولكون هذه الاتفاقيات تتعارض والسياسة الامريكية بانشاء احلاف عسكرية لا تكون تحت اشرافها أو سيطرتها المباشرة في المنطقة العربية.

### الضغوط التركية والغربية ضد سوريا

وازاء الموقف المصرى الاخير سعت دول حلف بغداد الى الاطاحة بحكم عبدالناصر بكل الطرق والوسائل الممكنة. في نفس الوقت الذى قررت فيه العمل على ضم سوريا الى هذا الحلف اذا تعذر ضمها للعراق بصيغة وحدة أو اتحاد، بغية خلق عرش

سوريا، واخذت الدوريات التركية تتسلل عبر الاراضى السورية وتطلق العيارات النارية على بعض قرى الحدود، ورافق ذلك ظهور بعض قطع الاسطول السادس الأمريكى في المياه الإقليمية السورية، وقد لاح في الافق بان عدوانا تركيا سيقع على سوريا ويشترك في دعمه واستناده الاسطول السادس الأمريكى، الذى سيعمل على عزل سوريا بحريا اذا لم يساهم بالعدوان الفعلى ضدها.

ولجابهة هذا التحدى بادرت الحكومة السورية الى اتخاذ الاجراءات العسكرية السريعة، وتنظيم مقاومة شعبية في جميع انحاء البلاد، وتوزيع الاسلحة الخفيفة المنوعة على سكان مناطق الحدود السورية التركية الذين قاموا بتحسين قراهم ومزارعهم ومدنهم استعدادا لمجابهة العدوان (٢٨).

لكن الاتحاد السوفيتى حذر تركيا بان اى عمل عدوانى ضد سوريا سيحملها عواقب وخيمة. في الوقت نفسه سارعت مصر بارسال قوات مصرية الى سوريا للدفاع عنها بموجب المعاهدة السورية المصرية لعام ١٩٥٥ مما اسهم في افشال خطط الامريكان والأتراك في مهاجمة سوريا واجبارها على الرضوخ للمخططات الغربية

وقد انتهت هذه الازمة بعد وقت قصير من عرضها على الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشتها، وحلت القضية بعد ان افكرت تركيا وجود اية نوايا عدوانية لديها ضد سوريا (٢٩).

### قيام الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨

شهدت المنطقة العربية خلال الخمسينات احداثا مهمة كان من أبرزها قيام الوحدة العربية بين سوريا ومصر في الثاني والعشرين من شباط عام ١٩٥٨. حيث ساهمت الضغوط والتهديدات الغربية والتركية والصهيونية ضد سوريا بالتعجيل نحو اللقاء السورى المصرى وبالتالى اعلان قيام الوحدة بينهما نتيجة الجهود الكبيرة والمتميزة التى بذلها حزب البعث العربى الاشتراكى داخل القطر السورى منذ عام ١٩٥٦ الذى مهد الاوضاع للحوار والتفاعل مع القيادة الناصرية التى اثمرت تحقيق هدف الوحدة العربية بين سوريا ومصر كخطوة اولية على طريق توحيد باقى الاقطار العربية وضمها الى دولة الوحدة سميته بـ (الجمهورية العربية المتحدة) عملت على ادخال مصر باعتبارها آنذاك مركزا للاشعاع القومى التحررى في المنطقة العربية في قلب احداث الشرق العربى (٣٠).

ولقد اوضح رئيس دولة الوحدة عبدالناصر منذ البدء ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة في الداخل والخارج تقوم على أسس ثلاث هي (الاتحاد) و (عدم الانحياز) و (القومية العربية) (٣١).

وهذه السياسة تعنى ترسيخ أسس وبنیان الوحدة السورية المصرية داخليا لتكون نموذجا يقندى به عربيا، وتكوين قوة عربية ذاتية تلمح لان تكبر وتقوى باطراد كلما نحتت في توسيع

فoster دالاس وزير الخارجية الامريكية للمسؤولين الاتراك مطامعهم تلك عند زيارته للشرق الاوسط عام ١٩٥٣ بقوله «ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لم تعرف فيما مضى مطامح تركيا الاهتمام الكافي» (٢٣).

لقد اتصفت العلاقات السورية التركية بالتوتر الدائم بسبب اغتصاب تركيا للاسكندرونة، ومشكلات الحدود التى ظلت قائمة بالرغم من ان العلاقات الدبلوماسية بينهما قد اقيمت منذ استقلال سوريا عام ١٩٤٦، ورافقت تلك المشاكل والضغط التركية تحركات عسكرية استفزازية على حدود سوريا الشمالية. وقد بدأت تركيا حملاتها ضد سوريا جزاء تمسكها بموقفها المعارض لحلف بغداد بان اخذت تروج في وسائل اعلامها ما اعلمته مشروع ايزنهاور كما سبق ذكره بان هنالك فراغا في الشرق الاوسط يجب ملؤه، وساهم رئيس الوزراء التركى عدنان مندريس بدوره في عملية التضليل والتشويش ضد سوريا واتهامها بانها قد اصبحت صنعية للاتحاد السوفيتى ومستودعا لاسلحته، وشاركه في هذا الرأى الرئيس الأمريكى ايزنهاور بقوله «ان كل شىء حول سوريا غامض، لكن شكنا قوى بان الشيوعيين يسيطرون على الحكومة فيها» (٢٤).

كما اعلن وزير الخارجية الامريكية دالاس قلق حكومته على تركيا من انها تواجه خطرا سوفيتيا من جراء تراكم الاسلحة السوفيتية بكثرة في سوريا.

وقد رد وزير الخارجية السورية صلاح الدين البيطار على تلك الادعاءات في خطابه امام الهيئة العامة للأمم المتحدة في تموز ١٩٥٧ موضحا بان السبب الدافع لسوريا الى حيازة هذه الاسلحة جاء من اجل الدفاع عن نفسها، وهى لاتشكل اى خطر على البلاد المجاورة لسوريا ولاسيما تركيا، حيث لاتوجد اية نيات عدائية سورية تجاهها (٢٥).

كما رفض الرئيس السورى شكرى القوتلى في خطاب له موجه للشعب السورى في ٢٣ ايلول ١٩٥٧ تلك الاتهامات الموجهة ضد بلاده بقوله : «ان تعاملنا مع الاتحاد السوفيتى يقوم على أسس صريحة وواضحة من تبادل المنافع والمصالح، واننا لن نبيع للشيوخية اى تحكم في امورنا وشؤوننا وسياستنا، واننا لن نبيع بلادنا ولن نوطىء قواعدنا لاحد ولن نسمح لاي معسكر من المعسكرين المتخاصمين ان يستخدمها لاغراضه العسكرية والحربية» (٢٦).

اخذت الولايات المتحدة الامريكية من خلال بعثة لوى هندرسن المندوب الخاص للرئيس الأمريكى ايزنهاور الى تركيا تمارس نشاطا متزايدا ضد سوريا، اسفر عن اقناع المسؤولين الاتراك بتحشيد قواتهم العسكرية على الحدود السورية والقيام بمنازعات عسكرية تصهيدا للهجوم عليها بعد ان وعدوهم بمنطقة حلب ثمنا لذلك (٢٧). فكثر التحرشات التركية بالرعايا السوريين، وقطعت السلطات التركية مياه نهر (جعفر) عر

دائرتها العربية بما يحقق طموح العرب في الوحدة والاستقلال الحقيقي، ورفض أي نفوذ أو وجود اجبني في الوطن العربي، في نفس الوقت الذي تحافظ فيه على حيادها في تعاملها مع القوى الدولية الكبرى، فقد قال عبدالناصر «ان سياستنا هي الوحدة ضد الاحلاف، وضد السيطرة الاجنبية وضد مناطق النفوذ... لا يملأ فراغا في بلادنا الا ابناء وطننا» رغم ادراكه للصعوبات والعراقيل التي سوف تعترضه حيث قال «ان هذه السياسة ليست سياسة سهلة، بل هي سياسة صعبة» (٣٢).

### موقف الاوساط الغربية

لقد جوبهت هذه الخطوة الوندوية العربية بردود فعل عدائية بين الاوساط الغربية وحلفائها في المنطقة الذين بدؤوا يروجون ضدها تشويها وافتراءات مبالغ فيها، وبعيدة عن الواقع ووجه الحقيقة بهدف اجهاضها والقضاء عليها لانها تعد تهديدا خطيرا للمصالح الغربية الحيوية في المنطقة، وبداية حقيقية لانحسار نفوذها فيها، فقد تركزت مزاعمهم حول الوحدة بانها تعبير عن مطامع عبدالناصر التوسعية، وخطوة متقدمة نحو الشيوعية (٣٣). كما اشاروا الى ان اعلان الوحدة السورية المصرية معناه نشوء اضطرابات جديدة في الشرق الاوسط لانه لن يوفر الاستقرار في المنطقة، بل على النقيض من ذلك يشير الى بدء المتاعب فيها (٣٤).

كما احيطت دولة الوحدة بقوى دولية معادية لها، زاد من تأثيرها انها كانت تقع على حدود سوريا، وهذه القوى هي تركيا واسرائيل والنظامان الملكييان في العراق والاردن.

### ردود الفعل التركية

لقد عبرت الحكومة التركية ومنذ البدء عن مواقفها التي اتسمت بالعداء والرفض لهذه الخطوة التي لا تنسجم مع مصالحها ومصالح القوى الغربية في المنطقة، وتأتي هذه المواقف منسجمة ومتواصلة مع المواقف العدائية السابقة التي وقفتها تركيا تجاه المحاولات العربية السابقة نحو الوحدة او الاتحاد بين الاقطار العربية التي اشرنا اليها سابقا.

ومن الطبيعي ان تنعكس هذه المواقف التركية تجاه الوحدة العربية على مواقفها تجاه قيام الوحدة السورية المصرية، وقد اتخذت اشكالا مختلفة ولكنها تلتقي في هدف واحد، هو القضاء على هذه الوحدة، سيما وان العلاقات التركية المصرية كانت قد توترت منذ بداية عام ١٩٥٤ حين ابعدت الحكومة المصرية السفير التركي وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع تركيا بسبب تصريحات عدائية ادلى بها السفير التركي في القاهرة (٣٥) وجاء اول رد فعل رسمي من قبل الحكومة التركية تجاه قيام الوحدة السورية المصرية متسما بالعداء والسلبية من خلال تصريح ادلى به رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس قال فيه «انه لا امر لا يدعو الى الارتياح ان ينام المرء وعلى حدوده دولة تعداها اربعة ملايين نسمة، ويستيقظ في الصباح فيجد انها

اصبحت ثلاثين مليوناً» (٣٦). كما جرت في تركيا حملات معادية ضد هذه الوحدة ظهرت في الصحافة التركية التي بدأت بنشر المقالات المعادية لمصر وسوريا، كانت تكرر فيها تقييم الغرب للسياسة الداخلية والخارجية للجمهورية العربية المتحدة، حيث استفزها طموح العرب الى الوحدة التي لا يتفق ومصالحها (٣٧). وقد يوحي الموقف التركي تجاه هذه الوحدة بالتناقض، اي بين رفض الاتراك ومعاداتهم لدولة الوحدة، وبين امتناع تركيا شأنها شأن بقية دول حلف بغداد الاخرى عن الاستجابة لطلب الحكومة العراقية بعدم الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة، حيث اعترفت دول حلف بغداد بقيام الجمهورية العربية المتحدة باستثناء الحكومة العراقية التي لم تعترف بها الا بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ومجيء حكومة عراقية جديدة (٣٨).

وكانت الحكومة التركية قد اعلنت اعترافها بالجمهورية العربية المتحدة رسميا في ١١ آذار ١٩٥٨ (٣٩). وكان تبرير اعتراف تركيا ودول حلف بغداد بهذه الوحدة بان عدم الاعتراف بها ليس من مصلحة الحلف (٤٠) لانها لا تريد تحدى المشاعر القومية العربية التي يخشى فعلها في حالة التصدي لها بشكل علني ومكشوف، فالموقف المتناقض لم يتجاوز صيغته الشكلية، والاعتراف التركي بالوحدة السورية المصرية يعبر عن موقف تكتيكي تحاول من خلاله تركيا تضليل السوريين والمصريين بان ليس في نيتها أية مواقف عدائية تجاههم. لكن واقع الحال يظهر العكس تماما، ففي اثناء انعقاد مؤتمر انقرة لدول حلف بغداد في اواخر كانون الثاني واول شباط ١٩٥٨ اتفقت دول الحلف على ضرورة هدم الوحدة التي عقدت بين سوريا ومصر عن طريق استخدام اسلوب وحدوى مقابل يتلخص في ضم سوريا الى العراق (٤١). او اقامة كتل اقليمية تحت مظلة اسلامية تبطل مفعول الاتجاه القومي الوحدوى، حيث كان الاتراك يحاولون تغطية تحركاتهم السياسية ضمن هذا الاطار. وقد المع مندريس الى ذلك في خطابه الذي القاه في اجتماع نظمه الحزب الديمقراطي الحاكم في ولاية (بورصة) التركية بمناسبة زيارته لها في ٢٠ شباط ١٩٥٨ حيث قال «لقد اتفقنا مع اخواننا في الدين، العراقيين والباكستانيين والاييرانيين على الدفاع عن كيان هذه الدول الاسلامية التي تعرضت للظلم والغدر سنوات عديدة» (٤٢).

كما كرر مندريس في خطابه انتقاد قيام الوحدة بين سوريا ومصر من خلال اتهام الجمهورية العربية المتحدة بانها قد اصبحت تحت النفوذ الشيوعي وتتلقى مساعدات من الاتحاد السوفيتي (٤٣).

وفي الوقت نفسه حرضت الحكومة التركية المسؤولين في الحكومة العراقية على ان يطلقوا تصريحات عدائية ضد قيام الجمهورية العربية المتحدة اثناء وجودهم في استانبول لحضور اجتماعات مؤتمر دول حلف بغداد المشار اليها، وهو امر يتناقض

«انه كالهشيم الذي تدروه الرياح، أما الجمهورية العربية المتحدة فتمثل ارادة الشعب العربي» (٥١)

وقد رافقت هذه المواقف العدائية التركية محاولات تامة حاكمتها الدول الاستعمارية ودول حلف بغداد، حيث أعلنت الحكومة السورية في الثالث عشر من شباط ١٩٥٨ نبأ القاء القبض على مجموعة من المتسللين الى سوريا قدموا اليها عبر لبنان والاردن، وادلوا باعترافهم التي بينهم فيها تفاصيل المؤامرة التي كانوا يزعمون تنفيذها في الحادي والعشرين من شباط ١٩٥٨ يوم الاستفتاء الشعبي على اعلان دولة الوحدة السورية المصرية في اماكن متفرقة من سوريا عن طريق استفزاز مشاعر الشعب السوري، واثارة المشاكل والاضطرابات لتخريب عملية الاستفتاء وتازيم الوضع الداخلي وتبرير التدخل الاجنبي العسكري في سوريا، حيث تزامن الاعداد لهذه المؤامرة مع وجود حشود عسكرية تركية واخرى صهيونية على الحدود السورية في شمال البلاد وجنوبها من اجل ضرب الوحدة السورية والمصرية واجهاضها (٥٢).

اما اصداء مواقف الحكومة التركية تجاه قيام الوحدة السورية المصرية على الاوضاع في داخل تركيا فانها لم تكن ايجابية للحكومة وبخاصة لدى قوى الاحزاب المعارضة، فقد انتقد حزب الشعب الجمهوري المعارض الذي كان يعد من اقوى الاحزاب التركية مواقف الحكومة التركية السلبية تجاه هذه القضية، ودعا الى ضرورة التعامل معها بشيء من الحكمة والروية، وانتظار النتائج التي ستسفر عنها هذه الخطوة، رغم ان مواقفه لا تختلف عن مواقف حكومة عدنان مندريس العدائية تجاهها، لكنه انتقد اسلوب التعامل معها، حيث جاء في بيان اصدره في هذه المناسبة جاء فيه «ان اتحاد الدولتين السورية والمصرية وقيام الجمهورية العربية المتحدة ستكون له في العالم العربي اثار قومية، ولذلك يجب متابعة مثل هذه الحركات بسياسة انتظار غير عدائية ومحتاطة» (٥٣).

ولتبرير مواقف حكومة عدنان مندريس ازاء هذه القضية على ضوء الانتقادات التي وجهت اليه من قوى المعارضة ادلى وزير الخارجية التركي فطين رشدي زورلو بتصريح قال فيه «ان انشاء علاقات وطيدة بين دول الشرق الاوسط هو من مبادئ سياستنا الخارجية طالما كانت هذه العلاقات تقف امام التسلل الاجنبي وتؤدي الى عدم وقوع جارتنا سوريا في قبضة الاتحاد السوفيتي، ان الشيء الوحيد بالنسبة لانقرة هو ان لاتصبح اية دولة مجاورة لنا اداة طيعة لتنفيذ المخططات الشيوعية» (٥٤)

ويلاحظ من خلال هذا التصريح المغالطات المقصودة لتشويه هوية الخطوة الوجدونية بين سوريا ومصر، وتأكيد المواقف العدائية التركية تحاها.

وعلى اثر توتر الاحداث الجارية في لبنان عام ١٩٥٨ التي وصلت الى حافة الحرب الاهلية والتدخل العسكري الامريكي

مع الروابط القومية والتاريخية فضلا عن تقاطعه مع الاصول والاعراف الدولية، فقد اعلن رئيس الوزراء نوري السعيد «ان اتحاد مصر وسوريا لا بأس به اذا اعتدنا انه يريل احدهما، اما وزير الخارجية فاضل الجمالي فقد اضاف قائلا «هنالك امر غريب وغير طبيعي في هذا الاتحاد الذي هو خطوة اخرى لفصل مصر وسوريا عن بقية الدول العربية، وما من شك في ان الامر الاساسي الذي يفصل مصر وسوريا عن بقية العالم العربي هو الشيوعية» (٤٤).

وقد رد عبدالناصر على تصريحات المسؤولين العراقيين المعادية للوحدة ووصفهم بانهم (اعوان الاستعمار) (٤٥).

من جانب آخر ساهمت تركيا مع دول حلف بغداد في انشاء اذاعة سرية تحت اسم (صوت الاصلاح) تبث برامج معادية للوحدة السورية المصرية (٤٦).

وبعد مشاورات سريعة تمت بين الحكومتين التركية والعراقية جاءت الخطوة العملية التي ساهمت تركيا في تحقيقها والتي كانت بمثابة اول رد فعل عملي من قبل تركيا ودول حلف بغداد تجاه الوحدة السورية المصرية. وهي دفع العراق والاردن لعقد اتحاد بينهما عرف بـ (الاتحاد الهاشمي) (٤٧).

وقد تمت هذه الخطوة بعد ان اقنع نوري السعيد الملك فيصل الثاني بالاتصال بالملك حسين ملك الاردن لتنسيق مواقفهما وجهودهما في مجابهة قيام الوحدة السورية المصرية، رافق ذلك زيارة رسمية قام بها الرئيس التركي جلال بايار الى الاردن بعد اجتماع لدول حلف بغداد تعبيرا عن تأييد تركيا للاتحاد الهاشمي وتوطئة لتهيئة الاجواء المناسبة من اجل انضمام الاردن الى هذا الحلف (٤٨).

لقد اعلن عن قيام الاتحاد الهاشمي بصورة مفاجئة وسريعة في ١٤ شباط ١٩٥٨، اي بعد ايام قليلة من اعلان قيام الوحدة السورية المصرية، وقد سميت الدولة الجديدة التي تضم العراق والاردن بـ (الاتحاد الهاشمي العربي) وتستهدف هذه الخطوة حماية النظام الملكي في الاردن ومنعه من الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة تحت ضغط وتأثير الحركة التقدمية الاردنية التي كانت قوية، وتبدي معارضة ملحوظة للسلطة، وكذلك في تضليل الشعب العربي وزدع روح اليأس والالتباس حول مشاريع الوحدة العربية ومفاهيمها عن طريق الايحاء بان هذا الاتحاد يحقق حلمه وتطلعاته نحو الوحدة.

وقد بارك رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس قيام الاتحاد الهاشمي، واعتبره نصراً لحلف بغداد (٤٩)، بضم الاردن اليه عن طريق عضوية العراق في حلف بغداد وفي الاتحاد الهاشمي، وخطوة جريئة ضد قيام الجمهورية العربية المتحدة، وعاملاً على اعاقا التفاف الاقطار العربية الاخرى حولها (٥٠).

غير ان عبدالناصر انتقص من جدوى قيام ذلك الاتحاد، ونفى تأثيره السلبى على قيام الوحدة السورية المصرية، ووصفه قائلًا

الأردن شريك العراق في الحلف الهاشمي، ثم يعقب ذلك خطوة ثانية وهي بتسليح قبائل البدو على حدود سوريا وحملها على إثارة القلاقل على الحدود السورية العراقية مما يضطر القوات السورية الى مطاردتهم الى داخل حدود العراق، وعندما يتحرك الجيش العراقي ويقتحم حدود سوريا بحجة الدفاع عن النفس ورد العدوان يصاحبه دعم عسكري للعراق من قبل تركيا على اعتبار العراق عضوا مع الاخيرة في حلف بغداد (٦٠).

وصار الاتفاق على ان تناقش هذه الخطط في اجتماع استثنائي لدول حلف بغداد يعقد في انقرة في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، لكن الاحداث سارت باتجاه معاكس تماما، فقد قامت في العراق في اليوم نفسه ثورة اطاحت بالنظام الملكي في العراق وقضت على رموز النظام فيه بما فيهم الملك فيصل الثاني والامير عبدالاله ورئيس الوزراء نوري السعيد. وبذلك سقطت هذه الخطة قبل ان يكتب لها التنفيذ، فلقد فاجأت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق الدوائر الاستعمارية الغربية، وسببت صدمة قوية لها، حيث سارعت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا الى انزال قواتهما في لبنان والأردن، واعدت تركيا خططا عسكرية لمهاجمة العراق والقضاء على نظام الحكم الجديد فيه (٦١).

وقد حاول الرئيس جمال عبدالناصر في اثناء مباحثاته مع رئيس الوزراء السوفيتي نيكيتا خروشوف في موسكو ايام قيام الثورة في العراق ان يحصل على تأييد ودعم سوفيتي للاقطار العربية لمواجهة التهديدات الامريكية والتركية وبخاصة تجاه سوريا والعراق بان يصدر الاتحاد السوفيتي اذارا للغرب شبيها بالانذار الذي وجهه لبريطانيا وفرنسا في اثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، حيث اشار عبدالناصر الى ان الامريكيين يمكن ان يحرضوا تركيا لمهاجمة سوريا، وان ذلك سيؤدي الى تصعيد الموقف في المنطقة فيما اذا نفذت تركيا ذلك، حيث ستضطر مصر الى مقاتلتهم (٦٢). واعلن عبدالناصر ان اي عدوان على العراق هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة وانه مستعد للقتال في سبيل حماية الثورة في العراق، ويضع كل امكانياته تحت تصرف رجال الثورة في العراق، ويضع كل امكانياته تحت تصرف رجال الثورة في العراق (٦٣). وجاء ذلك ردا على الموقف التركي العدائي لكل من العراق والجمهورية العربية المتحدة اثر قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، فقد قامت تركيا بتحشيد قواتها العسكرية على الحدود السورية والعراقية، واعلن رسميا في تركيا بان مناورات كبيرة تجريها القوات المسلحة التركية، وحدثت بعض الاصطدامات على الحدود السورية التركية، وكانت الطائرات الحربية التركية تخرق الاجواء الاقليمية السورية عدة مرات، وتوافقت هذه الاجراءات مع الضغوط التي كان يتعرض لها العراق والجمهورية العربية المتحدة، وغيرهما من الاقطار العربية من قبل الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية (٦٤).

فيه، تكررت محاولات تركيا ودول حلف بغداد لمهاجمة الجمهورية العربية المتحدة، واتهم الرئيس جمال عبدالناصر بانه فرض هذه الوحدة على سوريا ويريد فرضها الآن على لبنان. وقالت صحيفة (جمهورية) التركية تحت عنوان (الشرق الاوسط والغرب) «اذا اردنا ان لانمسح الشرق الاوسط من خارطة المدينة الغربية يجب ان نرجع السكينة والطمأنينة الى لبنان...» (٥٥).

وقد نفى الرئيس عبدالناصر الادعاء القائل بانه يريد فرض الوحدة على لبنان فقال انه يسعى لان يظل لبنان بلدا حرا مستقلا، وان جل ما يطلبه هو ان لا يكون لبنان مركزا للمؤامرات الاجنبية التي تحاك ضد الجمهورية العربية المتحدة (٥٦). وشرعت دول حلف بغداد بمساعدة الرئيس اللبناني كميل شمعون لتنفيذ اعمال عدائية ضد الجمهورية العربية المتحدة واتفق على تنفيذها في حزيران ١٩٥٨ لكنها اجلت اثر النصيحة التي تلقاها من الحكومة البريطانية بعد وصول مراقبي الامم المتحدة الى لبنان (٥٧).

وللوقوف بوجه تزايد المخاطر الناجمة عن قيام الوحدة السورية المصرية على المصالح الغربية في المنطقة العربية، عملت هذه القوى على عزل الجمهورية العربية المتحدة ومهاجمتها من كافة المحاور، فاخذت تركيا تهدد سوريا، وبدأت دول حلف بغداد تنشر الدعايات ضدها، وتحدثت وسائل الاعلام الغربية عن قرب قيام معركة جديدة في المنطقة العربية، ورافق هذه الحملات تصريح لرئيس الوزراء التركي عدنان مندريس في خطاب القاها امام مؤتمر الحزب الديمقراطي الحاكم في مدينة (ازمير) جاء فيه «ان الدول التي تكون ضعيفة من مولدها وتأسيسها ضعيفة في سياستها الداخلية، غير مستقرة، وهي الميدان الذي يختار فيه ويفضله الجانب المقابل، ولذلك اضطرت سوريا الى التوضيح باستقلالها والاتحاق بدولة اخرى، وانها كذلك يمكن ان تعتبر الآن فاقدة لشخصيتها المستقلة» (٥٩).

لقد استمر التنسيق بين المسؤولين في تركيا والعراق للقيام بعمل مضاد ضد دولة الوحدة، ويذكر في هذا المجال ان رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد سافر الى بريطانيا بعد ان اجري مشاورات سريعة حول الموضوع الانف الذكر مع رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس، وعرض على المسؤولين البريطانيين اقتراحا يتضمن تدخل تركيا وعراقيا بارسال قواتهما الى سوريا، على ان تنزل قوات بريطانية في الاردن واخرى امريكية في لبنان، وبذلك تتم مهاجمة سوريا من كافة المحاور والاتجاهات، وتقطع من جسم الجمهورية العربية المتحدة، على ان يعقب ذلك في مرحلة لاحقة مهاجمة مصر واسقاط حكم الرئيس جمال عبدالناصر. وقد حددت تفاصيل هذه الخطة بان تقوم (اسرائيل) اولا بتهديد حدود سوريا فتضطر الاخيرة لحشد قواتها على حدود الاردن لمجابهة التهديد (الاسرائيلي) فيؤخذ ذلك الحشد حجة لكي يحشد العراق قواته على حدود سوريا دفاعا عن

## تركيا والدول الغربية

وبفعل عوامل ذاتية وموضوعية احاطت بتجربة الوحدة السورية المصرية، فضلا عن الضغوط الاستعمارية المشار لها سابقا، انتهت هذه التجربة بحدوث الانفصال في ٢٨ ايلول ١٩٦١. وقد اعربت تركيا عن فرحها واغتنابها بهذا الحدث (٦٩) وكانت تركيا احدى الدول الخمس التي سارعت بالاعتراف بحكومة الانفصال السورية (٧٠).

وقد هاجم الرئيس جمال عبدالناصر هذه الدول، ووصف الحكومة التركية التي اقدمت على الاعتراف بحكومة الانفصال بانها «حكومة عسكرية فاشية» (٧١).

واتجهت تركيا لاقامة علاقات ودية مع حكومة الانفصال في سوريا بعد اعترافها الفوري بها، وقد أدت هذه الخطوة الى المزيد من التدهور في العلاقات المصرية التركية، فضلا عن قطع العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وانقرة، والتي لم تعد بصورة كاملة حتى عام ١٩٦٥.

ولقد بقيت سياسة تركيا تتركز في قطع الطريق على الحكومات المتعاقبة في سوريا من الدعوة الى او تشكيل وحدة او اتحاد مع اي قطر عربي بعد ان اخفقت محاولة الوحدة بين سوريا ومصر.

## خلاصة واستنتاجات عامة

في ضوء ما تقدم يتبين لنا ان الموقف التركي ازاء قيام الوحدة السورية المصرية قد اتصف بالعداء والسلبية تجاه هذه الخطوة، وباتى هذا الموقف انسجاما مع طموحات حكومة تركيا ومصالحها في استعادة النفوذ التركي في المنطقة العربية، وتحقيق مطامعها الاقليمية فيها، ولاسيما في الاراضى السورية التي ابتدأت بالاستحواذ على لواء الاسكندرون عام ١٩٢٩ تحت المظلة الغربية التي تريد الابقاء على واقع التجزئة القومية في الوطن العربي للابقاء على نفوذها ووجودها.

وقد اتخذت المواقف التركية العدائية تجاه الوحدة السورية المصرية اشكالا وصيغا متعددة. ولكنها تلتقى على هدف واحد وهو هدم هذه الوحدة والقضاء عليها سواء بالوسائل المباشرة او غير المباشرة بالاتفاق والتنسيق مع حكومة العهد الملكي في العراق التي كانت بدورها تحاول الهيمنة على سوريا وادخالها في حلف بغداد.

ولم تتورع تركيا حتى من استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق اهدافها تلك في مناسبات مختلفة بايحاء ودعم من القوى الغربية، جاعلة من نفسها صاحبة النفوذ الاقوى في منطقة الشرق الاوسط.

ولكن رغم هذه المواقف العدائية التي اتخذتها تركيا تجاه الوحدة والمتناسقة مع مواقف القوى الغربية المعادية للوحدة، فان سقوط تجربة الوحدة السورية المصرية لم تكن بفعل العوامل والضغوط الخارجية بقدر ما كانت بفعل العوامل والضغوط الداخلية التي تسببت في فشلها والقضاء عليها.

ولقد جرت لقاءات مبكرة بين قادة الثورة في العراق مع قادة الجمهورية العربية منذ الايام الاولى للثورة، حيث وصل الى دمشق في ١٥ تموز ١٩٥٨ مبعوث لحكومة الثورة في العراق للاتصال بالمسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة لشرح اهداف الثورة وطلب دعمهم للعراق ماديا ومعنويا بصورة عاجلة (٦٥). وتم عقد اتفاقية دفاعية بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة وقعت بدمشق في ١٩ تموز ١٩٥٨ (٦٦)، التي اثارت عدم رضا واستياء تركيا، فقد عبرت صحيفة (حريت) التركية الناطقة بلسان الحزب الحاكم عن ذلك بقولها «لقد استعجلت الحكومة العراقية بتوقيع اتفاقية التعاون المتبادل مع الرئيس المصري جمال عبدالناصر والاتصال به» (٦٧).

ان اكثر ما كانت تخشاه الدوائر الاستعمارية الغربية من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق هو قضية انضمام الجمهورية العراقية الى الجمهورية العربية المتحدة ضمن صيغة وحدة ثلاثية تجمع الاقطار العربية الثلاث، مصر وسوريا والعراق، في دولة واحدة والتي اذا ما تمت فانها ستقلب موازين القوى في المنطقة العربية، وتضرب المصالح الغربية والصهيونية في الصميم، وتهدد بزوال وجودهما في المنطقة العربية، وهذا ما يفسر اسراع الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بانزال قواتهما الفورية في لبنان والاردن. وتحشيد تركيا لقواتها العسكرية على حدود العراق واستعدادها للدخول في الاراضى العراقية للحيولة دون حدوث ذلك، فهذه القوى كانت تخشى من قيام حكومة الثورة في العراق بخطوة تقرر فيها الخروج من حلف بغداد. فضلا عن اضافة دعم واسناد كبيرين للجمهورية العربية المتحدة في حالة انضمام العراق اليها بنقله السياسى والاقتصادى والعسكرى والبشرى الامر الذى يضر بالمصالح التركية في المنطقة. وقد تحدثت صحيفة (حريت) التركية عن ذلك بمرارة قائلة «انه من المستبعد ان تنتمى حكومة العراق الجديدة الى اى تنظيم دفاعى انشئ ضد الشيوعيين واعوانهم الناصريين، وان اعوان عبدالناصر عجزوا عن القيام بشئ الى الآن، ولكن لا يمكن التنبؤ بما سيتم في المستقبل» (٦٨).

ولكن عندما اطمأنت القوى الغربية وتركيا الى ان اللقاء بين العراق والجمهورية العربية المتحدة اصبح مستبعدا نظرا للخلافات التي نشأت بين الحكومة العراقية وحكومة الجمهورية العربية المتحدة عدلت تركيا عن خطتها بغزو اراضى العراق. وانسحبت القوات الامريكية من لبنان في ٢٥ تشرين الاول ١٩٥٨، والقوات البريطانية من الاردن في ٢٢ تشرين الثانى من العام نفسه.

ومنذ ذلك التاريخ عملت تركيا على تحسين علاقاتها مع حكومة العراق لاسباب عديدة من بينها ان رئيس الوزراء العراقى عبدالكريم قاسم قد احبط المحاولات التي كان تحرى لصمد العراق الى الوحدة السورية المصرية، وذلك يتفق مع مصـ





التصويقي، بعد ان أصبحت اليه كل من بيرس واثيوبيا كامله خطوات اقامته فد بدأت فتن العدوس الثلاث  
على مصر عام ١٩٥٦ وتم الاسراع بتعيينه بعد فشل العدوس الثلاث وفيام الجمهورية العربية المتحدة  
انظر مجلة الوطن العربي نقلا عن كتاب (سيرة من عمر بور) تأليف ميكانيل من زدهدر العدد ١٠٧ و  
٨٣ آذار ١٩٧٩

Vah: op cit p. 302.(٦٩)

(٧٠) حاكوي المصدر السابق ص ٨٩

(٧١) اغرقت حكومة الانفصال في سورب كل من الاردن وفرموزا وتركيا وانزرو وعواليها لا اسير  
عبدالكريم وهراالدين، مذكراتي عن فترة الانفصال في سورب ما بين ٢٨ ديلون ١٩٦١ و ٨ اذار ١٩٦٣  
دار الاتحاد للطباعة والنشر ط٧/ ميروت ١٩٦٨ ص ٢٦

(٦٦) صحيفة الجمهورية، بغداد في ٣٠ تموز ١٩٥٨

(٦٧) وزارة الخارجية العراقية ص ٢٢٣٦/٢٢٣٦/١٠ كتاب من اسعارة العراقية في انقرة الى وزارة  
الخارجية، بغداد في ١٥ ايلور ١٩٥٨

(٦٨) وزارة الخارجية العراقية ش/٢٢٣٦/٢٢٣٦/١ كتاب من السعارة العراقية في انقرة الى وزارة  
الخارجية بغداد في ٢٢ تشوين لاول ١٩٥٨

ونتيجة خشية الحكومة التركية من نتائج قيام العهد الجديد في العراق واستغراب الذي حصل من  
الحكومة العراقية الجديدة، وبين كل من الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي فقد وقعت حكومة  
منذريس وبشكل سري اتفاقا مع الكيان الصهيوني يقوم على ايجاد حلف دول يكون في مقدوره الوقوف في  
وجه التطورات التي احدثتها ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقد تطور هذا الاتفاق الى حلف وضعه ب (الحلف



# العرافى والغزو القره قوينلو في القرن الخامس عشر الميلادي

على شاكر على  
كلية الآداب - قسم التاريخ

## المقدمة

على الرغم من ظهور العديد من الدراسات حول تاريخ العراق الحديث إلا أن الحقبة التاريخية الواقعة بين الغزو المغولي للعراق ١٢٥٨م والغزو الصفوي ١٥٠٨م، ما يزال يكتنفها الكثير من الغموض والابهام. من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي ينشد تسليط الضوء على دولة القره قوينلو التي حكمت العراق من ١٤١١ - ١٤٧٠م، وهي فترة اتسمت بالفوضى السياسية والاضطراب، فانعكس ذلك على حالة البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وبما أن تسليط الضوء على هذه الحقبة التاريخية من شأنه أن يعمق التصور حول التطورات اللاحقة، ويفسر عوامل الانكفاء التي تعرضت لها البلاد، ويوضح مظاهرها بصورة جلية، لذا فإن هذه الدراسة ترجو أن تكون قد وفقت في الوصول إلى تحقيق بعض من هذه الغاية.. والله الموفق.

## ١ - نشأة امارة القره قوينلو :

كانت القره قوينلو من القبائل التركمانية التي استقرت في جهات اربيجان وسيواس (١)، في زمن الایلخان المغولي ارغون (١٢٨٤ - ١٢٩٢) (٢)، وكانت الظروف السياسية حيث الصراع بين الجلائريين والتموريين، وما نجم عنه من غزوات مدمرة قادها تيمورلنك الاخرج الى بلاد فارس والعراق قد وفرت المناخ الملائم لاقامة كيان سياسي لها في جنوب شرق الاناضول على تخوم الدولة المملوكية ومملكة طرابزون المسيحية في جهات ارمينيا والبحر الاسود. وقد استغلت الاوضاع السياسية المضطربة بسبب هجمات تيمورلنك للتوسع في المناطق المجاورة، واضعة امكانيتها البشرية في خدمة الجلائريين الذين عانوا كثيرا من الغزو التيموري (٣).

تشير المصادر التاريخية الى أن عشيرة بهارلو، وهي بطن من قبيلة القره قوينلو اشتهرت بصرامة رجالها وشدة بأسهم، وتولى رؤسائها الزعامة بين القره قوينلو. وكان بيرام خواجه اول امراء القره قوينلو الذي نجح في توسيع حدود امارته بحكم اتصاله بالسلطان معز الدين اويس الجلائري، ووضع خدماته تحت تصرفه سنة ١٣٧٣ م. ثم اتيج له ضم سنجار والموصل بعد وفاة السلطان اويس سنة ١٣٧٤م (٤).

وقد استمر القره قوينلو في تقديم خدماتهم للجلائريين في عهد السلطان احمد الجلائري الذي كان بأمر الحاجة الى قوتهم، وذلك لاستخدامهم في مواجهة التيموريين ومعالجة الاوضاع المضطربة في بغداد وتشير المصادر الى أن السلطان احمد الجلائري عهد الى

امير القره قوينلو الجديد قره محمد بن بيرام خواجه الذي اعتلى عرش الامارة منذ سنة ١٣٧٨ ليتولى القضاء على تمرد حاكم بغداد الشيخ علي يار فكر له ما اراد وذلك في سنة ١٣٨٦ م (٥). وقد دفع قره محمد حياته ثمنا لتبعية الدولة الجلائرية، ففي اثناء احتدام الصراع بين الجلائريين والتموريين خلال السنوات ١٣٩٣ - ١٤٠٢م قتل قره محمد اثناء معركة جرت قرب تبريز سنة ١٣٨٩ (٦) غير أن موقف القره قوينلو من الجلائريين لم يتغير إذ استمر الامير الجديد قره يوسف بن قره محمد في مساندة السلطان احمد الجلائري ضد التيموريين حتى زوال الخطر التيموري.

ولم تعد امارة القره قوينلو الفائزة من هذه التبعية إذ ان دائرة تحركها ونشاطها العسكري امتدت لتشمل اجزاء مهمة من المناطق الخاضعة لنفوذ الدولة الجلائرية حتى أنه عند مقتل تيمورلنك وعودة السلطان احمد الجلائري الى بغداد سنة ١٤٠٥ م (٧) كانت حدود امارة القره قوينلو قد اتسعت لتشمل اراض تمتد من اذربيجان الى ماردين والموصل، الامر الذي دفع السلطان احمد الجلائري الى التفكير في تقليص نفوذهم خاصة وان الظروف السياسية الجديدة التي اعقبت مصرع تيمورلنك قد حكمت على الدولة التيمورية بالزوال وجعلت السلطان احمد الجلائري لايعبأ بالقوى العسكرية التي كانت تعدد بها امارة القره قوينلو كما ان السلطان احمد الجلائري كان يخشى من أن يتطور نفوذ القره قوينلو فيهدد مركزه في العراق ويؤذن بنهاية الحكم الجلائري. وهكذا شن السلطان احمد الجلائري هجوما على القره قوينلو في جهات اذربيجان، غير أن قره يوسف وجموع القره قوينلو تمكنوا من الحاق الهزيمة بالسلطان وجيشه. وقد أسر السلطان نفسه مع عدد كبير من قادته واتباعه، فأمر قره يوسف بقتله لتكره ونسيانه الجميل الذي اساءه القره قوينلو اثناء الغزو التيموري للدولة الجلائرية ثم الحق به من تبقى من قادته واتباعه فذاقوا جميعا طعم الردى. وكان ذلك في سنة ١٤١٠م (٨). فالت الى القره قوينلو ممتلكات الجلائريين في جهات اذربيجان واهمها تبريز والسلطانية (٩).

## ٢ - بغداد في مرحلة الانتقال :

كانت بغداد في عهد السلطان احمد الجلائري في وضع سياسي لا يحسد عليه، وعند مقتل السلطان احمد الجلائري ألت حكومتها الجلائرية الى صبي يعرف بشاه محمود بن شاه ولد وهو حفيد السلطان اويس الجلائري (١٠). وكانت زوجة والده دودو خاتون (١١) صاحبة العقد والجل في بغداد. وكان حل اهتمامها هو حماية

العرش الجلائري والتشبيث في حكم بغداد ما استطاعت الى ذلك سبيلا، مع الاحتفاظ بسهم آخر في جعلتها تستثمره للاقلات والهرب اذا ضاقت بها الاعور او ادركها خطر السبي على يد اعدائها القره قوينلو.

وقد تفتت مخيلتها عن خطة لا تخلو من الطرافة والبراعة في أن واحد إذ اوغزت الى احد الامراء المنقادين لها وهو بخشايش ليتولى حكومة بغداد موعزة له الترويج الى أن السلطان احمد الجلائري - وكانت الاشاعات تدور حول هزيمته ومقتله - مختبئ في بغداد وأنه سوف يظهر بعد حين (١١ ب).

ويبدو أن الترويج لفكرة اختفاء السلطان في بغداد كانت تجد اذنا صاغية من قبل بعض السكان، اذا علمنا ان السلطان احمد احتفى مرات عديدة ثم ظهر فجأة.

والطريف ان سكان بغداد انقسموا في وسط هذا الجو المشحون بالقلق والاضطراب بين مصدق ومكذب لفكرة بقاء السلطان حيا بينما كانت حملة الشاه محمد بن قره يوسف في طريقها الى بغداد، طلب بخشايش من دوندو خاتون ان تزوجه ابنتها (١٢). ويبدو ان بخشايش الذي وجد في هذه الظروف فرصة سانحة للاستئثار بعرش السلطنة عن طريق الزواج بأميرة ساحرة الجمال. اراد ان يضمن ابقاء دوندو خاتون بجانبه حتى الفصل الاخير من اللعبة التي خطط لها سويا. ولم يكن امام دوندو خاتون التي احيطت علما باقتراب الحملة من بغداد غير التظاهر بالموافقة.

لقد امرت دوندو خاتون باقامة حفلة عرس كبيرة في قلندرخانه (١٣) امعانا منها في تضليل بخشايش بحجة اصفاء بركة المشايخ والصوفية ممن اقاموا في هذا المكان المبارك، على هذا الزواج، وفي ليلة الزفاف امرت دوندو باغتيال بخشايش (٢٤).

بعد ان دبرت دوندو خاتون اغتيال بخشايش بدت تعد العدة للهروب من بغداد، ولان اقتراب حملة الشاه محمد واستمرار اختفاء السلطان احمد يمكن ان يؤدي الى حدوث الاضطرابات في بغداد ويحولا دون خروجها وعائلتها واموالها. لذا عمدت الى اسناد الحكومة الى احد وجهاء بغداد ليتولى تأكيد الاشاعة السابقة حول اختفاء السلطان واقتراب ظهوره.

ويبدو ان عبدالرحيم بن الملاح الحاكم الجديد لبغداد الذي شعر بالزهو لاستلامه مقاليد الحكومة، انطلت عليه لعبة دوندو خاتون. فصار يروج بحماس لفكرة اختفاء السلطان. بل ان ابن حجر العسقلاني يقول «انه شاع بين الناس ان عبدالرحيم شاهد السلطان في المنام وهو راكب على فرسه ووعده بالخروج في النهار» (١٥)، وهكذا صدرت الاوامر بتزيين بغداد اجمل زينة على شرف خروج السلطان احمد من المكان الذي يختبئ فيه. وبينما كان البغداديون منهمكين في تزيين بغداد انسلت دوندو خاتون ليلا مع افراد اسرتها واموالها من بغداد واتجهت بسفينة الى واسط ومنها الى تستر متجنبة الوقوع بيد القره قوينلو الذين دخلوا بعد بضعة ايام بغداد (١٦١١ م/ ٥ محرم ٨١٤ هـ) (١٦). وبذلك كانت خاتمة هذا الفصل الطريف المتبقى من قصة الحكم الجلائري في بغداد.

### ٣ - الحكام التركمان القره قوينلو في العراق :

بعد هروب دوندو خاتون من بغداد وزوال الحكم الجلائري.

اصبح الشاه محمد بن قره يوسف التركماني حاكما فيها، وقام هذا بدوره بتوزيع المناصب لاقربائه في اهم المدن العراقية على شكل اقطاعيات استغلال «اولكة» (١٧).

اسقط في يد الشاه محمد بن قره يوسف بعد ان دخل بغدا ووجد ان دوندو خاتون قد رحلت مع كنوزها من المدينة، وتبد مشاعر المرارة لدى الحاكم القره قوينلو الجديد ازاء ما حصل. بغداد واضحة في سلوكه ازاء الجماعة التي اشاعت فكرة بقاء السلطان احمد حيا، وزعمت باختفائه وقرب ظهوره. لقد طلب قائه باسمائهم كادت ان تستوعب معظم وجهاء بغداد الامر الذي جعل الشاه محمد يتردد في معاقبتهم جميعا واخيرا اكتفى بقتل الشيع احمد السهروردي باعتباره على رأس المروجين لتلك الاشاعة (١٨) تدهور الوضع السياسي في العراق، بعد احتلال الشاه محمد بن قره يوسف بغداد ذلك لان سلطة القره قوينلو لم تكن لتشمل بعض المراكز المهمة، حيث يعبر النفوذ القره قوينلو فيها عن اهمية الاقتصادية، او دخولها ضمن دائرة النفوذ القره قوينلو التي كانت تمتد في المنطقة الواقعة بين ديار - بغداد - تبريز.

وتشير المصادر التاريخية الى تعيين حكام على مدن كركوك والموصل، وداقوق والدجيل، اما باقي انحاء العراق فانها ظلت ايدى حكامها المحليين او بيد حكام من الاسرة الجلائرية السابقة وقدنازع هؤلاء جميعا سلطة القره قوينلو حتى انه بالوسع وصف عهد القره قوينلو بانه عهد صراع ومناغسة بينهم وبين مراكز القوة هذه.

ففي مدينة حديثة الواقعة في اعالي الفرات كان الشيخ حارث الطائي يتولى امورها بالرغم من تظاهره بالولاء لسلطة القره قوينلو بينما كانت الحلة وهي اهم مدن الفرات الاوسط خاضعة لسلط الجلائريين، مشكلة بذلك مصدر تهديد مستمر للحكام القره قوينلو في بغداد. كما كانت مدينة واسط الواقعة جنوب بغداد في جهة نه دجلة مركزا آخر من مراكز الاسرة الجلائرية. وقد استمدت شأنه شأن مدينة الحلة اسباب صمودها بوجه القره قوينلو من مساعدات الحكام الجلائريين والتميموريين في عربستان وفارس.

تشير بعض المصادر الى ان الشاه محمد، اعفى ارباب الخراج من الدفع لمدة سبع سنوات (١٩). ويبدو ان هذا الاجراء اتخذ من اجل تطمينهم بعد الفوضى والاضطراب التي رافقت الغزو التيموري والصراع الجلائري - القره قوينلو. وبرايها ان ذلك لا يمنع من قيام الحكام التركمان باستيفاء ما يريدونه من ضرائب او خراج بعد تحقيق عمران ما يمكن عمرانهم من الاراضي. وفي الوقت الذي يقرر الحكام التركمان ولعل ما يعزز هذا الرأي هو قيام الشاه قره يوسف اصير القره قوينلو بمغادرة العاصمة تبريز متوجها الى بغداد في سنة ١٤١٨ م/ ٨٢١ هـ (٢٠) أي بعد مرور سبع سنوات على دخول ولد الشاه محمد مدينة بغداد ومحاصرتها للمدينة ثم جرد سجلاته وحسابات حكومة بغداد واستيفاء ما بذمتها من اموال، كان الشاه محمد قد راوغ في دفعها منذ سنة ١٤١١ م/ ٨١٤ هـ (٢٠).

والملاحظ ان مدينتي بغداد وتبريز كانتا تمثلان اهم المراكز السياسية والاقتصادية في دولة القره قوينلو، بدليل انه بعد وفاة الشاه قره يوسف ١٤٢٠/ ٨٢٢ هـ (٢١) انفجر صراع عائلي بين

افراد اسيرة القره قوينلو الحاكمة من اجل السيطرة على كل من بغداد وتبريز. فقد توجه اسكندر بن قره يوسف حاكم كرخيني (كركون) نحو تبريز بينما تحركت كل من اسبان وجهانشاه نحو بغداد. وبقدر تعلق الامر بمدينة بغداد فقد تمكن اسبان خلال الاربعة سنوات التي تلت وفاة الشاه قره يوسف من بسط نفوذه على العديد من المراكز الزراعية التي كانت تمول بغداد وهي الدجيل وحري والخالص. كما قطع الطريق الذي يربط بغداد بفارس لمنع شقيقه الشاه محمد من الاتصال بامراء القره قوينلو في بلاد فارس. واخيرا قرر اسبان دخول بغداد بطريقة، يضمن فيها القبض على شقيقه ومصادرة امواله، ولذلك فقد تظاهر بالتوجه نحو الحلة، لمحاربة بقايا الاسرة الجلانية، فتمكن من دخولها بعد استسلام حكامها الجلانيين ثم توجه نحو واسط متظاهرا برغبته في فرض السيطرة على منطقة الجلائر (الحمار) ولكنه عاد ادراجه سرا الى النعمانية ومنها الى الحائض واخيرا تسلم مع ثلثة من جنده الى بغداد عبر الباب الوسطاني ولكن محاولته للقبض على الشاه محمد باءت بالفشل، فقد تمكن الشاه محمد الذي اطلق سيقانه للريح هو وولده الشاه بوداق، من مغادرة قصره متوجها الى الكاظمية ومنها فر الى الحديثة حيث وقع دخيلا عند اميرها الشيخ حارث الطائي الذي تلقاه «بالاعزاز والاكرام» على حد قول الغياتي ومكنه من حكومة الموصل (٢٢١).

اما اسبان فقد أصبح حاكما على بغداد منذ سنة ١٤٣٢م/ ٨٣٦ هـ حتى وفاته ١٤٤٥م/ ٨٤٨ هـ (٢٣) حين تجدد النزاع ثانية بين الامراء التركمان في بغداد. وقد آلت حكومتها في النهاية الى جهانشاه شقيق اسبان الذي آلت له ايضا مدينة تبريز بعد ان انتزعها من شقيقه اسكندر حاصر جهانشاه مدينة بغداد مدة ستة اشهر خلال سنة ١٤٤٧م/ ٨٥٠ هـ (٢٤)، فاستسلمت له، ليتعاقب على حكمها ولداه محمدى ميرزا (١٤٤٧م/ ٨٥٠ هـ - ١٤٤٩م/ ٨٥٢ هـ)، وبير بوداق (١٤٤٩م/ ٨٥٢ هـ - ١٤٦٧م/ ٨٧٠ هـ).

#### ٤ - حاكم بغداد بير بوداق يتمرّد على سلطة والده جهانشاه :

على الرغم من اسناد جهانشاه حكومة بغداد الى ولده بير بوداق سنة ١٤٤٩م الا ان طموح بير بوداق لم يسيطرته على اجزاء اخرى من ممتلكات القره قوينلو دفعته للاغارة على مناطق تعتبر اداريا من اثرة نفوذ امراء آخرين من عائلة القره قوينلو (٢٥). كما انه لم يتوان عن الزحف الى تبريز منتهزا فرصة غياب ابيه جهانشاه عنها وانشغاله في بلاد الكرج، وذلك خوفا من ان تقع بيد غيره اذا ما طرأ حادث لوالده. ولكنه عاد ادراجه الى بغداد بعد عودة جهانشاه معتذرا بخوفه من سيطرة امراء القره قوينلو عليها. وقد اضطر جهانشاه الى قبول هذا العذر على مضض منه والملاحظ ايضا ان بير بوداق كان يتطلع دائما نحو شيراز. وتذكر بعض المصادر، ان «حلامه في السيطرة على شيراز كانت تراود مخه»، لذا فانه عمل ما في وسعه من اجل مساومة والده وحثه لضمها الى دائرة نفوذه. وقد تشعبته على ذلك طلبات ابيه المتكررة لتعزير نفوذ القره

قوينلو في فارس. ففي سنة ١٤٥٢م/ ٨٥٥ هـ كان بير بوداق بفوذ حملة من اجل الاستيلاء على نستر (شوشتر) من اجل ضمها الى الدولة القره قوينلوية بعد وفاة سلطانها محمد بن بايسنقر التيموري (٢٦) فكان له ما اراد. وفي سنة ١٤٤٥م/ ٨٥٧ هـ كان بير بوداق على رأس حملة جنبا الى جنب مع ابيه جهانشاه للمساعدة في اعادة اصفهان الى حظيرة الدولة القره قوينلوية كما كان في سنة ١٤٦٠م/ ٨٦٣ هـ على رأس حملة ثالثة لقمع عصيان تان في مدينة اصفهان (٢٧).

يبدو ان جهانشاه اقتنع في النهاية بضرورة مكافئة بير بوداق الا انه كان يخشى من تعاظم نفوذ ولده بحيث ينتهي به الامر الى السيطرة على تبريز نفسها، فعرض على ابنه حكم شيراز - بعد ان آلت اليه مدينة شيراز - والتخل عن بغداد ولكن بير بوداق كان يطمح بالاثين معا فتجاهل عرض ابيه مفضلا حكم بغداد على شيراز ولعل السبب في ذلك هو ان بغداد البعيدة نسبيا عن مركز القره قوينلوية (تبريز) كانت في وضع استراتيجي افضل من شيراز.

لاشك ان سياسة جهانشاه هذه، تركت اثارا سيئة لدى بير بوداق لذلك نرى ان الاخير يعمد الى جمع ارباب الحرف والصناعات في مدينة شيراز فيلحقهم بركبه ثم يسرع الخطى نحو مدينة بغداد خشية وصول امير جديد عليها. فلما وصلها سنة ١٤٦٣م/ ٨٦٣ هـ عمل على قطع الاموال عن ابيه مدة ثلاث سنوات على التوالي. الامر الذي ادى الى نشوب الحرب بينهما. فقد توجه جهانشاه الى بغداد ووصلها ١٤٦٦م/ ٨٦٩ هـ وفرض عليها الحصار والطريف ان جهانشاه كتب الى ابنه قائلا جنك ماذا تفعل ؟ (٢٨)

تسرع بير بوداق بان حكمه شارف على الزوال، ولذلك قرر التشبث والمقاومة حتى النهاية. اما جهانشاه فانه لم يكن امامه بد من القضاء على بير بوداق الذي اجبره على قيادة حملة توجه خلالها من تبريز الى بغداد ومهما يكن من امر. فقد كان الحصار شديدا على اهالي بغداد الذين لاقوا الامرين من غت وعناد المتقاتلين. وشهدت المدينة مجاعة مخيفة اضطرت الكثير من السكان الى ترك المدينة واللجوء الى معسكر جهانشاه مجازفين بحياتهم بالرغم من العقوبات الصارمة التي كان بير بوداق يوقعها بالفارين او بذويهم واخيرا استسلم بير بوداق وطلب الامان. وهكذا فتحت ابواب بغداد ١٤٦٧م/ ٨٧٠ هـ غير ان بير بوداق لقي حتفه على يد اخيه محمد ميرزا (٢٩).

وقد آلت حكومة بغداد الى الامير محمد التواجي الذي اشترك في قتل بير بوداق وحكمها مدة ثلاث سنوات (١٤٦٧ - ١٤٧٠) ثم زولاها من بعده الامير حسين علي بن زينل القره قوينلو مدة سنة واحدة ٨٧٤ هـ واخيرا تولاه شقيقه الشاه محصور بن زينل قرابة شهرين الذي بمقتله (٣٠) انقرض الحكم القره قوينلو في العراق لبيدا عهد اماراة تركمانية جديدة هي ادوة الاق قوينلوية

#### ٥ - الانحلال السياسي وأثره الاجتماعي :

دام حكم القره قوينلو في العراق قرابة ستين سنة كانت البلاد خلالها مسرحا للتطاحن بين الامراء المتناحسين من الاسرة الحاكمة

القره قوينلو، وقد ترك هذا التلاحن حالة مريضة من الفوضى والاضطراب، كان من مظاهرها البارزة اعمال التخريب والفتك بالسكان وكذلك نهب المدن وانتشار الامراض والابوة وحدوث المجاعات. وسنحاول القاء ما تيسر من اضواء على مظاهر الفوضى تلك.

**٦ - أعمال التخريب والفتك بالسكان :**

لما كانت سلطة الحكام القره قوينلو تتركز في داخل المدن، وهي في الغالب لاتتعدى اسوارها، لذلك كان سكان تلك المدن هدفا لاية حملة عسكرية، اذ كان الالف يقضون نحبهم اثناء الحصار او عند اقتحام المدينة من قبل العساكر المهاجمة. ففي اثناء حصار مدينة اربيل ١٤٣٥م/ ٨٢٩ هـ الذي استمر اكثر من عام بقيادة اسبان شقيق جهانشاه بن قره يوسف، مات عدد كبير من الناس نتيجة تسميمهم بمياه الشرب، ذلك لان اسبان الذي عجز عن اقتحام قلعة المدينة عمد الى رمي السم في ابارها. وهكذا كما يقول الغياثي «وقع الموت فيهم وازرقت جلودهم وننتت افواههم» (٢١). وقد استمرت اثار هذا العمل الذي قام به اسبان فترة طويلة، ويشير الغياثي الى ذلك فيقول «وكان اذا مرض منهم شخص قيل انما هو من طول مدة الحصار» (٢٢). ويبدو ان اسباب الموت تعددت، فمن الناس من قتله الظما ومنهم من ظهرت عليه اثار التسمم فيما بعد بسبب تسمم الحيوانات والمزروعات.

وفي سنة ١٤٤٦م/ ٨٥٠ هـ وضع جهانشاه السيف في اهالي بغداد حتى وصفت المصادر عمله بأنه كان لا يقل وحشية عن اعمال تيمورلنك (٢٣). كما تعرض الالف من سكان بغداد للموت والتجويع اثناء حصار جهانشاه لمدينة بغداد ١٤٦٩م/ ٨٦٦ هـ ويذكر ان بير بوداق بن جهانشاه الذي اعتصم في مدينة بغداد اثناء حصارها المذكور، قد عامل البغداديين، بمنتهى القسوة والوحشية، وذلك اعتقادا منه بان اجراءاته هذه ستمنع الجند والاهالي من الهرب. وكان من ضحاياه الكثير من ابناء وازواج الهاربين اللاشي - كما يقال - القى بجثثهم في نهر دجلة تشفيا وانتقاما (٢٤).

وكان دخول جهانشاه للمدينة اثر الحصار الاخير كارثة حقيقية حاقت بالمدينة المنكودة الحظ، المبتلية بهؤلاء الحكام المتعششين للدماء وفي ذلك يتحدث صاحب الديار بكربة، والمرارة تملأ فمه «اصبحت المدينة مباحة. وغدا الذبح والنهب ديدن القوم وسط عويل النساء» (٣٥).

## ب - نهب المدن :

لم يختلف القره قوينلو عن غيرهم من برابرة اسيا التتر والمغول الذين كانوا يذيعون بين عساكرهم مدة معلومة تستباح فيها المدن المفتوحة. وذلك تشجيعا لعساكرهم على اقتحام المدن المحاصرة. وهكذا كان حال المدن العراقية التي ابتليت بتنافس الامراء التركمان وسعيهم المستمر وراء تموين حملاتهم العسكرية بالمؤونة والارزاق فالشاه محمد بن قره يوسف الذي دخل بغداد ١٤١١م اجاز لعساكره نهب المدينة يوما كاملا (٣٦). وجاء في احد المصادر ان دخول اسبان الى مدينة بغداد ١٤٣٢م تسبب في خراب المدينة ونهبها حتى لم يبق من «اسواقها وجوانيتها غير حائوتين وثلاثة

## ج - انتشار الامراض والابوة :

كان انتشار الامراض والابوة نتيجة طبيعية لاحوال البلاد المتردية الناجمة عن تطاحن العساكر والفتك بالسكان واهمال السدود والقنوات وكثرة المستنقعات. ولاشك فانه في ظروف كهذه الظروف تكون الامراض المتوطنة مسألة واردة. على ان المصادر التاريخية ميزت بعض السنوات التي شهدت فيها البلاد ابوة عامة. وخاصة وباء الطاعون الذي يترد ذكره في المصادر المذكورة من قبيل طاعون ١٤١٧م/ ٨١٩ هـ الذي انتشر في معظم بلاد المشرق العربي (٤٢). وكذلك طاعون ١٤٣٠م/ ٨٣٤ هـ الذي انتشر في بلاد المشرق عامة ايضا (٤٣). والذي تشير المصادر الى انه ظل يحصد الناس حصدا حتى سنة ١٤٣١م/ ٨٣٥ هـ (٤٤). وفي سنة ١٤٣٧م/ ٨٤١ هـ تعرض العراق الى وباء عام. تمت على ما يبدو بعشرات الالف من السكان، حتى ان الغياثي وصف بغداد بعد ذلك الوباء قائلا «انه لم يبق من اهل بغداد واحد من الجملة، كما لم يبق من مدينة حديثة غير سبع انفس فقط» (٤٥). وتشير بعض المصادر الى ظهور الامراض في اعقاب فيضان سنة ١٤٣٦م/ ٨٤٠ هـ الذي اغرق اطراف البصرة ونشر مرض الملاريا على الاربع (٤٦)، وهو المرض نفسه الذي تعرضت له جند اسبان وافراد القبائل العربية القاطنة في اطراف الحوزة سنة ١٤٤٠م/ ٨٤٤ هـ على الاربع ايضا (٤٧).

## د - المجاعات والكوارث الطبيعية :

ارتبط حدوث المجاعات بظروف البلاد السياسية وخاصة ابان حوادث حصار المدن حيث تشير المصادر، الى حوادث حصار بغداد والتي سبقت الانتارة لها والتي تسببت غالبا مجاعات رهبة بين

للحيلولة دون سقوطها بيد القره قوينلو. وتشير المصادر الى ان الشيخ عذرا دخلها وعين فيها نائبا عنه لحكمها (٥٨). ولاشك فان دخول الشيخ عذرا الى مدينة الحلة كان محاولة ناجحة اخرت من سقوطها بيد القره قوينلو مدة تقارب عشر السنوات. وقد قام شقيقه الشيخ مدلاج بن علي بن نعيم بن حيار بن عيسى حديثه الطائي بمواصلة شن الهجمات ضد مراكز القره قوينلو. ولم تتوقف الغارات الا في وقت لاحق ١٤٢٩م حين نشب صراع عشائري داخل الامارة انتهى بمقتل الشيخ مدلاج بن علي على يد ابن عمه قرقماس (٥٩). الذي استعان على ما يبدو بالقره قوينلو لتثبيت سلطته على ابناء امارته.

بالنظر لتطور الاحداث وتفاقم الصراع بين الامراء القره قوينلو، فقد لعب شيوخ هذه الامارة دورا جديدا في المرحلة التالية، اذ ساندوا بعض امراء القره قوينلو ضد منافسيهم الآخرين، وفي رأينا ان هذا السلوك لا يخرج عن محاولة لرد الاعتبار للامارة، وهو يوازي بالضرورة حالة التداعي والتملق التي كان حكم القره قوينلو يعاني منها. وفي هذا السياق يمكن ان يفسر الاستقبال والحفاوة التي لقيها الشاه محمد حاكم بغداد القره قوينلو وتمكينه من حكومة الموصل ضد شقيقه اسبان والتي اضطلع بهذه المهمة الشيخ حارث بن عذرا الطائي، الذي الت اليه مقاليد المشيخة في اماره آل فضل العربية.

اما الامارة الثانية فهي الامارة المشعشعية التي جمعت تحت لوائها جمهرة من القبائل العربية مثل نيس الدوب (المعادي) وفرع من بني طيء وبني اسد وكذلك قبائل بني ليث وبني اسعد المنتشرة في أنحاء عربستان (٦٠). وهذه الامارة منسوبة الى مؤسسها محمد بن فلاح المشعشعي الذي زعم ان بدنه كان يتشعشع ويهتز عندما يطالع العلوم الغربية التي اقتبسها من شيخة احمد بن فهد الحلبي (٦١).

كان مؤسس الامارة سيد محمد بن فلاح قد بد، نشاطه السياسي والعسكري من احدى قرى الحويزة المسماة قرية (ابى الشول). فقد اشارت بعض المصادر الى ان محمد بن فلاح قام سنة ١٤٤١م/ ٨٤٥ هـ بمهاجمة الحويزة بطريقة لاتخلو من الطرافة اذ انه امر النساء ان ترتدي العمام وتسوق الجاموس خلف الرجال حتى ان حاكم الحويزة التيموري استبد به الهلع بعد مشاهدته هذا الحشد الكبير من المقاتلين وفر من المدينة بدون قتال متحصنا بفترة قصيرة في قلعتها ثم اضطر الى الهرب منها ايضا (٦٢). وهكذا اصبحت مدينة الحويزة مقرا للاسار الجديدة ومركزا شنت منها الهجمات على المناطق المجاورة. وخاصة جهات البصرة وواسط وتشير المصادر الى ازدياد قوته وتكاثر اعوانه بعد ان انقادت له قبائل بني ليث وبني حطيظ وبني اسعد وبني اسد (٦٣).

ان اتساع دائرة نفوذ الامارة المشعشعية الى جهات واسط وضعها في موضع المواجهة لحكم القره قوينلو في العراق، وهي مواجهة يمكن اعطاؤها ابعادا سياسية وقومية باعتبار حقيقة ان المواجهة تجاوزت التوافق الفكري الملحوظ بين القره قوينلو والمشعشعين.

ولاشك فان اعتماد هذه الفكرة لافتراض بالضرورة التزام

سكانها. ففي عام ١٤٣٠م/ ٨٣٤ هـ وقعت مجاعة رهيبة في مدينة الحلة اثناء حصار اسبان لها (٤٨). كما شهدت مدينة واسط مجاعة شديدة اثر محاصرة المشعشعين لها سنة ٨٥٨ هـ (٤٩). وعانت معظم القرى والمدن الواقعة شمال بغداد من الحصار والتجويع ونهب المحاصيل على يد العساكر التركمانية التي كانت تتجول خلال تلك المدن في مناسبات عديدة. وهذا ما تشير له المصادر المتوفرة والتي جاء فيها ان احد امراء جهانشاه ويدعى سلطان علي ميرزا هاجم في سنة ١٤٥٧م/ ٨٦٠ هـ مهرود وديالى ويعقوبة والمدائن فحاصرها ونهب محاصيلها (٥٠) وكانت الكوارث الطبيعية سببا من اسباب زيادة الحالة سوءا والاضاع تدهورا مسببة القحط والغلاء في البلاد. فقد كانت سنة ١٤٣١م/ ٨٣٥ هـ سنة محل وجذب، فانقطعت الغلة وساعت الاحوال وزاد بلاء بغداد المحاصرة بلاء. حتى اكل الناس الكلاب والسنابير والحمر ثم حل الجراد ليأكل آخر ما تبقى من عشب البلاد وخضارها وغلالها وارتفعت اسعار الحنطة وماتت الدواب، ويقال ان المن الواحد من لحم الضأن كان يباع بدينار ذهب وبيع لحم الكلب بستة دراهم للمن الواحد (٥١) ويبدو ان المجاعة استمرت عاما ثالثا ١٤٣٢م/ ٨٣٦ هـ اشتد خلالها البرد وهلك المواشي وتلفت الزروع والاشجار (٥٢)، كما حلت ببغداد ١٤٥٥م/ ٨٥٨ هـ كآفة جديدة بسبب تساقط الثلوج بصورة لم تعرفها البلاد من قبل. مات خلالها معظم مناحل البلاد وهلك الاشجار (٥٣) وبات الناس خائري القوى، فاغرى الاسراء.

## ٦ - القوى العربية القبلية والحكم القره قوينلو

تمثل القبائل العربية في هذه الفترة من تاريخ العراق، وكما كانت سابقا ولاحقا، احدى القوى السياسية التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ الشرق الادنى فالقبائل العربية باعتبارها مؤسسات سياسية محلية تميزت بحبها الفطري للحرية والسيادة. كانت تترنو للاستقلال دائما مواجهة بذلك تطورات الاحداث السياسية ومجرياتها، ومقاومة محاولات القوى الاجنبية لد نفوذها وتوسيع سيطرتها في البلدان والمدن العراقية.

وعلى الرغم من ان الخارطة القبائلية للعراق تظهر وجود مشيخات عديدة مثل مشيخة بني اسد في الاحواز، والمنتكف في الفرات الادنى وعنيزة في نواحي الانبار (٥٤)، وبني شيبان في جهات الموصل (٥٥)، وآل جحيش في جهات الحلة وآل جودر في جهات الحلة ايضا (٥٦)، الا انه يمكن الاشارة الى امارتين عربيتين لعبتا دورا سياسيا متميزا في تاريخ العراق خلال هذه الحقبة. الامارة الاولى هي اماره آل الفضل في الفرات الاعلى والتي كان مركزها الرحبة وتوارث مشيختها امراء ينحدرون من سلالة حديثة الطائي وتشير المصادر التاريخية الى ان شيوخها المعاصرين لعهد القره قوينلو في العراق لعبوا دورا ملحوظا في مقاومة الحكم القره قوينلو، شأنهم في ذلك شأن اسلافهم الذين قاوموا الغزو التيموري ففي سنة ١٤٢٦م/ ٨٣٦ هـ هاجم عذرا بن علي بن نعيم بن حيار بن مهنا بن عيسى حديثه الطائي مدينة الحلة التي قيل انها دخلت من حاكم ذي شوكة ومناعة (٥٧)، وذلك على ما يبدو لنا محاولة

الكوف العالم في علوم اللغة والحديث، وقد اضطر الى ترك مدرسته في جامع النعمان ببغداد والهجرة الى دمشق حيث وافاه الاجل فيها ١٤٣٥ - ٨٣٤ هـ (٧٠).

وله يكن مصداقة في هذا العهد المضطرب، ان تقتصر معلوماتنا على شاعر واحد عاش في البصرة على الرغم من جهودنا المضيئة للبحث عن رجالات الادب في هذا العصر، ويدعي هذا الشاعر عطاء ابن عبدالعزيز القحطاني البصري المشهور بابن اللوكة المتوفى سنة ٨٦٠/١٤٥٦ هـ ومن شعره

لما تبدى وقد اكبرت صورته  
بدر يحار المعنى في معانيه

وقد قلت يا لائمي في محبته

فد لكن الذي لمتني فيه (٧١)

وقد شاعت خلال هذه الحقبة اللغة الفارسية والتركية بدرجة اقل، اما اللغة العربية، فانها تدهورت كثيرا فد اختلط فيها الكثير من الكلمات الفارسية والتركية وغلبت عليها اللهجة العامية، ويقف كتاب التاريخ الغياثي لمؤلفه غياث الدين عبدالله بن فتح الله البغدادي، دليلا شاخصا على مدى تدهور اللغة العربية، وغلبة اللهجة العامية فيها. وكان الشيخ الغياثي المتوفى سنة ٨٤٩١/٨٩٦ هـ قد عاصر احداث هذه الحقبة التاريخية وهجر بغداد مع من هجرها من العلماء الى دمشق ولم يعد اليها الا بعد استقرار اوضاعها نسبيا في عهد الاتي قوينلو حيث تولى منصب كاتب ديوان الانشاء في حكومة بغداد (٧٢).

ختاما لا بد من الاشارة الى جهانشاه كواحد من الملوك الشعراء والذي خلف ديوانا باللغتين التركية والفارسية (٧٣)

### الخاتمة

بسقوط حكم القره قوينلو في العراق، تكون صدمة اخرى من تاريخ الحقبة المظلمة التي اعقبت الغزو المغولي قد انطوت، بينما بقي العراق ينافع عن شخصيته وكيانه ان تدوين احداث هذه الحقبة التاريخية، بكل ما تحمله من ويلات واضطرابات وبكل ما تعينه من عبر وعظات، ان هي الا اشارة لانسان العراق في رحلته الطويلة لتجاوز مرحلة الانكفاء والتقدم بثبات نحو المستقبل.

### الهوامش والمصادر :

- (١) اريزجان وسيواس : اريزجان وتذكر اريزكان ، مدينة كانت قديما ضمن بلاد ارمينية ، وهي الآن في الحقة الشرقية من تركيا ، اما سيواس احدى المدن التركية . ولتقع على نهر قرز ايرمي انظر كي لسفرنج . بلدان الخلافة الشرقية . ترجمة بشير «سيسيس وكوركيس عواد (مطبعة الراسلة ، بغداد - ١٩٥٤) ص ١٥٠ - ١٧٩ ، وتزعم المصادر العشمانية ان القبائل القره قوينلوية التي استقرت في هاتين المنطقتين هم من المارانية . نسبة الى باران اعد احفاد اوغور النمل الاسطوري لدى الاتراك انظر - محمود بن حسين الكاشغري - ديوان لغات الترك (دار الخلافة العلية ١٣٣٢ هـ) ج ١/ ص ١٥٦ . احمد من بلف الله المولوي صحائف الاخبار (استانبول ١٢٨٥) ج ٢/ ص ١٤٩
- (٢) ابو العباس احمد من يوسف القرمانلي - اخبار الدول واثار الاول ، (١٢٨٢ هـ) ص ٣٣٦
- (٣) عن الغزو التيموري للعراق والشام يمكن الرجوع الى - جاسم مهناوي - مسين تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام واثاره السياسية (١٣٨٥ - ١٤٠٥) المطبوعة مالهستين غير منشورة (٢٠٠٠) - اب - جامعة بغداد (١٩٧٦ م)
- (٤) صحائف الاخبار ج ٢/ ص ١٥

المشعشعين سلوكا ايجابيا ازاء المناطق التي كانوا يهاجمونها لاعتبارات تتعلق بطبيعة تلك الفترة وضراوة الصراع السياسي في المنطقة، كما ان هذا التحليل ينسحب على القره قوينلو وغيرهم من القوى السياسية ايضا.

لقد كان انفجار الصراع بين الامراء القره قوينلو في العراق دافعا قويا لامراء الامارة المشعشعية كي يهاجموا مناطق نفوذ القره قوينلو في العراق ففي سنة ٨٥٣/١٤٥٠ هـ حاصر الامير علي بن محمد بن فلاح مدينة واسط وضربها بالمنجنيق ثم دخلها واستد حكمها الى شخص يقال له دراج (٦٤) وفي سنة ٨٥٧/١٤٥٤ هـ حاصر علي بن محمد بن فلاح مدينة النجف ولم ينسحب منها الا بعد ان اجبر اهله على تسليمه قسما من كنوز مشهد الامام علي (رض) والتي تضمنت مئة وخمسين سيفا واثنى عشر قنديلا ستة منها ذهب والاخرى فضة (٦٥). ويبدو انه اراد جمع سيوف الامراء والملوك السابقين، وهو مسلك لا يخلو من السذاجة في اظهار القوة والمباهاة. اضطرت حكومة بغداد القره قوينلوية الى ارسال حملة بقيادة دوايك ضمت عساكر من بغداد والحلة. بقصد القضاء على عبي المشعشعي، الا ان الامير المشعشعي تمكن من الحاق الهزيمة بعساكر القره قوينلو التي فر الناجون منها وعلى رأسهم دوايك وبسطام بك حاكم الحلة، الى بغداد. وقد تابع الامير علي المشعشعي العساكر الهاربة حتى الحلة فذهبها ثم توجه منها الى النجف ومنها الى كربلاء مستبيحا لنفسه ما تبقى من سيوف وقناديل وانية وفرش (٦٦)

وقد ساعد استمرار اضطراب احوال البلاد الامير المشعشعي على تكرار هجماته على المدن. ففي سنة ٨٥٦/٨٥٦ هـ توجه الامير المشعشعي الى مهرد ثم هاجم بعقوبة ووصل الى البصرة. وقد نهب هذه المناطق واحرق مالم يتمكن من حمله (٦٧) بينما وقف الامراء القره قوينلو يتفرجون دون ان يواجهوه مواجهة جدية. وقد استمر نفوذ المشعشعين في عهد الامير محسن بن محمد بن فلاح ١٤٦١ - ٨٦٦/١٤٩٩ هـ حيث شملت امارتهم انحاء واسعة من عربستان وجنوب العراق وسواحل الخليج العربي (٦٨)

### ٧ - الانحطاط الثقافي :

لما كانت حقبة حكم القره قوينلو من اكثر الحقب التي شهدت بغداد اضطرابا وفوضى، فقد اصبحت الحالة الثقافية التي شهدت انتعاشا ملحوظا في اواخر العهد الجلائري انحلالا كبيرا. وكانت ابرز مظاهر ذلك الانحلال الهجرة الجماعية لعلماء بغداد ومشايخها الى الشام ومصر واليمن.

ان متابعة كتب التراجم التي اهتمت بشخصيات ورجالات هذه الحقبة والحقبة التي تلتها تظهر اصولا عراقية لكثير من اولئك العلماء والمشايع ولعل من ابرز هؤلاء العلماء هو الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي صاحب الغاموس المحيط الذي اضطر الى ترك وطنه في المدرسة النظامية ببغداد والهجرة الى اليمن سنة ٨١٧/١٤١٤ هـ حيث نصب قاضيا هناك اجلالا لعلمه واحراما لقدره (٦٩) وبذلك الغاضى تاج الدين احمد النعماني

- (٢٣) نفس المصدر السابق ص ٢٨٦
- (٢٤) حبيب السبيح ج ٤/ ص ٨٦ ، ديار بكرية ج ٢/ ص ٢٧٢
- (٢٥) ديار بكرية ج ٢/ ص ٢٧٢
- (٢٦) التاريخ العياشي ص ٢٤٧ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢/ ص ٨٣١٠
- (٢٧) مؤرخ شامي مجهول ، حوليات دمشقية ، تحقيق حسن حسني (القاهرة ١٩٦٨) ص ٤
- (٢٨) تاريخ العياشي ، ص ٢٦٤
- (٢٩) المصدر السابق ص ٢٨٢
- (٣٠) شومان عمله ايرانية ذهبية ، وقد اختلفت قيمته باختلاف الزمن والمكان ، انظر استنيس حاروي الكرسي النقود العربية وعلم المنيات (القاهرة ١٩٣٩) ص ١٧١
- (٣١) تاريخ العياشي ص ٢١٧
- (٣٢) عبي بن داود الصيرفي ، نزعة النفوس والادان في تواريخ ابرار تحقيق حسن حسني (القاهرة ١٩٧١) ج ٢/ ص ٢٩٩
- (٣٣) حوليات دمشقية ص ٦
- (٣٤) انباء القمرب بناءه العمر ج ٣ ص ٤٨١
- (٣٥) التاريخ العياشي ، ص ٢٧٠
- (٣٦) عباس الراوي تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٩٣٩) ج ٣ ص ٨٩٨
- (٣٧) تاريخ العياشي ص ٢٧٤
- (٣٨) المصدر السابق ص ٢٦٢
- (٣٩) محمد هليل الحاروي ، امرة شيعيين ، امروجة صجستير ، منشور مكتبة الادب - جامعة بغداد ١٩٧٣ ص ٦١
- (٤٠) التاريخ العياشي ، ص ٢٦١
- (٤١) حوليات دمشقية ص ٢٢
- (٤٢) ياسين خير الله العمري ، الآثار الخفية في حوادث ارضية ، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، رقم ٤٦/٤٧ ورقة ١٦١
- (٤٣) تاريخ العياشي ص ٢١٠
- (٤٤) حمد بن علي الفقيسي ، نهاية الارث في معرفة ..... حرر (بغداد ١٩٥٨) ص ٢٤٨
- (٤٥) المصدر السابق ص ٢٨٦
- (٤٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢/ ص ٢٥٨
- (٤٧) تاريخ العياشي ص ١٢٤
- (٤٨) المصدر السابق ص ١٢٦
- (٤٩) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٧٦
- (٥٠) حاسم حسن شمر تاريخ المشيعيين وتراجم اعلامهم (الطبعة ١٩٦٥) ص ٤٨
- (٥١) علي بركة اسطو ، الاحوار في ادوارها التاريخية ، الطبعة الاولى (دار المصري - بغداد ١٩٦٩) القسم الاول ج ٢ ص ١٤٧
- (٥٢) المصدر السابق في ١/ ج ٢ ص ١٥٨
- (٥٣) المصدر السابق في ١/ ج ٢ ص ١٥٩
- (٥٤) المصدر نفسه في ١/ ج ٢ ص ١٦١
- (٥٥) التاريخ العياشي ص ٢٠٨
- (٥٦) المصدر السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠
- (٥٧) علي بركة اسطو ، المصدر السابق ص ١٦٤
- (٥٨) المصدر السابق ص ١٦٧
- (٥٩) ابو الفلاح عبدالحق بن العماد الحنبل ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، (القاهرة ١٣٥١ هـ) ج ٧ ص ١٢٦
- (٦٠) عباس الراوي تاريخ الادب العربي (بغداد ١٩٦٠) ج ٦ ص ٦٢
- (٦١) الضوء اللامع ج ٥ ص ١٢٦
- (٦٢) انظر الاصواء الجديدة التي سلطها الدكتور عباس الوائلي حول عصر العياشي ونسبته في بحثه التبعين ، الاق قويلو نموذج من العلاقات السياسية في الشرق الادبي اواخر القرن الخامس عشر - المنشور في مجلة دراسات عربية العدد ١ - ٢٠١٢ - ص ١٠٠٢
- (٦٣) نشر الأستاذ المحامي عطا تيرزي ناشى بعض من اشعار ههانشاه في مجلة ابحاث اسعدارية العدد ١١ لسنة ١٩٧٣ وذلك في بحثه المعنون ، جهاسك توركة شعري ، اي اشعار ههانشاه التركية ، ويمكن الرجوع حول نفس الموضوع الى (Hakki Uzun Curs.) Oglu
- Anadolu Beyikan Ve Ak Koyunlu Kara Koyunlu Ankara 1937 S. 923

- (٦٤) نفس المصدر السابق ج ٢/ ص ١٥٠ - ١٥١ جهانكير ريدل اوغلو ، مختصر ابراهيم تاريحي سببيل سببيل ١٩٢٤) ص ٨٩ ،
- (٦٥) محمد بن محمد بن عبد الرحمن السجواني ، الضوء اللامع لاهل القمرب استنيس حاروي ج ٢/ ص ١٢٦
- (٦٦) بحرية اوج اوف ، النساء الحاكمات في التاريخ ، ترجمه عن التركية ابراهيم الدافوني (١٩٦٨) ص ٢٢١
- (٦٧) مختصر ابراهيم تاريحي ص ٨٩
- (٦٨) السندية ، وتسمى قنبرلان ، وهي مدينة بناها السلطان اولجايتو بن ارغون بن ايلروزجان ، وقد اتخذت حاضرة الدولة الايلخانية في بعض الفترات ، انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٧
- (٦٩) عبدالله بن فتح الله البغدادي ، التاريخ العياشي ، الفصل الخامس تحقيق طارق ولداني (مطبعة اسعد بغداد ١٩٧٥) ص ١٢٧ انظر كذلك (Clement Huart Histoire de Baghdad Paris, 1901) P. 21
- (٧٠) دوندو حاتون هي بنت السلطان حسين بن اويس الجلائري ، وتقول انكثورة بحرية اوج اوف بن السلطان حسين كان يضع الحجاب على وجهه بسبب جماله الحارق في اثناء خروجه الى الشارع ، لانه كان لا يرتاح من نظرات الناس اليه ، وقد قتل اسلطان حسين عن يد شقيقه احمد ، فعاشت دوندو في كثف عمها وهربت معه الى مصر وقد سحر خصم دوندو السلطان لملوكي ظاهر برفوق ، فتزوجها مدة من الزمن ثم جاءت الى بغداد مع عمه ، فتزوجت من الشاه ولد الذي قتل بتشجيع منها على الأرجح ، انظر النساء الحاكمات في التاريخ ص ١٣٣ - ١٣٤
- (٧١) التاريخ العياشي ص ٢٤٥ وما بعدها ، الحافظ بن حجر العسقلاني ، انباء العمر بناءه لعمر ، تحقيق حسن حسني (القاهرة ١٩٧٢) ج ٢/ ص ٤٦٠
- (٧٢) عباس الراوي تاريخ العراق بين احتلالين (مطبعة بغداد الحديثة - بغداد ١٩٣٦) ج ٢/ ص ٢٠٩ Henry H. Howarth History Of The Monjots New York 1888 V.1 300
- (٧٣) قلندرية نسخة في القلندرية وهم طائفة من المتصوفين ، وكانت قلندرية تقع في الجهة الشرقية من نهر دجلة انظر جواد احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد (بغداد ١٩٥٨) ص ٢٢٢
- (٧٤) التاريخ العياشي ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، Howarth Op. Cit Vol 3 P. 678
- (٧٥) انباء العمر باب العمر ج ٢ ص ٤٦٠
- (٧٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢١
- (٧٧) التاريخ العياشي ص ٢٥٣
- (٧٨) نفس المصدر السابق ص ٢٤٦
- (٧٩) نفس المصدر السابق ص ٢٤٨
- (٨٠) ضوء اللامع ج ١ ص ٢١٧
- (٨١) شرف خاں السبيل شرفنامه ، ترجمه عن الفارسية ، محمد علي عوبي (القاهرة ١٩٦٢) ج ٢/ ص ٧٦
- (٨٢) تاريخ العياشي ص ٢٥٣
- (٨٣) ابو الحسن يوسف بن تقيي بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر وبقاهرة ، تحقيق جمال محمد محرز وفيهم محمد شنتوت (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١) ج ١٤ ص ٢٤٩
- (٨٤) التاريخ العياشي ص ٢٨٣ - ٢٨٤
- (٨٥) محمد الدين محمد بن سيد برقي ميرخوند ، تاريخ روضة الصفا (تهران ١٣٣٩) ج ٦/ ص ٨٥٢ - ٨٥١
- (٨٦) بو بكر الطهراني ، ديار بكرية ، تحقيق ، نحائي لوغال وفاروق سومر (نقرة ١٩٦٢) ج ٢/ ص ٨٣٢
- (٨٧) نفس المصدر السابق ج ٢/ ص ٢٤٠ شرفنامه ، ج ٢/ ص ٩٨
- (٨٨) ديار بكرية ج ٢/ ص ٢٧٢ ، يحيى بن عبد اللطيف القزويني ، التواريخ (تهران ٢١٦ ص ٢١٦
- (٨٩) عبيد الدين محمد بن همام الدين خواندمير ، حبيب السيرة اخبار افراد بني لشير (تهران ١٣٣٢ هـ) ج ١/ ص ٨٦ ديار بكرية ج ٢/ ص ٢٧٣ ، وقارن مع ما يذكره مؤرخي عصره ربه ككتشن حبيب ترجمه عن تركية ، موسى كاظم بورس (الطبعة ١٩٧١) ص ١٧٥
- (٩٠) تاريخ العياشي ص ٢٣٥ - ٢٣٦
- (٩١) نفس المصدر السابق ص ٢٦٩
- (٩٢) المصدر نفسه



# إمارة أميرة أميرة في جزيرة إقريطش كريت

٢١٥ - ٢٢٥ هـ / ٨٤١ - ٩٦٣ م

د. أمين توفيق الطيبي

## تمهيد

كانت للعرب السيادة البحرية في البحر المتوسط (بحر الروم - البحر الشامي) في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد ، وبفضل هذه السيادة استطاعوا ان ينتزعوا من ايدي الروم البيزنطيين اكبر جزر البحر المتوسط كصقلية واقريطش (كريت) وقبرص (١) . وفي زمن كانت فيه حروب الصوائف والشواتي لا تنقطع في مناطق التفور بين العرب والروم ، اتخذ العرب هذه الجزر قواعد هامة للتجارة وللإغارة على اراضي الروم . وقد تم فتح جزيرة صقلية البيزنطية على يد عرب افرقيا في عهد الاغالبة ، أما جزيرة اقريطش فقد فتحها واستقرت فيها جماعة عربية قدمت من الأندلس بعد ان اضطرت الى النزوح عن موطنها في اعقاب ثورة الربض الشهيرة بقرطبة .

وقد قدّر لبعض هؤلاء البارحين الأندلسيين ان ينزلوا على سواحل مصر ، وان يسيطروا على الاسكندرية وقيموا فيها امانة مستقلة لمدة عشر سنوات ، الى ان اضطروا من جديد ، وعلى ايدي العباسيين هذه المرة ، الى الرحيل عن البلاد . وهكذا قدّر لهؤلاء الأندلسيين المغامرين ان يفتحوا جزيرة اقريطش البيزنطية وان يستوطنوها نحو قرن ونصف القرن من الزمن . وقد اتخذوا الجزيرة مركزا للتجارة ، وقاعدة لمواصلة الغزو البحري على مراكز الروم وارضيتهم في منطقة سحر ايج ، لا بل اسهم اغاروا على البر اليوناني ذاته واستقروا في بلاد اليونان فترة من الزمن . وقد عرف هؤلاء العرب الأندلسيون بالجرارة والاقدام ، ويصفهم الاضطخري بأنهم « أهل غزو » (٢) ويتحدث ابن حوقل عن الجزيرة فيقول انه « لم يكن للتصراية فيها مدخل ولا مخرج ، واهلها في غاية الجهاد » (٣) . وقد تعاقب على حكم الجزيرة عشرة من الأمراء من ذرية فاتح الجزيرة ابي حفص عمر بن عيسى بن شعيب البلوطي المعروف بالاقريطشي والأندلسي ، الى ان استرد الروم البيزنطيون الجزيرة عام ٢٥٠ هـ / ٩٦١ م بعد حرب ضروس وحصار طويل لعاصمة الجزيرة (الحنق) دام تسعة شهور لم يحد اثناءه عرب اقريطش مغيثا او نصيرا في المشرق او المغرب ، فهي مصر ، كانت دولة الاخشيديين تحتضر ، وفي الشام لم يكن للحمدانيين اسطول ، وكانوا في هذه الاونة يكادون حربا ضروسا مع الروم ، وكان بوسع العبيديين الفاطميين في افريقيا مد يد المساعدة ، لولا انشغالهم في الصراع

الدائر في المغرب مع خلافة قرطبة الأموية وانشغالهم كذلك في التصدي للروم في مياه صقلية . كما ان الفاطميين اذك كانوا يخططون لغزو المشرق وللقتضاء على الخلافة العباسية ، وكانت إقريطش ولاية عباسية

وما ان استرد الروم البيزنطيون جزيرة إقريطش حتى عملوا على تنصير مسلميها بالاكراه ، ورحل بعضهم عن الجزيرة الى الأندلس وصقلية والاسكندرية (٤)

## ثورة أهل الربض ونزوح جمع منهم الى المشرق

على اثر ثورة أهل الربض الجنوبي بقرطبة على الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م وقمعها بعنف ، أئذر التائرون بوجوب هجرة الأندلسيين على الفور ، فتوجه بعضهم الى المغرب واستقروا في فاس (عدوة الأندلس) ، وأما الباقون ، ويقدر عددهم بنحو خمسة عشر ألفا ، دون النساء والأطفال (٥) فقد نزحوا الى المشرق في ٢٠ رمضان سنة ٢٠٢ هـ / ١ أبريل ٨١٨ م بطريق البحر . حتى انتهوا الى الاسكندرية وذلك في أول ولاية المأمون ، فعازهم اهلها وذهبوا الى اذلهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم . وملكوا الاسكندرية مدنية ، الى ان ورد عبدالله بن طاهر اميرا على مصر من قبل المأمون ، فصالحهم على التخل عنها على مال بذله لهم وخبرهم في النزول بحيث شاؤوا من جزائر البحر . فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي « (٦)

ويرى المستشرق اماري ان هؤلاء الأندلسيين اقاموا بعض الوقت في الأندلس والمغرب ولم يصلوا الى مصر الا بعد ثمان سنوات من وقعة الربض وبعد ان ردهم أمير قرطبة بالمراكب اللازمة لتمكينهم من التوجه الى المشرق ، كما انهم قبل التوجه الى مصر زاولوا الغزو البحري ضد مراكز النصارى في غربي البحر المتوسط (٧)

وكانت الظروف في مصر مواتية ، إذ كان قد انتزى في القسطنطين الحليفة المأمون الوالي عبدالله بن السري ، فانتهر الأندلسيون الفرصة ونزلوا الى البر قرب الاسكندرية وتحالفوا بادية الأمر مع إحدى القبائل العربية المحاورة للمدينة ، تم تمكنوا من السيطرة على الاسكندرية حيث اقاموا امانة مستقلة ظلت قائمة نحو من عشر

## إقريطش في مصنفات الجغرافيين العرب

عرفت جزيرة كريت عند الجغرافيين العرب باسم إقريطش (بفتح الهمزة وتكسر) (١٧). وقد تحدث الجغرافيون العرب عن موقع الجزيرة ومساحتها وخيراتها وكثرة مراسيها ، فالاصطخري يقول أن إقريطش دون قبرص مساحة وعمارة (١٨). وعن موقعها يقول المراكشي أنها مقابلة « لبربرة أول المغرب » (١٩) أما ياقوت فيقول أنه « يقابلها من برافريقية لوبيا ، وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى » (٢٠) ويقول ابن خلدون أن إقريطش « من جزر البحر الرومي مابين صقلية وقبرص في مقابلة الاسكندرية » (٢١) ويذكر الحميري أن الجزيرة تسمى أيضا « إقريطش البتريلش » وترجمته مائة مدينة ، وكذلك كان بها مائة مدينة (٢٢) ويعلق كنارد على التسمية بتريلش بأنها تحريف لاسم الجزيرة اليوناني القديم Hekatompolis (٢٣)

والجزيرة كثيرة الكروم والأشجار ، وفيها معدن (منجم) ذهب ، وفي جبالها وعول كثيرة ، وهي كثيرة المعز (٢٤) وتستورد الجزيرة زيت الزيتون من أفريقية والأندلس ، ويصاد سمك التونة في مياهها ويصدر بعد تجفيفه ، ويضيف الزهرى أن إقريطش تصدر الأنتيمون والمصطكى والمكسرات والرمان والجبن (٢٥) وتصدر الجزيرة إلى مصر العسل والجبن (٢٦).

ويتحدث الجغرافيون العرب عن أعشابها الطبية فيذكر الزهرى عشباً طيباً لا يوجد إلا في إقريطش وفي الهند ، وهو ينمو كطيفليات على نبات الزعتر ، ولعله الأنتيمون الذي يذكره الحميري ويصفه بأنه لا مثيل له ، والذي يقول عنه القلقشندي أنه يستعمل في الأدوية (٢٧). ويذكر صاحب (الصلة لتاريخ شوفانيس) أن فاتح الجزيرة أبا حفص أشاد بوفرة اللبن والشهد في الجزيرة لكي يشجى أتباعه عن التفكير في مباحرة الجزيرة بعد نزولهم إلى البر فيها (٢٨).  
وفصلاً عن خصب الجزيرة ووفرة غلاتها فإنها كانت مركزاً تجارياً هاماً كثيرة الخير والمير والتجارة ، والوارد منها والصادر إليها رائج « (٢٩)

## افتتاح إقريطش وأماة أبي حفص عمر بن شعيب

في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وله الفضل في إنشاء أول أسطول عربي ، غزا العرب جزيرة إقريطش لأول مرة سنة ٥٤ هـ - ٣ - ٦٧٤م ، ثم غزا الجزيرة في خلافة الوليد بن عبد الملك وفي خلافة هارون الرشيد (٣٠) ، إلا أن هذه الغزوات كانت بمثابة غارات على قواعد الروم وللظفر بالغنائم

أما افتتاح الجزيرة وبغرض الاستيطان ، فقد كان في أواخر سنة ٢١٢ هـ / أوائل ٨٢٨ م على يد العرب الأندلسيين القادمين من الاسكندرية بقيادة أبي حفص عمر بن شعيب الذي تسميه المصادر البيزنطية Apochaps, Apocapso وتقول المصادر البيزنطية أن هؤلاء الأندلسيين سبق أن أغاروا على الجزيرة قبل افتتاحها (٣١) ويبدو أن غارتهم الأولى كانت غارة استطلاعية تمهيدية

كانت إقريطش آنذاك تابعة للإمبراطورية البيزنطية التي كانت في تلك الفترة تعاني من متاعب داخلية وخارجية أوهنتها وفتت في عضدها ، فقد انتهكتها الحرب الأهلية التي تزعمها الثائر المطالب بإعزى توماس ، كما كانت الامبراطورية تعاني من منازعات مذهبة

سنوات . وكما يقول ابن الأبار ، فإن هؤلاء الأندلسيين كانوا ذوي أنفة بأنون الضيم ويقال « أنه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا إلا وتغلبوا عليها واستوطنوها » (٨). وكان زعيمهم أبو حفص عمر ابن شعيب البلوطي المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروش من فحوص البلوط المحاور لقربطية ، « ولأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم » (٩)

ولما وصل عبدالله بن طاهر بن الحسين الوالي الجديد على مصر من قبل المأمون وقضى على ثورة ابن السري في الفسطاط ، توجه إلى الاسكندرية وحاصرها بضعة أيام ، أو تسعة شهور حسب رواية ميخائيل السرياني (١٠) فسأله الأندلسيون الأمان على أن يرتحلوا إلى بعض أرض الروم فأعطاهم الأمان (١١) إلا أنه يبدو من عبارة ابن الأبار « فصالحهم على التخلي عنها » الاسكندرية « على مال بذله لهم » « وعبارة ابن خلدون » وبعثهم إلى إقريطش ، وعبارة المقرئ « أجازهم إلى إقريطش » (١٢) أن هؤلاء الأندلسيين استسلموا بشروط منها تأمينهم وتقديم العون المالي لهم ، وكذلك تزويدهم بالمراكب لغزو جزيرة إقريطش البيزنطية . وبذلك تسنى للوالي العباسي التخلص منهم ودفعهم إلى مناهضة الروم أعداء الدولة العباسية ، ولعله أخذ عهداً عليهم بإعلان ولائهم للخليفة العباسي في الجزيرة إذ ما أن افتتحوها جزيرة إقريطش حتى أعلنوا ولائهم للخليفة العباسي ، كما تدل على ذلك المصادر الكتابية والعملية . فقد عثر على فلس في جزيرة كريت نقش على وجهه اسم الفاتح أبي حفص وعلى ظهره اسم الخليفة العباسي المتوكل على الله (١٣)

وثمة تباين في الآراء بشأن السنة التي خرج فيها الأندلسيون من الاسكندرية وافتتحوها جزيرة إقريطش ، وقد تناول هذا الموضوع بأسهاب ي بروكس Brooks في بحث نشره بعنوان « احتلال العرب لجزيرة كريت The Arab Occupation Of Crete » معتقداً على المصادر العربية والبيزنطية المتوفرة ، فحسبما يذكره اليعقوبي والكندي ، كان سقوط الاسكندرية في يد الوالي العباسي في ربيع أول سنة ٢١٢ هـ / مايو - يونيو ٨٢٧ ، ويضيف المؤرخ ميخائيل السرياني بأن الأندلسيين في الاسكندرية صمدوا للحصار تسعة شهور ، وعليه فإن سقوط المدينة كان في شهر ديسمبر سنة ٨٢٧ م . ويخلص بروكس إلى القول بأن العرب الأندلسيين خرجوا من الاسكندرية بعد سقوطها وافتتحوها جزيرة كريت في أواخر سنة ٢١٢ هـ / أوائل سنة ٨٢٨ م (١٤).

وجدير بالذكر أنه فيما يتعلق بأخبار فتح العرب للجزيرة ، فإننا نعتمد كلية على المصادر البيزنطية ، إذ لا تذكر المصادر العربية شيئاً عن أخبار الفتح باستثناء البلاذري الذي أورد ثلاث عبارات مقتضبة عن الفتح اقتبسها عنه ياقوت وهي « غزاها (إقريطش) في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بإقريطش » فافتتح منها حصناً واحداً ويزله ، ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحداً ، وحرب حصونهم (١٥) ، وسما هو جدير بالذكر كذلك أن قصة أهل الرض ووصولهم إلى الاسكندرية ثم افتتاحهم لجزيرة كريت لا يذكرها إلا المؤرخون العرب . وأما المؤرخون البيزنطيون فلا يذكرون مصر ، ويبدو أنهم حسبوا أن الفاتح العرب جازوا من الأندلس (١٦)

وقسمها اداريا الى اربعين كورة او اقليما ، ولم يسمح للأجانب بالابحار او الاتجار في منطقة بحرايحه ، مالم يؤذوا له ضريبة مسبقة (٣٩)

وما ان استقر ابو حفص وقومه في الحرية حتى اقام اماره مستقله مع الاعتراف بسيادة الخليفة العباسي في بغداد ، كما كان امراء الاغالبه قد فعلوا في افريقية قبيل ذلك ، ولعل ذلك كان بموجب اتفاق مسبق مع والي مصر عبدالله بن طاهر بن الحسين ومن ذرية ابي حفص ، تعاقب على حكم إقريطش عشرة امراء نحو من قرن ونصف قرن من الزمن

وقد اتخذ العرب من الجزيرة مركزا للتجارة وللغزو البحرى ضد مراكب الروم وارضيتهم وجزيرهم في منطقة بحر ايجيه (٤٠). واصبحت إقريطش شوكه مؤلمة في جنب الروم ، واصبحت عاصمتها الخندوقة مأوى لغزاة البحر المسلمين ، اذ منها ومن طرسوس وطرابلس الشام كان غزاة البحر ينتشرون في مياه بحر ايجيه فيغنمون المراكب وينقضون على الجبر ، وفر سكانها وسكان سواحل بحر ايجيه الى الداخل (٤١). وتعتبر إقريطش من اهم القواعد الاستراتيجية في شرقي البحر المتوسط ، وعثا حاول الامبراطور ميخائيل الثاني ومن جاء بعده استردادها ، ويقول اومان ان موانئ الجزيرة المائة « اصحت اوكارا لقرصنة لا عد لهم باتوا وبالا على التجارة في الشرق ، كما شكلوا خطرا كبيرا على الامبراطورية » (٤٢).

وفي نفس السنة التي افتتحوها فيها الجزيرة ، اغار عرب إقريطش على جزيرة ايجينا ، فهجرها أهلها لكثرة الغارات عليها (٤٣). وفي سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م دمر العرب اسطولا بيزنطيا قرب جزيرة ثاسوس Thasos وعاثوا بمنطقة جبل اتوس Athos شرقي سلانك ، واغاروا على سواحل اسيا الصغرى الغربية (٤٤). ولعل عرب إقريطش ساهموا كذلك في افتتاح جزيرة صقلية اذا ما اخذنا بوجهة نظر امارى الذى يروى بأن الاندلسيين الذين قدموا لجددة اسد بن القرات حاووا من جزيرة إقريطش وهو في رايه هذا يستند الى عبارة ابن عدارى الذى يقول ضمن احداث سنة ٢١٢ هـ عند الحديث عن محاصرة اسد بن القرات لمدينة سرقوسة برا وبحرا « وجاءته الامداد من افريقية والاندلس وغيرهما » (٤٥).

وفي هذه الظروف السيئة التي احاطت بالامبراطورية البيزنطية بعث الامبراطور ثيوفيل في سنة ٢٢٥ هـ / ٢٩ - ٨٤٠ م بسفارة الى امير قرطبة الاموى عبدالرحمن الثانى (الوسط) للاستعانة به ضد امراء الاغالبه في القيروان لغزوهم صقلية ، وضد العرب الاندلسيين لغزوهم جزيرة إقريطش ، وهما من اتباع العباسيين اعداء بنى امية . كما ذكر الامبراطور امير قرطبة بأن العباسيين كانوا قد اغتصبوا اخلافة من ايدى بنى امية الخلفاء الشرعيين ، ومن الجدير بالذكر ، ان الدولة البيزنطية كانت في تلك الآونة تواجه اخطارا كبيرة ، فالخليفة العباسي المعتصم ، وقد تخلص من بابك الخرمي وقتنته ، توغل غاربا في اسيا الصغرى على رأس جيش لجب ، وفتح مدينة عمورية (٨٢٨) ، كما ان إقريطش وصقلية البيزنطيتين افتحتتا على ايدى العرب المواليين للعباسيين . وقد احتفظ لنا المؤرخ القرطبي ابو مروان بن حبان بنص رد الامير عبدالرحمن الثانى على كتاب ثيوفيل ، ومنه يتبين ان امير قسطنطينة كان شديد التحفظ ، ولم يلزم بشيء تجاه الاسراطور

حادثة نتيجة لقيام حركة مناقضة الايكوبات او الصور ، وهى الحركة التي كان يناصرها أباطرة الاسرة العرجية الحاكمة آنذاك . اصف الى ذلك ان الامبراطورية كانت تواجه حملة عرب افريقية على صقلية وغاراتهم على ممتلكات البيزنطيين في جنوب ايطاليا . تم انه يبدو ان عناية البيزنطيين بالاسطول قد قلت منذ سقوط الدولة الاموية في المشرق ، وادى ذلك الى عواقب وخيمة منها فقدان البيزنطيين لجريرتى إقريطش وصقلية في ان واحد تقريبا (٣٢). وعلى ذلك ، فيبدو ان إقريطش كانت خالية من الحاميات العسكرية يؤيد ذلك قول ابن الانار ان الجزيرة « كانت يومئذ خالية من الروم » (٣٣). كما ان الاهالى كانوا على غير المذهب الدينى الرسمى المناهض للايكونات ، وكانوا يعانون من سوء الادارة البيزنطية ، ولذلك فانهم لم يبدوا مقاومة للغاتحين على افتتاح الجزيرة والاستقرار فيها بعد نزوحهم عن قرطبة اولا ثم عن الاسكندرية بعد ذلك

وكما ذكرنا من قبل فان تفاصيل اخبار الفتح وصلتنا في معظمها عن طريق المؤرخين البيزنطيين ، والبلاذرى هو الوحيد بين المؤرخين العرب الذى اشار الى افتتاح الجزيرة وفي غاية الاجاز . وتقول المصادر البيزنطية ان العرب الاندلسيين وصلوا الى إقريطش في عهد الامبراطور ميخائيل التاسى (حكم ٨٢٠ - ٨٢٩ م) على ظهر اربعين مركبا وانهم نزلوا الى البر عند رأس Charax وعلى رأسهم ابو حفص Apocapso وشيدوا في مكان نزولهم على ساحل الجزيرة الشمالي حصنا حفروا حوله خندقا عميقا ، ومنه اشتق اسم المدينة التي قامت حول الحصن فيما بعد ، وهى مدينة (الخندق) ومن الاسم العربى للمدينة اشتق اسمها اليونانى Chardax وكذلك الاسم كاندليا Candia الذى عرفت به المدينة ايام حكم البادقة ثم الاتراك العثمانيين للجزيرة ، وهو الاسم الذى ظل مستعملا حتى مطلع القرن العشرين . حينما استبدل باسم المدينة الحالى Herakleion ومن الخندق أخذ العرب يغيرون على اطراف الجزيرة ودواخلها ، وعلى حد قول البلاذرى لم يزل ابو حفص « يفتح شيئا بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم احدا ، وخرّب حصونهم » (٣٤) وتذكر المصادر البيزنطية ان ابا حفص احرق المراكب ، واطرى ثروة الجزيرة حاثا اتباعه على البقاء فيها ، ويروى انه خاطبهم قائلا « فيم شكواكم ؟ لقد حملتكم الى ارض تفيض باللبن والشهد . هذه ارضكم الحق ، فاستريحوا وانسوا اوطانكم المجدبة . قالوا « وأولادنا ؟ » فاجابهم « سوف تؤدى الاسيرات الحسان لكم وظائف الزوجات ، ومن ثم تصبحون اباء جيل جديد » (٣٥) وكما يعلق كنارد ، فان الرواية تبدو مستبعدة واسطورة من نسج خيال الكتاب البيزنطيين ، اذ أن الاندلسيين كانوا قد اصطحبوا عائلاتهم معهم ويفترض امارى ان العرب احرقوا بعض مراكبهم المعطوبة ولعل ذلك كان مصدر الرواية البيزنطية (٣٦) ويذكر ابن حزم القرطبي ان اكثر المفتحين لجزيرة إقريطش كانوا من اهل الاندلس (٣٧)، الذين ما ان فرغوا من افتتاح الجزيرة حتى دعوا المسلمين من الشام وافريقية والاندلس للاستيطان فيها . ويقول ابن الأبار ان الجزيرة كانت « يومئذ خالية من الروم ، فاحتمل الاندلسيون « اليها بقتنتهم ونزلوها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان فاوطنوها معهم » (٣٨)

وقد عمل اول ولاتها ابو حفص على النهوض باقتصاد الـ

البيزنطى . وقد تضمن رد الأمير الفقرة التالية بشأن الاندلسيين الذين استولوا على جزيرة إقريطش ، وأما ما ذكرت من أمر أبى حفص الأندلسى ومن صار معه من أهل بلدنا في خضوعهم لأمير ماردة (المأمون) ودخولهم في طاعته ، وما سالت من النظر في أمورهم والانتكار لفعلهم ، فإنه لم ينزع اليه منهم الا سفلتهم وسوادهم وفسقتهم وأباقيهم ، وليسوا في بلدنا ولا يرتبنا فنغير عليهم ونكفيك مؤنتهم ، وإنما اضطروا الى الدخول في طاعة ابن ماردة لما منهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم تكن نحسبك تعجز عنهم .. وإن الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد إلينا سلطانا بالمشرق وما كان تحت أيدي أبائنا منه ، نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ، واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذى يكون من معونتك على ما دعوت اليه ، وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ... (٤٦)

### نفر من علماء إقريطش وصلات الجزيرة بالخارج

ان المعلومات التي وصلتنا عن التاريخ الداخلى لجزيرة إقريطش في فترة الحكم العربى للجزيرة ضئيلة جدا ، ولعل ذلك يرجع الى انقطاع الجزيرة وعزلتها ، ثم الى كون الروم بعد استردادهم للجزيرة بادروا الى تنصير أهلها قسرا والى تدمير مساجدها وتحولها الى كنائس ، وحرق المصاحف والكتب (٤٧)، إذ ان نيقفور فوقاس الذى قاد الحملة التي استرد بها الروم الجزيرة عام ٢٥٠ هـ / ٩٦١م كان صليبي النزعة ، شديد التعصب ضد الاسلام والمسلمين ، وكان - كما تصفه المصادر البيزنطية المعاصرة - حنذا وراهبا في ان واحد ، وقد الى على نفسه بأن يكرس حياته لمحاربة المسلمين واسترداد جميع ما سبق ان استولوا عليه من أراضي الدولة البيزنطية ومع ذلك ، فإن النصف الواردة عن اعلام المسلمين في إقريطش في كتب التراجم ومعاجم البلدان تدل ان الجزيرة احتفظت يوما بصلوات اقتصادية وثقافية وثيقة مع الأندلس الوطن الأم طوال فترة الحكم الاسلامى فيها ، وكانت عاصمتها الخندق مركزا فكريا ساطعا (٤٨) كما اقام مسلمو إقريطش علاقات ودية مع الشام ومصر وأفريقية ودعوا المسلمين الى الاستيطان في الجزيرة (٤٩).

ويذكر كل من ياقوت والحيمرى اسماء علماء من إقريطش من اصل اندلسى يحملون النسبة الإقريطشى ، ويقول الحيمرى انه كان بإقريطش « علماء جلة من الأندلسيين (٥٠) ». وجدير بالذكر ان الفقهاء كانوا قد لعبوا دورا هاما في قيام أهل ريف قرطبة على الأمير الحكم بن هشام لاستهتاره بأمور الدين ، وقد خرج العديد منهم في جملة من خرج من فل الربيعيين من قرطبة ونزحوا الى المغرب والمشرق . وزعيم الاندلسيين الذين افتتحوا جزيرة إقريطش - أبو حفص عمر بن شعيب - كان أحد هؤلاء الفقهاء ، فضلا عن كونه قائدا وأميرا ، وهو في ذلك يشبه معاصره القاضى أسد بن القرات الذى ولاه ثالث أمراء الأغالبة زيادة الله الأولى قيادة الحملة التي أرسلت من سوسة بأفريقية لفتح جزيرة صقلية في صيف عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧م مع احتفاظه بولاية القضاء في القيروان . ويذكر الحميدى والضبى ، ستانادا الى ابن حزم القرطسى ، ان أبيا حفص عمر بن شعيب المعروف بالغليظ البلوطى هو الذى غزا إقريطش وافتتحها وتداولها بيوه بعده ، ويضيفان ان أبيا حفص كان قد كتب بالعراق وبمصر انصا

(٥١). ويقول ياقوت ان فاتح إقريطش كان سمع يونس ابن الأعلى وغيره بمصر ، ثم ندب لفتح الجزيرة حتى افتتحها (٥٢). كما يذكر ياقوت من علماء إقريطش أحد الرواة وهو محمد بن عيسى أبو بكر الإقريطشى الذى حدث بدمشق عن محمد ابن القاسم المالكى ، وروى عنه عبدالله بن محمد النسائى المؤدب (٥٣)

ويترجم ابن الفرضى للفقير مروان بن عبد الملك من أهل قرطبة المعروف بابن الفخار ، وكان قد درس على يقى بن مخلد بقرطبة ، ثم بارح الأندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد فيقول « رحل الى المشرق .. ثم صار الى إقريطش فاستوطنها ، وجمع تاريخا على الامصار ، لقيه أحمد بن خالد من قرطبة ، وسمع منه التاريخ ، وكان متضلعا بالحديث ، وكان زاهدا متقشفا في حياته مع انه كان ميسورا ، وقد اجتمع به أحمد بن خالد في إقريطش .. وقد تجاوز ابن الفخار الستين من العمر - وذكر انه كانت على « مروان تدور فتيا أهل إقريطش » (٥٤). كما يترجم ابن الفرضى لعالم اندلسى آخر سكن جزيرة إقريطش هو يحيى بن عثمان (٥٥). وكان كثير من علماء الأندلس يعرجون على جزيرة إقريطش اثناء رحلاتهم الى المشرق في طلب العلم او لتأدية فريضة الحج ، ويجتمعون بعلمائها وينقلون اخبارهم لمواطنيهم لدى عودتهم الى الأندلس ، وكان يطيب لبعضهم المقام في الجزيرة فيستقرون فيها ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كانت الجزيرة بمثابة ابنة الأندلس .

ويذكر الحميرى عالما من ذرية أبى حفص ، اسمه عمر بن عيسى بن محمد بن يوسف ابن أبى حفص ، ويقول ان له كتابا « في معانى القرآن وغرائب ألفه في حبس القسطنطينية يدل على علمه باللسان ، واتساع باعه في العلم » (٥٦). ولما كانت إقريطش قد سقطت في أيدي الروم عام ٢٥٠ هـ / ٩٦١م ونقل افراد الأسرة الحاكمة الى القسطنطينية وزج ببعضهم في السجون فإن عمر هذا كان حيا بعد تلك السنة ، ويبدو انه كان ممن سجن هناك من افراد أسرة أبى حفص ، ولعل ذلك يرجع الى رفضه اعتناق البصرانية

ويقول الحميرى انه كان بإقريطش علماء جلة من الاندلسيين منهم الفتي بن العلاء قاضيها ، واسحاق بن سالم ، وموسى بن عبد الملك ، ومحمد بن عمر أخو يحيى المعروف بابن أبى الدواق ثم خرج الى مصر وبها توفي ، واسماعيل بن بدر ، وابنه محمد ، وابن ابنه اسماعيل هذا في الحصار (حصار الروم لمدينة الخندق) واصاب العدو أهله وماله (٥٧)

ومما يدل على ان إقريطش كانت على اتصال بالخليفة العباسى في بغداد انه تم في سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٢م نفى الوزير السابق أحمد بن الخصيب الى جزيرة إقريطش من قبل الخليفة المستعين (٥٨) ومع ان امارة إقريطش العربية كانت في حرب تكاد تكون مستمرة مع الروم البيزنطيين ، الا انه يبدو انه كانت تمة علاقات دبلوماسية بين الجانبين . وقد نشر فاسيليف نصر كتاب موجه في نهاية عام ٢٩١ هـ / ٩٠٤م او أوائل عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م الى أمير إقريطش محمد بن شعيب حول الافراج عن بعض الأسرى من الروم (٥٩). وفي طليعة العلماء البيزنطيين في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى البطريق نيقولاوس ميستيكوس الذى خلف مجموعة من الرسائل كان قد وجهها الى عدد من الرؤساء ورجال الدين ، ومما جاء

سلايك ، وكانت انذاك مركزا تجاريا وثقافيا عظيما تلي القسطنطينية اهمية وثروة ، ودخل المدينة عنوة بعد حصار دام ثلاثة ايام ، وانسحب المعبرون بغنائم وفيرة وبالألوف من الأسرى (٧١). وذكر ان ليو سبى اثنتين وعشرين الفا من اهل سلايك ، باعهم في اسواق الرقيق في الخندق وطرابلس الشام (٧٢). وفي طريق العودة ، رست مراكب الحملة في مياه إقريطش حيث بيع بعض الأسرى ، ولاشك في ان امتلاك العرب لإقريطش مكن من نجاح هذه الغارة على سلايك (٧٣)

لقد شق هذا المصاب على الروم فاعدوا حملة كبرى سنة ٩١١ م قادها هيميريوس Himerius ولكنه منى بكارثة واضطر اسطوله الى الانسحاب . وفي طريق عودته الى القسطنطينية هوجم في ربيع سنة ٩١٢ هـ / ٩١٢ م قرب جزيرة كيوس Chios من قبل اسطول بحري بقيادة ليو الطرابلسي ومنى بهزيمة ساحقة ، وتذكر المصادر اليونانية ان القوات البيزنطية في هذه الحملة كانت تضم ٧٠٠ مرتزق روس (٧٤) كان ذلك بعد ان توطدت العلاقات بين الامبراطور البيزنطي قبل ذلك بوضع سموات وبين امير كييف Kiev وسمح الاتفاق المعقود بينهما بمشاركة الروس في حملات الامبراطور (٧٥)

وكان العرب في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قد اتموا فتح جزيرة صقلية ، وسيطروا على مجاز مسينة وواصلوا غاراتهم على البر الايطالي وسواحل البحر الادرياتيكي ، ان نشاط العرب البحري من هذين التفرعين - إقريطش وصقلية - ينبغي ان ينظر اليه ضمن اطار حرب الثغور بين العباسيين والبيزنطيين ، ولاشك في ان هذه الغزوات البحرية في البحر المتوسط قد اشغلت البيزنطيين عن تركيز جهودهم الحربية ضد المسلمين في منطقة الثغور الشامية والجزرية .

وعايد البيزنطيون مهاجمة دمياط في سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ - ٩٢٠ م ، اذ طرقت دمياط « في نحو مائتي مركب ، فاقاموا يعيثون في السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون ، وكانت للمسلمين معهم معارك » (٧٦)

وقبيل منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، هاجم عرب إقريطش سواحل اسيا الصغرى والبلوونيس ووسط بلاد اليونان ، ولعلمهم وصلوا الى اثينا ، مما استدعى اقامة تحصينات دفاعية فيها (٧٧). فاعد الامبراطور اسطولا ضخما لمهاجمة إقريطش سنة ٩٤٩ م يقصد القضاء النهائي على نشاط غزاة البحر منها ، الا ان الحملة باءت بالفشل التام ، وهزم الجنود بعد نزولهم الى البر اثر هجوم مباغت من جانب العرب ، وفقد الروم عددا كبيرا من مراكبهم (٧٨)

لقد تم في السنوات الأخيرة العثور على احدى عشرة قطعة نقدية عربية من عملة إقريطش في مكان السوق Agora في مدينة اثينا وفي مدينة كورنث ، ولعل لوجودها في اثينا صلة بالنقش الكتابي الهام من المسجد العربي بأثينا ، وهو النقش الذي عثر على قطع منه في مكان السوق وعلى مقربة منه . ومع ان تاريخ النقش غير معروف بالضبط - قد يعود الى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي او القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي - الا ان معظم العملات الاقريطشية عثر عثر عليها في اثينا تعود الى القرن الثالث الهجري / التاسع

في رسالته الى امير اقريطش قوله « الروم والعرب اعظم فتيت في العالم يعلوان ويتالقان كالشمس والقمر في السماء ، ولذا يجب ان نعيش اخوة على الرغم من اختلافنا في الطبائع والعادات والدين » (٦٠)

### نشاط عرب إقريطش في ميدان الغزو البحري

شطت عرب جزيرة إقريطش في ميدان الغزو البحري في شرقي البحر المتوسط ، وكانوا مصدر رعب للروم يأسرون مراكبهم التجارية ويشنون الغارات الجريئة على جزر بحر ايجي وسواحل من اراضي الروم البيزنطيين (٦١). ويحدثنا الاصطخرى الذي عاصر فترة الحكم العربي للجزيرة فيقول ان سكان اقريطش « جميعا مسلمون اهل غزو » (٦٢). ويصف ابن حوقل اهل الجزيرة بانهم في غاية الجهاد « ولم يكن للنصرانية فيها (اقريطش) مدخل ولا مخرج » (٦٣) ويضيف بان اخذ المسلمين لجزيرتي إقريطش وقبرص بخيراتها وتجارتهما الزاهرة « احد الاسباب الزائدة في اطماع الروم ، لانهما بما كان فيهما من الرجال والعدة والعتاد كالنار لهيبها لا يفتقر ، واوارها لا يقصر ، يتكون في بلد النصرانية صباح مساء نكاية بينة ظاهرة يوجبها لهم قربهم من مطالبهم ومحاورتهم للروم في مساكنهم » (٦٤)

لذلك حاول الروم مرارا مهاجمة الجزيرة منذ اول افتتاح المسلمين لها للقضاء على هذا الخطر الذي طالما هدد تجارتهم وارضيتهم ففي سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م تمكن الروم من النزول بعض الوقت في الجزيرة ، الا ان قائد الحملة ثيوكتيستيس Theoctistas اضطر الى العودة على عجل الى القسطنطينية بسبب الدساسس التي حيكت ضده ، ففكك العرب بجنده الذين خلفهم في الجزيرة (٦٥)

ولما كانت جزيرة إقريطش تتلقى اسلحتها من مصر ، فإن اسطولا بيزنطيا اغار على دمياط في صيف سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م وظفر بكمية وافرة من الأسلحة المعدة لإقريطش في حين قامت قطع بحرية أخرى بمهاجمة سواحل الجزيرة ذاتها (٦٦) وعن الغارة على دمياط يقول الطبري انه في صيف سنة ٢٢٨ هـ / ٨٥٣ م جاءت للروم ثلاثمائة مركب ورسيت عند دمياط « واحتملوا سلاحا كان فيها أرادوا حمله الى ابي حفص صاحب اقريطش نحو من الف قناة والتمها .. ويقال ان الروم الذين كانوا في الشلنديات التي اناخت بدمياط كانوا نحو من خمسة الاف رجل ، فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء ، وأحرقوا خزانة القلوع ، وهى شرع السفن وأحرقوا مسجد الجامع ... ثم صاروا الى اشتوم تنيس وأحرقوا ما فيها من المجانيق والعزادات » (٦٧) ويقول المقرئى ان نزول الروم بدمياط كان يوم عيد الاضحى من سنة ٢٣٨ هـ وقتلوا جمعا كثيرا من المسلمين ، فأمر الخليفة المتوكل العباسي ببناء حصن دمياط على الاثر وأنشئ الاسطول بمصر (٦٨)

وفي مطلع القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي كان العرب يسيطرون على مياه البحر المتوسط والأرخبيل اليوناني ، وكثيرا ما تعرضت لغاراتهم جزر الأرخبيل وسواحل البلوونيس بجنوب اليونان وتساليا في شمالها (٦٩). وفي سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م دمر غزاة البحر العرب مدينة دمترياس Demetrias الغنية على ساحل تساليا (٧٠) وخطر من ذلك كله الحملة البحرية الكبرى التي قادها سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ليو / لاوون الطرابلسي ، يوناني كان قد اعتنق الاسلام ، وكانت وجهته بادىء الأمر القسطنطينية ثم غير خطته فحده وهم ..

آخر جمادى الاولى سنة ٣٤٩ (اواخر يوليو ٩٦٠م) في ٧٢٠٠٠ منهم خمسة آلاف فارس» (٨٤). ويذكر ابن خلدون ان النصراني نازلوا الجزيرة في سبعمائة مركب (٨٥).

ويرى النويري حكاية عن الطريقة التي تم بها للروم الاستيلاء على إقريطش يقول فيها ان الامبراطور لجأ الى الحيلة لما اعياء اخذ الجزيرة، فبدأ بأبرام معاهدة صداقة مع اميرها، وتعهد بان يدفع له ضريبة سنوية على ان يكف عن الأغارة على جزر بحر ايجي ليعود اليها اهلها فوافق الامير عبدالعزيز على ذلك، وأخذ التجار اليونان يمارسون اعمالهم بين إقريطش والقسطنطينية وجزر بحر ايجي، وازداد بالتالي رخاء الجزيرة وقلت العناية بالاسطول. ثم كتب الامبراطور الى الامير يقترح ارسال خمسمائة فرس الى الجزيرة بسبب قحط اصابت الامبراطورية على ان يتقاسما نسلها، ثم لم يلبث ان ارسل الامبراطور حملة الى الجزيرة ورست مراكبه قرب المكان الذي كانت ترعى فيه الخيول، فنزل الجنود وامطوها واغاروا على المسلمين بغته، وتم لهم بذلك الاستيلاء على الجزيرة (٨٦). ورواية النويري هذه، وان لم يتقبلها العقل، انما يستدل منها على اعتماد الروم في استيلائهم على الجزيرة على عنصرى الخداع والمباغلة، وكما يقال والحرب خدعة.

ولدى وصول الحملة الى الجزيرة، بادر فوقاس بضرب حصار شديد على عاصمتها (الخدق) لقطع وصول الامدادات اليها. وكما يقول ياقوت «لم يزل محاصرا لها حتى فتحها عنزة بالحرب والجوع في نصف المحرم سنة ٣٥٠ هـ/ ٧ مارس ٩٦١ م، فقتل ونهب وسبي، واخذ صاحبها عبدالعزيز بن شعيب من ولد ابي حفص عمر ابن عيسى الانلسي وامواله وبني عمه (اي اقاربه) وحمل ذلك كله الى القسطنطينية. وقيل انه حمل الى القسطنطينية من اموالها وسبي اهلها نحو من ٣٠٠ مركب. وهدموا حجارة المدينة والقوما في الميناء الذي دخلت مراكبهم فيه لنلا يدخل فيه بعدهم عدو» (٨٧).

اما المصادر البيزنطية فنقول ان نيقفور حفر خندقا على طول الجزيرة، ليعزل المدينة عزلا تاما، ثم ضربها بالجانيق الى ان سقطت في يده، بعد مقاومة طويلة وعنيفة. وبعد سقوطها، تعرضت المدينة للنهب والسلب، وأسر آخر امرائها الذي تسميه هذه المصادر Kouroupan ولعله تحريف عن (القرطبي) كما أسراربه Anemas (النعمان) وأفراد أسرته. وبعد ان دك فوقاس أسوار المدينة، شيد في ظاهرها حصنا استقرت فيه حامية بيزنطية ودمرت مساجد المدينة واحرق المصاحف (٨٨).

ويقول كل من ابن الاثير وابن خلدون، ان اهل إقريطش استصرخوا صاحب افريقية المعز لدين الله سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، فارسل اليهم نجدة اوقعت بالروم، وهذا امر مستبعد ان الجزيرة كانت قد سقطت في ايدي الروم قبل ذلك بعام، وان هي وصلت فان وصولها جاء بعد فوات الاوان.

ويقول المصادر البيزنطية ان امير إقريطش استغاث بعرب الاندلس وافريقية، وان عددا من المراكب وصل وانزل جنودا في الجزيرة تمكنوا من تسليق أسوار مدينة الخدق، ولكنهم عادوا الى مراكبهم لما ادركوا عدم جدوى اية مساعدة (٨٩). وتذكر احدي الروايات اليونانية، ان نجدة وصلت من افريقية لمهاجمة المحاصرين للمدينة من الخلف، الا ان فوقاس علم بوصولها وارسل قوة من الأرمن اعترضت سبلها

الميلادي. ويحتمل ان تعود قطعتان منها الى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وفي هذا دليل على احتمال وجود العرب في اثينا في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، او القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وقد يكون العرب جاؤوا من جزيرة اقريطش مغيرين او اسرى حرب او تجارا، او قد يكونون عبروا عبورا، كما ان القطع يمكن ان يكون قد جلبها من جزيرة اقريطش تجار يونان او اسرى حرب يونان بعد الافراج عنهم (٧٩).

اما بالنسبة لمدينة كورنث، فانه يكاد يكون من المؤكد ان بعض القطع النقدية التي عثر عليها في المدينة تعود الى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وتشير المصادر الكتابية الى قيام العرب بشن غارات على منطقة كورنث في سنة ٢٦٥ - ٢٦٦ هـ/ ٨٧٩ م، ولعلمهم احتلوا المدينة فترة من الزمن. ويخلص عالم النميات مايلز Miles الى القول بأنه يعتقد ان «عملات امراء كورنث هي من المرجح دليل على وجود صلة تجارية بين المدينة وبين جزيرة إقريطش العربية اكثر من كونها اثارا لنشاط حربي في المكان، وعلى ذلك فانا نرى ان علينا ان نعيد النظر في الرأي التقليدي بشأن عرب جزيرة إقريطش، وهو انهم لم يكونوا سوى قراصنة برابرة، ليس الا، وان علينا ان نسلم بانه حتى في اثناء غاراتهم على جزر بحر ايجي والبر اليوناني، فانهم قد يكونون على الأقل قاموا بدور وسطاء لتبادل السلع والثقافة» (٨٠).

### استرداد الروم البيزنطيين لجزيرة اقريطش (٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م)

منذ منتصف القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، اخذت الامبراطورية البيزنطية بزمام المبادرة في صراعها مع المسلمين، ورجحت كفتها لفترة قرن من الزمن، بفضل ثلاثة من الاباطرة اولهم نيقفور فوقاس، قائد الحملة الضخمة التي استرد بها الروم الجزيرة من ايدي المسلمين بعد صمود هؤلاء دون نصير نحو من تسعة شهور كانت الدولة العباسية التي تتبعها الجزيرة ضعيفة ممزقة الاوصال آنذاك. اما الدولتان الاموية في الاندلس والعبدية في افريقية فكانتا في دروة قوتها، الا انهما كانتا في صراع مرير للسيطرة على المغرب. وانتهز الروم هذه الفرصة السانحة لتجديد صلاتهم بالخليفة الاموي الناصر في قرطبة، وتبادل الامبراطور قسطنطين السابع السفارات مع الخليفة الناصر، وكلاهما معاد للعبديين (٨١) وتؤكد المصادر الاسماعيلية وجود اتفاق بين الامويين والبيزنطيين ضد الفاطميين، وفي ذلك يقول القاضي النعمان: «وكتب (الناصر) الى طاغية الروم يسأله البصرة. فأجابته الى ذلك» (٨٢). ويذكر القاضي النعمان ان مسلمي جزيرة إقريطش استنجدوا بالمعز لدين الله الفاطمي لحرب الروم (٨٣) في هذه الظروف المواتية، جهز البيزنطيون حملة كبرى لاسترداد إقريطش والتخلص نهائيا من الغارات التي طالما تعرضت لها اراضيهم، بقيادة نيقفور فوقاس الذي يعتبر من اكفأ قادتهم واشدهم عداء للإسلام والمسلمين. والمصادر العربية، دون البيزنطية، تمدنا بتاريخ بدء الحملة وبهاياتها، كما تمدنا ببعض المعلومات القيمة عن تفاصيلها يقول ياقوت: «أناخ عليها (إقريطش) نغفور بن فوقاس الدمستقي في خلافة المطيع (حكم ٣٢٤ - ٣٦٣ هـ/ ٩٤٦ - ٩٧٤ م) في

وا وقعت بها، وأعلن فوقاس ننا انتصاره بأن اطلق رؤوس القبل من الجبود العرب بالمجانيق الى داخل المدينة المحاصرة (٩٠).

لقد استنجد الامير عبدالعزیز بالمسلمين شرقا وغربا دون جدوى. فان القليل الذى جاءه من طرسوس ومن افريقية قضى عليه الروم قبل وصوله اليه (٩١). والحقيقة ان مسلمي اقريطش لم يظفروا بأية مساعدة تذكر لمواجهة الجموع التى داهمتهم. فامير حلب ائذاك، سيف الدولة الحمداني، لم يكن لديه اسطول، كما انه كان في صراع مرير مع الروم، وقد رجحت كفتهم ضده منذ سنة ٩٥٨م. واما امير مصر الاخشيدي ابو الحسن علي ابن اخشيد، فكان عاجزا عن المساعدة. وفي افريقية قام المعز الدين الله بانهاء الهدنة مع البيزنطيين، وطلب الى الاميراطور رفع الحصار المضروب على الجزيرة، كما وعد بارسال مساعدة الى اهل اقريطش. وذكر ان المعز لدين الله اقترح على امير مصر الاخشيدي ان تجتمع مراكبهما في برقة في اليوم الاول من ربيع ثاني عام ٢٥٠ هـ / ٢٠ مايو ٩٦٦م. ويلاحظ ان هذا التاريخ يأتى بعد سقوط الجزيرة في ايدي الروم باكثر من شهرين. وقد نشرت الوثائق المتعلقة بذلك في كتاب (المحالس والمسائرات) للقاضي ابي حنيفة النعمان، صديق المعز لدين الله وكبير دعاة الاسماعيلية (٩٢).

ان البيزنطيين باستيلائهم على جزيرة كريت استعادوا نقطة استراتيجية وتجارية هامة في البحر المتوسط، وتخلصوا من «وكر» للقراصنة» طالما اقض مضجعهم (٩٣). ويرى احد مؤرخي الدولة البيزنطية ان بيزنطية لم تسجل انتصارا اعظم من هذا الانتصار لقرون عديدة خلت (٩٤). وبرزت الآن الدولة البيزنطية من اجدد كقوة بحرية حاسمة في شرقي البحر المتوسط (٩٥). وتمكن نيقفور من القول «ان القوة في البحر هي لي وحدي» (٩٦). ورحب اليهود بتمسك الجزيرة في ايدي البيزنطيين، للتخلص من غارات اهلها وما كانوا يقرضونه من اتاوات على التجار، وكان التجار اليهود، وخاصة الرادانية منهم، يحتكرون التجارة عبر البحر المتوسط ائذاك (٩٧).

### تنصير مسلمي اقريطش

يقول الاصطخرى الذى الف كتاب (المسالك والممالك) قبيل استرداد الروم لجزيرة اقريطش ان سكان الجزيرة «جمعيا مسلمون اهل غزو، وبين اظهرهم نبذ (اي قليل) من النصراني، كما يكون ببلدان المسلمين» (٩٨). بيد انه ما ان سقطت الجزيرة في ايدي الروم حتى بادر هؤلاء الى تنصير مسلميها بالضغط والاكراه وتحت رعاية اباطرة القسطنطينية، قام عدد من المبشرين المتحمسين بنشاط كبير لتنصير المسلمين في اقريطش، ويفهم من عبارة للرحالة الاندلسي ابن جبير ان اعتناق مسلمي اقريطش للنصرانية تم تدريجيا، وبمزيج من الضغط والترغيب، فهو يقول «لم تزل بهم (بمسلمي اقريطش) الملكة الطاغية من النصراني والاستدراج الشيء بعد الشيء حالا بعد حال حتى اضطروا الى التنصير عن اخرهم» (٩٩) ويضيف صاحب (المعجب) ان مسلمي اقريطش بقوا في الجزيرة بعد سقوطها في ايدي الروم «سنتين الى ان تفرقوا، فرحل بعضهم الى الاندلس، واختار بعضهم سكنى صقلية، وانتقل بعضهم الى الاسكندرية» (١٠٠).

كما فعل بالنسبة لاستيلاء الروم على اقريطش، فان النويرى

قصة طريفة عن الكيفية التى تم بها تنصير المسلمين في جزيرة اقريطش، خلاصتها ان عددا من وجهاء الجزيرة المسلمين زاروا القسطنطينية للتعبير عن ولائهم للاميراطور، فقبلوا بكل حفاوة وتكريم، واغدقت عليهم الهدايا، وكان ذلك بمناسبة عيد الميلاد المسيحى. ولما عادوا الى القسطنطينية ثانية بعد شهر، لتقديم ولائهم للاميراطور بمناسبة عيد الفصح المسيحى، استيئت معاملتهم وذبح بهم في السجون، وحيل بينهم وبين الطعام والشراب الى ان اضطروا الى اعتناق المسيحية، وعندئذ فقط افرج عنهم وسمح لهم بالعودة الى وطنهم. ولدى وصولهم الى الجزيرة منعوا من الالتحاق بعائلاتهم حتى تنتصر، وهكذا تم للروم ما ابتغوه من تنصير المسلمين في جزيرة اقريطش (١٠١) ويفهم من هذه الحكاية ان عملية التنصير تمت بصورة رسمية وبالاكراه.

ويقتبس كنارد عبارة لصاحب (كتاب العيون، الورقة ٢٧٦) مفادها انه عند استيلاء الروم على مدينة الخندق، عاصمة الجزيرة، قاموا بتدمير مساجدها واحراق المصاحف الشريفة فيها (١٠٢).

وعند مرور الرحالة الاندلسي ابن جبير بجزيرة صقلية (٥٨١ هـ / ٤ - ١١٨٥م) في طريق عودته الى بلاده من تأدية فريضة الحج، لاحظ الرحالة عن كئيب احوال المسلمين في صقلية النورمانية ائذاك، وكانت سيئة وتندر بأوخم العواقب، فعلق على ذلك بقوله «واهل النظر في العواقب منهم (من مسلمي صقلية) يخافون ان يتلق على جميعهم ما اتفق على اهل جزيرة اقريطش من المسلمين في المدة السالفة (اي قبل ذلك بقرنين من الزمن) فانه لم تزل بهم الملكة الطاغية من النصراني والاستدراج الشيء بعد الشيء حالا بعد حال، حتى اضطروا الى التنصير عن اخرهم، وفر منهم من قضى الله بنجاته» (١٠٣).

ويبدو ان ما حل بمسلمي اقريطش كان له صدهاء في العالم الاسلامي، إذ وقعت حوادث شغب في مدينة القسطنطينية بمصر استهدفت النصراني فيها (١٠٤).

ان عاشر امراء اقريطش العرب وآخرهم وهو عبدالعزیز بن شعيب Kouroupas من ولد ابي حفص، أسره نيقفور فوقاس ونقله وامواله واقاربه الى القسطنطينية (١٠٥) ويبدو انه كان متقدما في السن، ولعله ولي الامارة في شيخوخته. وقد ظل على اسلامه وعومل معاملة كريمة، اما ابنه النعمان Anemas فقد تنصر والتحق بخدمة الحرس الاميراطوري في القسطنطينية، وتذكر المصادر اليونانية انه قتل في معركة سلسطريا على نهر الدانوب بين البيزنطيين والروس سنة ٩٧١م (١٠٦).

وتذكر المصادر البيزنطية انه بعد استرداد الروم لاقريطش جرى نشاط تبشيري على يد راهب من آسيا الصغرى هو القديس نيقون St. Neon فقد تولى بحماس شديد تنصير مسلمي جزيرة كريت، ثم توجه الى اسباطة ببلاد اليونان للتبشير بين الصقالبة الذين استقروا على مقربة من المدينة (١٠٧) وقد نقل نيقفور فوقاس جاليات يودسية وارمنية واسكنها جزيرة اقريطش. وهو الذى استدعى الراهب نيقون من آسيا الصغرى ليبشر فيها بين المسلمين (١٠٨) ان كانت سياسة اباطرة البيزنطيين تقوم على ايجاد مجتمع متحانس وموحد مذهبيا في مختلف ولايات الامبراطورية وكذلك فعل النورمان في صقلية عند استيلائهم عليها من ايدي المسلمين في اواخر القرن الخامس للهجرة/ الحادي



عشر للميلاد، فقد شجعوا، ويتأييد من الكنيسة الكاثوليكية، هجرة النصارى من اللبارد والنورمان إليها.

وقد أصبحت مدينة الخندق بعد استيلاء الروم على الجزيرة عاصمة مدنية ودينية لها. وكما حدث في صقلية بعد استيلاء النورمان عليها من أيدي المسلمين، فإن نظاما إقطاعيا ساد ريف جزيرة أقریطش بعد استيلاء الروم عليها، واستغل السادة الجدد في فلاحية الاراضى التى استحوذوا عليها طبقة من الكادحين العرب المتنصرين تعرف باسم Parici ومع انه لا تتوفر لدينا المعلومات الكافية عن هذه الطبقة، فإن من المحتمل ان وضعها كان شبيها بوضع فلاحى الارض المسلمين Villeins في صقلية النورمانية الذين يرد ذكرهم في الوثائق العربية باسم (رجال الجرائد) او (اهل الجرائد) ويعرفون في اللاتينية باسم Servi glebae وهو وضع يشبه وضع الارقاء. فلم تكن لافراد هذه الطبقة حرية شخصية، وكان عليهم القيام بالخدمة العسكرية عند الطلب، وهم يخضعون لنظام السخرة، في العمل، وكانوا في صقلية يدفعون جزية سنوية للملك النورمانى (١٠٩).

هذا ولم يبق شيء يذكر من آثار الحصن العربى في مدينة الخندق، والتى أصبحت تعرف منذ مطلع القرن العشرين باسم هيراقليون Heracleon. ويذكر مصدر حديث انه في القرن التاسع عشر، وعلى مسافة قليلة شرقى مدينة الخندق، كانت مازال توجد قرية عربية يتراوح سكانها بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ نسمة (١١٠) فهل استوطن اهل هذه القرية الجزيرة في فترة الحكم العثمانى لها، وهى الفترة التى بدأت سنة ١٦٤٥م واستمرت ثلاثة قرون ونصف القرن، ام هل هم من عقب أقریطش الاوائل ؟

## اهمية النميات Numismatics للباحث في تاريخ امارة كريت العربية (١١١).

ان دراسة العملة او النميات Numismatics امر على جانب كبير من الاهمية للمؤرخ، اذ ان ما في العملات من اسماء للأشخاص ومكان الضرب ووزن العملة كل ذلك يضيف الى ما ورد في المصادر الكتابية والاثرية او هو يصححها.

حتى عام ١٩٥٣م لم تتوفر سوى خمس عشرة قطعة من الدنانير الذهبية والفلوس النحاسية ترجع الى امارة كريت العربية. الا انه بعد تلك السنة وحتى عام ١٩٧٠، تم العثور على المزيد من هذه النقود في الجزيرة نفسها، وفي بلاد اليونان، بحيث بلغ مجموع هذه القطع الآن مائتين وثمان وستين قطعة ومعظمها فلوس نحاسية.

ويرى عالم النميات مايلز ان التاريخ الواف لفترة حكم العرب لجزيرة كريت على اساس جميع المصادر العربية واليونانية الكتابية وعلى اساس الادلة الاثرية لم يكتب بعد، وهذه القطع النقدية التى تم العثور عليها تعتبر مساهمة لكثافة مثل هذا التاريخ (١١٢).

ان الدنانير والدرهم التى تم العثور عليها تزودنا ببعض السنوات التاريخية الثابتة. ولا ترد في المصادر التاريخية الاسماء الجديدة في العطم التى عثر عليها. وليس بالامر الهين او اليسير اعداد شجرة كاملة باسماء الامراء العرب الذين حكموا جزيرة كريت، اذ ان امكانيات الخطأ تكمن في امور عديدة منها عدم ورود كلمة (ابن) في القطعة النقدية، وقد لا تكون ثمة صلة (ابوة بن اسمين واردين فس

وعدم معرفة ما اذا كان كل الاشخاص المذكورة اسمائهم من ذرية الفاتح ابنى حفص، وما اذا كان قد ولي الامارة فعلا الشخص الذى يرد اسمه في العملة وليا للعهد (١١٣) ومع هذه التحفظات، فقد امكن اعداد شجرة نسب مبدئية، للامراء العشرة الذين تعاقبوا على حكم جزيرة أقریطش اعتمادا على الاسماء الواردة في المصادر الكتابية، وفي قطع النقود التى تم العثور عليها وهى كالاتى (١١٤)

شجرة نسب مبدئية

للأمراء العشرة من أسرة ابنى حفص

الذين حكموا جزيرة أقریطش (كريت)

- ١- ابو حفص عمر (فاتح الجزيرة ٢١٢ هـ/ ٨٢٨م) Apokhops (فلوس ما بين ٢٣٢ و ٢٤٧ هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م)
- ٢ - شعيب (دنانير ضربت ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨١ هـ/ ٨٨٥ - ٨٨٩، ٨٨٩ - ٨٩٥م) Snipis
- ٣ - (ابو عبدالله) عمر Babdel
- ٤ - محمد بن شعيب (فلوس) زرقون ؟ Zerkounis
- ٥ - يوسف (بن) عمر
- ٦ - علي بن يوسف (فلوس)
- ٧ - احمد (بن) عمر (درهم ٢٢٦ هـ/ ٧ - ٩٣٨م)
- ٨ - شعيب (بن) احمد (فلوس)
- ٩ - علي بن احمد (دينار ٣٢٧ هـ/ ٨٩٤ - ٩٤٩م دينار ٣٤٠ هـ/ ٩٥٢م)
- ١٠ - محمد العزيز بن شعيب (القرطبي ؟ Kouroupas (دينار ٣٤٣ هـ/ ٩٥٥م) (درهم ٣٥٠ هـ/ ٩٦١م)

وهذه بعض الملاحظات التاريخية عن ثلاثة نماذج من هذه العملات.

يحمل فلوس عثر عليه في جزيرة كريت على الوجه عبارة (لا اله الا الله وحده لاشريك له) واسم فاتح الجزيرة وقد رسم هكذا (عمر بن عسى) وعلى ظهر الفلوس نقشت عبارة (محمد رسول الله) وتحتها اسم الخليفة العباسى، وقد رسم هكذا (الموتكل على الله) ولما كان الموتكل ولي الخلافة من سنة ٢٣٢ الى سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م فان تاريخ ضرب هذا الفلوس لا يمكن ان يكون قبل سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٧م، اى بعد نحو عشرين سنة من افتتاح الجزيرة، او ان يكون بعد سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م (١١٥) ويؤكد هذا الفلوس ما ورد في المصادر الكتابية من ان امارة أقریطش اعلنت ولاءها للعباسيين منذ افتتاح الجزيرة على يد ابنى حفص.

دينار يحمل التاريخ الهجرى ٣٤٣، وعلى وجهه عبارة (لا اله الا الله وحده لاشريك له بن شعيب) وعلى ظهره عبارة (محمد رسول الله المطيع لله، عبدالعزيز). ونقشت على الحاشية الداخلية للدينار عبارة: بسم الله ضرب هذا الدينار بأقریطش سنة ثلث وأربع

يقول مايلز ان هذا الدينار فريد ومهم لعدة اسباب. ففى حين ان المصادر الكتابية تفيدنا فقط ان حكم الامير عبدالعزيز Kouroupas انتهى سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١م لدينا الآن بفضل هذا الدينار تاريخ محدد وهو ان عبدالعزيز كان اميرا قبل سبع سموات على الاقل من أسر سيقوفور فوقاس له سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١م كذلك فان هذا الدينار دليل على ان امراء كريت كانوا ما يزالون بصربون عمله ذهبية في



السنوات الأخيرة من حكمهم للحزيرة (١١٦)

إن الاسم العربي لحزيرة كريت هو اقريطس يرد كثيرا في المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية الكتابية، إلا أن هذه أول مرة يرد فيها الاسم في كتابة منقوشة Epigraphy سواء اكان ذلك في السكة أو على الحجر أما ورود الاسم (اقريطش) لمكان الضرب بدلا من العاصمة (الخنق) فليس فيه ما يدعو الى الدهشة، إذ ثمة امثلة عديدة في النميات الاسلامية يرد فيها اسم الولاية بدلا من اسم الحاضرة أو المدينة الرئيسية بالولاية. مثال ذلك فلسطين، افريقية، الاندلس، اذربيجان (١١٧)

درهم يحمل السنة ٣٥٠ هـ وعلى وجهه عبارة (لا اله الا الله وحده لا شريك له، بن شعيب) وعلى الظهر عبارة (محمد رسول الله. المطيع لله عبدالعزيز) ومع ان مكان الضرب في الحاشية غير واضح، إلا ان السنة المذكورة هي «سنة خمسين وثلاثمائة» وهذا الدرهم محفوظ في خزانة العملة الملكية بمدينة ستوكهلم، وكان قد عثر عليه في السويد، ويحتمل ان يكون ذلك في جتلاند بجنوب السويد.

ومن الغريب انه لم يعثر الا على هذا الدرهم الفريد من عهد اماره آخر امير عربي في جزيرة كريت، فكيف وصل الى السويد ؟ ان من غير المحتمل ان يكون الدرهم قد جاء عن طريق احدى الطرق المعروفة التي وصلت فيها العملات العربية من الشرق الى منطقة بحر البلطيق اما الأكثر احتمالا فهو امكانية وجود صلة ما بالنعمان Anemas ابن عبدالعزيز الذي حارب في صفوف البيزنطيين ضد الامير الروسي سفياتوسلاف Sviatoslav وقتل في معركة سلستريا سنة ٩٧١م. ولعل النعمان، او احد رفاقه العرب الكريتين، كان يحمل القطعة التي صدرت عن آخر امرائهم، ففقدوها في ساحة القتال، وعثر عليها احد الجنود الروس او الفارانجيين (اهل الشمال من اسكندراود) وهذا حملها بدوره الى جتلاند او الى بلاد السويد (١١٨).

## هوامش

(١) يتحدث ابن خلدون عن سيادة المسلمين البحرية اذ كان ليقول . . . وملكوا سائر الجزائر المطلقة عن السواحل فيه مثل ميروقة ومنورقة وبانسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالقة وقرطاج وقرص واصلون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لغة هذا البحر وصارت اساطينهم فيه حائية واهه والعساكر الاسلامية تقيم البحر في الاساطيل . انظر (المقدمة) ص ٢٥٤

(٢) الاصطخرى المسالك والممالك ٧٠

(٣) ابن حوقل صورة الارض ١٨٤

(٤) المراكشي المعجب ٢١. ابن خبير الرحلة ٢٨٠

(٥) ابن الأبار السكة ٤٥/١ ابن سعيد المغرب ٤٢/١

(٦) ابن الأبار السكة ٤٥/١

(٧) امام الدين حكم مسلمي قرطبة في القريطش (بالانجليزية) ص ٣٠١

(٨) ابن عداري البيان المغرب ١١٤/٢

(٩) الحميري الروض المعطار ٩٣

(١٠) الطبري تاريخ الرسل والملوك ١٠٩٢/٢ ابن الأثير الكامل في التاريخ ٢١٢/٥

(١١) بروكس (Brooks) احتلال العرب لجزيرة كريت (بالانجليزية) ص ٤٣٢

(١٢) ابن الأبار السكة ٤٥/١ ابن خلدون العمر ٢٧١/١ المقرئ نفع السلب ٢١٨/١

(١٣) مايلز (Miles) ثمة امراء كريت العرب (بالانجليزية) ص ٢١

(١٤) بروكس (Brooks) احتلال العرب لجزيرة كريت (بالانجليزية) ص ٤٣٢

(١٥) المصدر السابق ص ٤٣١ ياقوت معجم البلدان ٢٣٦/١

(١٦) بروكس (Brooks) احتلال العرب لجزيرة كريت (بالانجليزية) ص ٤٣١

(١٧) ياقوت معجم البلدان ٢٣٦/١ وثمة صغير يُدعى بالاقريطش (منقش البهرة او كسرهما) وقد تستعمل الكلمة اسم عر دوا لاسم (انظر دوري ملحق القواميس العربية ٣٠١)

(١٨) الاصطخرى مسالك واصل ٧٠

(١٩) المراكشي المعجب ٢١.

(٢٠) ياقوت معجم البلدان ٢٣٦/١

(٢١) ابن خلدون العمر ٤٥١/٤

(٢٢) الحميري الروض المعطار ٥١

(٢٣) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) . المجلد الثالث ص ١٠٨٤

(٢٤) الحميري الروض المعطار ص ٥١

(٢٥) دائرة المعارف الاسلامية . مجلد ٣ ص ٨٢

(٢٦) الفلفلسندي صبح الاعشى ٢٧١/٥

(٢٧) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٢ ص ١٠٨٤ الحميري الروض المعطار ٥١ الفلفلسندي صبح الاعشى ٢٧٢/٥

(٢٨) دائرة المعارف الاسلامية . مجلد ٢ ص ١٠٨٤

(٢٩) ابن حوقل صورة الارض ١٨٤

(٣٠) ياقوت معجم البلدان ٢٣٦/١

(٣١) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) . مجلد ٣ ص ١٨٢

(٣٢) اوستروجرسكي (Ostrogorsky) : تاريخ الدولة البيزنطية (بالانجليزية) ص ٢٦

(٣٣) ابن الأبار السكة ٤٥/١. ابن سعيد المغرب ٤٢/١

(٣٤) ياقوت - معجم البلدان ٢٣٦/١

(٣٥) عتال - مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ٨٦

(٣٦) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٤/٢

(٣٧) المقرئ نفع الطيب ١٥٧/٤

(٣٨) ابن الأبار - السكة ٤٥/١

(٣٩) امام الدين . حكم مسلمي قرطبة في القريطش (بالانجليزية) ص ٣٠١

(٤٠) يدهوم الكتاب الغربيين باسم (القرصان) ويؤثر ان نسيبهم (عرة البحر) اذ ادهم مارسوا العرو

البحري ضد مراكب وارضى اعدائهم الروم . وهو ضرب من الجهاد المشروع في وقت كانت فيه الحروب

فائمة بين المسلمين والروم . ولا تسمح من غارات لهم عن مراكب او اراض المسلمين وحديثا باللاحقة

ان كلمة (قرصان) مأخوذة عن الايطالية (Corsale) وترد اكثمة احيانا بلفظها الايطالي قرصال

وكرسالي انظر تحت كلمة (قرصان) دوري ملحق القواميس العربية ٢/٢٢٧. وكذلك كلمة (كرسالي)

٤٤٤/٢

(٤١) رستم الروم ١١/٢

(٤٢) اومان (Oman) - الاساطورية البيزنطية (بالانجليزية) ص ٢٠٨

(٤٣) امام الدين حكم مسلمي قرطبة في القريطش (بالانجليزية) ص ٣٠٦

(٤٤) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٨٢/٢

(٤٥) ابن عداري البيان المغرب ١٢٢/١ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية)

١٠٨٤/٢

(٤٦) احمد . معبر تاريخ صقلية الاسلامية ص ٨-٧

(٤٧) ليفي - بروفيسال الاسلام في المغرب والاندلس ١١٨ - ١٢٠ - ١٢١

(٤٨) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) مجلد ٣ ص ١٠٨١

(٤٩) ليفي بروفيسال المادة عن ابي حصص في دائرة لغارف الاسلامية ١١١/١

(٥٠) امام الدين حكم مسلمي قرطبة في القريطش ص ٣٠٨

(٥١) الحميري الروض المعطار ٥١

(٥٢) الضميدى حدود المقتبس ٢٨٢ (ترجمة رقم ٦٨٨) . الحسيني نعيبة الملتبس ٣٩١ (ترجمة رقم

١١٦٤)

(٥٣) ياقوت معجم البلدان ٢٣٦/١

(٥٤) نفس المصدر والصفحة

(٥٥) ابن الغرضي تاريخ علماء الاندلس ١٢٢/٢ (١) ترجمة رقم ١٤١٥ انظر تحت ليفي -

بروفيسال تاريخ اسبانيا الاسلامية (بالفرنسية) ١٤٥/٢ احشاشية رقم ٢

(٥٦) ابن الغرضي تاريخ علماء الاندلس ١٨٩/٢ (ترجمة رقم ١٥٨٨)

(٥٧) الحميري الروض المعطار ٥١

(٥٨) نفس المصدر والصفحة

(٥٩) الطبري تاريخ الرسل والملوك . القسم الثالث ص ١٥٠٨ ابن خلدون العر

(٦٠) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٥/٢

(٦١) رستم الروم ١٠٠/٢

(٦٢) ليفي - بروفيسال تاريخ اسبانيا الاسلامية (بالفرنسية) ١٧٢/١

(٦٣) الاصطخرى المسالك والممالك ٧٠

(٦٤) ابن حوقل صورة الارض ١٨٤

(٦٥) نفس المصدر والصفحة

(٦٦) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٢/٢

(٦٧) نفس المصدر والصفحة

(٦٨) الطبري تاريخ الرسل والملوك . القسم الثالث ص ١٤٦٧

(٦٩) المقرئ الحظ ٧/٧ - ٣٧٨

(٧٠) اوستروجرسكي (Ostrogorsky) : تاريخ الدولة البيزنطية (بالانجليزية) ص ٢٥٧

(٧١) نفس المصدر والصفحة

(٧٢) نفس المصدر ص ٢٥٨

(٧٣) رستم الروم ١٩/٢

ابن الأثير الكامل في التاريخ ، الجزان الخامس والسابع ، بيروت ١٩٧٨ .

ابن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٨ .

ابن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ، بدون تاريخ

ابن خلدون ، عبدالرحمن : المقدمة ، القاهرة ، بدون تاريخ

كتاب العبر ، المجلدان الثالث والرابع ، بيروت ١٩٥٨ ، ١٩٦٦ .

ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، الجزء الأول ، تحقيق شوقي

ضيف ، القاهرة ١٩٥٢ .

ابن عذاري : ابو العباس : البيان المغرب ، الجزان الاول والثاني ،

بيروت ٤٨ - ١٩٥٠ .

ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، قسمان في مجلد واحد ، القاهرة

١٩٦٦ .

الأصطخري : كتاب المسالك والممالك ، لندن ١٩٢٧ .

حسن ، حسن ابراهيم . تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٤ .

الحُمَيْدِي : جذوة المقتبس ، تحقيق محمد بن تاوَيْت الطنجي ، القاهرة

١٩٥٢ .

الحميري : ابن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق

احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ .

رستم ، أسد : الروم وصلاتهم بالعرب ، الجزء الثاني ، بيروت

١٩٥٦ .

الخبَّيْ : بغية الملتبس ، تحقيق ف . كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ .

الطُّيُّ : تاريخ الرسل والملوك ، القسم الثالث ، بيروت ، بدون

تاريخ .

العبادي ، احمد مختار . في التاريخ العباسي والأندلسي ، بيروت

١٩٧٢ .

عباس : الحكيمان العرب في صقلية ، القاهرة ١٩٥٩ .

عنان ، محمد عبدالله : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، القاهرة

١٩٦٢ .

القلقشندي ، ابوالعباس احمد : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،

الجزء الخامس ، القاهرة ١٩٦٣ .

ليفى - بروفنسال ، إ : الاسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة محمود

عبدالعزیز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ١٩٥٦

المراكشي ، عبدالواحد ، المُعْجَب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق

محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩ .

المقريزي ، تقى الدين احمد : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،

الجزء الأول ، بيروت ، بدون تاريخ .

المقري ، ابو العباس احمد : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،

الجزان الأول والرابع ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،

القاهرة ، ١٩٤٩ .

ياقوت (الحموي) : معجم البلدان ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٧ .

(٧٣) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨١/٣

(٧٤) استروجرسكي (Ostrogorsky) تاريخ الدولة البيزنطية (بالانجليزية) ص ٢٥٨

(٧٥) نفس المصدر ص ٢٥٩

(٧٦) المقرئ الحط ٣٧٨/١

(٧٧) شرف (Sharf) اليهود في الامبراطورية البيزنطية (بالانجليزية) ص ١٠٠

(٧٨) استروجرسكي (Ostrogorsky) تاريخ ادولة البيزنطية (بالانجليزية) ص ٢٨٢ فاسيليف

(Vasiliev) تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بالانجليزية) ٢٠٧/١

(٧٩) مايلز (Miles) . عملة مراء كريت العرب (بالانجليزية) ص ١٢ - ١١

(٨٠) نفس المصدر ص ١٣

(٨١) المقرئ - نفع الطيب ٣٤١/١ ابن عذاري : اسان المغرب ٣٧٢/٢ ليفى - بروفنسال تاريخ

اسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) ١٥١ - ١٥٠/٢

(٨٢) العبادي . في التاريخ انعاش والأندلس ٤٠٢

(٨٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ ادولة الفاطمية ٤٧٩

(٨٤) ياقوت - معجم البلدان ٢٦٦/١

(٨٥) ابن خلدون . العبر ٩٨/٤

(٨٦) التويري : نهاية الأرب ، الجزء ٢٢ ، وهو يشاؤون تاريخ المغرب والأندلس ، مطبعة ماريانو جيسار

ريميرو ١٩١٧ . وقد اعتمدنا رواية التويري كما نقلها كاتارد (دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الثانية

بالانجليزية ١٠٨٤/٣)

(٨٧) ياقوت - معجم البلدان ٢٦٦/١ ، مطر كذلك الحميري الحميري الروض المعطار ٥٦ ابن

خلدون الجبر ٩٨/٤

(٨٨) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٤/٣

(٨٩) ابن الأثير الكامل ٥/٧ ابن خلدون العبر ٤/٢ - ٥١٢

(٩٠) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٤/٣

(٩١) كلتون (Clutton) جزيرة كريت ص ٩٥

(٩٢) رستم الروم ٣٤/٢

(٩٣) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٤/٣

(٩٤) فاسيليف (Vasiliev) تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بالانجليزية) ٣٠٨/١

(٩٥) استروجرسكي (Ostrogorsky) تاريخ الدولة البيزنطية (بالانجليزية) ص ٢٨٤

(٩٦) فريونيس (Vrgonis) بيزنطية وأوروبا (بالانجليزية) ٨٧

(٩٧) اسد رستم الروم ٢٥/٢

(٩٨) انظر شرف (Sharf) اليهود في الامبراطورية البيزنطية (بالانجليزية) ص ١٠٠

(٩٩) الاصطخري : المسالك والممالك ٧

(١٠٠) اس جبير الرحلة ٢٨

(١٠١) المراكشي : المُعْجَب ٢١

(١٠٢) التويري : نهاية الأرب ، الجزء ٢٢ ، وهو يشاؤون تاريخ المغرب والأندلس ، يُقَرِّه ماريانو جيسار

ريميرو ، مدريد ١٩١٧ . وقد اعتمدنا رواية التويري كما نقلها امام لدين في مقاله بعنوان "حكم صقلية

قرطبة لأفريطنس" ص ٢١٢

(١٠٣) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٤/٣

(١٠٤) ابن جبير الرحلة ٢٨

(١٠٥) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) ١٠٨٤/٣

(١٠٦) ياقوت - معجم البلدان ٢٦٦/١

(١٠٧) مايلز (Miles) عملة امراء كريت لعرب (بالانجليزية) ص ٨٢

(١٠٨) فريونيس (Vrgonis) بيزنطية وأوروبا (بالانجليزية) ص ٨٧

(١٠٩) اسد رستم الروم ٢٥/٢

(١١٠) احمد ، عزيز تاريخ صقلية الإسلامية (بالانجليزية) ص ٧٠ عباس ، احسان العرب و

صقلية ٢ - ١٤٣ كلتون (Clutton) جزيرة كريت ٩٦

(١١١) كلتون (Clutton) جزيرة كريت ١٨٠

(١١٢) اعتمدنا في هذه لفظة عن التَّيَّات مع عالم التَّيَّات البارز جورج سي مايلز (George C. Miles)

في كتابه "عملة مراء كريت العرب" ، نيويورك ١٩٧٠ (The Coinage Of The Arab Amirs Of Crete)

(١١٣) مايلز : عملة امراء كريت العرب (بالانجليزية) ص ٩٠ ، حاشية رقم ٢

(١١٤) نفس المصدر ص ٩

(١١٥) نفس المصدر ص ٣ ، ٤

(١١٦) مايلز : عملة امراء كريت لعرب (بالانجليزية) ص ٢١ - ٢٢

(١١٧) نفس المصدر ص ٨٠ - ٨١

(١١٨) نفس المصدر ص ٨١

## مراجع أجنبية

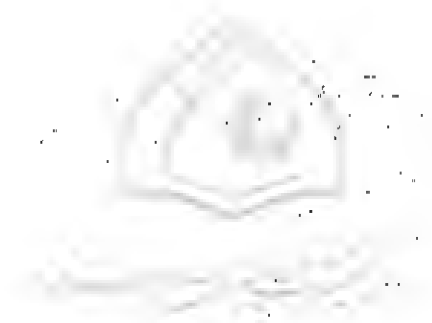
- Ahmad, A: A History of Islamic Sicily, Edinburgh 1975  
Brooks, E: "The Arab Occupation of Crete," in English  
Historical Review, XXVIII (1913), pp 431-443

## ثبت بالمصادر والمراجع

### (أ) مصادر ومراجع عربية

ابن الأبار : الحلة السيرة ، الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس ،  
القاهرة ١٩٦٣ .

- Clutton, E. & Kenny, A: Crete, U.S.A. 1976.
- Dozy, R.: *Supplément aux dictionnaires arabes*, 2 vols. Leiden 1881.
- Encyclopaedia of Islam (New Edition), Leiden-London Vol I (1960), s.v. Abu Hafs 'Umar, p. 121 (by E. Levi-Provencal); Vol. III (1971) s.v. Iqritish, pp. 1082-6 (by M. Canard).
- Imamuddin, S.M.: "Cordovan Muslim Rule in Iqritish (Crete)," in *Journal of the Pakistan Historical Society*, vol. VIII (1960), pp. 297-312.
- Levi-Provencal, E.: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, vols. I & II, Paris-Leiden 1950.
- Miles, George C.: *The Coinage of the Arab Amirs of Crete*, New York 1970.
- Oman, C.W.C.: *The Byzantine Empire*, London 1892.
- Ostrogorsky, G.: *The History of the Byzantine State*, Oxford 1968.
- Sharf, A.: *Byzantine Jewry*, London 1971.
- Vasiliev, A.A.: *History of the Byzantine Empire*, 2 vols., University of Wisconsin Press, U.S.A. 1971-3.
- Vryonis, Speros: *Byzantium and Europe*, London 1967.



# القرامطة وقبائل الأعراب البادية

بقلم :

الدكتور عبدالله أبو عزة  
المجمع الثقافي - أبوظبي

ميداننا لحياته وتحركاته وانشطته، والا حدث الصدام واستحال التعاون بين الجانبين. ويظهر من المعلومات التي تزودنا بها المصادر ان العلاقات كانت وثيقة بين القرامطة وقبائل الاعراب، وان رجال القبائل شكلوا عنصرا مهما - بل كانوا أهم عنصر من الناحية العددية - في قوة القرامطة العسكرية. والحقيقة ان هذه الظاهرة ملفتة للنظر. وقد اشار الدكتور سهيل زكار اليها اشارة غير مباشرة - بل ضمنية - عندما تحدث عن ترافق نشاط القرامطة مع «هجرة بدوية كبيرة من الجزيرة العربية جلبت قبائل من عامر بن صعصعة الى العراق والجزيرة والشام الاعلى، وقسما من طيء الى فلسطين...» ونبه الدكتور زكار الى ان هذه الظاهرة «بحاجة الى دراسة، ومثل هذه الدراسة المطلوبة لا يمكن قيامها دون تتبع المصادر (٢)». كذلك فقد تعرض الدكتور عبدالعزيز الدوري للموضوع بصورة ضمنية ايضا في دراسته الممتازة لتاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري واعتبر الدكتور الدوري «حركة قرامطة البحرين مثلا رائعا في القرن الرابع الهجري لضغط البادية على العراق...» ووضعها في اطار العلاقة النمطية بين البادية والريف الزراعي، وفسرها بالظروف المناخية، ضمن سياق مستمر عبر عصور التاريخ من الصراع الدائم بين البدو والزراع. وقد خالف الدكتور الدوري الدكتور زكار في مسألة حدوث الهجرة البدوية، فنفى ان تكون المصادر قد اوردت حدوث «هجرات قبائل جديدة من الجزيرة العربية، ولكن بعض القبائل تظهر اهميتها على المسرح خلال هذا القرن، مما يدل على أحد امرين : فاما ان تكون تلك القبائل قد تضخمت بمجىء جماعات جديدة، او ان تكون دخلت العراق حديثا (٣)».

وعندى ان الاستاذين الفاضلين اهملا حقيقة هامة او تجاهلوا، او لعلها ندت عن ملاحظتها على الرغم من وضوحها الشديد، وهى تعطى التفسير المنطقي والعلمي الذى لا يفتقر الى الادلة والبراهين، للدور البارز الذى لعبته قبائل الاعراب البادية

ظهرت حركة القرامطة (١) في النصف الثانى من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادى). كما هو معروف. وكانت البداية في منطقة الخليج العربى، لكن نشاط الحركة ما لبث ان امتد في الاتجاهات الأربعة. ويعتبر كثيرون ممن تناولوا موضوع القرامطة بالدراسة، من القدامى والمحدثين، ان قرامطة اليمن ومؤسسى الدولة الفاطمية في شمال افريقيا، وقرامطة الشام والعراق فروع لحركة قرمطية واحدة. ومن غير ان نشير الى موافقتنا او مخالفتنا لهذه المقولة نود ان نركز حديثنا في هذا البحث على جانب من نشاط وعلاقات قرامطة البحرين. فهنا على سواحل الخليج العربى قامت للقرامطة دولة في اواخر العقد التاسع من القرن الثالث الهجري، وما لبثت قوتها العسكرية وتحركاتها وغاراتها المربعة ان اثارت الذعر في قلوب الحكام والمحكومين في المنطقة الممتدة بين عُمان ومصر. مروراً بنجد والحجاز والعراق وبلاد الشام. وقد عمّرت هذه الدولة القرمطية حتى سنة ٤٦٦ هـ - تقريبا، لكن القرن الأخير من حياتها اتصف بالانكماش والضعف العسكرى.

وتظهر لنا المصادر التاريخية علاقات حميمة، وتعاوناً نشطاً بين القرامطة واعراب البادية. ولم تحظ هذه الظاهرة بأية دراسة علمية، في حدود ما اعلم. ولذا سنحاول - من خلال هذا البحث - ان ندرس هذه العلاقة، ونستكنه فحواها ونسبر اغوارها كانت الصحراء العربية الشاسعة الميدان الاساسى والرئيسى لتحركات القرامطة ونشاطاتهم. ومن المؤكد ان تحركاتهم بدأت مرحلتها الأولى في السودان، ريف العراق، لا في الصحراء، غير ان تلك المرحلة المبكرة سرعان ما بلغت نهايتها، فاستبعد أي وجود مؤثر لهم من السودان، وتحول نشاطهم - خاصة العسكرى منه - الى البادية. ومن الملاحظ ان حكمهم لم يثبت في المدن ومناطق الاستقرار سوى ثباته في مدن البحرين وقراها. والبادية هى مستقر قبائل الاعراب، ولذلك كان لا بد من وجود علاقة مرضية وواضحة مع تلك القبائل لكل من يتخذ الصدا

في تحركات القرامطة العسكرية، وسنتعرض لهذه الحقيقة بعد أن نعطي عددا من الأمثلة التي تبين كثافة الحضور البدوي في تحركات القرامطة العسكرية

### الاعراب في قوات القرامطة

يصف المسعودي قرامطة منطقة الكوفة الذين كانوا مع مسعود بن حريث وعيسى بن موسى، وهو ابن أخت عبدان «الملقب قرميط» أن معظمهم كانوا من بني ذهل وبني رفاع (٤). وعندما ظهرت دعوة القرامطة في البحرين قبل تولي أبي سعيد الجنابي زعامتهم كان ممن ناصر الداعية يحيى بن المهدي بنو كلاب وبني عقيل والخريس (٥). وحين ظهر أبو سعيد في البحرين انضم إليه الاعراب (٦). وتبين لنا من أخبار أول مواجهة جرت بين القرامطة والجيش العباسي في عهد المعتضد سنة ٢٨٧ هـ أن القوة القرمطية كانت سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل وبحرانيين (٧). وبعد أن تأكد زكرويه بن مهرويه أن جهوده الثورية لن تحقق الانتصار لدعوته في جنوب العراق بسبب قربيه من حاضرة الخلافة وتتابع الجيوش العباسية لقتاله، اتجه إلى قبائل الاعراب البادية القريبة من الكوفة «من أسد وتميم وغيرهم من قبائل الاعراب (٨)». وكان أهم أنصار دعوته في الشام بنو كلب، وكان الذين استجابوا له «طوائف من الأصفيين والعليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب (٩)». وبهم حارب القرامطة في الشام، حيث نعرف من نص الخطاب الذي بعث به وزير الدفاع العباسي إلى الخليفة أن معظم قادة مقاتلي القرامطة كانوا من بني العليص الكلبيين (١٠). وعند خروج زكرويه سنة ٢٩٢ هـ خرج في الكلبيين وغيرهم. وحين سار من مقرة إلى جنوب العراق لمهاجمة قوافل الحجيج مر «في طريقه بطوائف من بني أسد فأخذها من بيوتها وقصد الحاج المنصرفين عن مكة (١١)» وفي أحداث سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م نقرا أن أحد الدعاة ظهر بمنطقة الكوفة «وجمع جمعا عظيما من الأعراب وأهل السواد، لكن القوات العباسية تمكنت من هزيمته (١٢). ولعل مما يؤكد ما نقصد إبرازه من كون النسبة الكبرى من مقاتلي القرامطة من الاعراب ما ورد على لسان أحد اتباع أبي طاهر من أن المغانم التي يحصل عليها القرامطة في حروبهم إنما يفوز بأكثرها «الاعراب والشذاذ من الناس (١٣)». وقد عزا ثابت بن سنان وابن الأثير كلاهما هزيمة القرامطة في غزوهم لمصر سنة ٣٦٣ هـ إلى نجاح المعز لدين الله الفاطمي في استمالة حليفهم حسان بن الجراح الطائي، أمير الاعراب الطائيين بالشام وذلك عن طريق رشوته بمبلغ كبير من المال (١٤).

والحقيقة أن الاعراب لم يقاتلوا في صفوف القرامطة فقط، بل قاتلوا أحيانا مع قوات السلطة العباسية ضد القرامطة، ولعل أبرز من شارك في هذا الدور جماعات من بني حمدان التغلبيين، وكان أبرز قادتهم الحسين بن حمدان

### تفسير دور الاعراب

من المعروف والمسلم به أن مقاتلي القبائل الاعرابية البادية انضموا إلى جيوش الفتح الإسلامي في عصر الخلفاء الراشدين، خاصة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكانوا بين محتسب وطامع، كما قال البلاذري (١٥)، أي إن منهم من ذهب للجهاد، احتسابا لوجه الله ورغبة في رضوانه، بينما ذهب آخرون طمعا في الغنائم. وهكذا استبدل كثير من الاعراب حياة الغزو والسلب والنهب بحياة الجهاد في سبيل الله.

ولقد استمر العنصر العربي عماد جيوش الدولة الإسلامية الوحيد طوال العهدين الراشدي والاموي، وإلى أن نجحت الثورة العباسية، وجاء العباسيون إلى الحكم، فتغير الحال، وشاركت عناصر من شعوب أخرى العرب هذا الشرف. وقد رجحت كفة العناصر الفارسية منذ بداية الثورة العباسية، إلا أن العنصر العربي ظل يمثل ثقلا محسوسا في الجيوش العباسية حتى عصر المأمون، عندما طغت موجة فارسية جديدة زادت من ضعف الوجود العربي. وقد شارك العنصر التركي العرب والفرس في الانتساب إلى الجيوش العباسية في وقت مبكر، فليس صحيحا أن المعتصم هو أول من أدخل الأتراك في الجيش بنسب كبيرة، بل أنهم كانوا موجودين، وكان منهم قادة فرق وإداريين في أقاليم الحدود حتى منذ عهد الخليفة المهدي بن المنصور - محمد بن عبد الله بن محمد - (ت ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م).

ولسنا نقل من عظم تأثير الخطوة التي اتخذها المعتصم، لكننا نريد فقط أن ننفي نسبة البدء بعملية إدخال الأتراك إلى هذا الخليفة. ومع ذلك فقد كان هو - أي المعتصم - الذي اعتمد على العناصر التركية اعتمادا كلياً وجعل لها السيطرة على الجيش وتكوين جميع فرقته. وهكذا خلا الجيش العباسي من العنصر العربي، ومن أي وجود عربي سواء في القيادات والإدارة العسكرية أو في تكوين أي فرقة أساسية. وبالتدريج فقد العرب صفاتهم العسكرية، وأصبح ينظر إلى عسكريتهم باستخفاف بالقياس إلى العناصر التركية وغيرها. وقد جاء هذا التطور في المؤسسة العسكرية قبيل ظهور حركة القرامطة بفترة قصيرة. لقد كانت الجيوش الإسلامية في العهدين الراشدي والاموي وشطرا من العهد العباسي تمتص الفائض البشري المتتابع الذي تنتجه قبائل شبه الجزيرة العربية، وكانت تفتح ميدانا واسعا ومغريا للمغربين بالحياة على ظهور الخيل وفي ساحات القتال، بل وحتى لأولئك الذين يحيون الغنائم. فلما جاء عهد المأمون ومن بعده المعتصم أغلق هذا الباب، ولذا أخذ الفائض البشري يتراكم ولم يجد له سوى المتنفس القديم الذي كان يلجأ إليه قبل الإسلام، وهو الغزو والغارات والسلب والنهب. وقد تصادف حدوث هذا التراكم مع ظهور حركة القرامطة (١٦). وهذا هو مدخل الصلة بين حديثنا عن وضع العرب في الجيوش الإسلامية وسر موضوع بحثنا الحالي عن حركة القرامطة، وسنعدد هنا

بعض الوقائع والشواهد التي تؤكد حدوث التطور الذي اشرنا اليه

كان الفاضل البشري الاعرابي مهياً لحياة الغزو بحكم طبيعة الحياة البدوية، فالاعرابي لا يشتغل بالزراعة والتجارة الا في حالات نادرة، ولذلك فهو يعيش في فراغ، لان الرعي والحلب يقوم به الصبية والنساء والغلمان، او من يعيشون على هامش حياة القبيلة من حيث الاهمية الاجتماعية والنسبية. واذا لم يعمل الاعراب في جيش الدولة فقد كانوا على استعداد لان ينضموا الى اية قوة محاربة تعدهم وتمنيهم بالمنافع. كما كانوا على استعداد للعمل لحسابهم الخاص حين يبرز منهم شخص يتمتع بمواهب قيادية كافية.

### تعاونهم مع صاحب الزنج :

فعندما ظهر علي بن محمد، الملقب بصاحب الزنج، في البحرين سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م ووالاه قسم من اهلها ثم تنكروا له بسبب ما قام بينهم من خلاف وصدامات اذ ذاك تحول الى البادية، ومعه بضعة نفر من خلصاء اصحابه الذين اعتمد عليهم. وقد استطاع ان يجمع حوله اعداداً كبيرة من الاعراب بسهولة ثم زحف بهم على البحرين. ولكن الهزيمة الساحقة التي نزلت بجموع الاعراب الذين جاؤوا معه وما منوا به من خسائر كبيرة في الارواح جعلهم يتنكبون له ويتفرقون عنه. وعند ذلك اتجه الى البصرة، فنزل في بنى ضبيعة (١٧). وعندما ضيق الجيش العباسي بقيادة الموفق الخنق على صاحب الزنج كان حلفاؤه من قبائل الاعراب هم الذين يمدونه باحتياجاته (١٨). ولذا وجه الموفق حملة ضد هؤلاء الاعراب فقتل منهم جماعة واخذت ما معهم من ابل وغنم اتوا بها لتزويد عسكر صاحب الزنج. ثم عين قوة لمنع الاعراب من الاتصال بعسكر صاحب الزنج، وعمل على اغرائهم بالتعامل مع سوق البصرة الذي اصبح خاضعاً له (١٩). ثم وجه بعد ذلك قوة هاجمت جماعة اخرى من اعراب بنى تميم لمعاونتهم لصاحب الزنج. وفي سنة ٢٨٠ هـ هاجم المعتضد اعراب بنى شيبان لما قاموا به من سلب ونهب وافساد (٢٠). وفي سنة ٢٨١ هـ هاجم جيش ارسله جماعات من اعراب بنى تغلب الذين تزعمهم حمدان بن حمدون، وذلك لتحالفهم مع هارون الشاري، الزعيم الخارجي الناصر بمنطقة الموصل (٢١).

وبجانب تعاون الاعراب وتحالفهم مع الثائرين نجد امثلة كثيرة على قيام الاعراب بالعمل مستقلين : من ذلك ما قام به صالح بن مدرك الطائي واتباعه من طيء سنة ٢٨٥ هـ، ففي تلك السنة قطع الطريق على قوافل الحاج العائدة من مكة المكرمة وهزم القوة العباسية الموكلة بحماية الحاج واخذ الاعراب ما كان مع الحاج «من الاموال والتجار»، واخذوا جماعة من النساء والجواري والممالك فكانت قيمة ما اخذوه الف الف دينار (٢٢). وفي السنة التالية هاجمت جماعات من اعراب بنى شيبان منطقة الانبار بغرض السلب والنهب، وهزموا الحامية

العباسية هناك، مما دعا الخليفة المعتضد الى تسيير قوة كبيرة لدحرهم، فساروا الى منطقة عين التمر وافسدوا فيها، فبعث اليهم بجيش ثان فانسحبوا في اتجاه بادية الشام، فعجز الجند عن متابعتهم وعادوا الى بغداد (٢٣). ثم عادت طيء بعد عامين من غارتها السابقة الى الاغارة على الحجاج من جديد عند موضع يسمى المعدن. وبعد حرب استمرت يومين انهزم الاعراب الطائيون وقتل عدد كبير منهم (٢٤). وعندما انهزم الجيش العباسي بقيادة العباس بن عمرو الغنوي امام القرامطة في العام نفسه وسارت قلوبهم صوب البصرة وخرج اهل البصرة لمعونة المنهزمين قام اعراب بنى اسد بمهاجمة النجدة ومهاجمة المنهزمين وقتلوا اعداداً منهم ونهبوا ما استطاعوا نهبه (٢٥). ومما يلفت الانظار بالنسبة لتلك الواقعة ان الاعراب شكلوا العدد الاكبر من قوة القرامطة، كما كانت قوة اعرابية منضمة للجيش العباسي، وكانوا من بنى ضبة، كما ان اعراب بنى اسد قاموا بالدور الذي اشرنا اليه، أي ان ثلاث جماعات من الاعراب قامت بادوار متناقضة في آن واحد.

وتعرضت قوافل الحاج لغارات الاعراب من جديد عام ٣٠٢ هـ حيث نهبوا الجمال والاموال، كما سبوا ثمانين امرأة من الحرائر، بجانب اعداد من المالك والاماء (٢٦). كما تعرض زعيم الكوفة ومدينة الحيرة لهجمات الاعراب بعد ذلك ببضع سنين، مما اضطر السلطة في بغداد الى توجيه قوة عسكرية ردتهم عن المنطقة، بعد ان اوسعوها سلباً ونهباً (٢٧).

ومن الطريف ان الاعراب قد هاجموا عسكر القرامطة ونهبوه وهو في اوج قوته، ففي سنة ٣١٧ هـ، وبعد ان هاجم ابو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الحجاج في مكة وقتل منهم الآلاف وملا بجثثهم بئر زمزم، واقتلع الحجر الاسود وكسوة الكعبة ثم عاد متوجهاً الى الاحساء هاجمته قبيلة هذيل، وهي من القبائل المضرية، بينما كان يسير بقواته وغنائمه في منطقة صعبة المسالك، تغلب على سطحها المضايق والشعاب والجبال. وقد حارب الهذيليون القرامطة حرباً شديدة «بالنبل والخناجر، ومنعوهم من المسير، واشتبعت عليهم الطرق فاقاموا بذلك ثلاثة ايام حائرين بين الجبل والادوية واقتطعت هذيل مما كان معهم الوفا كثيرة من الابل والنقطة» (٢٨).

كانت هذه الامثلة التي عدناها تحكي انخراط البادية في الغزو والغارات في داخل الدولة الاسلامية قبل ظهور القرامطة، واثناء فترة نشاطهم. وقد استمرت هذه العادة البدوية بعد ان ران الضعف على دولة القرامطة واصاب الشلل حركتهم. بل لقد اصبح القرامطة ضحية لتسلط البادية. ففي سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م جمع شيخ قبيلة المنتفق حوله عدداً كبيراً من الاعراب هاجم بهم القرامطة وهزمهم وقتل قائدهم. ثم انه طارد قلوبهم المنهزمة صوب الاحساء، وهناك التجأ القرامطة الى المدينة وتحصنوا خلف اسوارها. ولم ير الاصيفر - وهذا هو لقب زعيم



المنتفق - فائدة في محاصرتهم، فترك الاحساء وقصد القطيف، فنهب ما كان للقرامطة فيها من اموال وعبيد ومواشي، وعاد بغنائمه الى البصرة (٢٩).

وبعد أربع سنوات نجد الاصفير يرسل مندوباً عنه الى بغداد فيعرض ان يتولى تسيير قوافل الحاج ويضمن سلامتها في غدوها ورواحها، وان تعاد الخطبة للخليفة القادر من حد اليمامة والبحرين الى الكوفة. وقد قبلت سلطات بغداد هذا العرض حيث كانت عاجزة عن ان تحقق شيئاً مما يحققه اعتماداً على قدراتها الذاتية. وقد انعمت على شيخ المنتفق بخلعة خليفية ولواء (٣٠). بيد ان هذا الوفاق لم يدم طويلاً، فبعد سنتين فقط وقف الاصفير بنفسه في طريق الحاج ومنع قوافلهم من العبور مشتكين من ان سلطات بغداد استعملت معه اساليب الخداع عندما طلت الدراهم الفضية بالذهب واعطته اياها على انها دنائير ذهبية خالصة. وقد جرت مفاوضات مطولة بينه وبين الشخصيات البارزة من الحجاج فاصر على ان تدفع له رسوم المرور عن السنة السابقة وعن سنته الحالية. ولما عجزوا عن اقناعه عاد الحجاج من الطريق من غير ان يؤدوا الفريضة (٣١).

وفي السنوات التالية جرى تأمين المال وتم دفعه للاصفير في وقت مبكر. فسارت قوافل الحجيج دون مخاطر او تعطيل، وتتابع الامر على هذا النحو حتى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١١ م، باستثناء ما حدث سنة ٣٩٤ هـ. ففي تلك السنة وقف الاصفير بجموعه في طريق الحجاج ومنعهم من المسير، غير ان قلبه ما لبث ان رقا لسماع القرآن مرتلاً بصوت اثنين من مشاهير المقرئين كانا مع الحجاج في ذلك العام. وعلى اثر ذلك سمح للقوافل بالمسير، وقال للمقرئين: «تركتم لكما الف الف دينار (٣٢)». وما لبث الاصفير ان مات بعد ذلك ببضع سنوات (٣٣). وعندما زار الرحالة ناصر خسرو الاحساء سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م وجد هناك أميراً من أمراء الاعراب يحاصرها. وقد ذكر ان ذلك الأمير استولى على أحد أسوار المدينة بعد ان رابط امامها وشن عليها الغارات قرابة سنة كاملة دون ان يتمكن من احتلالها (٣٤).

وصفوة القول ان تعاون الاعراب مع القرامطة لم ينشأ من التقاء عقائدي او دوافع دينية، بل نشأ من التقاء المصالح، فقد كان القرامطة بحاجة الى القوى المقاتلة من الاعراب، كما كان الاعراب بحاجة الى قيادة تنظمهم وتعطي شهوتهم للغزو والغارات غطاء من الشرعية ينفي عنها صفة السلب والنهب. ولقد كانت قبائل الاعراب تمارس هذا النشاط منذ العصر الجاهلي. وتحدثنا المصادر عن ان القوافل التجارية لم تكن تستطيع السير الا بخفارة، أى حماية قوة قبلية نافذة في منطقة مرورها لقاء اتاة او منقعة محددة. وفي القرن الاول قبل الهجرة قام قصي بن كلاب، وهو الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيم تجارة مكة في شبه الجزيرة العربية على هذا الاساس. وعندما جاء الاسلام حرم الغزو والغارات وسد.

والنهب وفتح للاعراب باب الجهاد في سبيل الله، للدفاع عن الاسلام ولاعلاء كلمته ضد قوى الطغيان. واستمر الحال كذلك الى ان جاء الخليفة العباسي الثامن - المعتصم - واعتمد على الأتراك بشكل كامل. واستبعدت العناصر العربية، واصبح المقاتلون من الاعراب عاطلين عن العمل. ومع تراكم هذا الفائض البشري المتعطل بدأت جماعات الاعراب تشغل نفسها بالغارات على المدن والقرى والمزارع والحقول وطرق التجارة والحج، وذلك لكي تحصل على ضرورياتها من ناحية، ولتشجيع نزعتها الموروثة عبر القرون نحو حب الحرب والمغامرة. وقد عرضنا امثلة كثيرة لهذا النشاط قبل ظهور القرامطة، واثناء سيطرتهم وبعد ضعفهم. لقد استخدم القرامطة الاعراب استخداماً جيداً، واعطوهم الغطاء الشرعي كما ذكرنا، واعطوهم بذلك المبرر الوجداني الذي يحرر نفوسهم من أى شعور بالذنب، ويطلق غرائزهم الوحشية وقسوتهم من عقابله مادام ضحاياهم من الحجاج والنساء والاطفال كفاراً، ومادام المال والتجارة للكفار. وقد رأينا كيف ان القرامطة انفسهم وقعوا ضحية هجمات الاعراب اثناء غزو مصر، امام اسوار القاهرة، بل ومهاجمتهم لمعسكرهم ونهبه بعد ان حلت به الهزيمة.

## المصادر والمراجع

- ١- رفض الدكتور F. du Blois تسمية قرامطة البحرين بـ «القرامطة» وذلك ضمن بحث له لم ينشر بعد، في ندوة الدراسات العربية Seminar For Arabian Studies التي انطلقت في كلية سانت كروس في جامعة كسبريدج (٧/٣ - ٨/٨/٨٥) وكان عنوان بحثه The Abu Sa'Idis Or The So-Called Qarmatians Of Bahrain.
- ٢- وقد استشهد الدكتور du Blois على رواية ناصر خسرو المعروفة حيث عرف القرامطة أنفسهم بـ «ابو سعيدين» ولقد ناقشته في رايه هذا، اذ كنت مشاركاً في الندوة، وذكر لي انه اميل الى ان ذلك الموقف كان تطوراً لاحقاً لم يكن موجوداً في المرحلة الاولى من حياة دولة القرامطة، وتسلل كل منا براه.
- ٣- الدكتور سهيل زكار، مقدمته لكتاب تاريخ اخبار القرامطة تأليف ثابت بن سنان وابن العديم، تج. د. سهيل زكار (بيروت دار الامانة ومؤسسة الرسالة، ١٩٧١) ص ١٨ - ١٩.
- ٤- الدكتور عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بيروت دار المشرق، الطبعة الثانية، د. ت. ص ٢٦ - ٢٧).
- ٥- ابو الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥) مجلد ٧، ص ٤٩٤ - ٤٩٥.
- ٦- ابو جعفر بن محمد بن حريز الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تج. محمد ابو الفصل ابراهيم (القاهرة دار امعارف، ١٩٦٨) مجلد ١٠، ص ٧١.
- ٧- المسعودي، التنبيه والاشراف ٢٤١.
- ٨- الطبري، مجلد ١٠، ص ٩٤ - ٩٥.
- ٩- ثابت بن سنان تاريخ اخبار القرامطة ص ٢٦.
- ١٠- الطبري، مجلد ١٠، ص ١٠٩ - ١١٢، وانظر المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٢٢ - ٣٢٥.
- ١١- الطبري، ١٠، ص ١٣٠ - ١٣١ - و ١٣٥.
- ١٢- ابن الاثير، ٨، ص ١٥٧.
- ١٣- تقى الدين احمد بن علي المقرئ، انعطاف الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء تج. د. جمال ادريس الشيبال (القاهرة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٧ م) مجلد ١، ص ١٨٣.
- ١٤- ثابت بن سنان، ص ٦٠، ابن الاثير، ٨، ص ٦٢٨ - ٦٤٠.

- ١٥ - ابو الحسن احمد بن يحيى بن حابر المعروف بالبلادي فتوح البلدان فتح  
رضوان محمد رضوان (القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩) ص ١١٥
- ١٦ - تولى المعتصم الخلافة سنة ٢١٨ هـ / ٨٢٣ م وتوفي سنة ٢٢٧ هـ /  
٨٤١ م وظهرت حركة القرامطة في جنوب العراق والبحرين بين سنتي ٢٥٥ هـ /  
٨٦٩ م و ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م
- ١٧ - الطبري، ٩، ص ٤١٠ - ٤١١
- ١٨ - المصدر نفسه، ص ٦٠٢ - ٦٠٤
- ١٩ - المصدر نفسه، ص ٦٠٥ - ٦٠٧
- ٢٠ - المصدر نفسه مجلد ١٠، ص ٣٢ - ٣٣
- ٢١ - المصدر نفسه، ص ٣٦ - ٤٠
- ٢٢ - ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والامم (حيدر  
آباد. مطبعة دائرة المعارف العثمانية) مجلد ٦، ص ٢، وانظر ابن الاثير، مجلد ٧،  
ص ٤٩٠.
- ٢٣ - ابن الاثير، ٧، ٤٩٥ - ٤٩٦
- ٢٤ - المصدر نفسه ص ٥٠٨
- ٢٥ - الطبري، ١٠، ٨٦ - ٨٧
- ٢٦ - المصدر نفسه ص ١٥٠ - ١٥١
- ٢٧ - ابن الاثير مجلد ٨، ص ١٨٠
- ٢٨ - المسعودي التنبية والإشراف ٣٣٥.
- ٢٩ - ابن الاثير، مجلد ٩، ص ٥٨ - ٥٩.
- ٣٠ - ابن الجوزي، مجلد ٧، ص ١٧٠
- ٣١ - المصدر نفسه، ص ١٧٤.
- ٣٢ - المصدر نفسه، ص ٢٢٧، وانظر ابن الاثير، مجلد ٩، ص ١٨٢
- ٣٣ - ابن الاثير مجلد ٩، ص ٣١٢.
- ٣٤ - ناصر خسرو سفرنامه، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، (بيروت دار  
الكتاب الجديد، ١٩٧٠) ص ١٤٥



# الاتصالات مع الجبهات البيزنطية الرسمية في الشام في العصر الراشدي من خلال المصادر العربية

الدكتور جاسم صكبان علي  
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة البصرة

## ١ - تحرير الشام

اهتم ابوبكر بتحرير الشام قبل غيرها لقربها من قاعدة الدولة العربية الاسلامية اذ قال تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة، ووجود تحشدات بيزنطية كبيرة وتحكم الشام في مواصلات العراق والشام ولذا فان أى تحرك عربى اسلامى سيكون مهددا بالخطر مالم تتم سيطرة العرب على طريق المواصلات هذه يضاف الى ذلك ان معظم القبائل العربية في الشام اعلنت استعدادها للتعاون مع المحررين العرب والوقوف الى جانبهم (٤).

ولما تكامل عدد الجيوش العربية في المدينة سيرهم ابوبكر الى الشام في اوائل عام ١٢ هـ / ٦٣٤ م على رأى معظم المؤرخين. وكان يقود هذه الجيوش اربعة قواد وهم: ابو عبيدة وعمر بن العاص وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن ابي سفيان. تعد موقعة الغرة جنوب البحر الميت اول معركة اصطدم بها العرب بالبيزنطيين (٥). ولما استند الضغط البيزنطى على عمرو بن العاص في جنوب فلسطين استدعى خالد بن الوليد من العراق لمساعدة القواد الاربعة في الشام. فجاء خالد منجدا لهم وقد التقى في بصرى بابى عبيدة وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان، وساعدهم على تحريرها (٦).

ثم سار القواد الاربعة لملاقاة البيزنطيين الذين انسحبوا الى اجنادين، فوقعت معركة اجنادين في ٢٨ جماد الاول من عام ١٢ هـ / ٦٣٤ م التى انتهت بانتصار العرب (٧). وتبعها معركة اليرموك التى اتبقت قدرة وفعالية المقاتل العربي والتى شاركت النساء العربيات المسلمات فيها. وفر هرقل من انطاكية الى القسطنطينية (٨).

ثم واصل العرب عملية تحرير الشام اذ اصطدموا بالبيزنطيين في فحل جنوب بحيرة طبرية واستولوا على بيسان فانسحب البيزنطيون الى دمشق، بعد ان هزمهم العرب في مرج الصفر. وتحصنوا ماواها في ١٤ هـ / ٦٣٥ م (٩).

وبعد سقوط دمشق سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م بيد العرب قرر هرقل يخوض حربا فاصلة مع العرب فنسحل جيشا كان جبلة بن

## الاتصالات مع الجهات البيزنطية الرسمية في الشام في العصر الراشدي

كانت الشام قبل الاسلام ضمن دائرة النفوذ البيزنطى. وقد كسب اهل مكة صداقة القيصر البيزنطى اذ ذهب زعيمهم هاشم بن عبد مناف الى الشام ووطأ ارض قيصر وكسب صداقته. وكان قيصر يدعوه الى بلاطه وصار هاشم يتردد عليه. وحين ادرك انه نال رضاه، سأل ان يعطى تجار مكة كتابا يؤمن فيه تجارتهم وانفسهم. فاستجاب قيصر لطلبه فضمن لتجار مكة صك الامان عند زيارتهم للشام فكانت قريش تخرج بتجارها الى الشام. وكثيرا ما كان هاشم معهم في هذه التجارة ومات في احدى سفراته الى الشام (١).

واستمرت هذه الصلات الحسنة في زمن الرسول (ص)، فقد كتب الرسول رسالة الى هرقل، ارسلها بيد دحية بن خليفة الكلبي، يدعوه فيها للاسلام، صيغت فقراتها بأسلوب دبلوماسى بارع يحمل كل معانى السياسة وحسن الجوار وكشفت عن عظمة الدبلوماسية العربية في عهد الرسول (٢). وقد اجاب هرقل على رسالة الرسول جوابا دبلوماسيا وارسل مع دحية مجموعة من الهدايا للرسول (٣).

وفي العصر الراشدي - عصر تحرير الشام - لم تكن العلاقات البيزنطية العربية علاقة عداء دائم بحيث استهدفت كل دولة القصاص على الاخرى وانما نظمت كل قوة منهما علاقتها بالقوة الثانية على الاسس الدينية. وقد كشفت الرسائل والوفود المتبادلة بين القيصر البيزنطى والخلفاء الراشدين وولاتهم في الشام عن هذه الحقيقة.

وسيقصر هذا البحث على (الاتصالات العربية الاسلامية مع الجهات البيزنطية الرسمية في الشام في العصر الراشدي من خلال المصادر العربية). متضمنا النقاط الآتية

- ١ - مقدمة عامة عن تحرير الشام.
- ٢ - الرسل والرسائل المتبادلة بين القوتين في العصر الراشدي.
- ٣ - الغراض الاتصالات ونتائجها.

هذا النوع من الاتصالات العربية مع الجهات البيزنطية الرسمية ولعل سبب ذلك هو عدم رغبة كتاب هذه المصادر في رواية الجوانب الايجابية عن التاريخ العربي الاسلامي لانهم ينتمون الى طبقة رجال الدين الذين اعتبروا الاسلام حركة نصرانية هرطقية يجب مقاومتها وتجاهل الجوانب الايجابية منها والتركيز على الجوانب السلبية وتضخيم بعض الممارسات الفردية ، التي لم تكن جزءا من سياسة الدولة انما هي اخطاء فردية .

ولم تقتصر الاتصالات مع الجهات الرسمية البيزنطية على الخلفاء الراشدين ، فقد كان بعض عمالهم في الشام يتراسل مع البيزنطيين ويرسل لهم وفودا «لتنظيم العلاقات المختلفة بين القوتين» . روى الاصفهاني ان معاوية بن ابي سفيان والي الشام كان قد ارسل وفدا لقيصر بزعامة عبدالله بن مسعدة الغزوي (١٥) . ورغم ان الاصفهاني لم يذكر مهمة الوفد ولكن يبدو ان مهمته هي بيان رغبة العرب في العيش بسلام مع جيرانهم البيزنطيين وازهار رغبتهم في التمسك بمبادئ حسن الجوار والتعاون في مجالات الاقتصاد والسياسة .

ولم تكن رسل معاوية ومراسلاته مقتصورة على قيصر الروم ، فقد كان يرسل بعض بطارقة الروم الذين يظهرون كيدا للعرب لغرض الايقاع بهم عند القيصر ، فكان يحتال لهم باهدائهم الهدايا ومكاتبتهم ثم يرسل لهم الرسائل كأنها اجوبة على رسائل تأتي اليه منهم يعلمهم فيها انه وثق بما وعدوه بها من نصره وخذلانهم القيصر وامر رسله بان تخفى الكتب عن البطارقة وبنفس الوقت يعملون على نشرها بين الناس للايقاع بالبطارقة عن القيصر (١٦) .

ويبدو ان البيزنطيين لم يتمسكوا بمبادئ حسن الجوار وانهم كانوا غير راغبين في العيش بسلام مع العرب ، فقد ارادوا استغلال ما لحق بالعرب من ضعف بسبب الحرب الاهلية بعد مقتل عثمان للتوسع على حساب حدود الدولة العربية ، ففكروا بغزو الشام ايام صفين ولذا فقد كتب معاوية والي الشام رسالة تهديد الى القيصر ، فصالحه القيصر على ان يؤدي معاوية اليه مالا . واخذ كل طرف رهنا من الطرف الآخر . لكن البيزنطيين غدروا وقتلوا رهن العرب فابى العرب ان يستحلوا قتل من في ايديهم من رهن البيزنطيين وخلوا سبيلهم واستفتحوا بذلك عليهم وقالوا : وفاء بغدر خير من غدر بغدر . فكتب معاوية الى القيصر : تالله لئن قمت على ما بلغني لاصالحن صاحبي ولاكون مقدمته اليك ولاجعلن القسطنطينية الحمراء حممة سوداء ولانزعنك من الملك نزع الاصطفليانة ولاردنك اريسا من الاراسة ترعى الدوابل (١٧)

ولما لم يستجب القيصر لتحذيرات معاوية قرر العرب ايقاف البيزنطيين عند حدهم بالقوة . فحاصروا القسطنطينية ، فقدم البيزنطيون على فعلتهم وتفاوضوا مع العرب وعقدوا معاهدة صلح تم الاتفاق فيها على ان يدفع البيزنطيون للعرب غرامة مالية

اليهم الفساني من ابرز قواده . وعندما رأى العرب ضخامة الجيش البيزنطي اخلوا شمال سورية وحتى دمشق وتوجهوا نحو الجنوب وتجمعت جيوشهم بقيادة خالد بن الوليد شرقي نهر الاردن وشرقي نهر اليرموك . وعبر البيزنطيون نهر الاردن الى سهل الياقوصة في حين سيطر العرب على اخدوده الذي يسيطر على نهر الياقوصة وبذلك سيطروا على الطريق المؤدى الى الداخل . ثم بدأت الحرب في ١٥ هـ / ٦٣٥ م وانتهت بانتصار العرب (١٠) . وبعد ان انتصر العرب في اليرموك توجهوا الى المناطق التي اتوا منها واسترجعوا المدن التي اخلوها ومنها دمشق وكان انتصار العرب في اليرموك نقطة تحول في تاريخهم وتاريخ العالم لانه جعل العرب اسيدا للشام وبدؤوا بعصر التنظيم والادارة (١١) .

## ٢ - الرسل والرسائل المتبادلة بين القوتين :

وارسل الخلفاء الراشدون اتصالاتهم بالجهات البيزنطية الرسمية سائرين على النهج الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكتبوا رسائل وارسلوا وفودا الى هرقل ، وقد اشار هرقل الى هذه الرسائل والرسع عندما كتب رسالة الى معاوية يقول فيها (ان الملوك قبلك كانت ترسل الملوك منا ويجهتد بعضهم في ان يغرب على بعض) (١٢) وكانت هذه الاتصالات تتم بطريقتين اما بواسطة الرسل او بالرسائل فهناك رسائل ورسائل ارسلها العرب الى البيزنطيين واخرى ارسلها البيزنطيون الى العرب ، فاما رسائل ورسائل العرب الى البيزنطيين فقد بدأت منذ عهد ابي بكر . روى العدوي ان ابا بكر ارسل وفدا متكونا من ثلاثة اشخاص الى قيصر البيزنطيين (١٣) . ولم يذكر العدوي مصدر خبره وقد فتشت في المصادر المتوفرة لدى عن مصدر هذا الخبر فلم اجد له اى اشارة . وعلى كل حال فانه من الممكن قبول رواية العدوي لان الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر كانا قد ارسلوا وفودا ورسائل الى القيصر المذكور ومن المحتمل جدا ان يكون ابو بكر قد اقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم وارسل وفدا لقيصر البيزنطيين يحمل معه رسالة يدعوه فيها للاسلام وتحمل الرغبة في استمرار علاقة المودة وحسن الجوار .

وازدادت الاتصالات الرسمية مع البيزنطيين نشاطا في خلافة عمر بن الخطاب لاتساع رقعة الدولة العربية في الشام واقترب حدودها من آسيا الصغرى موطن البيزنطيين ولذا فقد كتب عمر بن الخطاب الى هرقل يدعوه للاسلام ووجه اليه رسولا من اصحابه وهو جثامة بن مساحق الكناني « فلما انتهى اليه الرجل بكتاب عمر اجابه الى كل شيء سوى الاسلام » (١٤) وهذا يعنى ان القيصر قد استجاب لدعوات السلام والصداقة وتبادل العلاقات في الامور المختلفة .

ولا تروى المصادر العربية المتوفرة في الوقت الحاضر نصوص الرسائل المتبادلة بين الرسول وهرقل .

ويبدو ان سبب ذلك هو ان رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم مع حكام العالم قد طغت على اذهان الرواة المسلمين الذين اهتموا بها فحفظوا نصوصا واهملوا نصوص رسائل الخلفاء الراشدين الى هرقل لأنها اقل اهمية من رسائل الرسول . ولا تشير المصادر السرمانية الى

وان يسلم ابن اخ الامراطور رهينة للعرب لضمان دفع الغرامة بشكل منظم (١٨)

واجرى قادة تحرير الشام سلسلة من الاتصالات مع الجهات الرسمية البيزنطية وكانت هذه الاتصالات على شكل رسائل ووفود تبادلوها مع بطارقة الروم في الشام فبعد ان هزم الروم في تبوك (١٣ هـ/ ٦٢٤م) بعثوا رجلا من العرب المنتصرة (القداح) ليفاوض العرب. وجاء وفد البيزنطيين الى عسكر العرب ثم رجع الى معسكر البيزنطيين بصحبة وفد عربى اسلامى يرأسه ربعة بن عامر وجرى اللقاء بين ممثل العرب وبين القائد البيزنطى (جرجيس) وفي هذا اللقاء سأل القائد البيزنطى رئيس وفد العرب ماذا تريدون ؟ فاجابه الجزية.. او السيف. فقال جرجيس فما منعكم ان تقصدوا الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم ؟ فقال ربعة ابتدانا بكم لانكم اقرب اليانا من الفرس وان الله تعالى امرنا بذلك في كتابه، قال تعالى «يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة» (١٩).

وارسل ابو عبيدة رسالة الى هريس بطريق بعلبك عارضا عليه الاسلام او الذمة او الحرب. تم ارسال هريس وفدا لمفاوضة العرب (٢٠). وكتب ابو عبيدة رسالة الى بطريق حمص دعاه فيها بمثل ما دعا بطريق بعلبك لكن هذا البطريق رفض الدعوة. وبسبب الحصار العربى الشديد على المدينة بعث بطريقها وفدا يضم مجموعة من القسوس والرهبان وامرهم ان يفاوضوا ابا عبيدة وياخذوا عليه اليهود والمواثيق. فكان لهم ما ارادوا (٢١). وبعث بطريق الرستن رسالة الى ابي عبيدة يقول فيها (مهما كانت لك حاجة فدعنا نقضيها ونريد منكم المراجعة لاهل سوانا) (٢٢).

روى ابن العبري (٢٣) وميخائيل السورى (٢٤) ان البطريق ابن شهر باز المقيم في حمص سلم نفسه للعرب وسلمهم وكتب الى عمر بن الخطاب (ان انت جعلتنى قائدا واعطيتنى جيشا من العرب فانى انزل فارس واحارب الاعداء واجعل البلاد كلها في خدمتك والزم الجميع ان يؤدوا الجزية) وعندما استلم عمر الرسالة استشار البعض فقالوا (لا يغرنك الكلام الكاذب الذى تفوه به ابن شهر باز لانه كلام خداع وافتراء وهو يريد ان يفعل ما كتب به اليك فهو لم يحسن على ابناء جنسه واسياده ولم يحفظ المودة والصدق لمن هم من لحمه ودمه بل قتلهم كالغرباء فكيف يحفظ لك العهد والاخلاص انه انما يتوسل بذلك ذريعة حتى اذا حكم تمرّد عليك).

وبعث ماهان قائد قوات الروم في الشام، قنا معاكة اليرموك، احد قواده العسكريين (جرجير) رسولا الى ابي عبيدة، فكلم الرسول ابا عبيدة باستلوب تهديد ووعد اد قال من جمله ما قال يا معشر العرب لايعربكم ان تقولوا هزمنا عساكر الروم في مواطن كثيرة. فاصبرموا الى بلادكم.. والا كنتم من المهالكين (٢٥) فرد عليه ابو عبيده بكلام اعنف منه ورجع جرجير الى ماهان

واخبره بما جرى. ثم اراد ماهان ان يضرب العربى بالعربى، فارسل لابي عبيدة جندا بقيادة جبلة بن الايهم الغساني. فجاى جبلة الى صفوف العرب المسلمين وطلب المبارزة فخرج له عبادة ابن الصامت ودار بين الاثنين حديث طلب فيه جبلة من عبادة التوسط لعقد الصلح مع البيزنطيين اذ قال (يا بن العم انا ما خرجت الا اريد النصيحة لكم فان ابستم ذلك فاسال قومك يجيبوتنا الى الصلح فقال عبادة لاصلح بيننا ولا باداء الجزية او الاسلام او السيف وهو حد بيننا وبينكم) (٢٦) فرجع جبلة خائبا الى ماهان. وحاول العرب المسلمون افشال خطة ماهان وذلك بارسال وفد الى جبلة لاقتاعه بترك البيزنطيين والانضمام للعرب لكنه وان اكرم الوفد رفض الدخول في الاسلام وعندما انهزم البيزنطيون بعد اليرموك صار جبلة بن الايهم في جملة قومه الى موضعه بالشام فارسل اليه يزيد بن ابي سفيان ان اقطع على ارضك بالخراج واداء الجزية فقال جبلة (انما يؤدى الجزية العلوج وانا رجل من العرب) (٢٧).

وفي اثناء تقدم عمرو بن العاص لتحرير فلسطين ارسل البيزنطيون وفدا لمفاوضة عمرو بن العاص كان اسم رئيس الوفد الارطلون وكان يتقن العربية وقبل لقائه بعمرو بن العاص كتب اليه « انت في قومك مثل في قومي والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد اجنادين فارجع ولا تفرو...» (٢٨) فاجابه عمرو برسالة قال فيها «جاءنى كتابك وانت نظيرى ومثل في قومي لو اخطاكت خصلة تحاملت فضيلتى وقد علمت انى صاحب فتح هذه البلاد واستعدى عليك فلانا وفلانا - لوزرائه - فاقرئهم كتابى ولينظروا فيما بينى وبينك» (٢٩). وفي اثناء وصول العرب الى واتن القرية من غرة خرج اليهم بطريقها. وجرى مفاوضات بينه وبين عمرو ابن العاص عرض فيها البطريق على عمرو ان يدفع مالا للعرب على ان يصرفوا من القرية المذكورة. لكن عمرا رفض ذلك وقرر فتحها (٣٠).

وذهب وفد عربى لمفاوضة البيزنطيين قبل اليرموك، ويتكون الوفد من ابي عبيدة ويزيد بن ابي سفيان والحارث بن هشام وضرار بن الازور وابى جندل بن سهيل. واجتمع الوفد مع الوفد البيزنطى الذى ترأسه اخو هرقل «ولم يأت بينهم وبين المسلمين صلح فرجع ابو عبيدة واصحابه واتعدوا فكان القتال حتى جاء الفتح» (٣١).

وفي اثناء الحصار العربى على دمشق ارسل اهلها وفدا لمفاوضة العرب. كان رئيس الوفد منصور بن سرجون وهو من وجهاء المدينة ومدير الشؤون المالية فيها. وكان على خلاف مع هرقل لان الاخير قد احبره على شراء منصبه بمائة الف دينار ولذا فقد عرقل منصور وصول المؤن والمعدات اللازمة لجيش البيزنطى الذى قدم بقيادة ماهان. وقد كان منصور بن سرجون ياصر من اسوار العرب سيخلفه من البيزنطيين ولذا غاب عما عم مساعدة العرب في دخول المدينة (٣٢). ولم يكن منصور

سرجون هو الوحيد الذي اتصل بالعرب، فقد اتصل بهم اصحاب اسقف المدينة واهل الدير الملاصق لاسوار المدينة وقدموا لهم مساعدات (٣٣).

وكان الخلفاء الراشدون يختارون الوفود والرسل المرسلين للقيصر. واما الوفود والرسل المرسلون للبطارقة فكان اختيارهم يتم عن طريق القواد العرب في الشام في الاعم الاغلب، وقد حرص العرب على ان يكون الموفدون والرسل من العلماء والعارفين بامور الاسلام وتاريخ العرب وانسابهم. والقادرين على ضبط اعصابهم وقت الشدة. واصحاب قدرة على الدعاية الطريفة. ومن القادرين على استنباط غوامض الامور ويكون الموفد حليما «قادرا» على كظم الغيظ، متأنيا، حازما، وان يكون من نسب محدد ليكسب مظهرا «ارستقراطيا» يجعله على اتصال بشاكلته من اهل الامم التي يذهب اليها. اضافة الى وجوب توفر الصفات الجسمية مثل تمام القد واحتراد الطول وان يكون وسيما لاتقتضيه العيون ولا تزدرية النواظر (٣٤).

اما وفود ومرسلو البيزنطيين فكانوا من رجال الدين الدهاء العارفين بامور دينهم، واصحاب قدرة على النقاش والجدل في دينهم فصيحى اللسان وعارفين بالعربية اضافة الى لغتهم القومية (٣٥).

وكانت رسل البيزنطيين للعرب من نفس المستوى الوظيفي للمرسل اليه، فقد كتب الارطوبون الى عمرو بن العاص «انك صديقي ونظيري، انت في قومك مثلي في قومي» (٣٦) ومع ذلك فقد فرض القادة والولاة العرب مكانتهم عند الامبراطور البيزنطي نظرا لما ابدوه من عبقرية عسكرية فاخرة يكتسبونها ويرسل وفودا لهم فقد كتب الى معاوية عندما كان واليا على الشام ايام عثمان. وارسل رسولا الى خالد بن الوليد قبل وصوله الى دمشق طالبا منه اطلاق سراح ابنه التي وقعت اسيرة عند العرب (٣٨).

### ٣ - اغراض الاتصالات ونتائجها

ولهذه الاتصالات اهداف دينية وحربية وسياسية. وتعد الاهداف الدينية اهمها لان العصور الوسطى كانت عصور الدين. وكانت هناك دولتان هما الدولة العربية والدولة البيزنطية. وقد قامت الدولتان على اساس ديني ولما كان الاسلام ديننا عالميا كلف العرب بنشره في العالم، لذا فقد دعا ابوبكر وعمر بن الخطاب قيصر الروم للاسلام (٣٩) وعرض القواد الاربعة الاسلام على ممثلي المدن الشامية المختلفة فعقدت مع العرب عهود الصلح المعروفة. وارسل هرقل رجال دين نصارى لمناقشة العرب المسلمين في امور دينية مختلفة (٤٠) وتفاوض بعض القسوس مع العرب وحصلوا على امتيازات ديمية منهم (٤١) اما الاهداف العسكرية فتتجلى في الرغبة في حل المشاكل الخارجية بعقد هدنة مؤقتة لغرض التفرغ لمحاربة الخصوم كما حصل لمعاوية والي الشام عام ٢٥ هـ / ٦٥٥ م عندما عد

البيزنطيون بالعرب لكن معاوية حل المشكلة بالاتصالات المكثفة مع القيصر وتوجت هذه الاتصالات بعقد معاهدة صلح مع القوتين (٤٢). ومن الاهداف العسكرية لهذه الاتصالات هي استغلال الوقت لتدعيم القوة الحربية واستئناف القتال. فقد عقد بطرك اركه معاهدة مع خالد بن الوليد، وقبل عقد المعاهدة قال البطرك لسكان المدينة «فان كان قومنا هم الغالبون فسحنا صلحهم» (٤٣). وسار على نفس السياسة بطرك قنسرين اذ عقد معاهدة مع العرب لغرض كسب الوقت حتى تصل امدادات البيزنطيين (٤٤). وحذا بطرك جوسيه حذوه (٤٥).

وجرت بعض الاتصالات الرسمية لاطلاق سراح الاسرى (٤٦)، وكثيرا ما حاول البيزنطيون مساومة العرب اذ كانوا يخبرونهم بين الانسحاب من المناطق التي يخضعونها لهم وبين اعدام الاسرى العرب، ومثل ذلك ما جرى بين وفد العرب والبيزنطيين الذي ترأسه جبلة بن الايهم، فقد قال جبلة لمثل وفد العرب اما ان يرجع ابوعبيدة من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل او اعدام سعيد بن عامر الانصارى الذي وقع اسيرا بيد البيزنطيين في قنسرين (٤٧) واستعمل القائد البيزنطي نفس الاسلوب اثناء مفاوضاته مع خالد بن الوليد، فقد هدد خالد بقتل الاسرى العرب اذا لم ينسحب العرب من مدن التي سيطروا عليها قبل اليرموك (٤٨).

واجرى معاوية اتصالات مع الجهات الرسمية البيزنطية لتحقيق بغض الاهداف السياسية فقد عمل اثناء ولايته على الشام على الاطاحة ببعض البطارقة لدى القيصر وذلك بكتابة رسائل كانها اجوبة على رسائل كتبوها له. ويدون فيها مساعدتهم ومساعدتهم لمعاوية ضد القيصر لغرض الايقاع بهم وقد نجح في تحقيق هذا الهدف (٤٩). وحاول جرجس قائد البيزنطيين ان يستعمل طرقا سياسية للتخلص من العرب فقد اتصل بهم عارضا عليهم ان يقصدوا الفرس لمحاربتهم ويدعون الصداقة بين العرب وبين البيزنطيين (٥٠).

وامتازت الرسائل المتبادلة بين العرب والجهات البيزنطية الرسمية بانها قصيرة موجزة «سلسة فصيحة وبعيدة عن الاطناف والتكلف» (٥١). وقد كتب العرب رسائلهم بطريقة الوعظ والارشاد في حين كانت اجوبة البيزنطيين على الرسائل العربية مليئة بالتهديد والوعيد.

ويبدو ان العربية كانت لغة المراسلات والمفاوضات (٥٢)، في الشام لان سكان الشام كانوا عربا فاصبح من اللازم على الحكام البيزنطيين معرفة لغة سكان البلاد لتسهيل مهمة ادارتها ولا تشير المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر الى استخدام مترجمين في هذه الاتصالات الا في حالتين الاولى عندما طلب كلوس بن يوحنا، احد قواد البيزنطيين عندما حاصر العرب دمشق مترجما عندما برز لمقاتلة خالد بن الوليد والثانية عند يحيى عمر بن الحطاب الى بيت المقدس ومقابلة البطرك له (٥٣)

ولا تشير المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر الى رسائل تبادلها العرب مع جهات رسمية غير بيزنطية لمقارنتها بهذه الرسائل. والحلاصة فان الاتصالات مع الجهات الرسمية البيزنطية في العصر الراشدي كانت تهدف لتوثيق الروابط السياسية وانهاء حالات الحرب والتوتر بين الدولتين، وقد تبادل الطرفان الوفود والرسائل للاتفاق على انتهاء الحرب. وصيغت الرسائل العربية للبيزنطيين بأسلوب يحمل كل معاني الدبلوماسية الناضجة.

وقد زود رؤساء الوفود العربية بتعليمات للتأكد من صحة طلب الطرف الثاني للصلح والمهادنة وذلك لان الطرف البيزنطي كثيرا ما كان يطلب المسألة لغرض استغلال الوقت لتدعيم قوته واستئناف القتال. وقد اختير رؤساء الوفود العربية من الاذكاء الذين يتمكنون من التفاهم مع الجهات البيزنطية الرسمية وكان رؤساء الوفود العربية اشبه بما يسمون في الوقت الحاضر بالسفراء فوق العادة والذين يرسلون لاداء مهمة معينة. ثم تنتهي وظيفتهم بانتهاء المهمة المرسلين من اجلها مثل عقد المعاهدات، وكان الوفد العربي يمثل الخليفة ويوقع المعاهدات والاتفاقيات نيابة عنه.

وقد ضمنت الدولة العربية للوفود القادمين اليها السلام والامان طيلة مدة اقامتهم في بلاد العرب حتى يرجعوا مطمئنين الى بلادهم وقد اكدت كتب الفقه على الامان الذي يشبه الحصانة الدبلوماسية في الوقت الحاضر ولم يذكر التاريخ حادثة مخالفة لذلك.

وقد تمسك العرب بالعهود والمواثيق التي عقدوها مع البيزنطيين وضمنوا حياة الاسرى والرهائن وعاملوهم معاملة حسنة تليق بهم كائنا من ضعفاء عزل في حين ان البيزنطيين نقضوا الكثير من العهود والمواثيق وقتلوا الاسرى العرب وخيروا العرب بين الانسحاب وبين قتل الاسرى العرب عند البيزنطيين.

## الهوامش

١ - القائل البغدادي، ابو علي اسماعيل بن القاسم، كتاب ذيل الامالي والنوادر (بيروت ١٩٨٠) ص ١٩٩، كستر م ج. الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبردي (بغداد ١٩٧٦) ص ٤٤

٢ - الطبري، محمد بن حنبل، تاريخ الطبري، ج ٢ تحقيق محمد ابو الفتح ابراهيم (القاهرة ١٤١٩)

٣ - نفس المصدر والجزء ص ٦٥٠ راجع العددي، ابراهيم احمد، السفارات الاسلامية الى اوربا في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٥٧) ص ٧ - ٨.

٤ - علي، حاسم صكبان دراست في التاريخ العربي من خلافة ابي بكر حتى سقوط الدولة الاموية تحت الطبع حداد، جورج مرعي فتح العرب للشام (بيروت ١٩٢١) ص ٢٣. A. A. Vashiev, History Of The Byzantine Empire Vol 1 (Canada, 1952) P 20

٥ - الطبري، المصدر السابق ج ٣ ص ٤٠٦

٦ - المصدر السابق والبحر ص ٤١٧، الواقدي، فتوح الشام (القاهرة ١٩٦١) ص ٢٥. ٢٠ - البلاذري، فتوح البلدان (بيروت ١٩٧٨) ص ١٢٠

٧ - الطبري، المصدر السابق ج ٢، ص ٤٦٨، ص ٤٧٩، اليقوي، تاريخ اليقوي ج ٢ (نصف ١٩٦٤) ص ١٢٤، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ج ١، تحقيق اكرم ضياء العمرى (نصف ١٩٦٧) ص ٨٧

٨ - الطبري، المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٦، خليفة بن خياط، المصدر السابق ج ١ ص ٨٧

٩ - البلاذري، المصدر السابق ص ١٢٢، ١٢٧، اليقوي، المصدر السابق ج ٢ ص ١٢، الطبري المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٩

١٠ - خليفة بن خياط، المصدر السابق ج ١ ص ١٠٠

١١ - حداد، جورج، المصدر السابق ص ١٠٣

١٢ - المبرد، الكامل في الادب ج ٢ تحقيق محمد ابو الفضل (القاهرة ص ١١٤) ١٣ - المصدر السابق ص ٨

١٤ - ابو الفرج الاصفهاني، الاغانى ج ١٥ (بيروت ١٩٥٨) ص ١٢٧، ابن عسكرو، العقد الفريد، ج ٢ تحقيق احمد امين واخرين (القاهرة ١٩٥٦) ص ٥٦

١٥ - ابو الفرج الاصفهاني، المصدر السابق ج ١٥ ص ١٢٠

١٦ - المبرد، المصدر السابق ج ٢ ص ١١٢ - ١١٤

١٧ - ابن منظور، لسان العرب (مادة ارس) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ (بيروت ١٩٦٥) ص ٢٧٧، الحيدري ابادي، مجموعة الوثائق السياسية (القاهرة ١٩٥٦) ص ٥

١٨ - Theophanes, Theophanis Chronographia ( Bonn, 1939 ) P.34 6Michael The Syriac, Chronique De Michel Le Syrien-ed J. B. Chabot (Paris, 1899-1901) P 432

١٩ - الواقدي، فتوح الشام، ج ١ الطبعة الرابعة (القاهرة ١٩٦٦) ص ٦ ٢٠ - الواقدي، المصدر السابق ج ٢ ص ٨٤ - ٩٠

٢١ - المصدر نفسه ج ١ ص ٩٧ - ٩٨

٢٢ - المصدر نفسه ج ١ ص ٩٨ - ٩٩

٢٣ - The Chronography, Trans W Budge (London, 1912) P 94 ٢٤ - Op., Cit., Vol 2 P P 416

٢٥ - الواقدي، المصدر نفسه ج ١ ص ١١٠

٢٦ - المصدر السابق ص ١١٢

٢٧ - اليقوي، المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٢

٢٨ - الطبري، المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠٦

٢٩ - المصدر نفسه والصفحة

٣٠ - ابن عسكار، تاريخ مدينة دمشق ج ١ تحقيق صلاح المنجد (دمشق ١٩٥١) ص ٨٤٦١

٣١ - الطبري، المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٢، ابن عسكار، المصدر السابق ص ٤٧٥

٣٢ - حداد، جورج، المصدر السابق ص ٧٧، حنبل، فليط، تاريخ سورية ولبنان ج ٢ (بيروت ١٩٧٢) ص ١٠

٣٣ - البلاذري فتوح ص ١٤٤

٣٤ - العدوي، المصدر السابق ص ٢٩ - ٣٩

٣٥ - الواقدي، المصدر السابق ج ١ ص ٧٠٦، الطبري، المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠٥

٣٦ - الطبري، المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠٦

٣٧ - المبرد، الكامل، ج ٢ ص ١١٤

٣٨ - الواقدي، المصدر السابق ج ١ ص ٥٨

٣٩ - ابن عسكرو، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧

٤٠ - الواقدي، المصدر السابق ج ١ ص ٦

٤١ - Bar-Hebraeus, Op., Cit., P 96 البلاذري، المصدر السابق ص ١٢٢، ١٤٤، ابن عسكار، تاريخ مدينة دمشق، ج ١ ص ٥٠٩

٤٢ - Michael, Op., Cit., Vol 2 P 431

٤٣ - الواقدي، المصدر السابق ج ١ ص ١٥

٤٤ - المصدر السابق ج ١ ص ٧٢

٤٥ - المصدر نفسه ج ١ ص ٧٠

٤٦ - المصدر نفسه ج ١ ص ٥٨

٤٧ - المصدر نفسه ج ١ ص ٧٧

٤٨ - المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٧

٤٩ - المبرد، المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٤

٥٠ - الواقدي، المصدر السابق ج ١ ص ٦

٥١ - الواقدي، المصدر السابق، ج ١ ص ٨٤، ٩٤، ١٠١، الطبري، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٦، الحيدري ابادي، المصدر السابق ص ٣٩٥

٥٢ - الواقدي، المصدر السابق ج ١ ص ٨٤، ٩٤، ١٠١، الطبري، المصدر السابق ص ٦٠٦

٥٣ - الواقدي، المصدر السابق ج ١، ص ٢٠، ٢١، ١٦١



# عمرو بن العاص

الدكتور بدرى محمد فهد  
كلية الآداب - جامعة بغداد

## ١ - عائلته ونشأته :

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي. أبو عبدالله (١). نشأ في بني سهم إحدى بطون قريش المعروفة، الذين عهدت إليهم قبل الاسلام الحكومة، والاموال المحجرة. أى السفارة والوساطة ما بين قريش وبعضها أو قريش وغيرها من القبائل والاشراف على الاموال التى اوقفت على المعابد (٢).

وكان أبوه العاص بن وائل من اشتغل بالتجارة كشأن قريش وكان من معارضى الاسلام. والمستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم. فكان من جملة ايدائه للرسول صلى الله عليه وسلم انه كان يسميه بالابتر بعد وفاة ابنه عبدالله أى انه لا يعيش له ذكر فانزل الله عز وجل فيه «إنَّ شانئك هو الابتر» (٣). وتوفى العاص بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة بأشهر وهو ابن خمس وثمانين سنة على الكفر (٤).

أما أمه فهي سلمى بنت حرملة وتلقب (النايفة) من بني عنزة وقعت سبية فبيعت في سوق عكاظ فانتقلت من يد الى أخرى حتى صارت عند العاص بن وائل فولدت له عمرا (٥).

وكان لعمرو أخ شقيق سبقه الى الاسلام وهو هشام بن العاص، ممن هاجر الى الحبشة في المرة الثانية ثم قدم مكة فحبسه أبوه ومنعه من اللحاق بالمدينة حتى توفى أبوه. ثم حبسه قومه فلم يزل بمكة حتى وافته الفرصة للافلات من حبسه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الخندق وجاهد مع المسلمين وقتل بالشام. وكان اصغر سنا من عمرو ويكنى أبا العاص فكانه النبي صلى الله عليه وسلم أبا مطيع (٦).

وكان لعمرو أخ آخر من أمه يسمى عمرو (أو عروة) بن ابي اثانة بن عبدالعزى العدوي. وكان من مهاجرة الحبشة. وقد مات في الحبشة ولا عقب له (٧).

وكان عمرو من فرسان قريش، وابطالها قبل الاسلام مذكورا بذلك فيهم وكان شاعرا حسن الشعر، حفظ عنه الكثير في مشاهد شتى، كما عرف عنه الذكاء (٨).

ومن قبيل معرفة قريش بقبليات عمرو وشدة ذكائه ان قريشا ارسلته مع عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي (وقيل عمارة بن الوليد المخزومي) بقمع النحاشي بتسليم المسلمين الملتجئين عنده بالهين

## عمرو بن العاص

### ١ - عائلته ونشأته

٢ - في عهد النبي (ص)

٣ - في عهد ابي بكر (ر)

٤ - في عهد عمر بن الخطاب (ر)

١ - تحرير مصر

ب - تحرير ليبيا

٥ - في عهد عثمان (ر)

٦ - في عهد معاوية

٧ - ادارة عمرو لمصر بعد تحريرها

اولا - بناء القسطنطين

ثانيا - ادارة البلاد

١ - وظائف بيد الروم والاقباط

ب - وظائف بيد العرب

ج - سياسة الرعية

٨ - عمرو في التاريخ

١ - خلقته وخلقه

ب - بين عمرو والخلفاء

ج - قيادته الحربية

كانت الكتابة عن قادة العرب واعلامهم تخليدا لذكراهم وتاريخا لأجدادهم ومؤثرهم لما قدموه للامة من خدمات في ميادين مختلفة ولقد أصبح هؤلاء القادة والاعلام رموزا لمجد العرب الخالد وأسوة للخلف من اجيال العرب الشابة. وهذا ما اقتضى الاحتفال بهم في مناسبات مختلفة وفي اقطار عربية متعددة لتنشأ الأجيال الشابة مؤمنة بوطنها ومعزة بتاريخها ومؤثر اجدادها بعيدة عن التغريب والاستلاب الفكرى

لذا وجدنا الاضواء تسلط مرة بعد أخرى على نتاج مؤلف او كاتب ويعاد التأليف حول قائد من قادة العرب انطلاقا من هذه النظرة التى عرضناها.

كما ان في كل عصر مستجدات جديدة ومقاييس مستجدة في الحرب والسياسة وفي الاقتصاد والادب والتاريخ وهذا يستدعى اعادة النظر ووزن الأمور التراثية وفق الموازين المستحدثة والاستئثار بالآراء الجديدة

وكتابتنا عن عمرو بن العاص استجابة لدعوة للمشاركة في ندوة عن القادة العرب وعمرو أهل الاشادة به واعادة ذكره اذ انه قائد منتصر وانه محرر لثلاثة اقطار عربية هي فلسطين ومصر وليبيا

الحجج المزيفة لاقتناعه وحاملين هدايا قريش اليه. الا انه رفض حججه ومطالبهم وارجعهم خائبين الى مكة مما زاد من حقن قريش على المسلمين والاكتار من ابدائهم (٩).

استمر عمرو كأبيه معاديا للاسلام وشارك قريشا في تصديدها للنبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنه انه كان في قافلة قريش العائدة من الشام، مع ابي سفيان في السنة الثانية من الهجرة التي خرج اليها النبي صلى الله عليه وسلم (١٠). وانه كان ضمن اربعة اختارتهم قريش ليستجدوا بالقبائل المحالفة لها بعد معركة بدر (١١). وانه ممن خرج مشاركا في معركة احد، واختلف في قيادته للخيل فقد كان عمرو قائد الخيالة، وقيل لا بل صفوان بن امية (١٢) وشارك في معركة الخندق ورجع منها متيقنا ان النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه سائرون في طريق الانتصار، وان قريش الى خذلان (١٣).

ثم اسلم عام ٨ هـ قبل فتح مكة بستة اشهر وكان قد قدم الى المدينة مع خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لصحابته «قد رمتكم مكة يا فلان كبدها» تقديرا منه لمكانتهم في قومهم وعزتهم في قريش وتظهر جملة من الروايات ايمان عمرو في وقت سابق لهذا العام اي عام ٨ هـ بعضها يرجع بزمنه الى عهد هجرة الحبشة الاولى وان الذي اقنعه بالاسلام النجاشي نفسه ملك الحبشة. وبعضها تجعله مؤمنا يخفى ايمانه عن ابيه وقومه منتظرا الوقت المناسب لخروجه الى المدينة وانه كان على موعد مع اخيه هشام حول مجيئه الى المدينة (١٤).

## ٢ - في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

وأول عمل عهد النبي صلى الله عليه وسلم به الى عمرو ارساله الى رهاط لتحطيم سواع صنم الهذيل على بعد ثلاثة اميال من مكة. كانوا يحجون اليه ويعبدونه ويقضون عنده النذور (١٥).

وفي نفس العام الذي اسلم به عمرو عهد اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بمهمة الى قبيلة عذرة وبلى (من قضاة)، وكانت بلى اخوال ابيه وكانت تسكن الشام قائلا له «يا عمرو اني اريد ان ابعثك في جيش يسلمك الله ويفنمك، وارغب لك من المال رغبة صالحة» وكانت مهمة دعوتهم الى الاسلام، واستنهاضهم للجهاد فقام بالواجب وعاد في صفر من نفس السنة ويبدو ان قبيلة بلى لم تستجب له، وان حيز دعوتها الى الاسلام انتشر في بطون قضاة لذلك استعدت للحرب وهذا ما يفهم من ارسال عمرو على رأس قوة من ٣٠٠ رجل وكان ذلك في شهر حمادى الاخرة من هذه السنة المذكورة الى قضاة وقد سميت الغزوة بذات السلاسل نسبة الى ماء بارض جذام نزلوا عنده. ولما رأى عمرو وقلة من معه قياسا على جموع اعدائه من قضاة وعامله ولخم وجذام كتب الى النبي يستمده، فايده بمائتين فاصبح مجموع ما عنده خمسمائة مقاتل فيهم من كبار الصحابة ابو عبيدة - وكان قائد المدد القادم اليه - وعمر بن الخطاب، وابوبكر. ودارت المعركة وانتصر فيها المسلمون وغنموا غنائم عظيمة (١٦).

ويبدو ان عمرا اظهر في غزوة ذات السلاسل هذه مقدرة في القيادة، ويدت قابليته ومعرفته في ادارة الجيش وسلامته خلال مسيره وقاتله (١٧) فقد اتخذ جملة قرارات اثناء هذه الغزوة اولها رفض ان يكون للجيش قائدان وذلك عندما اقترح ابو عبيدة قائد المدد ان يبقى قائدا

لمجموعته. فاصر عمرو على توحيد القيادة.

وثانيا : - انه أمر بالسير ليلا ليخفى امره عن عيون الاعداء.

ثالثا : - انه لم يسمح بايقاد النار ليلا لكي لا يتعرف العدو الى عدد جنده.

رابعا : - انه لم يسمح بتعقب جند العدو خوفا من معاودة العدو للهجوم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم على علم بما كانت عليه سبهم من قيامها بالحكومة كما اسلفنا كما انه قد خبر عمرا وعرفه فوجده اهلا للسفارة لهذا عهد اليه بالمهمة الثانية وهي حمل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان جيفر وعياد ابني الجلندى لاقتناعهما بالدخول في الاسلام بعد اوصول الرسالة اليهما. وقد أدى مهمته ونجح في اقناعهما. وبقي داعية للاسلام ومصلحا فيها وجابيا للصدقة حتى انتهى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فاستدعاه ابوبكر بعد ان رغبه فيما هو خير له (١٨).

ويبدو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان راضيا عنه فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله «عمرو بن العاص من صالحى قريش» (١٩).

## ٣ - في عهد ابي بكر الصديق (ر)

عاد عمرو من عمان فمر في طريقه ببني عامر ونزل عند زعيمهم قره ابن هبيرة وقد استقبل عمرا واستضافه وكانت حركة الردة قد وقعت وتسامحت بها القبائل على اثر وفاة الرسول (ص) وكان قره هذا يقدم قديما ويؤخر أخرى. فلما نزل به عمرو اخبره بما في نفسه ونفوس اهل الردة وهى عدم دفع الزكاة وقد اعتبرها اتاوة قائلا لعمرو «يا هذا ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالاتاوة فان اعقبتموها من اخذ اموالها فستسمع لكم وتطيع، وان ابيتهم فلا تجتمع عليكم» الا ان عمرا اجابه جوابا حازما واضحا بقوله «اكفرت يا قره وتخوفت بالعرب، فوالله لاوطن عليك الخيل في حفش امك» (٢٠).

ولما عزم الخليفة ابوبكر الصديق على محاربة المرتدين اختار عمرا قائدا لأحد الجيوش، وجعل وجهته الشام لمحاربة قضاة، ويبدو ان انتصار عمرو في ذات السلاسل هو الذى جعل الخليفة ابوبكر يرسله لمحاربة قضاة بالذات لما أبداه من شجاعة ومن كفاءة في قيادة الجيش.

بعد ان ابهى قادة حرب الردة مهماتهم بنجاح اخذوا يفدون إلى المدينة ولما تكامل جمعهم في مستهل سنة ثلاث عشرة عقد الخليفة ابوبكر الاولى لتحرير العراق والشام فعقد لعمرو لواء وجعل وجهته الى فلسطين وعقدت الوية أخرى ليزيد بن ابي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وابي عبيدة عامر بن الجراح وكانت تحت امرة كل قائد ثلاثة آلاف جندي ثم امدهم ابوبكر حتى صار مجموعهم اربعة وعشرين الفا وكانت بلاد الشام بلادا عربية يحكمها البيزنطيون غصبا وجورا فقد كان العرب يسكنون القسم الجنوبي منها في حوران وما يليها الى الجنوب الغربي مثل الكرك ومعان الى العقبة قرب البحر الاحمر وكان يسكنها من القبائل غسان ولخم وحذام وكتب وقضاة وغيرهم. وكانت عاصمة هذا القسم بصرى حاضرة الملوك من بني غسان. وكان قسم عظيم من الجزء الشرقى والشمال الشرقى الممتد من غوطة دمشق الى مدينة تدمر وما بعدها الى نهر الفرات مأهولا بالعرب ايضا من بني

غسان والنمر وبهراء وتغلب وغيرهم وعاصمة هذا القسم مدينة دمشق (٢١)

كما ان العرب امتدوا في سكتانهم صوب غزة. وقد كانوا كشأن اخوانهم عرب الشام ممن تحملوا صنوفا من جور الروم لذلك ما ان جاءت الجيوش العربية الى الشام حتى بادروا الى الاتصال بهم ودعوتهم لدخول فلسطين (٢٢).

فدارت معارك في جبهات مختلفة وفي هذه المعارك التي دارت على ارض الشام برزت كفاءة عمرو القيادية وذاع صيته ولا سيما بعد اقتراحه على القادة (بعد سماعه بتقدم جيش الامبراطور هرقل)، بتوحيد الجيوش العربية وتوحيد قيادتها وهكذا خاضوا معركة اليرموك وانتصروا على الجيش البيزنطي. وبينما هم في اليرموك جاء الخبر بوفاة الخليفة ابي بكر وتولية عمر (ر). واستمر عمرو مشاركا في تحرير الشام خلال عهد عمر بن الخطاب حتى تم التحرير.

#### ٤ - في عهد عمر بن الخطاب (ر).

١ - تحرير مصر:

اصبح عمرو بعد حروب الشام معروفا بدهائه وفطنته وشجاعته، ولم تكن تخفى صفاته تلك عن الخليفة اليقظ عمر بن الخطاب وهو الخبير بالرجال. لذلك اسند اليه وحده مهمة جليلة وهي تحرير مصر ولا عبرة باختلاف الروايات حول فكرة تحرير مصر وان كانت قد جاءت كاقتراح من القائد عمرو لحماية بلاد الشام والقضاء على بقية القوات البيزنطية في مصر التي يخشى ان تستفيد من موانئ مصر واسطولها للعودة الى الشام ومناجزة الجيوش العربية القتال ام ان تحريره مصر جاء بأمر من الخليفة عمر القائد العام لقوات المسلمين (٢٣).

ومصر لم تكن غريبة او مجهولة بالنسبة للعرب كما ان العرب لم يكونوا غرباء او مجهولين بالنسبة لشعب مصر. فقد كان العرب يعرفون دولة الفراعنة وان ابا العرب اسماعيل من ام مصرية وقد ذكر استرابون الجغرافي الاغريقي ان مدينة كبش في الصعيد كانت نصف عربية (٢٤).

وكان العرب يتسامعون باخبار الحرب بين الفرس والروم وكانوا يعتقدون المراهنات على حاضرها ومصيرها. وقد تراءى المسلمون والمشركون على عاقبة الغزوة الفارسية للدولة البيزنطية لذلك جاء في القرآن الكريم في اول سورة الروم «الم غلبت الروم في احدى الارض وهم من بعد غلبهم سيفليون في بضع سنين...» وكان نزول الآية الكريمة في سنة ٦١٥ م وهو تاريخ المعركة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ما يزال بمكة ولم تمض سبع سنوات حتى كانت النبوءة قد تمت واذت بما يليها. وهو وعد المؤمنين بالنصر وانجاز الامر الالهى الذي دعاهم ان يسيروا في الارض وينظروا عاقبة المشركين (٢٥).

وقد عاش العرب هذه الاحداث ووعوها فقد جاء عن العلاء بن الزبير الكلبي انه حدث عن ابيه قال «رايت غلبة فارس الروم ثم رايت غلبة الروم فارسا ثم رايت غلبة المسلمين فارسا والروم كل ذلك في خمس عشرة سنة» (٢٦)، كما ان القرآن الكريم ذكر مصر في عدة مواضع. ان النبي صلى الله عليه وسلم قد بشر المسلمين بان الله سينصرهم على دولتي الفرس والبيزنطيين وسوف تقسم عليهم كنوزها (٢٧).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية عام ٦ هـ قد

ارسل رسلا الى الملوك والرؤساء في البلاد المجاورة لجزيرة العرب وكان ممن ارسل اليهم امبراطور الدولة البيزنطية هرقل والى المقوقس عظيم الغبط وقد حمل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم اليه حاتم بن ابي بلتعة (٢٨) وقد اكرم المقوقس رسول النبي صلى الله عليه وسلم وزوده بهدايا كان في جملتها جارية من اهل مصر اسمها مارية انجبت للنبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وعاش ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر شهرا (٢٩).

اما معرفة المصريين للعرب فهي معرفة تمت بحكم الجوار والتجارة، كما ان انباء حروب التحرير في بلاد الشام وانتصارات العرب على الجيوش البيزنطية وهروب الامبراطور هرقل. كل ذلك قد وصل ولا شك الى مسامع المصريين فكانت لديهم فكرة عن بطولات العرب وشجاعتهم النادرة وهذا مما ادى الى انهيار معنويات البيزنطيين وهو احد الاسباب التي مكنت العرب من تحرير مصر لجيشهم الصغير القليل العدد ترأس عمرو جيشا قوامه ثلاثة آلاف وخمسمائة وقيل اربعة الاف رجل واتجه بهم نحو مصر في اواخر عام ١٨ هـ / ٦٣٩ م. ليكتب للعرب صفحة جديدة في تاريخهم ولينفرد بمجد تحرير ثلاثة اقطار عربية هي فلسطين ومصر وليبيا. ولينظر من فنون القيادة والادارة ما نال به اعجاب المؤرخين والقادة قديما وحديثا. وقد سار في نفس الطريق التاريخي الذي سارت فيه الجيوش ما بين مصر والشام مجازيا للبحر المتوسط فكانت مواقعه في مصر في القرن (شرق بورسعيد) ولبليس وأم دنين وعين شمس - حصن بابليون - والفيوم. وهنا تؤرد الروايات شعور عمرو بقلعة من معه من الجند وطلب المدد من الخليفة الذي سارع بامداده باربعة آلاف أخرى فأصبح جيشه ثمانية الاف مقاتل فاستطاع فتح حصن بابليون وكتب عهد الصلح للمصريين (٣٠).

ثم تقدم شمالا باتجاه العاصمة الاسكندرية فوصلها بعد ان اصطدم بعدة حاميات رومية صغيرة. وحاصر الاسكندرية وعقد صلحا مع الروم.

ونظرا لما رافقته هذه المعارك والمواقع من شجاعة نادرة ابداءها عمرو ابن العاص وجيشه الصغير العدد من سرعة في الحركة ما بين الصعيد والدلتا ومن سرعة في الانتصار واقتطاع مصر اولا وليبيا ثانيا من امبراطور البيزنطيين وتحولها الى بلاد عربية منضوية تحت راية الاسلام. ادى ذلك الى خلاف بين المؤرخين فبعضهم ناقش جزئيات حركة التحرير مثل كيفية عبوره النيل الى الفيوم وكان حصن بابليون، مازال محاصرا وقبل ان يأتيه المدد من المدينة (٣١). في حين اعتبر بعض الباحثين ان ذلك حدث بسبب دهاء عمرو اذ انه بارساله سراياه الى الصعيد كان يقوم بمناورات... للتعمية والاستطلاع ولم يكن ينوى الفتح، بل كان ينوى اشغال جنده، ومعرفة مدى امكانية التعويل على ولاء سكان البلاد، وان يضطر حاميات الروم في الصعيد الى البقاء حيث هي والعدول عن امداد الحامية المحاصرة في بابليون. فدهاء عمرو جعله يقوم بالمباغثة وسرعة الحركة واستعمال الخداع والتضليل ليربك العدو ويجعله يغير من خطته (٣٢).

كما ناقش المؤرخون سرعة انتصار عمرو بقواته العلية على البيزنطيين في مصر وكانت لهم بها قوات تفوق قوات المسلمين عددا وعده فمهم من حاول ان يربحها الى ظروف مصر بالدرحة الاولى (٣٣).

وبعضهم اعتبر ظروف مصر عوامل مساعدة لما حققه عمرو بن العاص من سرعة في الانتصارات ويحصر الظروف فيما يأتي (٢٤)

١ - ان العلاقة بين مصر والدولة البيزنطية علاقة مادية فمصر تؤدي الخراج المفروض عليها سنويا قمحا وغلالا واموالا عينية ترسلها الى القسطنطينية.

٢ - ان الجباية كانت بروج بعيدة عن العدالة لذلك كانت مصدر شكوى الفلاحين.

٣ - عدم وجود وحدة ادارية بالمعنى الصحيح فكل اقليم مستقل بذاته.

٤ - وجود الاضطهاد الديني اذ كان الاقباط على المذهب اليعقوبي (المنوفستي) بينما كان مذهب الدولة البيزنطية الملكاني. وقد حاولت الدولة فرض مذهبها بقوة على الاقباط، واضطهدت تبعا لذلك قساوستها ويطارقتها وهناك من يضيف شيئا اجتماعيا وهو عدم وجود انسجام او وفاق بين سكان العاصمة الاسكندرية وانهم كانوا اخلاطا منهم الاغريق واهل الشام لا سيما رجال الدين المغاربة من الاضطهاد الديني وغير رجال الدين واليهود. وكانوا يعدون بالالوف والعرب وبعض النازحين من كل مكان هذا فضلا عن الاقباط (٢٥).

وقد أجمل هؤلاء السادة الباحثون جملة أمور هي

١ - مبادئ الاسلام التي حملها العرب من شجاعة وتضحية ورفعهم لشعار احدى الحسنيين (النصر او الشهادة)، التي جعلتهم ينتصرون في الشام على جيوش الامبراطورية البيزنطية بقيادة الامبراطور هرقل قبل مجيئهم الى مصر.

٢ - شجاعة وكفاءة عمرو بن العاص الذي اكتسب خبرة عالية بمعاركه في الشام، فضلا عما امتاز به من خصال مثل اطلاعه ومعرفته بما كانت عليه مصر ارضا وشعبا فقد وردت عنه اخبار انه زار مصر قبل الاسلام (وان صيغت بشكل اسطوري). ومن دون شك فانه جمع معلوماته عن مصر اثناء وجوده في فلسطين يوضح ذلك ما ورد عنه من روايات جعلته راغبا في تحرير مصر ملحا على الخليفة بذلك، فضلا عن دهائه فقد كان يجيد حرب الدعاية وهذه احدى وسائله التي عرفت عنه في صفين فيما بعد (٢٦). ولعل لهذا السبب الاثر الكبير في معنويات البيزنطيين في مصر وخوفهم منه ومن جيشه قبل الاصطدام ونشوب المعارك وبعد ان انتهى من تحرير مصر من الصعيد الى الاسكندرية بادر بارسال قواته الى بلاد النوبة جنوب مصر الا انها لم تستطع مواصلة الحرب هناك فاضطرت للعودة. وبقي القتال بعد ذلك ينشب من حين الى حين بضع سنين حتى كانت خلافة عثمان فعقد صلح مع اهلها (٢٧).

ب - تحرير ليبيا . انتهى عمرو من تحرير الاسكندرية في النصف الاخير من ايلول سنة ٦٤٥ م الموافق ذى القعدة سنة ٢٦ هـ وسار بجيشه الى برقة لتحريرها فلما سمع اهلها اثرها عدم محاربته وأثروا ان يدخلوا تحت حكم الاسلام ويتمتعوا بما فيه من حرية وعدالة فصالحهم عمرو.

ثم سار الى طرابلس «اطرابلس» بعد ان ارسل الى ناحية الجنوب حيث مدينة زويلة القائد عقبة بن نافع الفهري لكي يأمن الميمنة من الجنوب بعد ان آمن ناحية الشرق بصلحه مع برقة ونزل عمرو حول اطرابلس في سنة ٢٢ هـ. وفي رواية سنة ٢٢ هـ فحاصرها شهرا حتى

كشف طريقا بين البحر والصور يمكن السير عليه عند حصول الجبر وهكذا اقتحم المدينة وهرب الروم في السفن الراسية (٢٨).

ويبدو ان سبب تحرير ليبيا كان امرا اقتضته الظروف العسكرية لكي يتم تأمين الحماية لمصر من ناحيتها الغربية. ولا نرى هنا داعيا لبحث اسباب انتصار عمرو السريع وقد كانت ليبيا مشحونة بالروم فضلا عن بعدشقتها عن قاعدة عمرو القسطنطية وعن عاصمة المسلمين المدينة. لان تعاليم الاسلام هي التي علمت الجند الصبر وتحمل المشاق والتضحية في سبيل عقيدتهم فضلا عن شجاعة عمرو وحسن قيادته.

وقد اراد عمرو ان يواصل زحفه لتحرير افريقية (تونس) بعد ان وصل الى حدودها الشرقية الا ان الخليفة عمر بن الخطاب وجد ان بعدها عن طرابلس (تسعة ايام) سينهك الجند فامر قائده بالتوقف عند الحد الذي وصل اليه (٢٩).

#### ٥ - في عهد عثمان بن عفان (ر):

رأى الخليفة عمر بن الخطاب كما في بعض الروايات ان يقسم ادارة البلاد بين عمرو بن العاص، وقائد ميمنته عبدالله بن سعد بن ابي سرح، فيجعل عمرا أميراً على اسفل مصر (الوجه البحري) وعبدالله بن سعد على اعلی مصر (الصعيد) (وكان عبدالله أحد مرسار بني عامر (٤٠)). اخا لعثمان بن عفان من الرضاعة) ويبدو ان ذلك استمر حتى مجيء عثمان وفي رواية ان عثمان بعد توليه الخلافة نزح ولاية الخراج من عمرو بن العاص وعهد بها الى عبدالله بن سعد فحصل العداوة والكراهية بين الرجلين. فكتب كل منهما الى الخليفة يشكو ضابطه فامر الخليفة بعزل عمرو واستعمال عبدالله على الخراج والجند (٤١).

وفي رواية ثالثة انه بعد مجيء عثمان للخلافة بسنتين او ثلاث سنوات (أي في عام ٢٥ هـ او في ٢٦ هـ، كما في رواية الطبري) وهي الاصح يولى عبدالله بن سعد أميراً على كل مصر، ويعزل عمرا عنها وهنا تختلف الروايات في سبب ذلك ففي بعضها يكون طلب العزل قد تقدم به عمرو نفسه بعد ان طلب من الخليفة بان يوليه كل مصر فرفض الخليفة طلبه لان تعيين عبدالله أميراً على الصعيد قد تم بأمر عمر ولد تكن بينهما قرابة فاستمر عبدالله أميراً محمود السيرة وقاد ثلاثة معارك انتصر فيها اثنتين في البر وهما تحرير افريقية والاسود (٤٢) وواحدة في البحر (ذات الصواري) طبقا لهذه الرواية يكون الخليفة قد عزل عمرا حتى اذا عاد الروم وهاجموا الاسكندرية ونزلوا فيها وقتلوا العرب الا من هرب فطلب السكان من الخليفة الاتيان بعمرو لاستردادها منهم فارجه الى مصر (٤٣).

وفي رواية أخرى وهي الاقرب الى الصواب ان عثمان عزله بعد الانتصار بمدة شهر نتيجة لمطالبة عمرو السالفة الذكر (٤٤).

وهنا من يرجع سبب عزل الخليفة عثمان لمواليه عمرو عن مصر بعد ان ابقاه فترة من الزمن الى ما حصل من تصرفات عمرو بعد تحرير الاسكندرية ذلك ان نزول الروم بالاسكندرية عام ٢٥ هـ. وما تلاه من دحرهم من قبل عمرو وقتل المقاتل وسبى الذرية، ازعج عثمان خاصة بعد اخذ السبايا فامر بردهم (لا سيما الذين سبوا من القرى) الى موافعهم لما كان بينهم وبين المسلمين من عهد وهذا ما دفع الخليفة الى عزله وطبقا لهذه الرواية فان هذا العزل هو الذي أوجع العداوة بين

عمرو والخليفة عثمان (٤٥). ويمكن القول بأن وراء عزل عمرو أكثر من سبب وحيه ولا يكفي أن يقال بأن عثمان ولى قربه، واعتزل عمرو في فلسطين وكان يذهب الى المدينة، احيانا حتى قتل عثمان.

### في عهد معاوية

يبدو أن عمرا كان يرقب الحوادث من موضعه في فلسطين ويتسقط أخبار الصراع بين الخليفة علي بن ابي طالب (ر) ومعاوية، وفي هذه الاثناء لم ير ميلا من الخليفة علي اليه بل وجد معاوية يستميله ويسترضيه حتى ذهب الى صفين وشهد معه المعركة وكان خير معين له حتى غدّه بعضهم القائد الحقيقي لجيش معاوية (٤٦). ثم كان التحكيم فأصبح ممثلا عن معاوية بعد اتفاقه معه على ولايته مصر ما بقى من حياته (٤٧). فقام بدوره الموكل اليه حسب الاتفاق فولاه معاوية بعد انتهاء معركة صفين على مصر بعد أن استنقذها من والي علي عليها محمد بن ابي بكر (٤٨). فلم يزل عليها الى أن مات بها وذلك في يوم عيد الفطر سنة ٤٢ هـ وكان قد بلغ حوالى تسعين عاما (٤٩).

### ٧ - إدارة عمرو لمصر بعد تحريرها :

اولا : بناء الفسطاط - أن عمرا بعد تحريره مصر خطط لبناء عاصمة جديدة كشأن القادة العرب في الاماكن الاخرى التي حرروها، ليتخذها مقرا لإدارة البلاد. وترك الاسكندرية العاصمة القديمة رغم خلو بيوت الروم الفارين منها، وامكانية استيعابها جند عمرو آنذاك. اما اختياره موقع الفسطاط فقد كان موفقا من وجوه كثيرة، حيث أنها في رأس الدلتا مما يجعلها من الناحيتين الحربية والإدارية في مأمن من هجمات العدو، ويسهل وصول العتاد والأقوات اليها لقربها من الاراضى الزراعية. كما أنها في الجانب الشرقى من نهر النيل مما يسهل امر صلتها بعاصمة المسلمين المدينة. وأما مجاورتها للمقطم في مكان مرتفع لا يغمره ماء النيل في أثناء الفيضان. ويكفى دليلا على اختيارها هذا الموقع أنه استمر مكانا للعاصمة المصرية حتى يوم الناس هذا (٥٠). ثم أن اتخاذ مكان الفسطاط جاء قرب عاصمة مصر القديمة (منف) التي تقع امام الفسطاط في الجانب الغربى وبينهما نهر النيل. وقرب موضع عين شمس المدينة الفرعونية القديمة.

وقد سار عمرو في تخطيط الفسطاط على نفس الأسس التي سار عليها ولاية الامصار عند بنائهم المدن وذلك ببناء المسجد وسط المدينة وقربه قصر الامارة الذى يسكنه الامير وعلى مسافة معينة فراغ يأتى بعده منازل الناس مقسمة وفق قبائلهم (٥١). ولهذا الف عمرو لجنة من (معاوية بن حديج التجيبى، وشريك بن سمي الغطيفى، وعمرو بن قحزَم الخولانى، وجبريل بن ناشرة المغامزى) (٥٢). لتقسيم خطط المدينة وفق قبائلهم واسكانهم فيها وتم ذلك سنة ٢٦ هـ (٥٣). وقد بنى الناس الحمامات في خططهم وكانت تسمى (حمام الغار) لصغرهما بالقياس الى حمامات الروم الكبيرة (الديماسات) (٥٤).

وتدل اوصاف الخطط وتقدير الابعاد طبقا لرواية ابن عبدالحكم، على أن موقع الفسطاط كان يشغل مسطحا طوله نحو خمسة آلاف متر، حده من الشمال جبل يشكر (الذى يقع عليه الآن جامع احمد ابن طولون، ومن الجنوب دير الطين (او دير مار يوحنا). وفي وسطه جامع عمرو، ممتدا على ضفة النيل مقابل الجزيرة (التي تعرف الآن بجزيرة الروضة). وأن عرض هذا المسطح لم يكن يزيد على الف متر، لأن النيل حده الغربى (٥٥)

الا أن مساحة الفسطاط تعرضت للزيادة بسبب الهجرة المتوالية اليها وكثرة المعمار بها حتى أصبحت مدينة كبيرة أربت على كثير من العواصم آنذاك وبعبارة المقرئى «أربت على عامة مدة المعمور حاشا بغداد» (٥٦)

وفي الوقت الذى خطط عمرو الفسطاط، كان بعض جيشه قد احب المقام في الجزيرة فكتب عمرو بذلك الى الخليفة، فأجاب عمرا برسالة اوضح فيها رايه ان يبقى جيشه في مكان واحد لا يفصلهم النيل إذ قد يداهم عدو أهل الجزيرة ولا يعلم اخوانهم بأمرهم الا متأخرين ولكن اذا وجد عمرو أن هؤلاء النازلين في الجزيرة قد احبوا المقام فيها فله ان يتركهم في مواقعهم بعد أن يبنى لهم حصنا يحميهم عند الحاجة ثانيا : إدارة البلاد - أ - وظائف بيد الروم والاقباط : كان امام عمرو جملة مهام بعد تحريرها. منها المحافظة على مصر والاستعداد الدائم لصد أى هجوم من البيزنطيين. واكمال حركة التحرير باتجاه النوبة جنوبا والتقدم باتجاه افريقية غربا لذلك وجد أن من الحكمة ابقاء كثير من موظفى الادارة الاقباط. ومن أثر البقاء من البيزنطيين. وعدم اشغال جنده العرب بذلك، فعهدت الى هؤلاء البيزنطيين والاقباط ادارة دواوينهم وجمع ضرائبهم مع مراعاة التخفيف من الضرائب والغاء كثير مما كان يأخذه البيزنطيون والفراغة (٥٧).

فكان عمرو بعد جمع الجزية وخراج الارض يقوم باقتطاع مقدار منه لاعمار مصر واصلاح اوضاعها مثل (٥٨).

٢ - انه نظم الري، وحفر الخلجان، واقام الجسور على الترع، وأزال الجزر التي كانت تظهر في نهر النيل

٣ - وضع المقاييس في نهر النيل في حلوان، واسوان - إذ أن فيضان النيل مهم للزراعة في مصر ومن ثم لتوفر الخيرات

٤ - يشق ترعة ما بين النيل والبحر الاحمر اطلق عليها اسم خليج أمير المؤمنين. وهذه التربة قناة تصل بين مدينة الفلزم على البحر الاحمر وحصن بابليون على النيل. وهى قناة قديمة حفرها (امينس - تراجانوس) ثم انظمرت فلما حفرها عمرو أصبحت مقصرة للمسافة ما بين الفسطاط والمدينة. ويسرت حمل الغلال من مصر الى المدينة (٥٩). وقد كان لهذه المشاريع عمال متخصصون ومفرغون طوال العام (٦٠).

### ب - وظائف بيد العرب :

والى جانب اتخاذ الروم والاقباط في بعض الوظائف فإن عمرا عين موظفين عربا لاستكمال ادارة البلاد فقد اتخذ حجابا لحمايته (٦١). وكون جهازا للشرطة جعل رئيسه خارجة بن حذافة. وكان ينوب عن عمرو طوال عهده حتى قتله خارجى معتقدا أنه عمرو، إذ تخلف عمرو في بيته لاصابته في بطنه فلما عرف الحوروى أنه لم يقتل عمرا قال: «أردت عمرا واراد الله خارجة». ثم جعل عمرو على الشرطة السائب ابن هشام بن عمرو القرشى (٦٢) وكان يعمل في معية صاحب الشرطة عدد من الرجال لزجر الناس واقامة النظام والمحافظة عليه (٦٣) وولى على الطواحين مسلمة بن مخلد، والذى أصبح واليا على مصر في عهد معاوية بعد وفاة عمرو ولعل المقصود بالطواحين جمع الضرائب المخصصة على الطواحين.

وولى على المكس خالدا بن ثابت الفهمى جد بنى رفاعة إلا أنه استعفى عمرا عن هذا العمل فاعفاه (٦٤)

وقد كان عمرو يعين القاضي الذي يرشحه الخليفة عمر بن الخطاب (٦٥). كما كان يعين للقبائل عرفاء. فكان زبيد بن الحارث الحجري (حجر حمير) وكان عداده من العتقاء وكان عريفهم (٦٦). وكان الملاصق ابن جذيمة عريف حضرموت (٦٧). ولما استقرت الصدق عرف عليهم عمران بن ربيعة (٦٨). وكان هؤلاء العرفاء همزة وصل ما بين القبائل والامير. والراجح ان اختيارهم يتم من بين اهل الشرف والفضل في قبائلهم.

### ج - سياسة الرعية :

ان عمرا بعد ان اكمل تحرير مصر وليبيا بادر الى اعلان الامان للسكان في ممارسة طقوس ديانتهم حسب شرائعهم المختلفة من يهود ونصارى بفرقهم المختلفة، فكان من نتيجة هذه السياسة ان عاد رئيس الاساقفة القبطى (بنيامين) وكان على مذهب الاقباط يعقوبى هرب نتيجة اضطهاد البيزنطيين له.

كما ان عمرا لم ينس جنده العرب فكان يصلح لهم الاراضى لبناء الدور عليها (٦٩). ويسمح لهم بالخروج عند عودتهم من حركات التحرير وحراسة الحدود الى الريف لا سيما في الربيع ليسمنوا خيولهم ويريحوها من عناء الحروب وقطع المسافات البعيدة، وتكون مستعدة عند الحاجة مهياة لذلك. وكان يحدد لهم موعدا لعودتهم الى الفسطاط ويوصيهم بخيلهم خيرا، ويهددهم بانه عند عودتهم سيستعرض الجند والخيول معا فمن وجده قد سمن نفسه وترك حصانه من غير علة عاقبه بقطع مبلغ الحصان من ديوانه. ويبدو ان عمرا قد قسم القبائل حسب ريف مصر حتى لاتزدحم القبائل في اماكن معينة فقد جاء في رواية «اذا جاء الربيع واللبن كتب لكل قوم بريعهم، ولبنهم الى حيث احبوا، وكانت القرى التى ياخذ فيها عظمهم منوف، ودسندس، واهاس، وطحا» (٧٠). وكان عمرو يقوم باسكان العرب المهاجرين الى مصر خلال ولايته سواء جاؤوا من الجزيرة او من الشام مثل بل اخوال ابيه (٧١).

### ٨ - عمرو في التاريخ :

(١) خلقته وخلقه - وصف عمرو بانه كان قصيرا عظيم الهامة نأتى الجبهة، واسع الفم، عظيم اللحية، عريضا ما بين المنكبين، عظيم الكفين والقدمين.

وعن الليث بن سعد انه «يملا هذا المسجد» يريد ضخامة وهيبة (٧٢) ووصفه واصف اثناء ولايته على مصر وقد ارتقى المنبر قال فرأيت «رجلا ربعة قصير القامة، وافر الهامة، ادعج ابلج، عليه ثياب مرشبة كان به العقبات تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة» (٧٣)

وقد حاول بعض المعاصرين ان يربط بين خلقته هذه ونسبه المطعون من جهة امه في دفع عمرو الى التعويض بقوله «اذا جاز ان يكون لهذا التكوين الجسدى اثر في اخلاقه ودخائل طبعه فذلك اثر آخر يعين اثر النسب المغفور من جانب امه وهو التماس التعويض، لكل ما في النفس من حول وحيلة وحفز الهمة الى مكان يستطيع فيه المرء سطوعا يدارى المعجز في النسب والنقص في المظهر فيروع القلب بالسطوة والشارة اذا اجترأت عليه العيون اول نظرة او اجترأت عليه الاسنة بالقلب والمهانة رجل متهم بالنسب قصير، ولكن لا يضار بذلك في مقام الفخر بين ذوى الحسب والسطوة من عظماء الرجال (٧٤)

وعرف عنه الادب وبظم الشعر وسعة العقل، وقد وصفه قتيبة -

جابر بقوله: «وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا افسح او قال ابين طرفا ولا احلم جليسا منه» (٧٥).

وشاع عنه انه رابع أربعة عدوا من دهاة العرب وهم «معاوية للروية، وعمرو بن العاص للبديهة والمغيرة للمعضلات، وزياد لكل صغيرة وكبيرة»، اى ان عمرا كما يرى العقاد كان يصدر عن وحي العبقريه في حين كان معاوية صاحب عقل يصدر عن مران ويقتبس مما تمثلت امامه من قدوة الآباء، كما ان عمرا كان مضطرا الى الوثوب والاقترحام لانه لن يفتح له باب بغير اقترحام. اما معاوية ففي موضعه وانتظار ساعته على هيئة ووثوق.

وان البديهة من أعمال عمرو كثيرة تلازمه في جميع حالاته تذكها المأرق الحاضرة ولا تخمدها الطمأنينة والامان (٧٦). فمن هذا القبيل انه شاع بين عرب الشام ان القائد البيزنطى (اريطون) او الارطون كما يسميه العرب صاحب دهاء ومكر. وكان في فلسطين اثناء حركة التحرير فلما تقدم نحوه عمرو لتحرير اجنادين وبقيّة مدن فلسطين وصل الخبر الى الخليفة عمر بن الخطاب، فأجاب «قد رمينا اريطون الروم بارطون العرب انظروا عما تنفجر» ثقة منه بان عمرا اقدر على رد حيل وخداع اريطون الروم (٧٧).

### ب - بين عمرو والخلفاء :

اختلفت الروايات في امر اسناد تحرير مصر الى عمرو بن العاص ففي بعضها ان الاقتراح من عمرو اثناء وجود الخليفة عمر بن الخطاب بالجابية مجتمعاً مع القادة العرب لوضع الخطط المستقبلية لإدارة بلاد الشام وتقرير امر الجيوش. وفي بعضها ان عمرا سار دون علم الخليفة وانه لم يعلم به الا بعد ان قطع شوطا من الطريق فأرسل اليه رسالته المشهورة التي روتها كتب التاريخ (٧٨)، التي تنص على عودة عمرو عن مصر اذا وصلت الرسالة ولم يكن قد دخلها بعد وان يمشى قدماء ان وصلتته وهو داخل حدودها فهناك من المؤرخين من اعتبر هذه الرسالة مجرد خرافة لانها تفترض جهل العرب بما عليه مصر من الثروة والخصب وما حل بساحتها من خلافات دينية بين حكامها الروم والمصريين وما تبع هذا الخلاف من اضطهاد ديني، فضلا عن الضرائب الثقيلة التي كان الشعب المصرى يتن من ثقلها. كما ان الايمان بصحة هذه الرسالة يفترض جهل العرب مرة اخرى بضرورة تحرير مصر اتقاء لخطر الروم ولتأمين السلامة على ربوع الشام. وان القبط سوف يقفون منهم موقف المحايد ان لم يصحوا عوناً لهم على الروم (٧٩)

وفي بعض الروايات ان الخليفة عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بعد اتمام فتح الشام ان يندب الناس للمسير الى مصر، وتمضى الرواية لتقول ان عثمان بن عفان لما سمع بذلك جاء الى الخليفة عمر وقال له «يا امير المؤمنين ان عمرا ليجرؤ فيه اقدام وكسب للامارة فاخشى ان يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون ام لا». وان الخليفة عمر قدّم عي ذلك وكتب رسالته التي اشرنا اليها، الا ان عمرا لم يفتحها حتى دخل مصر (٨٠)

وكان الخليفة يتابع تقدمه أسوة ببقية ولاته على الامصار فكان يمدّه عند الحاجة كما حصل في نابليون وفي حصار الاسكندرية ثم كان يراقب تصرفاته اثناء ولايته. ويبدو ان الخليفة شعر بتأخير موعد الحراج وشك بتصرفه اليه وار يكون قد اخذ شيئا لنفسه فأرسل اليه

ان يعطيه ولاية مصر طعمة له ما تبقى من حياته بعد ان يعطى الجند وموظفي الادارة ما يستحقونه من عطاء وذلك لقاء وقوفه الى جانبه، وهكذا وجدناه كما اسلفنا القول الفائد الحقيقي لمعركة صفين اما في عهد معاوية فيبدو انه ادار ولاية مصر بخبرته وفطنته فأنشأ ثراء واسعا فخلف ٢٢٥٠٠٠ ثلاث مئة وخمسة وعشرين الف دينار من الذهب والفضة، وغلة مائتي الف دينار بمصر وضيفة المعروفة بمصر بالوهط قيمتها ١٠٠٠٠٠٠ رطل عشرة ملايين درهم (٨٩). اما الديميري فقال بان عمرا خلف سبعين بهارا دنانير، والبهار من جلد الثيران قليل انه يسع اردبين (٩٠).

### ج - قيادته الحربية :

بعد قيادة عمرو لمعركة ذات السلاسل، واشترائه مع بقية القادة في تحرير الشام برزت شخصيته العسكرية الناجحة وزادت شهرته تحرير مصر وليبيا واصبح بإمكان النقاد مقارنته بكبار القادة العالمين حيث امتلك الصفات العسكرية ممثلة في سعة اطلاعه وقد عرفناه تاجرا مسافرا وظهر هذا في معرفته لارض فلسطين ومصر وبراعة عسكرية كما بدت في انتصاره على مائة الف مقاتل من الروم بجيشه البالغ تسعة آلاف في معركة اجنادين في فلسطين ومعركة اتجاهات العدو وغرضه من تحركاته لذلك وجدنا عمرا يقترح على قادة العرب في الشام توحيد جيوشهم وقيادتهم قبل معركة اليرموك، وتغيير مواضع الجيوش العربية وانزالها على طريق الروم في حين نزل الروم في «الواقصة على ضفة نهر اليرموك من ارض حوران» فاصبح لهم وادي اليرموك بمثابة خندق لهذا قال عمرو عند ذاك «يا ايها الناس ابشروا... حضروا والله الروم، وقل ما جاء محصور بخير» (٩١).

وبعد ان جعل الروم في موضع لا يفلتون منه دارت الدائرة عليهم ثم تسلل بقطعاته عبر صخور جبل العرب وكمن هناك خلف الروم على طريق انسحابهم الى دمشق (٩٢).

وكان يطبق فكرة التماس بالقطعات ولعل هذه متأتية من جراته التي اتصف بها، ففي «يوم العربة» حمل بنفسه وقتل قائد الروم بيده وفي حصار (اجنادين) اجتاز الاسوار وقابل قائد الروم (الارطيون) موهما اياه انه موفد من عمرو بن العاص. وكذلك فعل في حصار الاسكندرية اذ اجتاز اسوارها في اول التحام بحامييتها

وكان من صفات القادة التي تحلى بها اصالة الرأي، وسرعة القرار، وكان يكره التردد والتأرجح. ويجيد حرب الدعاية وهذه احدى وسائله في صفين كما عرف عنه مخادعته الاعداء والابقاع بهم

اما صفاته البدنية فقد مرت بنا فهو من المعمرين وذوى البنية القوية مما امكنته خوض المعارك والصبر على القتال امام جنده رغم علوسه فقد قاد معركة ذات السلاسل وعمره في الخمسين. وكان في معركة اجنادين في الواحدة والستين وفي اليرموك في الثانية والستين وفي معارك مصر قد جاوز الخامسة والستين.

اما طريقة عمرو في ادارة المعارك فكانت تعتمد المباغتة، وسرعة الحركة والحيلة والتجديد في الخطط، وخلق المواقف الجديدة للعدو (٩٣).

ان اجماع المؤرخين قديما وحديثا على عبقرية عمرو العسكرية والتي تكملت بالنجاح وكانت من ثمراتها تحرير فلسطين ومصر وليبيا، وهي بلاد لم يفتح اوسع منها قائد عربي آخر، وعلى يديه انتشر

جملة كتب يسأل عن سبب تأخيرها وقد ناقشه عمرو وحاول تبين اسلوب الجباية ومواعيدها بالنسبة للسنة الزراعية في مصر (٨١). ثم نرى الخليفة بعد فترة يرسل اليه محمدا بن مسلمة الانصارى احد الصحابة ممن شهدوا بدرًا وتحرير مصر ليحصى امواله ويقسمها فيعطى لعمرو ما يستحقه كأمير على بلاد مصر ويرجع الباقي الى بيت مال المسلمين (٨٢). وكانت هذه سنة اتبعها عمر مع ولاته فقد ارسل من قاسم اموال ابي هريرة واليه على البحرين، والنعمان بن بشير واليه على حمص (٨٣).

ومما لاشك فيه فان عمرا لم يكن يجرؤ ان يتصرف تصرفا يغضب الخليفة عمر بن الخطاب فانه يعلم انه يحاسب في مأكله وملبسه وعدله فيمن معه من الجند فمن مجاراته للخليفة انه قدم عليه في المدينة (للمرة الثانية) زائرا فوجده يأكل ومعه بعض اصحابه وامامهم ثريد فما كان من الخليفة الا ان غرف بيده ثريدا وناوله لعمرو فاخذ هذا الثريد باليسرى وجعل يأكل باليمين فلما خرج من عند الخليفة سألته من جاء معه لم فعلت هذا، فقال: «ان الخليفة ليعلم ان عندي من الطعام ما هو افضل من الثريد ولكن اراد ان يمتحنني فلولم افعل ما رايت للقيت منه شرا».

الا ان الروايات التي تظهر رضا الخليفة عن واليه كثيرة مما يدل على ان عمرا كان ناجحا في ادارته لمصر كنجاحه في قيادته الجيوش، فمن ذلك قول الخليفة «ما ينبغي لعمرو ان يمشى على الارض الا اميرا» (٨٤).

وكان الخليفة اذا استضعف رجلا في رايه وعقله قال «اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد» يريد خالق الازداد (٨٥).

وكان خلال وجوده بمصر يرسل الى الخليفة بالطعام ليوزع على سكان الحجاز وقد ارسل في احدى السنين طعاما كثيرا جعل الخليفة يعمد الى تأليف لجنة من (عبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن ابي وقاص) لتقسيمها على الناس. فكانوا يدفعون الى كل اهل بيت بغيرا بما عليه من طعام فوسع الله على الناس (٨٦) ولقد احتج عمرو برضا الخليفة عمر لما اختلف مع الخليفة عثمان فآخبره بان عمر مات وهو عنه راض، وانا لنعلم ان الخليفة ابا بكر (رض) مات وهو عنه راض.

وكذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبله راضيا عنه كما ورد في الحديث «عمرو بن العاص من صالحى قريش» (٨٧).

اما ما حدث بينه وبين الخليفة عثمان فانه بعد ان تولى في عهده سنتين عزله عن مصر وقد اسلفنا القول في اختلاف الروايات حول عزله، الا انه لم يكن بسبب غنى عمرو واستغلال مركزه ودليلنا على ذلك ان عمرا شكى الحاجة بعد عزل عثمان له باقل من عام فقال له عثمان لما بلغه من تحريضه عليه «ما اكثر ما تحمل خمر بان جيتك - اى طوق جيتك - وانما عهدك بالعمل عاما اول» (٨٨). واذا كان عمرو قد جنى مالا فان ذلك في عهد معاوية كما سيأتى في بيانه. والمهم في الامر ان عمرا ظل حاقدا على عثمان يحرص جنده عليه الى ان قتل. وبعد قتله كان عمرو في مستقره بفلسطين يتابع الاخبار. الا انه لم يكن اثيرا عند الخليفة الراشد على بن ابي طالب لذلك لم يرسحه لولاية مصر، فاستغل ذلك معاوية وتقرب اليه واستقدمه الى دمشق واتفق معه ان يوصله الى ما كان طمع اليه من ولاية مصر، فيقال ان معاوية تعهد



الاسلام في هذه الاقطار الثلاثة وتم انتشالها من ظلم الروم.  
كما ان التاريخ يذكر لعمره دهاءه الفذ وادارته الحكيمة للبلاد التي  
كان يحكمها فضلا عن جهاده وتحريره البلاد التي اشترى اليها (٩٤).

### هوامش

- ١ - ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٤ ، ١١٨٥ .
- ٢ - العقاد عمرو بن العاص ٦
- ٣ - سورة الكوثر (٣/١٠٨)
- ٤ - الملادري اسباب ١ / ١٢٨
- ٥ - ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٥
- ٦ - الملادري اسباب ١ / ١٢٨
- ٧ - ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٦١ ، ابن الاثير اسد الغابة ٣ : ٥٤٠٣ - ٤ - ٨٣
- ٨ - ابن عبد البر ٣ / ١١٨٨
- ٩ - ن . م . ٢٢٢ ، ٢٢٤
- ١٠ - الملادري اسباب ١ / ٢٨٨
- ١١ - ن . م . ٢١٢
- ١٢ - ن . م . ٢١٣ ، ٢١٦
- ١٣ - الطبري ٣ / ٣٠
- ١٤ - الملادري ٣١٥ ، الطبري ٣ / ٣١ وانظر ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٤ - ١١٨٥
- ١٥ - الملادري اسباب ١ / ٢٨٠ ، الطبري ٣ / ٥٢٢ ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٦
- من المصادر باستثناء ابن عبد البر ، جعلت المهتمين المشار اليهما مهمة واحدة في حين كانت  
تواريخهما مختلفه وعرضهما مختلف
- ١٦ - محمد فرح شخصيات عسكرية اسلامية ٢٢٢
- ١٧ - ابن هشام السيرة مطب ٢ / ٦٠٧ ، ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٧
- ١٨ - الطبراني المعجم الكبير ١ / ٧٤ - رواية الترمذي ٣٩٢٤ ، واحمد ١ / ١٦١٠١
- ١٩ - الخفش بيت صغير ينفرد فيه النساء
- ٢٠ - رفيق العظم اشهر مشاهير الاسلام ٦٨ - ٧٠
- ٢١ - العقاد عمرو بن العاص (نص) ٢١ - ٢١١ - نقلا عن مجلة المشرق اليسوعية اسنة  
الثانية
- ٢٢ - ابن عبد الحكم ٥٣ ، ٥٧
- ٢٣ - الدكتور ركي محمد حسن من مصر الاسلامية - المقدمة ص ٧
- ٢٤ - العقاد عمرو بن العاص ١٩٠
- ٢٥ - النسوي المعرفة والتاريخ ١ / ٢٧٩ ، ابن الاثير اسد الغابة ٢ / ١٩٦
- ٢٦ - النسوي المعرفة والتاريخ ١ / ٢٦٦
- ٢٧ - ابن عبد الحكم فتوح مصر ٤٥ ، ٤٦
- ٢٨ - ابن الاثير اسد الغابة ١ / ٢٨ ، المقرئ الخطط ١ / ١٢٥ - ١٢٩
- ٢٩ - ابن عبد الحكم فتوح ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣
- ٣٠ - اسماعيل ابو العيشة مصر الاسلامية ١٦
- ٣١ - العقاد ١٠٤ ، صالح مهدي عماش القيادة الناجحة ٣٥ ، ٢٧
- ٣٢ - محمد عبدالله عدنان مصر الاسلامية ٧٩ سعد زغلول عبدالحميد الفتح النوري  
بالاسكندرية ٢٢٢١
- ٣٣ - اسماعيل ابو البني مصر لاسلامية ٢ - ٤
- ٣٤ - سعد زغلول الفتح العربي بالاسكندرية ٢٢٢١
- ٣٥ - انظر محمود شبيب خطبات قادة فتح الشام ومصر ١٦٢
- ٣٦ - نظير فتوح العرب لمصر ٢٧٥
- ٣٧ - ابن عبد الحكم فتوح مصر ١٧
- ٣٨ - ن . م . ١٧٢ - ١٧٣
- ٣٩ - ابن عبد البر الاستيعاب ٢ / ٩١٨ - ٩١٩
- ٤٠ - الطبري ٤ / ٢٥٦
- ٤١ - هكذا اورد هاس عبد الحكم ص ١٧٤ (الواسط) ، والاربع انها كورة الاوسية وهي كورة  
تابعة لمصر مثل ليبيا امه وردت هكذا كورة لوبي ، كورة الاوسية كما وردت عند الجغرافيين  
ابن حردويه المسالك والممالك ٨٢ ط اوربوا ، باقوت الحموي اللذان ٦ / ٢٨٦
- ٤٢ - ابن عبد الحكم فتوح ١٧٣ وانظر الطبري ٤ / ٢٥٣
- ٤٣ - ن . م . ١٧٨ وانظر العقاد عمرو ٢٤٦
- ٤٤ - ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٧

- ٤٥ - صالح مهدي عماش القيادة الناجحة ١٥
- ٤٦ - في بعض الروايات انه حاول حصول اقوار منكل الجنبية عن (ابو موسر لاشعري)  
لاسيبه هو بالاحلافة فيما فتن حاول ترشيح انه معتدل ايضا
- ٤٧ - ابن الاثير اسد الغابة ٤ / ١١٧
- ٤٨ - ابن عبد البر الاستيعاب ١١٨٧
- ٤٩ - انظر احمد ممدوح حمدي عواصمنا الاسلامية قبل القاهرة ١٩٧
- ٥٠ - ابن عبد الحكم فتوح ٩٢ ، ٩٦
- ٥١ - وردت من كتاب مصر الاسلامية وتاريخ الخطط حيويل ناشرة وما اشده من باقوت  
الحموي معجم البلدان ٤ / ٢٦٤ ط بيروت
- ٥٢ - انقصابي نقلا عن المقرئ الخطط ٧ / ٥٢ ط اوربوا
- ٥٣ - ابن عبد الحكم فتوح مصر ٩٦
- ٥٤ - محمد عدنان عدنان مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ١٢
- ٥٥ - المقرئ الخطط ٦ / ٢
- ٥٦ - نظير فتوح العرب لمصر ٢٩١ ، ٢٩٢
- ٥٧ - ابن عبد الحكم ١٥١
- ٥٨ - حاشون ميت المواصفات في مصر في العصور الاسلامية ٣٥ ، عبد الرحمن ركي  
عواصم مصر الاسلامية ١٠١
- ٥٩ - ابن عبد الحكم ١٥١
- ٦٠ - ابن عبد الحكم فتوح ١٢٣
- ٦١ - وهشام بن عمرو هو الذي كان قد قدم بنقض الصحيفة التي كتبها قريش بن بني هاشم  
- ابن عبد الحكم ١٠٥ ، ٢٢٣
- ٦٢ - ابن عبد الحكم ١٠٠
- ٦٣ - ابن عبد الحكم ١٤
- ٦٤ - ن . م . ١١٢
- ٦٥ - ن . م . ١١١
- ٦٦ - ن . م . ١٢٤
- ٦٧ - ن . م . ١٢٣
- ٦٨ - ابن عبد الحكم فتوح مصر ١٨
- ٦٩ - ابن عبد الحكم فتوح ١٢٠ ، ١٢١
- ٧٠ - ابن عبد الحكم فتوح ١١٣ ، ١١٦
- ٧١ - ابن عبد الحكم فتوح ٥٨
- ٧٢ - ن . م . ١٤ (العقاد الذهب الناجح الدعج شدة ، واد بعين مع بها ، الألباح  
المصر المشرق)
- ٧٣ - العقاد عمرو ٣٦ (٢) النسوي المعرفة والتاريخ مطب ١ / ص ١٠١
- ٧٤ - ابن عبد البر الاستيعاب ٣ / ١١٨٨ ، العقاد عمرو ٤٥ ، ٤٧
- ٧٥ - الطبري ٣ / ٦٠٥
- ٧٦ - ابن عبد الحكم فتوح ٥٦ ، ٧٧٢
- ٧٧ - الدكتور زكي محمد حسن في مصر الاسلامية ( لمقدمة ص ب )
- ٧٨ - ابن عبد الحكم فتوح ٥٧
- ٧٩ - ن . م . ١٥٨ - ١٦١
- ٨٠ - ن . م . ٩٢
- ٨١ - ن . م . ١٤٦ - ١٤٧
- ٨٢ - ابن عبد الحكم فتوح مصر ١٧٩
- ٨٣ - ابن عبد البر الاستيعاب ٢ / ١١٨٨
- ٨٤ - ابن عبد الحكم فتوح مصر ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦٥
- ٨٥ - الطبراني المعجم الكبير ١ / ٧٤ ، رواية الترمذي ٣٩٢٤ ، واحمد ١ / ١٦١
- ٨٦ - انظر العقاد عمرو ١٧
- ٨٧ - المسعودي ( ملالوج ٣ / ٢٣
- ٨٨ - العقاد ٢١
- ٨٩ - الطبري ٣ / ٢٩٢ صالح مهدي عماش القيادة الناجحة ١٣ ، ١٤ ، ٨٠ ، ٢٧ ، ٢٣
- ٩٠ - محمد فرح شخصيات عسكرية اسلامية ٢٤ ، ٢٥ ، ٧٠
- ٩١ - صالح مهدي عماش ٣٥ - ٢٧
- ٩٢ - محمود شبيب خطبات قادة فتح الشام ومصر ١٦٢ وسعد محمد فرح شخصيات  
عسكرية اسلامية

### مصادر ومراجع البحث

١ - لاثير عوالدين ابو الحسن علي بن محمد الحمدي (ب - ١٢ هـ / ١٢٢٣م) اسد الغابة في معرفة

الصعيدية - ٥ احرار سنة ١٢٧٧ هـ  
 احمد ممدو - حمدي عواصمنا الاسلامية قبل القاهرة - احداث المدوة الدولة لتاريخ القاهرة -  
 مطبعة دار الكتب ١٩٤٩ - ١٩٧٠ م  
 اسماعيل ابو العيين - مصر الاعلامية  
 البلاذري احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) اسباب الاشراف - ج/ تحقيق الدكتور محمد -  
 الله - دار المعارف بمصر  
 متلر الدكتور الفرد -  
 فتح العرب لمصر - تعريب محمد فريد ابو حديد - مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٦ هـ/  
 ١٩٣٣ م  
 الراوى الطاهر احمد  
 تاريخ الفتح العربى في ليبيا - ط/ ٣ دار الفتح - دار التراث العربى ليبيا ١٩٦٩ م  
 زكى محمد حسن - الدكتور وآخرون  
 في مصر الاسلامية - مطبعة المقتطف والمعلم ١٩٣٧ م  
 سعد رغلل عبد الحميد الدكتور  
 الفتح العربى للاسكندرية - في كتاب تاريخ لاسكندرية وحصارها منذ اقدم العصور ١٩٦٢ م  
 صالح مهدي عماد الفريق الركن  
 القيادة الناجحة - مطبعة الحكومة - بغداد ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م  
 الطبرانى الحافظ ابوالقاسم سليمان بن احمد (ت ٣٦٠ هـ/ ٩٧٢ م) المعجم الكبير - حققه وخرج  
 احاديثه جعدى عبد المجيد السلفى، وزارة الاوقاف العراقية  
 الطبرى ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك - ١٠ اجزاء تحقيق  
 محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر ١٩٦٠ - ١٩٦٩ م

ابن عبد البر - ابو عمر يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٢ هـ/ ١٠٧٠ م) الاستيعاب في معرفة الاصحاب -  
 اربع مجلدات - تحقيق علي محمد الحناوى - مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٦ م  
 ابن عبد الحكم - ابو القاسم عبدالرحمن القرشى المصري (ت ٢٥٧/ ١٩٧١ م) فروع مصر واخبارها -  
 ليدى - ابريل ١٩٢٠ م  
 العقاد عباس محمود - عمرو بن العاص - مكتبة دار العربية  
 النسوى ابو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ/ ٨٩٠ م) المعرفة والتاريخ - ٣ مجلدات تحقيق  
 الدكتور اكرم صياء العمري مطبعة الارشاد - بغداد ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م - ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م  
 محمد عبدالله عبدال مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية - ط ٢ مكتبة الخانكي القاهرة ١٩٦٩ م/  
 ١٣٨٨ هـ  
 محمد فرج شخصيات عسكرية اسلامية - دار الفكر العربى ١٩٧٤ م  
 محمود شيت خطاب/ اللواء الركن - قادة فتح الشام ومصر - دار الفتح - بيروت ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م  
 اسعدوى - ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) مروج الذهب ومعادن الجوهر - اربع  
 مجلدات - دار الاندلس - بيروت ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م  
 المقرئى تقى الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م) الحط - ٧ مجلدات باعثناء ام هاستون  
 فيت ١٩١٠ م  
 ابن هشام - عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ هـ/ ٨٢٥ م) السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا،  
 و ابراهيم الاببارى، وعبد الحميد شبنى - مطبعة البابى الحلبي، القاهرة ١٢٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م  
 الواقدى ابو عبدالله محمد بن عمر المدني ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م، فتوح مصر والاسكندرية - طبع في بيروت  
 ١٢٤١ هـ/ ١٨٢٥ م باعثناء هديك اددهقر  
 ياقوت الحموى شهاب الدين ابو عبدالله الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) معجم البلدان -  
 ٥ محلدات ط بيروت ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م

# حركة عبد الرحمن بن محمد الأشعث

ضد الخلافة الأموية ٨١-٨٢ هـ - ٧٠-٧٠٢ م

الدكتور

محمد جاسم حمادى المشهدانى

قسم الدراسات التاريخية - معهد الدراسات القومية  
والاشتراكية الجامعة المستنصرية

التالى: «عبدالرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث» ويؤكد ابن حجر بأن هذا الراى «هو الصواب» أما البسوى (ت، ٢٧٨) فيروى بأنه: «عبدالرحمن بن محمد بن قيس بن محمد بن الأشعث» (١) واننا نرجع رآى ابن سعد (ت، ٢٣٣) لكونه عالما بالانساب، ومختصا فيها، ولثقته الكبيرة، ولتاكيد النسائى (ت، ٣٠٣) على رآى ابن سعد، وكذلك ابن حزم عالم الانساب في قبائل العرب، ومعرفته بتفاصيل اخبارهم، وتتبع سير رجالهم، ولشيوع استخدام هذه التسمية في المصادر التاريخية والادبية

وينتسب عبدالرحمن بن محمد الأشعث الى قبيلة كندة العربية، ونسبه ابن حزم قائلا «هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة» (٢). أما سبب شيوع لقب الأشعث عليه فذلك نسبة «لشعث الرأس» (٣) وكان يسكن احدى قرى آل الأشعث الى جانب الكوفة (٤)

وروى حديثا واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عن أبيه عن جده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعان والسلفه، كما انه روى عنه ابو العميس (٥) وكان ابن الأشعث كما يروى البلاذرى (ت، ٢٧٩) «معجبا عظيما الكبير»، وقال ابن قتيبة، كان «جميلا بهيا منطقيا، مع ما كان له من التقدم والشرف، فأزهاه ذلك وملاه كبرا وفخرا وتطاولا...» (٧)

ب - علاقته بالحجاج بن يوسف الثقفى وولايته على سجستان :

تزوج الحجاج بن يوسف أخته ميمونة بنت محمد بن الأشعث رغبة في شرفها، مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها، وأراد بذلك استمالة أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدأ على من ناواه، كما يذكر ذلك ابن قتيبة، ولذلك فإن الحجاج قرب عبدالرحمن اليه «فالزمه بنفسه والحقه بأفاضل اصحابه وخاصته وأهل سزه وأمره عليه العطايا الواسعة صلة بصهره وحبا لاتمام الصنع، اليه، وإلى جميع أهله».

تعد حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث من الحركات السياسية الكبيرة التى اجتاحت العراق، والجناح الشرقى من الخلافة الأموية، وتعد من بين الحركات الخطرة التى كادت ان تعصف بالخلافة الأموية، حيث اوعت الخليفة الأموى، ومن الملفت للنظر انضمام مجموعات كبيرة من الاعاجم الى هذه الحركة في محاولة جادة لاسقاط الخلافة الأموية، وتقويض السيادة العربية، كما ابرزت الاحداث الدور القيادى الجيد الذى سلكه الحجاج في معالجة الامور والقضاء عليها، والمتابعة الدقيقة للامور ومحركاتها من قبل الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان.

وقد قسمت الموضوع الى عدة مباحث وعلى الوجه الآتى  
اولا : شخصية عبدالرحمن بن الأشعث، وعلاقته بالحجاج بن يوسف الثقفى

ثانيا : عبدالرحمن بن الأشعث في سجستان.  
ثالثا : ابن الأشعث يعلن عن حركته المعارضة للخلافة الأموية سنة ٨١ هـ.

رابعا : معركة روستقياذ في الاحواز سنة ٨١ هـ.  
خامسا : عبدالرحمن بن الأشعث في مدينة البصرة .  
سادسا : معركة الزاوية سنة ٨١ هـ في البصرة.  
سابعا : ابن الأشعث في مدينة الكوفة .  
ثامنا : معركة دير الجماجم واشجار ابن الأشعث.  
تاسعا : معركة مسكن وأنهزام ابن الأشعث ومصيره ومصير انصاره.

اولا : «شخصية عبدالرحمن بن محمد الأشعث وعلاقته بالحجاج بن يوسف الثقفى»  
أ - شخصيته :

اختلفت آراء العلماء في تسمية أبيه وجده، فابن سعد (ت، ٢٣٣) والنسائى (ت، ٣٠٣) وابن حزم (ت، ٤٥٦) يذكرون ترجمته على الوجه الآتى :

هو «عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس». أما ابو داود (ت، ٣٥٤) وابن ابى حاتم الراى (ت، ٥٧٥) والذهبى (ت، ٧٤٨) وابن حجر العسقلانى (ت، ٨٥٢) فانهم يذكرون ترجمته على النحو

الذي كان كما يصفه المهلب بن ابي صفرة للحجاج بقوله: «... هو اعلم بسجستان مني» (١٩)، وعندما قدم عبيد الله سجستان منعه رتبيل الاتاوة التي كان يؤتيها، فامرته الحجاج بغزوه في اهل الكوفة والبصرة، وكان على اهل الكوفة شريح بن هاني الحارثي، الذي توغل في بلاد العدو اكثر مما كان يجب حتى قرب من مدينة كابل (٢٠). الامر الذي مكن رتبيل من مهاجمته، وبعث الى رتبيل يطلب منه الصلح، وقد اصاب الجيش العربي ضرر كبير بسبب وعورة المنطقة، فتوفي كثير منهم، فمات عبيد الله بن ابي بكره كمدا، وكان قد استخلف ابنه ابا بردعة الذي بقي واليا على سجستان حتى قدوم عبدالرحمن بن محمد الاشعث (٢١). وقد ذكر ابو عبيدة معمر بن المنتن (ت)، بان الحجاج بن يوسف كان قد وجه هميان ابن عدي السدوسي الى كرمان، وجعله مسلحة فيها ليمد عامل سجستان والسند ان احتاجا الى مدد فعصى هميان ومن معه، فوجه الحجاج ابن الاشعث في محاربته فهزمه وانتصر عليه (٢٢). وكان الحجاج قد جهز جيشا جرارا من اهل الكوفة والبصرة قوامه اثنا عشر الف وفي رواية عشرة آلاف مقاتل (٢٣)، رغم ان الطبري يرفع العدد الى عشرين الف من اهل الكوفة، وعشرين الف من اهل البصرة (٢٤)، وقد انتخبهم من اهل الجلد والقوة والهيئة، والعتاء، وجهزمهم وقوامهم (٢٥)، قال الطبري: «واعطى الناس اعطياتهم كاملة، واخذ الخيول الجيدة، والسلاح الكامل، واحسن الى الرجال الشجعان». وانفق عليهم الف الف سوي اعطياتهم» (٢٦)، وسمى هذا الجيش بجيش الطواويس (٢٧)، لتكامل اهبتهم وعتبتهم ونبلهم وشجاعته (٢٨).

وقاد عبدالرحمن بن الاشعث هذا الجيش العظيم متوجها الى سجستان فوصلها في آخر سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م، وذكر البيهقي، بان الحجاج استعمله على بست (٢٩)، والرخج (٣٠) اضافة الى سجستان (٣١).

ان قرار الحجاج بتولية عبدالرحمن بن الاشعث على سجستان ووضعه هذا الجيش الكبير تحت قيادته، كان قرارا غير موفقا، وذلك نظرا لانعدام الثقة بينهما منذ البداية، وعدم اهتمامه بنصيحة عمه اسماعيل بن الاشعث الذي اشار عليه بضرورة عدم توليته لعبدالرحمن، وعلق المؤرخ ابن قتيبة على تحرك جيش ابن الاشعث بقوله: «كان مصرا لخلع طاعة الحجاج» (٣٢).

### ثانيا : عبد الرحمن بن الاشعث في سجستان :

دخلت القوات الاموية بقيادة عبدالرحمن بن الاشعث مدينة سجستان سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م، والقي فيها خطبته المشهورة التي قال فيها: «ان الامير الحجاج ولاني ثغركم وامرتي بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم واباد خياركم، فاياكم ان تخلف رجل منكم فيحل بنفسه العقوبة، اخرجوا الى معسكركم» (٣٣)، ولما علم الملك رتبيل بذلك كتب الى ابن الاشعث كتابا يعرض عليه الصلح والهدنة نصه: «انه ليست امة من الامم اعظم في انفسنا ولا احق بالاجلال والاکرام والتجليل عندنا منكم، وقد كان من مصاب اخوانكم ما علمتم، وما كان ذلك عن هوى مني ولا ارادة، وقد كنا صالحناكم على صلح فيما مضى. ولولا ان ابن ابي بكره نقض وبدل لجرينا في

ويبدو ان الحجاج كان يعرفه بشجاعته وجرأته قبل قدومه واليا على العراق، ذلك لانه لعب دورا مهما في القضاء على معارضة الحركة الخارجية في الاحواز (٩)، حتى انه استهزا بقوتهم، ولم يأمر جنوده بعمل الخنادق، ووصف قوة الخوارج بقوله: «اهون علي من ضرورة الجمل» (١٠) كما يلاحظ ان الثقة كانت فيما يبدو متزعزعة بين الحجاج وعبدالرحمن بن الاشعث، وذلك بعد ان خسر ابن الاشعث احدى معاركه مع الخوارج، حيث كانت الانباء تتوارد الى الحجاج باتهام ابن الاشعث بانه لم يقاتل الخوارج بصدق حيث انكسر جيشه ثم منحه الحجاج العفو والامان.

ويروي ابو مخنف (ت، ١٥٧) وعوانة بن الحكم الكلبي (ت، ١٤٧) «بان الحجاج كان مبغضا لعبدالرحمن بن محمد بن الاشعث، وكان عبدالرحمن رجلا معجبا ذا نخوة وابهة، وكان الحجاج يقول: ما بالعراق رجل ابغض لي منه، وما رايته قط ماشيا او راكبا الا احببت قتله»، وكان عبدالرحمن يقول: «ما رايت قط اميرا فوقى الا ظننت اني احق بامرته منه» (١١)، ويروي عامر الشعبي بانه كان يوما عند الحجاج، اذ دخل عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث يتمشي فقال: «انظروا الى مشية المقيت والله لهمت ان اضرب عنقه، فلما سلم عليه قال: انك لمنظراني، قال: ومخبراني اصلح الله الامر ثم جعل يقول انا منظراني، انا منظراني» (١٢) وعندما حدث عامر الشعبي عبدالرحمن بن الاشعث بما قاله الحجاج، قال عبدالرحمن: «... والله لاحاول ازالة سلطانه ان طال لي وله عمر» (١٣)، وفي رواية ان الحجاج كان اذا راه مقبلا يقول: «اما والله يا عبدالرحمن انك لتقبل علي بوجه فاجر، وتدبر علي بقضاء غادر، وايم الله لتبتلين حقيقة امرك على ذلك» (١٤).

ولذلك نرى ان جوهر العلاقة بينهما كان سيئا، ولذلك اراد الحجاج ان يبعده خارج الكوفة، لمقاتلة الخارجين على الخلافة الاموية املا في ان يحقق ما يمكن تحقيقه في مواجهة المعارضين، والمعادين للخلافة خاصة وانه ربما كان يخشاه بسبب جرأته، وسدته وشجاعته، وقد صادف قرار تولية الحجاج له على سجستان (١٥) معارضة شديدة من قبل عمه اسماعيل بن الاشعث الذي اشار على الحجاج ان لا يولي عبدالرحمن وقال للحجاج: «انني والله اخاف خلافة والله ما جاء جسد الفرات قط فراى ان لا أحد عليه سلطانا، فقال ليس هناك اني لست كأولئك هو لي اهيب، وفيما لدي ارجب من ان يخالفني او يخرج يدا من طاعتي» (١٦) وفي رواية انه قال للحجاج: «اصلح الله الامر انا اعلم به منك، فانك به غير عالم، ولقد أدبته بكل أدب، فأبى ان ينهي عجه بنفسه، ونحن نتخوف ان يفتق بنا فتقا، او يحدث حدثا يصيبنا فيه منك ما يسوءنا، فقال الحجاج: كما قلت والرأي كما رأيتم، ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر، وان يفترج سبيله عن بصر الحق يهدى ان شاء الله» (١٧)، ويعلل ابن قتيبة سبب تولية الحجاج له بقوله «اراد ان يبتلي حقيقة ما يتفرس فيه الغدر والفجور، وان يبدى منه ما يكتم من غائلته، فكتب اليه عهده على سجستان» (١٨). وكان عبدالرحمن بن الاشعث منشغلا في قتال الخوارج في الوقت الذي قرر فيه الحجاج توليته على سجستان، وقرر الحجاج توليته خلفا لعبيدالله بن ابي بكره والي سجستان

امره مجرانا في امر غيره، ونحن نسالك ان تصالحنا وتقبل منا ما كان غيرك ممن كان قبلك يقبله» (٣٤) ورفض عبدالرحمن عرضه، وارسل اخاه القاسم بن محمد على راس قوة كبيرة من الخيالة فنزل مدينة الرخج، ونزل عبدالرحمن في بست (٣٥)، وحققا انتصارات عظيمة فيهما على الغز، والخلج، وحاربا من يلي تلك البلاد من ملوك الهند مثل رتبيل وغيره (٣٦).

ولم يفضل ابن الاشعث التوغل في بلاد رتبيل، وانما اراد ان يستولى على جزء منها، في كل عام حتى يستطيع القضاء عليه تدريجيا وفق ما يسمى حاليا بحرب الاستنزاف، وكان يطلع الحجاج على خطته هذه منذ البداية (٣٧). ويبدو ان ابن الاشعث قد ادرك خطورة توغله في المسالك الوعرة لاراضي رتبيل كما حصل لعبيد الله بن ابي بكره وحيشه عندما اوغلوا في اراضي وعرة وسدت عليهم الطرق ولذلك فانه كتب الى الحجاج يعلمه بانه سوف لا يتوغل في بلاد رتبيل (٣٨). وقد استاء الحجاج من سياسة عبدالرحمن بن الاشعث وكتب اليه:

«اما بعد فان كتابك اثنائي وفهمت ما ذكرت فيه، وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى المودة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم في الاسلام عظيما، لعمري يا ابن ام عبدالرحمن انك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحدي لسخي النفس عن اسيب من المسلمين اني لم اعد رايك الذي زعمت انك رايته راي مكيدة، ولكن رأيت انه لم يحملك عليه الا ضعفك، والنيث رايك فامض لما امرتك به من الوغول في ارضهم، والهدم لحصونهم، وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم» (٣٩). ثم اردفه بكتاب آخر جاء فيه: «اما بعد فمُر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا، فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم» (٤٠)، ويبدو ان الحجاج اراد ان يتبع معهم سياسة التجمير في بلاد بعيدة ناشئة، حينما نص في كتابه على ان يحرقوا ويقيموا، وهذا امر لا يروق مطلقا للمقاتلة الذين تركوا ابناءهم وزوجاتهم، ولذلك فان اجراءات ابن الاشعث كانت متوافقة ومتطابقة مع رغبة المقاتلين، ولذلك فانه اصر على موقفه في عدم التوغل الى المناطق البعيدة من بلاد رتبيل، ويبدو انه كتب للحجاج بذلك يخبره، الامر الذي اثار نفمة الحجاج عليه، فكتب اليه عدة كتب شديدة اللهجة منها ما نصه: «يا ابن الحايك الغادر كتابك الى كتاب رجل احب الهدنة والمودة.. اني لم اعد برأيك مكيدة ولكن ما عدته ضعفا وجبنا» (٤١)، وهدده الحجاج بالعزل عن اماره سجستان حينما كتب اليه «اما بعد، فامض لما امرتك به من الوغول في ارضهم، والا فان اسحاق بن محمد اخاك امير الناس فخله وماوليت» وفي رواية قال له في كتابه «ان انت توقفت عن المسير في بلاد العدو وليت اسحاق بن محمد بن الاشعث جندك وصيرتك من تحت يده، كبعض اهل مصر» (٤٢)، ويروى انه لما قرا كتاب الحجاج قال: «انا اُحْمَلُ ثقل اسحاق، فعرض له، فقال لاتفعل، فقال: ورب هذا - يعنى المصحف - لئن ذكرته لاحد لاقتلك...» (٤٣). وقد حسمت كتب الحجاج التهديدية هذه العلاقة المهزوزة بين الحجاج وبين ابن الاشعث، الامر الذي اغضب ابن الاشعث غضبا شديدا، فقال: «يكتب الي ابن ابي رغال، يمثل هذا الكتاب

وهو والله الجبان وابوه من قبله». وكان ابن الاشعث يستند في موقفه هذا على تأييد واسناد المقاتلين من جند الكوفة والبصرة، اضافة الى قوة اخرى كبيرة وصلته بقيادة الصباح بن محمد والقاسم بن محمد اخويه. وكانوا بطبرستان، اضافة الى قوة اخيه اسحاق بن محمد بن الاشعث التي وصلته.

ولذلك قرر ان يعلن عن حركته المعارضة للحجاج فجمع المقاتلين وخطبهم قائلا:

«ايها الناس والله اني لكم ناصح ولصلاحكم محب، ولتم في كل ما يحيط بكم نفقة ناظر، وقد كان من راي فيما بينكم وبين عدوكم راي استشرت فيه ذوى احلامكم واؤلى التجربة للحرب منكم فاشاروا على بانكار ذلك وكراهيته اياه، وامرني ان اتوغل بكم تغريرا لجماعتكم كما غرر باخوانكم بالامس، فقالوا، لا بل نأبى - على عدو الله امره ولا نسمع له ولا نطيع، فان ابن ابي رغال لا يريد بنا خيرا، وعقد لمن وثق به رحل الوية...» (٤٤)، وفي رواية انه قال لهم: «...وقد كان من راي فيما بينكم وبين عدوكم راي استشرت فيه ذوى احلامكم، واؤلى التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأيا وراوه لكم في العاجل والآجل صلاحا، وقد كتبت الى اميركم الحجاج، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو، وهي البلاد التي هلك اخوانكم فيها بالامس، وانما انا رجل منكم امضى اذا مضيتم وأبى اذا أبيتم، فثار اليه الناس فقالوا، لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع» (٤٥)، ولذلك كانت خطبة ابن الاشعث هذه قد رسمت الخطوط الاولى لحركة معارضة سياسية كبيرة ضد الخلافة الاموية، رغم انها لم تكن ظاهريا كذلك، وانما كان هدفها الاساسي هو القضاء على الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق

### ثالثا: ابن الاشعث يعلن عن حركته المعارضة للخلافة الاموية سنة ٨١ هـ / ٧٠٠ م

قرر ابن الاشعث قيادة الحركة المعارضة للحجاج وللخلافة الاموية بعد ان اطمأن الى موقف جنده، الذين ضجوا قائلين «لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع» كما اعلن عدد من القادة العرب مساندتهم لحركة ابن الاشعث، وبرزهم عامر بن واثلة الكناني الذي قال: «اما بعد فان الحجاج والله ما يرى بكم الا ما راي القاتل الاول اذ قال لاخيه احمل عيذك على الفرس، فان هلك هلك وان نجا فلك، ان الحجاج والله ما يبالي ان يخاطر بكم فيحكمكم بلادا كثيرة اللهب والصوص، فان ظفرتم فغندم اكل البلاد وحار المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالي عنقهم ولا يبقى عليهم. اخلعوا عدو الله الحجاج، وبايعوا عبدالرحمن فاني اشهدكم اسي اول خالع، فنادى الناس من كل جانب فطنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله»، ثم اعلن القائد عبدالمؤمن بن شيبث بن ربيع التميمي فقال «عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمركم تجمير فرعون الجنود، فانه بلغني انه اول من جمر البعوث، ولن تعابنوا الاحبة فيما ارى او يموت اكثركم، بايعوا ميركم

وانصرفوا الى عدوكم فانفوه عن بلادكم» (٤٦).

وقد ايد عبدالرحمن عدد من الرجال كعبدالرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل، وبنوه عون بن عبدالله، وعمر بن موسى بن عمر ابن عثمان بن عمر، ومحمد بن سعد بن ابي وقاص، وبقية جند الكوفة والبصرة، وخاطبهم عبدالرحمن بن الاشعث قائلا: «ماترون؟ قالوا. نحن معك فاطلع عدو الله وعدو رسوله» (٤٧)، وكتب عبدالرحمن بن الاشعث برسالة الى المهلب بن ابي صفرة الازدي يدعو الى خلع طاعة الحجاج، فاجابه المهلب: «ما كنت لاغدر بعد سبعين سنة...» وقال لرسول عبدالرحمن: «قل له اتق الله في فناء المسلمين» (٤٨) وكان أهل الكوفة والبصرة قد ازداد حماسهم للانضمام الى حركة ابن الاشعث، لانهم كانوا في «صباية الى ابنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى اهلهم ويشموا اولادهم» (٤٩).

ومن العوامل المشجعة لابن الاشعث هو اسناد حركته من قبل الاعاجم من الموالي الذين انضموا اليه باعداد كبيرة جدا، املا في تحقيق ما كانوا يهدفون الى تحقيقه ضد السيادة العربية، خاصة وان الحجاج كان يترصد ويراقب حركاتهم وتصرفاتهم بدقة، ولذلك فانهم كانوا ناقلين على الامويين عموما وعلى الحجاج بصفة خاصة، وكان الشاعر اعشى همدان يسير بين يدي ابن الاشعث لما قرر التوجه الى العراق، وهو ينشد (٥٠).

شطت نوى من داره بالايوان ايوان كسرى ذى القرى والريحان  
من عاشق امسى بسرايلستان ان ثقيفا منهم الكذابان  
كذابها الماضى وكذاب ثان امكن ربي من ثقيف همدان

كما ان الموالي كانوا ناقلين على الحجاج ذلك لان عماله قد كتبوا اليه «ان الخراج قد انكسر، وان اهل الذمة قد اسلموا وولتقوا بالامصار، فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له اصل من قرية فليخرج اليها فخرج الناس، فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه، يا محمداه، يا محمداه ولا يدرون اين يذهبون» (٥١)، ذلك لان الحجاج اراد ان يحد من نفوذهم في الامصار العربية، ولذلك امر بارجاعهم الى قراهم، ليحل من العراق معقلا للجيش العربية.. ومن اجل الحفاظ على الاصلية العربية في الامصار العربية التى شيدت في العصور الاسلامية. وقد استغل الاعاجم كل مناسبة وحركة معارضة للخلافة الاموية ليعلنوا انضمامهم اليها املا في تقويض السيادة العربية خاصة وان الخلافة الاموية قد اتبعت سياسة عربية على النطاق المحلى والاسلامى.

وقد دعا ابن الاشعث كل العناصر للانضمام الى حركته من اجل تحقيق اهدافه ضد الخلافة الاموية، ولذلك انضم الى حركته الخوارج، والمرجئة، وغيرهم من المعارضين للخلافة الاموية. ولذلك بعد ان فشلت حركة ابن الاشعث كان الحجاج يسأل كل شخص من اتباع ابن الاشعث من الذين وقعوا في اسر القوات الاموية، قائلا لكل شخص منهم: «انت مؤمن ام كافر، ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم» (٥٢) كما انضم الى حركة ابن الاشعث جماعة من طائفة القراء من أهل الكوفة والبصرة.

وبعد ان اطمأن ابن الاشعث الى موقف انصاره منه خاطبهم

بقوله «تبايعون على خلع الحجاج عدو الله، وعلى نصرتي، وعلى جهاد عدوى معي حتى ينفى الله من ارض العراق فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبدالملك اذ ذاك بشيء» (٥٣). وفي رواية كانت بيعته «على كتاب الله وخلق آية الضلالة وجهاد المخلين» (٥٤).

وبعد ان تمت مبايعة الجندله، قالوا له «تنصرف الى العراق فنخرج الحجاج عدو الله من العراق، فان جهاده اولى» (٥٥) ويلاحظ ان ابن الاشعث كان ذكيا في تصرفه في عدم اعلانه خلع الخليفة عبدالملك بن مروان، ولذلك «لم يذكر خلع عبدالملك اذ ذاك بشيء» (٥٦)، خاصة وان جند الكوفة والبصرة كانوا مستائين جدا من سياسة التجمير التى كان الحجاج قد انتهجها معهم. وبعد ان قرر ابن الاشعث التوجه الى العراق أقر على بست عياض بن هميان البكرى، من بنى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وعلى زرنج عبدالله بن عامر التميمي ثم الدرامى، وعلى كرمات حريثة بن عمر التميمي، ثم بعث الى الملك رتبيل فصالحه «على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه ابدأ ما بقى، وان هزم فاراده الجاه عنده» (٥٧)، وكان ابن الاشعث قد خاطب جنده قائلا: «نسير الى العراق ونكتب بيننا وبين رتبيل كتاب صلح فان تم امرنا ووقفنا عنه، ورقبنا له، وان كانت الاخرى اتخذناه ملجأ ثم رأى القوم على ذلك، وكتب بينه وبين رتبيل بهذا الشرط» (٥٨).

وبعد ان اطمأن ابن الاشعث على وضعه في جبهة سجستان، وبعد ان اطمأن الى موقف اصحابه تجاهه كتب رسالة الى الحجاج ابن يوسف، يتهدده ويتوعده فيها، وجاء فيها «بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على اهل طاعة الله واوليائه الذين يحكمون بعده، ويؤمنون بعده، ويجاهدون في سبيله، ويتورعون لذكرك، ولا يفسكون دما جراما، ولا يعطلون للرب احكاما ولا يدرسون له اعلاما، ولا ينجسون النهج، ولا يرمون السوء، ولا يسارعون في الغي، ولا يدللون الفجرة، ولا يتراضون الجورة، بل يتمكنون عند الاشتباه، ويتراجعون عند الاساءة، اما بعد فاني احمد الله حمدا بالغيا في رضاه منتها الى الحق في الامور الحقيقية لله علينا، وبعد فان الله انهضنى لمصاولتك وبعثنى لمناضلتك حين بحرمت امورك، وتهتكت صورتك فاصبحت صدقا اؤمل من الله ذلك ان يصيرك في حبالك وان يجيىء بك في القرن ويسحبك للذق وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدي من اتهمته وعاديته، فلعمري لقد طال ما تطاولت وتمكنت، واخطيت وخلت ان لن تبور، وانت في فك الملك تدور، واظن مصداق ما اقول، ستجده عن قريب فسر لامرك ولاق عصاة خلقك في حبالها خلفها نكالها، وتدرعت حلالها تدرعها مطالها، ولا يحذرون منك جهدا ولا يرهبون فيك وعيدا، ويتأملون خرايتك ويتجرعون امارتك عطاشا الى دمك، يستطعمون لله لحكم وايم الله ليناقتك منهم الابطال الذين بيتهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا انفسهم تقريبا الى الله فاعصى عن ذلك يا ابن ام الحجاج، فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على طاعة الله» (٥٩).

يتبين لنا من نص الرسالة كيف ان ابن الاشعث كان عنيفا في رسالته وتهديده ووعيده للحجاج، وكان وقع هذه الرسالة شديدا على

فأقرأه الكتاب، ورأى مابه من الجزع فقال «يا امير المؤمنين ان كان هذا الحديث من قبل سبستان فلا تخفه، وان كان من قبل خراسان تخوفته، وخطب في الناس قائلا: ان اهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدرى...» (٦٧)، ومما افزع عبدالمك وصول انباء خلعه من قبل ابن الاشعث وجيشه في مدينة فارس.

واستمرت المراسلات والمشاورات بين الخليفة عبدالمك والحجاج بن يوسف، واخذ يرسل الامدادات بصورة مكثفة الى الحجاج حيث تصل الامدادات يوميا من الشام على البريد، وعلى الخيل العتاق المقدحة، وبعضهم على الابل الناجية وكتب الحجاج تتصل بعبدالمك كل يوم بخبر عبد الرحمن (٦٨). في الوقت الذي كانت فيه المعلومات عن تحرك ابن الاشعث تصل تفصيليا الى الحجاج، وعن نزوله في الاماكن مكانا مكانا، وقاد بنفسه الجيش الاموي لمواجهة الموقف حتى نزل روستقباد (٦٩) وهي مستوى من كور الاحواز (٧٠). يستظر قدوم ابن الاشعث (٧١)

### «معركة روستقباد في الاحواز»

غادرت قوات المعارضة بقيادة عبد الرحمن بن الاشعث مدينة فارس باتجاه العراق، وقد اطلق عبد الرحمن على نفسه «القحطاني ناصر امير المؤمنين» (٧٢) وبانه «القحطاني الذي ينتظره اليمانية وانه يعيد الملك فيها، فليل له ان القحطاني على ثلاث احرف، فقال اسمى عبد، واما الرحمن فليس من اسمي» (٧٣) وذكر المطهر المقدسي ان القحطاني كان مشهورا عندهم (٧٤).

اما القوات الاموية فانها كانت بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي في منطقة روستقباد من كور الاحواز، واقبل ابن الاشعث فنزل في تستر (٧٥)، وكان يفصل بينهما النهر، ودارت اول معركة بين الجانبين حيث انتصرت القوات الاموية بقيادة مطهر بن حر الطائي، الذي كتب بالنصر الى الحجاج الذي فرح كثيرا وقام خطيبا وقال: «احمدوا الله على هلاك عدوكم» فما نزل من خطبته حتى اتاه نبا انتصار عظيم حققته قوات ابن الاشعث والذي استغل الظروف الجوية في يوم كثيف الضباب لا يكاد الرجل يتبين فيه صاحبه (٧٦). والذي امر قواته باقتحام النهر والهجوم على القوات الاموية، مباغتة قوات الخلافة الاموية، وقتل منهم ما يقارب ثمانين الف مقاتل (٧٧)، وحينما علم الحجاج بذلك قال لجنده «ايها الناس ارتحلوا بنا الى البصرة فان هذا مكان لا يحمل الجند، وانصرف حتى نزل الزاوية وبعث الى طعام التجار بالكلأ فاخذوه فحملة اليه، وقال من كان منهم ولما رددت عليه، ومن كان عدوا فماله ودمه حلال لنا، وخلي البصرة لاهل العراق وقال عند انسحابه: «فان هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند» (٧٩).

وكان عامل الامويين على البصرة الحكم بن ايوب الثقفي (٨٠). وكان الحجاج قد امر خلال انسحابه بهدم القناطر وقطع الجسور الى ان نزل في الزاوية (٨١) يوم الخميس لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٨١ هـ/ ٧٠٠ م (٨٢). وقد ندم الحجاج ندما شديدا على عدم سماعه لنصيحة المهلب، عندما طلب منه الا يتعرض لمحاربة جند البصرة الذين مع ابن الاشعث مع بقية جند الكوفة، حتى يدخلوا مدينة البصرة ويشموا اولادهم، ويسكنوا الى بيوتهم ولما رجع الى البصرة دعا بكتاب المهلب فقرأه ثم قال «لله ابوه اي صاحب هو اثار علينا بالراي ولكننا لم نقبل» (٨٣).

الحجاج الذي كتب رسالة شديدة اللجة الى عبد الرحمن بن الاشعث جاء فيها: «من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث السلام على اهل النزوع من التريبع واسباب الرواء لا الى معادن السوء والنقم في الغي، فاني احمد الله الذي خللك في حيرتك اذ يهتك في السيرة، وهلك للضرورة، حتى اقحمك امورا اخرجك بها عن طاعته، وجانب ولايته، وعسكرت بها في الكفر وذهلت بها عن الشكر افلا تشكر في السراء. ولا تصبر في الضراء. اقبلت مستنا بحريم الحرة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرهما، وجلبت لغيرك ضررها، وقتلت وتاق الاحتجاج، وبارزة الحجاج لابل امك الهيل، وعزة ريك لتربكن لنحرك، ولتغلبن لظهورك، ولتخطين قريستك، ولتخضن حجتك، ولتجنن مقامك، ولتشفغن سهامك، كائن بك تصير الى غير ابطاها، والسلام على من اناب الى الله وسمع واجاب» (٦٠). وان هذا هو اسلوب الرسائل المتبادلة بين الاعداء.

اتجه ابن الاشعث بقواته المعارضة نحو العراق، حيث وصل الى مدينة فارس، وهناك اعلنوا عن خلعه لعبدالمك بن مروان، وهذا التصرف اعطى بعدا جديدا لحركة ابن الاشعث متمثلة باعلانه المعارضة الواضحة والصريحة ضد الخلافة الاموية وليس ضد الحجاج كما كانت تبدو سابقا. وقال بعض جنده «اذا خلعنا الحجاج فقد خلعنا عبدالمك، فاجتمعوا الى ابن الاشعث فكان اول الناس قال خلعت عبدالمك ببحان بن الحر احد ولد ربيعة بن نزار ثم احد بنى بكر بن وائل، والذي خاطب الناس بقوله «ايها الناس اني قد خلعت ابا الذبان (٦١) خلعي قميصي هذا فخلعه الناس» (٦٢).

اما بالنسبة للحجاج بن يوسف فانه راسل عبدالمك بن مروان عدة مرات، لتدارك الامر، واتجه الحجاج بنفسه الى البصرة، واقام بها وعزم على لقاء ابن الاشعث، وكان ابن المهلب قد كتب الى الحجاج مشيرا عليه بان لا يقاتله حتى يرد الناس منازلهم «فيركنا الى الدعة وتمنعهم الرقة على اولادهم وعيالهم من المحاربة، ويحدث لهم آراء غير آرائهم وينتقصوا عنهم التفرق عن امرهم ويفد الرجل اخوه، والرجل قومه فيفتر عزمه ولم يلتفت الى كتابه ومشورته» (٦٣)، لانه كان قد كتب اليه بان لاهل العراق صباية الى ابنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم دون اهلهم فلا تستقبلهم، وخل لهم السبيل حتى يأتوا البصرة، فيواقعوا نساءهم ويشتموا اولادهم فترق قلوبهم ويخلدوا الى المقام في منازلهم فيتفرقوا عن ابن الاشعث... فان الله ناصرك عليهم» (٦٤).

غير ان الحجاج لم يهتم بتوجيهات ابن المهلب، ورفض رأيه وكان رأى المهلب رائعا جدا، وفيه بعد نظر كبير، ويبدو ان الحجاج قد راعته رساله المهلب اليه والتي يصف فيها تحرك قوات ابن الاشعث، عندما كتب اليه «اما بعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل المتحدر من عل، وليس شيء يرده حتى ينتهي الى قراره...» (٦٥)، ويصف المؤرخ الذهبي تحرك جيش ابن الاشعث بقوله «كالسيل العرم، والتف عليه الامم» (٦٦). فاسرع الحجاج بالكتابة الى الخليفة عبدالمك بن مروان يخبره بذلك، ويشير الطبري الى ان عبدالمك قد ذهل ايضا، حيث انه لما وقع اليه كتاب الحجاج هاله ثم نزل عن سريره، وبعث الى خالد بن يزيد بن معاوية، ودعا



فخرج، وخرج الناس (٩٤)، ودارت معركة عنيفة في الزاوية، وحقق قوات ابن الاشعث انتصارات مهمة على الجيش الاموي الذي يديره على الغلبة على الهرب، باستثناء الحجاج ومن معه فانه «جنا على ركبتيه، وانتظى نحواً من شبر من سيفه وقال «لله در مصعب! ما كان اكرمه حين نزل به ما نزل» (٩٥)، وعزم على ان لا يفر (٩٦)، وصبر معه ال سعيد بن العاص، وظفر الحجاج بأهل الزاوية، واقتل الى البصرة فقاتله الناس قتالا شديداً على افواه الدروب والسكك، فقال الحجاج «دعوه فأنهم منهزمون، والان يتفرقون» فوقعت الواقعة على ابن الاشعث، وجنده، والذي ترك البصرة باتجاه الكوفة وخلف على البصرة عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب وقال له «قاتل بالناس، فان عندهم قتالا شديداً ولهم نشاط فاني منصرف الى الكوفة ومعدك بالرجال»، وقد بايع اهل البصرة عبدالرحمن بن العباس على الصبر، فقاتل بهم الحجاج (٩٧)، وقد علق المؤرخ البلاذري (ت، ٧٩) على تصرف ابن الاشعث بترك البصرة بقوله: «وكانت تلك الفعلة من ابن الاشعث هزيمة» (٩٨) وقد غادر البصرة بحجة ان مطر بن ناجية الرياحي قد وثب بالكوفة وقال «انما انصرفنا وفي الناس فضل وعندهم قتال لانه بلغني ان مطر بن ناجية الرياحي وثب بالكوفة فغاضني ان اكون فتحت باباً دخل مطر منه، وان يكون انما قدر على الوثوب بي فيكون له صوت معي فاردت ان الحقه فأحول بيته وبين ارداته» (٩٩). ولذلك اتجه الى الكوفة في الف من اهلها، ويبدو انه قد تعرض الى ضغط من قبل جند الكوفة، اضافة الى ان الكوفة كان فيها عدد كبير جداً من الموالي، وهي اطولع له من اهل البصرة، ولانه يجد بها من عشائره ومواليه عدداً كبيراً (١٠٠).

اما الوضع في مدينة البصرة، فان عبدالرحمن بن العباس خليفة ابن الاشعث، فانه قاتل الجيش الاموي بشجاعة نادرة من آخر يوم الاحد، ويوم الاثنين، ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء، وليلة الخميس وهي ليلة الهرير، وصبر اهل البصرة على قتال الحجاج، حتى هزموا، وامر الحجاج برفع راية الامان لاهل البصرة، وناداهم اصحابه «ثكنتم امهاتكم علام تقاتلون، وقد ترك صاحبكم القتال». فخرج عبدالرحمن بن العباس، وجماعة من اهل الكوفة، والاقوياء من اهل البصرة، حتى لحقوا بابن الاشعث، ودخل الحجاج مدينة البصرة (١٠١). وخاطب جنده قائلاً «ان الله لم ينصركم باهل الشام على عدوكم لانكم اكثر منه عدداً وظهر قوة، ولقد كانوا اثرى منكم واغنى وهم في بلادهم ومادتهم تأتيهم من مصرهم، وبيوتهم فهم يستندون الى ذلك، ويعتصمون به، ولكنكم كنتم اهل الطاعة وكانوا اهل المعصية، فنصركم الله بغير حول منكم ولا قوة فاحمدوا الله على نعمه فلا تبغوا ولا تظلموا، واياكم ان يبلغني ان رجلاً منكم دخل بيت امرأة فلا يكون له عندي عقوبة الا السيف، انا الغيور ابن الغيور، لا اداها في الريبة ولا اصبر على الفاحشة» (١٠٢). وخاطب اهل البصرة قائلاً «انكم تحالفتم وعصيتم واحللتكم بانفسكم فغفوت عنكم، وقد قدرت، وانا اقسم لكم بالله لئن عدتم لمثل فعلكم لاقتلن مقاتلتكم ولاجرمنكم باموالكم» (١٠٣). ثم غادر الحجاج البصرة باتجاه الكوفة بعد ان اقام بها نحواً من شهر (١٠٤) بعد ان عادت الثقة الى نفسه وجنده.

ولذلك فقد اخطأ الحجاج في تقديره لطبيعة منطقة روستقياذ في الاحواز، لان جند العراق كانوا مستميتين في قتال الجيش الاموي، وممن قتل مع جيش ابن الاشعث ليلة واقعة دجيل، ابو عبيدة بن عبدالله بن مسعود الهندي، وقدروى عن طائفة وقتل معه ليلتئذ عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي ابن خالة خالد بن الوليد، وكان فقيهاً كثير الحديث ولقي كبار الصحابة، وادرك معاذ بن جبل (٨٤). وقد كان لهذا الانتصار اثره الكبير على رفع معنويات قوات ابن الاشعث، والذي خاطب انتصاره قائلاً: «اما الحجاج فليس بشيء، ولكننا نريد غزو عبدالملك»، وروى ان جيشه بلغ حتى هذه اللحظة ثلاثة وثلاثين الف فارس، ومائة وعشرين الف راجل (٨٦). وقد كتب الحجاج الى عبدالملك بن مروان يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبدالملك «لعمري لقد خلع طاعة الله بيمينه، وسلطانه بشماله، وخرج من الدين عريانا، واني لارجو ان يكون هلاكه وهلاك اهل بيته، واستئصالهم في ذلك على يدى امير المؤمنين» (٨٧).

### خامساً : «عبدالرحمن الاشعث في مدينة البصرة»

دخلت قوات عبدالرحمن بن محمد الاشعث مدينة البصرة فبايعه اهلها على حرب الحجاج، وخلع عبدالملك بن مروان، وانضم اليه القراء والشيوخ (٨٨).

وكان قراء اهل البصرة مستائين جداً من الحجاج بن يوسف، ذلك لان عمال الحجاج قد كتبوا اليه بانكسار الخراج لان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار، فامر الحجاج بارجاعهم الى قراهم كما مر بنا «فجعل قراء اهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين فيكون لما يسمعون منهم ويرون» (٨٩). ولذلك انضموا باعداد كبيرة جداً الى حركة ابن الاشعث حيث كان عدد «خمس مائة كلهم يرون القتال» (٩٠) ومنهم سليم بن يسار، وعقبة بن عبدالغافر العوذلي، وعقبة بن وساج البرساني، وعبدالله بن غالب الجعفي، والنظر بن افس ابن مالك، وابو الجوزاء، وعمران بن عصام الضبيعي، وسيار بن سلامة ابو المنهال الرياحي، ومالك بن دينار، ومرة بن دباب المرادي، وابو نجيد الجعفي، وابو شيخ الهنائي، والحسن بن ابي الحسن وكثير غيرهم (٩١). وكان قسم منهم قد قتل في المعركة التي جرت في الاحواز.

### سادساً : «معركة الزاوية سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م

#### في البصرة»

وهكذا أصبحت قوات ابن الاشعث في داخل مدينة البصرة، وتحيط بها وبضواحي المدينة القوات الاموية، وكانت الامدادات تصل الى الحجاج يومياً، وقد استشار بان الاشعث عباد بن الحصين وكان كبير السن، فقال له «ارى ان تخندق على المريد وما يليه ثم تدعهم حتى يخرجوا من معسكرهم بالزاوية» (٩٢)، فياتوك معير كآلٍ، ويخرج الناس اليهم نشاطاً جامين» (٩٣)، فخندق ابن الاشعث. ولم يعق في الحفر، وخندق ناس من الناس على ما يليهم، وخندق الحجاج على عسكره، وقد اشار اصحاب ابن الاشعث عليه بضرورة الخروج لقطع الامدادات عن الحجاج من جهة الشام، ولقتاله، ولذلك خطب بالناس قائلاً «ان الله قد جمع كلمتكم واعز دعوتكم فاخرجوا اليهم فجاهدوهم على اسم الله

بن ناجية، واراد ابن الاشعث ان يقتله فقال له «استبقني فاني افضل فرسانك واعظمهم عنك غناء فأمر به فحبس، ثم دعاه بعد ذلك فعفا عنه، وباعه مطر، وبقي الناس في الكوفة. (١١٣).

ثم قدم بعد ذلك عبدالرحمن الهاشمي من البصرة مع جماعة من فرسان اهل البصرة ووجوههم (١١٤). ثم دعا ابن الاشعث عباد الكوفة وقراءهم وخاطبهم قائلا: «ايها الناس الا ترون هذا الجبار - يعنى الحجاج - وما يصنع بالناس؟ الا تغضبون لله؟ الا ترون ان السنة قد اميتت والاحكام قد عطلت، والمنكر قد اعلن والقتل قد فشا؟ اغضبوا لله، واخرجوا معي فما يحل لكم سكوت (١١٥)، ولذلك كانت خطته ذات طابع ديني املا في استمالة عباد الكوفة وقراءها وكان قد انضم اليه عدد كبير من ابرز قراء الكوفة (١١٦). وقد استقرت الاوضاع في الكوفة لصالح ابن الاشعث وأخذ يهيئ اموره فيها، استعدادا لملاقاة الجيوش الاموية التي ستصل من البصرة بقيادة ابن الاشعث، والجيوش التي ستصل من جهة الشام والجزيرة.

### ثامنا : معركة دير الجماجم واندحار ابن الاشعث

سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م

توجه الحجاج بن يوسف الثقفي من البصرة في طريق البر، ومر بالقادسية (١١٧). والعذيب (١١٨)، فارسل عبدالرحمن بن الاشعث قوة عسكرية من الكوفة بقيادة عبدالرحمن بن العباس الهاشمي فمنعه من نزول القادسية، وقد علم الحجاج كثرة من مع ابن الاشعث وكثرة مع عبدالرحمن الهاشمي في الخيالة من اهل الكوفة والبصرة، ولذلك فانه اثر عدم الاصطدام معهم، فارتفع عنهم وسابروا حتى ارتفعوا على وادي السباع (١١٩) وكان قد عزم على الارتفاع الى هيت (١٢٠) وناحية الجزيرة (١٢١)، ليقرب من الخليفة عبدالملك بن مروان، ولا يكون بينهما احد، ثم تسايروا حتى نزل الحجاج «دير قرة» (١٢٢)، فلما صار اليه قال «والله ما بهذا المنزل من امير المؤمنين واهل الشام بعد، ولا احد يحول بيني وبينهم، ولا اتخوف ان يأتيني من ورائي احد، وانى لفي رساتيق من الفلوجة (١٢٣)، وبالقرب من عين التمر (١٢٤)، وارجو ان تحملنا هذه الرساتيق، ولنزولي معهم في بلادهم اشد عليهم من نزولي نائيا عنهم (١٢٥) وخندق في دير قرة، ونزل ابن الاشعث بقواته في دير الجماجم (١٢٦) وعسكر وخندق فيه، لتأتيه الميرة من الكوفة (١٢٧). وكان الحجاج بعد ذلك يقول «اما كان عبدالرحمن يزجر الطير حين رأى نزلت دير قرة، ونزل دير الجماجم» (١٢٨) وكان الحجاج في حالة من الحذر والريبة بسبب كثرة من انضم الى ابن الاشعث، ولذلك اراد ان تكون مسألة حصوله على الامدادات من الشام مسألة منتظمة ودقيقة.

وبدأت تنتظم قوات الجانبين في ديري قرة والجماجم، واجتمع مع ابن الاشعث اهل الكوفة واهل البصرة، مع قراء الكوفة الذين كانوا بقيادة جبلة بن زحر الجعفي (١٢٩)، وكان القراء يحرضون الناس على القتال بجد واخلاص، ويحرضونهم على الحجاج والامويين، وجعل ابن الاشعث على خيله عبدالرحمن بن العباس الهاشمي، ودارت معارك عنيفة بين الجانبين استمرت ما يقارب مائة يوم (١٣٠).

وتعد نتيجة معركة الزاوية نتيجة حاسمة لمستقبل حركة ابن الاشعث، ذلك انها كشفت عن ان مقاتلة البصرة لم يقاتلوا مع ابن الاشعث بنفس الروح والحماس الذين قاتلوا به في الاحواز، بعد ان دخلوا البصرة واستقروا مع ابنائهم وزوجاتهم، كما ان المعركة كشفت عن التخطيط العسكري الذي وقع فيه ابن الاشعث من خلال تركه الامور في البصرة سائبة بأيدي نفر قليل من انصاره. وتعد عملية ذهابه الى الكوفة هزيمة منكرة غير معلنة، كشفت عن قصر نظره وتخطيطه العسكري حيث انه لم يستثمر انتصاره الرائع في الاحواز كما انه عرض نفسه وجنده للهزيمة مجرد ان تعرض جناح ميمنته الى هجوم من قبل الجيش الاموي، مما ادى الى ارباك انصاره ومن ثم هزيمة جيشه بأكمله، وهذا مما يعاب عليه ابن الاشعث في قيادته وتخطيطه العسكري. كما انها زعزعت ثقة انصاره والمؤيدين له في كفاءته ومقدرته ذلك ان الجند عندما شاهدوا ذهابه للكوفة اتوا عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي خليفته في البصرة فقالوا له «تركنا ولحق بالكوفة وهذا الفاسق منيخ علينا» (١٣٥).

كما ان معركة الزاوية انهكت قوات ابن الاشعث بسبب ضخامة الخسائر التي منيت بها، فيروى ان عدد من قتل يوم الزاوية كان «أحد عشر الفا، وما استحيا منهم الا واحدا كان ابنه من كتاب الحجاج» (١٣٦) ومن الشخصيات المهمة التي قتلت بالزاوية زياد ابن مقاتل، وطفيل بن عامر بن وائلة، وعبدالرحمن بن عوسجة ابوسفيان النهدي، وعقبة بن عبدالغافر الازدي، من القراء في مكان واحد، وعبدالله بن رزام الحارثي، والمنذر بن الجارود، وعبدالله بن عامر بن مسمع (١٣٧). وكثير غيرهم.

### سابعا : «ابن الاشعث في مدينة الكوفة»

توجه ابن الاشعث من البصرة الى الكوفة التي كانت بؤرة المعارضة المتواصلة للخلافة الاموية، وكان اهلها اطوع اليه من اهل البصرة لان فيها عشائره ومواليه، وانصاره (١٣٨)، وكان الوضع في الكوفة مضطربا قبل قدوم ابن الاشعث، وان الحجاج حينما خرج من الكوفة خلف عليها عبدالرحمن بن عبدالله بن عامر الحضرمي حليف بني امية، وكان مطربن ناجية الرياحي على المعونة، فلما بلغه خبر ابن الاشعث وما حدث له في معركة رستقباد في الاحواز فانه قال: «ان ابن الاشعث قد هزم اهل الشام فهلما نخرج من عندنا سهم» (١٣٩) ولذلك تحصن بالكوفة وانضم اليه اهل الكوفة، فحاصروا امير الكوفة ومن معه من (١٤٠)، اهل الشام، فصالحوهم على ان يخرجوا من قصر الامارة والكوفة وبعد ذلك اسلف مطر بن ناجية اهل الكوفة «مائتي درهم مائتي درهم» (١٤١).

وعندما قدم ابن الاشعث خرج اليه اهل الكوفة يستقبلونه، ويرحبون به، فاستقبلوه بعدما جاز قنطرة «زبارا» ورحب به جميع اهل الكوفة عدا طائفة من بني تميم اردوا ان يقاتلوه دفاعا عن مطر بن ناجية «لم يمكنهم من ذلك فعدلوا الى القصر» (١٤٢). واتجه ابن الاشعث لمعالجة امر مطر بن ناجية، حيث امر بالسلام فنصبت على قصر الامارة، فصعد الناس، حتى اسر مطر

محقا في قناعته لانه يعد نصرا كبيرا له ضد عدوه الحجاج، غير ان جند الكوفة والبصرة رفضوا هذا الاقتراح قائلين «ان الله قد اهلكهم فاصبحوا في الازل والعنان والمجاعة والقلة والذلة ونحن دون العدد الكثير والمادة القريبة، لا والله لانقبل» (١٤٠)، وكان اجماعهم على خلع عبد الملك بدير الجماعم اكثر من اجماعهم على خلع قبل ذلك (١٤١).

ويبدو ان رفض جيش ابن الاشعث كان حسب اعتقادهم ان الخلافة الاموية قد ظهر عجزها وضعفها امام ابن الاشعث، ولذلك فانهم لم يرضوا بخلع الحجاج وانما اخذوا يطالبون بخلع عبد الملك، ويعد هذا اعلى درجات النجاح المرحلي الذي حققته حركة ابن الاشعث.

ولذلك برزت الجيوش من الجانبين للقتال، حيث جعل الحجاج على ميمنته عبدالرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي، وعلى الخيل سفيان بن الابرء الكلبي، وعلى الرجالة عبدالله بن حبيب الحكسي اما ابن الاشعث فانه جعل على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي وعلى ميسرته الابرء بن قرة التميمي، وعلى خيله عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب وعلى الرجالة محمد بن سعد بن ابي وقاص، وعلى مجنبيه عبدالله بن رزم الحرشي، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي، وفيهم سعيد ابن جبير، وعامر بن شراحيل الشعبي، وابو البختری الطائي، وعبدالرحمن بن ابي ليل (١٤٢).

ودارت معارك عنيفة بين الجانبين، وكان اهل العراق يأتيهم المدد من الكوفة وسواها، واهل الشام يعانون من قلة مواردهم، واصلحوا في ضيق من العيش وغلت عليهم الاقوات، وقل عندهم الطعام وكأنما كانوا محاصرين، وكان ابرز الذين قاتلوا مع ابن الاشعث جماعة القراء، الذين كانوا يشجعون الناس ويحرضونهم على القتال، فكان عامر الشعبي ينادي «يا اهل الاسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم» وقال سعيد بن جبير «قاتلوهم ولا تأثموا في قتالهم» وكان الحجاج بن يوسف قد جعل هدفه الرئيسي القضاء على فرقة القراء، فجهز عليهم ثلاث كتائب قاتلتهم بضراوة فانهمز جبلة ابن زحر بن قيس، وكان الحجاج قد حقق نجاحا ملموسا في قيادته للمعركة وقتل جبلة وكان من اشجع قادة ابن الاشعث، ثم حمل على القراء بهجوم كبير وتمكن القراء من ازالة تلك الكتائب وفرقوها، وعندما انجلي الموقف وجدوا جبلة قتيلا، وكان لمقتله اثر كبير على معنويات بقية اتباعه وكان ابو البختری ينادي «ايها الناس قاتلوهم على دينكم وديناكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليغلبن على دنياكم» وقال عامر الشعبي «يا اهل الاسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم، فوالله ما اعلم قوما على بسيط الارض اعمل بظلم، ولا اجور منهم» وقال سعيد بن جبير «قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين» (١٤٣).

من هذه النصوص يتبين ان القراء كان لهم اثر كبير على الناس الذين فيما يبدو كانوا يزدادون شجاعة وحماسا من اجل رفع معنوياتهم بعد مقتل زحر، حيث عين عبدالرحمن بن الاشعث بدلا منه بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني الذي كان يقول «لئن اموت مع اهل العراق احب الى من ان اعيش مع اهل الشام»

وكانت الامدادات تصل بصورة مستمرة الى الحجاج وقواته، وكان يستنجد بعبد الملك وكان قد كتب اليه في احدى كتبه «واغوئاه يا الله، واغوئاه يا الله، واغوئاه يا الله، فأمده بالجيوش، وكتب اليه يا لبيك، يا لبيك، يا لبيك» (١٣١). فأمده عبد الملك بابنه عبدالله بن عبد الملك في عشرين الفا من اهل الجزيرة، فالتقوا بالحجاج بدير قره بعد تضيق اهل العراق عليه (١٣٢). وكان عنف القتال يزداد يوما بعد آخر، واستشار عبد الملك بعض وجوه قريش من المقربين اليه لمناقشة موضوع حركة ابن الاشعث، فاشاروا عليه بضرورة عزل الحجاج عن العراق، ارضاء لجند العراق، فقالوا له «اذا كان رضا اهل العراق بعزل الحجاج فاعزله عنهم تخلص لك طاعتهم وتحقق دماهم ودماء اهل الشام» (١٣٣). وفي رواية انهم قالوا له «ان كان يرضى اهل العراق ان ينزع عنهم الحجاج، فان نزع الحجاج ايسر من حرب اهل العراق فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم» (١٣٤). وقد وافق الخليفة عبد الملك على عرض وجوه قريش، فاستدعى ابنه عبدالله، وبعث الى اخيه محمد بن مروان من الموصل يأمره بالقدوم عليه، فامرهم ان يعرضوا على اهل العراق اقتراح عزل الحجاج عنهم، وان تجرى عليهم اعطياتهم كما تجرى لاهل الشام، وتجري على ذريتهم كما تجرى على ذرية اهل الشام، وان ينزل ابن الاشعث اى بلد شاء ويكون عليه واليا مادام حيا، فان قبلوا ذلك كان محمد ابن مروان الامير عليهم، وان ابوا فالحجاج امير عليك وعلى محمد والناس (١٣٥).

ان اجراء عبد الملك هذا يعد تنازلا كبيرا من الخلافة الاموية، وتراجع سياسي كبير له وللخلافة ويعد هذا اعظم ما توصل اليه ابن الاشعث من انتصار سياسي على الخلافة الاموية.

لقد افزع هذا القرار الحجاج بن يوسف الذي كان كما قال ابن الاثير «فلم يأت امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك»، مخافة ان يقبل اهل العراق عزله، فيعزل عنهم» (١٣٦). ولذلك فانه كتب الى عبد الملك بن مروان كتابا نصه «يا امير المؤمنين والله لئن اعطيت اهل العراق نزعي لايلىثون الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك، ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك، الم تر وتسمع بوثوب اهل العراق مع الاشر على ابن عفان.. فان الحديد بالحديد يفلح خار الله لك فيما ارتأتين والسلام عليك» (١٣٧).

ووصل رسولا عبد الملك، الى قوات الجانبين فقال ابنه عبدالله «يا اهل العراق، انا عبدالله بن امير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا»، فذكر هذه الخصال التي ذكرناها، وقال محمد بن مروان «انا رسول امير المؤمنين اليكم، وهو يعرض عليكم كذا وكذا» فذكر هذه الخصال ايضا (١٣٨).

وقد تشاور اهل العراق مع عبدالرحمن الاشعث في هذا الموضوع، فقال لهم «اما بعد فقد اعطيتم امرا انتهزكم اليوم اياه فرصة، ولا آمن ان يكون على ذى الراى غدا حسرة وانكم اليوم على النصف، وان كانوا اعتدوا بالزاوية، فانتم تعتدون عليهم بيوم تستر، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم اعزاء اقوياء والقوم لكم هائبون، وانتم لها منتقصون، فلا والله لازلتم عليهم جـراء ولازلتم عندهم اعزاء، ان انتم قبلتم ابدا ما بقيتم» (١٣٩) ولذلك كان ابن الاشعث قانعا وموافقا على عرض الخلافة الاموية، وكان

«فليعد وليستعد لذلك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» (١٥٢)، وتجهز الجيش الاموي مطاردة ابن الاشعث، وقد رتب الحجاج جيشه قبل بداية المنازلة، فجعل على ميمنة الجيش سفيان بن الابرص الكلبي، وسعيد بن عمر والحرشي على القلب، وعبدالرحمن بن عبدالله العكي على ميسرته (١٥٤).

اما عبدالرحمن بن الاشعث فانه تخندق في قواته، وباع اهل العراق قائد ابن الاشعث بسطام بن مصقلة على الموت، وامر ابن الاشعث بثق الماء من جانب، فجعل القتال في جهة واحدة، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبدالله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة، فاقتتلوا خمس عشرة ليلة، حتى قتل قائد الحجاج زياد بن غنيم القيني (١٥٥)، وكان على مسالح الحجاج «فهذه ذلك واصحابه هذا شديدا» وجرت مناوشات طفيفة بين الجانبين، ثم زحف الجيشان بعضهم على بعض، واشتد القتال «وانتحي سفيان على مركزه لم يرم والجريش على مركزه لم يرم، وكانت ميلتهم على الميسرة، فنحوا عبدالرحمن العكي، فلما الحجاج قد انكسرت ناحية وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن ايوب في خيل، فقال انطلق الى عدو الله، فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده الى مقامه، ثم حمل عليهم سفيان، وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها، وثاب العكي، وانهزم ابن الاشعث» (١٥٦) واورد ابن الاثير رواية عن انهزام ابن الاشعث، اشار فيها الى حدوث معارك شديدة بين الجانبين، فجاء شيخ الى الحجاج فذله على طريق من وراء نهر الكرخة في اجمة وضبحضاح من الماء، فارسل معه اربعة الاف، وقال لقائدهم «ان صدق فاعطه الف درهم، فان كذب فاقتله، فسار بهم، ثم ان الحجاج قاتل اصحاب عبدالرحمن، فانهزم الحجاج فعبير السيب، ورجع ابن الاشعث الى عسكره امانا، ونهب عسكر الحجاج فامنوا والقوا السلاح فلم يشعروا نصف الليل الا والسيوف تأخذهم من تلك السرية ففرق من اصحاب عبدالرحمن اكثر ممن قتل» (١٥٧).

وهكذا وقعت الهزيمة على قوات ابن الاشعث، وبعد فشل حركته تفرق انصاره عنه، وكان من ابرز عوامل فشل حركته عدم وجود مبدأ موحد يجمع المنضمين الى الحركة ولذلك نجد ان عامل العداء للامويين ضم عدة عناصر من خوارج، ومرجئة، وعلويين، وموالي من الاعاجم، واصحاب مصالح متنوعة ومتفرقة، فعدم وجود مبدأ او عقيدة موحدة تجمع المعارضين للحكم الاموي حال دون اتحاد كلمتهم وتوفيق مواقفهم، ولهذا نجد ان ابن الاشعث لم يستطع ان يوفق بين عدة جماعات منظمة الى قواته، كما انه لم يكن حازما في اتخاذ المواقف في الظروف الصعبة، اضافة الى ذلك ان قواته الرئيسية المكونة من جند الكوفة والبصرة كانوا قد خفت حدة حماسهم وضعف اندفاعهم في تأييد ابن الاشعث بعد ان عادوا الى ايمانهم وزوجاتهم في الكوفة والبصرة، كما انهم اصلا كانوا منهكين ومتعبين في العمليات العسكرية في مناطق المشرق، بعكس جند اهل الشام الذين كانوا اكثر اطمئنانا واستقرارا من هؤلاء ولاغربة في ذلك فان هؤلاء تسندهم الخلافة الاموية، ودافعوا عنها باخلاص وشجاعة. بعكس هؤلاء الذين كانوا قد اختلفت آراؤهم، وتفرقت قلوبهم الامر الذي اثر على معنوياتهم ومن ثم اندحارهم كما ان الاحداث كشفت ضعف المقدرة القيادية والتنظيمية لابن

(١٤٤)، ثم جرت مبارزات فردية بين شجاعان الجيشين، ثم بدأت معركة عنيفة بعد ذلك واذا بضربة عنيفة يوجهها الحجاج على قائد ميسرة جيش ابن الاشعث والذي هرب من ميسرته فاخذت نظام الميسرة فتقوضت صفوف الجيش وانهزم جيش ابن الاشعث املا في النجاة بانفسهم، ونادى عبدالرحمن الاشعث في الناس «عباد الله الى انا ابن محمد» (١٤٥) ولكن لم تنفع نداءاته، حيث دخلت القوات الاموية معسكر ابن الاشعث وكبروا، وكان ذلك ايدانا بانهزام ابن الاشعث رغم ان جيشه كان ازيد على ثلاثين الف فارس نحو مائة الف وعشرين الف راجل على حد قول الذهبي، وانهزم ابن الاشعث مع مجموع من اهل بيته حازوا قرية بنى صعدة بالفلوجة، ودعوا بممبر، فعبروا فيه، ثم جاء ابن الاشعث حتى انتهى الى بيته وعليه السلاح وهو على فرسه لم ينزل عنه، فخرجت اليه ابنته فالتزمتها، وخرج اليه اهله ليكون، فأوصاهم قائلا «لا تبكوا ارايتم ان لم اترككم، ثم عسيت ان ابقى معكم حتى اموت، وان انا مت فان الذي يرزقكم الان حي لا يموت، وسيرزقكم بعد وفاتي، كما رزقكم في حياتي، ثم ودع اهله وخرج من الكوفة» (١٤٧)، وهكذا اندحر ابن الاشعث في واقعة دير الجماجم التي رسمت الخطوط النهائية لحركته ضد الخلافة الاموية، كان نتاجها قد وُضِعَ مفتاح الفشل لمستقبل حركته ضد الخلافة، وقد رفعت المعركة من منزلة الحجاج بن يوسف لدى الامويين عموما، وعبدالملك بوجه خاص، واثبتت المعارك عدم تمتع ابن الاشعث بشخصية قيادية في قيادته للمعارك، وعدم حسمه المواقف المحرجة التي كان يمر بها، والا كيف يمكن ان يوصف موقفه في عدم اقناعه لاتباعه بالموافقة على عرض الخليفة عبدالملك بن مروان عندما اقترح عزل الحجاج.

وقد رجع الحجاج الى الكوفة بعد ان حسم الموقف في دير الجماجم وأخذ البيعة على الناس، وكان لايباع لحدوثه الا قال له «اشهد انك كفرت، فان قال نعم، بايعه، والا قتله» (١٤٨)، ثم امر الحجاج باعدام كل من لم يشهد بالكفر على نفسه ندما على اشتراكه في حركة ابن الاشعث

وكانت معركة دير الجماجم من المعارك العنيفة في التاريخ العربي الاسلامي وقد وصفها الحجاج بقوله «وما دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهمام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله...» (١٤٩)، وقد استمرت ما يقارب مائة يوم، ففى رواية ابو المخارق الراصبى قال «قاتلنا مائة يوم اعداها نزلنا دير الجماجم مع ابن الاشعث غداة يوم الثلاثاء في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين، وهزمنا يوم الاربعاء لاربع عشر مصت من جمادى الآخرة عند ارتفاع الضحى» (١٥٠).

### تاسعا : معركة مسكن وانهزام ابن الاشعث ومصيره ومصير انصاره

اتجه ابن الاشعث منهزما من الكوفة الى البصرة، فخرج منها الى مسكن من ارض دجيل الاحواز (١٥٢) وعسكر على بعد مسيرة ثلاثة ايام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر، وكتب الى الحجاج كتابا «طالبنا منه ان يتنحي عن ولاية العراق، لان اهل العراق قد كرهوه وحمل الحجاج رسول ابن الاشعث كتابا نصه

سجستان ومن ثم دخوله البصرة، وخروجه منها، ودخوله الكوفة وخروجه منها، ودخوله البصرة ثانية وهرويه منها، قد أثرت على قوة جيشه وأنهكتة بدون أن يدع مجالاً للراحة والاستقرار لهم، وقد استغل هذا الوضع العام لجيشه القوات الاموية التي اخذت تبادر بالهجوم عليه، وبصورة مكثفة اينما يستقر، ويبرر ابن الاشعث هزيمته بانها كانت قدرا من الله تعالى ولذلك قال: «وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا اجد مقاتلا ولا ارى معى مقاتلا ولكنى زاولت ملكا مؤملا» (١٦٢).

وهكذا انتهت حركة ابن الاشعث بالفشل الذريع وتفرق القائلون بها، ونالوا عقابا صارما من قبل الحجاج، اما الذين بقوا مع ابن الاشعث فانهم اتجهوا نحو سجستان ولكن الحجاج ارسل جيشا لمطاردتهم بقيادة عمارة بن تميم اللخمي، ومعه ابنه محمد بن الحجاج، ولحق به في السوس، فانتصر عليه، ثم انهزموا حتى اتوا سابور، حيث دارت معركة عنيفة انتصر فيها ابن الاشعث، وجرح فيها عمارة غير ان هذا الانتصار لم يكن له اثر على مجريات الاحداث، ثم مضى منهزما حين مر بكرمان واستقبله عاملها ثم اوصله الى مغارة كرمان الى ان وصل مدينة زرنج بسجستان، حيث اقلت الابواب بوجهه ثم اتجه بعد ذلك الى بست، فاستقبله عاملها عياض بن هميان السدوسي وقال له «انزل، فجاء حتى نزل به وانتظر حتى اذا غفل اصحابه وتفرقوا عنه وشب عليه فأوثقه واراد ان يأمن بها عظم الحجاج، ويتخذ بها عنده مكانا، وقد كان رتبيل قد سمح بمقدم عبدالرحمن عليه، فاستقبله بجنوده فجاء حتى احاط ببست ثم نزل ويبعث الى البكري: والله لئن اذيت به بما يقضى عينه او ضررت به بعض الضر، او رزأته حبلا من شعر لا ابرح العرصة حتى استنزلك فاقتلك وجميع من معك ثم اسبى ذراريكم واقسم بين الجنه واموالكم، ثم ارسل البكري يطلب اليه الامان، ولقوم معه، ثم وافق رتبيل على ذلك واطلق سراح عبدالرحمن» (١٦٣)، ومضى مع رتبيل الى بلاده واكرمه واحسن اليه.

اما بقية جنده الذين شاركوا في حركته ضد الخلافة الاموية فانهم اتجهوا الى سجستان ويروى ان عددهم بلغ نحو من ستين الفا، فحاصروا عبدالله بن عامر البعار، وكان يصلى بهم عبدالرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب (١٦٤)، وكتبوا الى عبدالرحمن بن الاشعث كتابا نصه «ان اقبل الينا لعلنا نسير الى خراسان، فان بها منا جندا عظيما، فلعلهم يبايعوننا على قتال اهل الشام، وهى بلاد واسعة عريضة وبها الرجال والحصون» (١٦٥)، فجاء اليهم، وتمكنوا من القضاء على ابن البعار حيث امر عبدالرحمن بقتله، وكان عبدالرحمن قد عارض فكرة التوجه الى خراسان عندما خاطب انصاره قائلا.

« على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدتموه اليكم سريعا، ولن يدع اهل الشام اتباعكم، فاكره ان يجتمع اليكم اهل خراسان واهل الشام، واخاف الاتالوا ما تطلبون، فقالوا: انما اهل خراسان منا، ونحن نرجو ان لو قد دخلناها ان يكون من يتبعنا منهم اكثر ممن يقاتلنا، وهى ارض طويلة عريضة ننتحي فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجاج او عبد الملك، او نرى من رأينا فقال لهم

الاشعث، وهذا انعكس اثره على الخطط العسكرية التى كان يضعها في قيادته للمعارضين وكان الانتصار الاول الذى حققه ابن الاشعث على جيش الحجاج في الاحواز لم يستثمره بصورة دقيقة، حيث انه لم يستمر في مطاردة الحجاج في اعقاب المعركة، بل انه مكث مدة من الزمن في مكان المعركة وكان الاجدر به ان يستمر في مطاردة الحجاج، وان لا يدع له فرصة لاعادة تنظيم صفوف قواته، وفعلنا استغل الحجاج فرصته، واعاد تنظيم قواته، حتى استطاع من تحقيق انتصاره في الزاوية، وظهر فشله وتخطيه العسكرى خلال المصادمات في المعارك مع القوات الاموية، فرغم ان اتباعه قاتلوا ببسالة في اكثر من مكان، الا انه احبط معنويات جنوده عندما تركهم في البصرة متجها نحو الكوفة، وفي الكوفة حالما حصل خلل في احدى وحداته العسكرية نجد ان الجيش ينهزم بأكمله، ولم تنفعه مناداته لاعادة تثبيتهم وتنظيمهم، هذا اذا ما علمنا ان القوات الاموية كانت تصلها الامدادات بشكل متواصل، واهتم الخليفة عبدالملك بن مروان بنفسه في متابعة الموقف اولا بأول، وكان الحجاج يقاتل المعارضين بنفسه وبشجاعة، ففي معركة الزاوية لم يياس من الانتصارات الكبيرة التى حققتها قوات ابن الاشعث بل انه ثبت في مكانه «وجثا على ركبتيه» وفي دير الجماجم حينما علم باقتراح عبدالملك بعزله، قد زاد من حماسه وحرصه من اجل ان يثبت جدارته وكفائته في مواجهة المعارضة، ولذلك فانه استطاع ان يحقق الانتصار على ابن الاشعث، كما يلاحظ ان كثيرا من جنده لم يكونوا مخلصين بصورة مطلقة لابن الاشعث حينما تخلوا عنه بعد دخولهم البصرة، وان منادى ابن الاشعث كان يقول «ابن الذين بايعوا بالرخ» وفي رواية ان ابن الاشعث كان متربعا على المنبر «يتوعد الذين تخلفوا عنه توعدا شديدا» (١٥٩)، وقال عامر بن واثة في هذا (١٦٠).

تعاهدوا لم يوفوا بما عهدوا واسلموا للعدو السبي والسلبا  
ياسوءة القوم ان تسبى نساؤهم وهم كثير يرون الخزي والحربا

كما ان مسألة خلع ابن الاشعث وجيشه لعبدالملك بن مروان فكرة مبكرة خاطئة سابقة لوانها، وكان يجب عليه ان لا يتخذ مثل هذا القرار المتسرع، لانها خلقت حالة من الحزم الشديد لدى الخلافة الاموية في عدم التهاون مع ابن الاشعث وجنده، وجعل الخلافة الاموية تستنفر قواها باكملها لمجابهة الحركة والقضاء عليها.

كما ان اصحاب ابن الاشعث كانوا قد ربطوا مصيرهم في القتال في اشخاص معينين رغم قدرتهم العالية وشجاعتهم، وبدون ان تكون هناك بدائل لاولئك القادة، فحينما يتعرض احدهم للاصابة او القتل، نجد ان هذه الحالة تؤثر على الجيش بأكمله، وتؤثر على المعنويات بصورة عامة، ولذلك فحينما قتل قائد ابن الاشعث جبلة بن زحر، قال ابو الزبير «فهدنا ذلك وجبنا.. ونحن نتناعى على جبلة بن زحر بيننا، كانما فقد كل واحد منا اباه او اخاه، بل هو في ذلك الموطن كان اشد علينا فقدا» (١٦١).

كما ان الطرق التى سلكها جيش ابن الاشعث كانت مرهقة جدا، فالطريق الطويل الذى سلكه في اثناء توجهه الى العراق من



عبدالرحمن: سيروا على اسم الله» (١٦٦).

ولذلك قرروا التوجه الى خراسان، وكان عبدالرحمن غير مطمئن لموقف اصحابه، وفجأة انسحب عبدالله بن عبدالرحمن بن سمرة القرشي في الفين من المقاتلة، فاخذ طريقا غير طريقهم، مما ادى الى استيلاء عبدالرحمن، الذي قرر ان يترك انصاره، ويعود الى رتبيل، فخطبهم قائلا «اما انا فمصرف الى صاحبي الذي اتيتكم من قبله، فمن احب منكم ان يتبعني فليتبعنني، ومن كره ذلك فليذهب حيث احب في عياد من الله» (١٦٧).

اما انصاره فانهم استمروا متجهين الى خراسان، حيث متوا بهزيمة شديدة على يد يزيد بن المهلب، حيث تفرقوا في البلاد وتم اسر وقتل عدد كبير منهم (١٦٨).

ومكث ابن الاشعث عند رتبيل الذي اخذ يساوم الخلافة الاموية بشروط صعبة مقابل تسليم ابن الاشعث، حيث اشترط رتبيل الا تغزى بلاده عشر سنين، واشترط ان يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة الف (١٦٩). وذلك عندما وصله كتاب تهديد من قبل الحجاج بن يوسف بضرورة تسليمه، وكان كتاب التهديد نصه «فوالذي لا اله الا هو لاطن ارضك الف الف مقاتل» (١٧٠)، وفي رواية الدينوري ان عبدالملك اخبر رتبيل بشقاق عبدالرحمن وخلعه الطاعة، وخروجه عليه ويسأله ان يرده عليه (١٧١). ويعلق الطبري على موافقة رتبيل تسليم ابن الاشعث للخلافة الاموية بقوله «بعث برأس عبدالرحمن الى عبدالملك» (١٧٢) وقال ابن كثير «وانه قتله صبورا بين يديه» (١٧٣)، وقال رتبيل لطراخته «ان ابن الاشعث هذا رجل مخالف للملوك فلا ينبغي لي ان اويه، بل ابعث به الى ملكه فيتولى من امره ما احب» (١٧٤)، وقد اعد رتبيل الجوامع والقيود، فالقى في عنقه جامعه، وفي عنق اخيه القاسم جامعه، وارسل بهم جميعا (١٧٥) اذ كان معه اربعون من اصحاب ابن الاشعث (١٧٦).

وعندما وصل الاسرى الى عمارة بن تميم اللخمي، صعد ابن الاشعث وهو مقيد بالحديد الى سطح قصر ومعه رجل موكل به لئلا يهرب، والقى بنفسه من ذلك القصر، وسقط معه الموكل به فماتا جميعا (١٧٧)، واحتز رأسه وضرب عمارة اعناق من معه، وارسل برؤوسهم الى الحجاج (١٧٨) وذلك سنة ٨٥ هـ.

وهكذا انتهت حركة ابن الاشعث بهذه الحالة بعد ان اشغلت الخلافة الاموية كثيرا، وارهقتها وبالاخص الخليفة عبدالملك بن مروان الذي اربعته حركة ابن الاشعث ويروى انه مكث سبعة اشهر لا يقرب امرأة حتى اتاه قتل عبدالرحمن بن الاشعث (١٧٩)، كما ان الحركة فشلت في تحقيق اي هدف من اهدافها. كما كانت فرصة ذهبية للحجاج عززت من موقعه وزادت من مكانته لدى الامويين، حيث تعاضم نفوذه في العراق، وازداد اليه عبدالملك خراسان وسجستان، وعمان، ومكنت الخلافة الاموية من السيطرة على المشرق سيطرة جيدة، وساعد هذا الاشراف والسيادة على خلق الأمن والاستقرار هناك.

كما ان احداث هذه الحركة جعلت الدولة الاموية اكثر حذرا في سياستها في العراق، لانها كشفت عن الموقف الحقيقي لاهل العراق من السياسة المالية للخلافة الاموية ضدهم، مقارنة بما كان يعطى من اموال واعطيات الى اهل الشام وذرائعهم، كما ان سياسة

التجوير التي اتبعتها الخلافة مع جند الكوفة والبصرة ادت الى تدميرهم واستيائهم وهذا ادى الى اعادة تقييم السياسة الاموية تجاه اهل العراق.

وكشفت الحركة موقف العلماء والقراء بصفة خاصة ذلك الموقف المعادي للخلافة الاموية، كما كشفت مدى حقد الاعاجم من الموالي على الامويين ومحاولتهم الانقضاض على الخلافة الاموية، لذلك فانهم كانوا لا يدعون فرصة تمر الا ويستغلونها من أجل القضاء على السيادة العربية التي كانت تمثلها الخلافة الاموية.

### الهوامش

- (١) أنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت ١٩٦٨) ج ٥/٦١، ١٦٧، ج ٦، ١١٢، ١٢٦، ٢٢١، ٢٩٣، ٣٥٩، ج ٧/١٨٨، ٢٢٤، اس حرة، جبهة انساب العرب (القاهرة ١٩٧٧) ٤٢٥، الذهبى، ميزان الاعتدال، ج ٢ (القاهرة ١٩٦٣) ٥٨٣ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦ (حيدر اباد ١٣٢٥ هـ) ٢٥٦
- (٢) ابن حزم، المصدر السابق، ٤٢٥
- (٣) الطبري، تاريخ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، ج ٦ (القاهرة ١٩٧١) ١٩٨
- (٤) ابن قتيبة، المعارف، (القاهرة ١٩٦٠) ٣٢٢
- (٥) الذهبى، ميزان الاعتدال، ٥٨٢/٢، س حرة، تهذيب، ٢٥٦/٦
- (٦) البلاذري، انساب الاشراف، مخطوطة استنبول، ٢ / ورقة ٨ ب
- (٧) ابن قتيبة، الامامة والسياسة (المسود اليه) ج ٢ (القاهرة، بدون تاريخ) ٣٤
- (٨) نفسه، ٢٤/٢
- (٩) جمع حيز، وهي كورة عظيمة بين البصرة وبلاد فارس (ابن عبدالحق البغدادي مراصد الاطلاع م ١ (بيروت ١٩٥٤) ١٣٥
- (١٠) الطبري، تاريخ، ١٧٢/٦
- (١١) البلاذري، انساب الاشراف، ٢ / ورقة ٩ ب
- (١٢) نفسه، ٢ / ورقة ٩ ب - ١١٠
- (١٣) نفسه، ٢ / ورقة ١١٠
- (١٤) ابن قتيبة، المصدر السابق ٢٤/٢
- (١٥) سجستان، ناحية كبيرة وولاية واسعة وهي ناحية ومدنها ربيع، وهي حوض مرأة تبعد عنها عشرة ايام (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ (بيروت، ) ١٩٠
- (١٦) انساب الاشراف، ٢ / ورقة ١١٠
- (١٧) ابن قتيبة، المصدر السابق، ٢٤/٢
- (١٨) نفسه، ٣٤
- (١٩) انساب الاشراف، ٢ / ورقة ٨ ب
- (٢٠) كابل، وهي من ثغور طخارستان، اقليم متاهم لهند (ابن عبدالحق البغدادي مراصد الاطلاع، ١١٤١/٣
- (٢١) أنظر الى البلاذري، انساب، ٢ / ورقة ٨ ب - ٩ ب
- (٢٢) البلاذري، انساب، ٢ / ورقة ١١٠، الطبري، تاريخ، ٢٢٩/٦
- (٢٣) المسعودي، التنبيه والاشراف (بيروت ١٩٦٥) ٣١٤
- (٢٤) الطبري، المصدر السابق ٣٢٨/٦ - ٣٢٩
- (٢٥) المسعودي، المصدر السابق ٣١٤
- (٢٦) الطبري، المصدر السابق ٣٢٨/٦ - ٣٢٩
- (٢٧) المسعودي، المصدر السابق ٣١٤
- (٢٨) البلاذري، المصدر السابق، ٢ / ورقة ١١٠
- (٢٩) بُسْت مدينة بين سجستان وخرُسن وهراة (ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع ١٩٧/١١
- (٣٠) الرُخج كورة من اعمال سجستان، ومدينة من مواحي كامل، نفس المصدر، ٦١٠/٢
- (٣١) اليعقوبي، تاريخ، ج ٣ (الطبعة ١٩٦٤) ٢٣
- (٣٢) الامامة والسياسة ٢ ٣٥
- (٣٣) البلاذري، انساب، ٢ / ورقة ١١٠، الصدي، تاريخ، ٣٢٨/٦
- (٣٤) البلاذري، انساب، ٢ / ورقة ١٠ ب
- (٣٥) نفسه، ٢ / ورقة ١٠ ب
- (٣٦) المسعودي، تاريخ، ٢٣/٢
- (٣٧) البلاذري، انساب، ٢ / ورقة ١٠ ب
- (٣٨) نفسه، ٢ / ورقة ١٠ ب
- (٣٩) الطبري، تاريخ، ٦ - ٣٢٤ - ٢٣٥
- (٤٠) نفسه، ٦ - ٢٣٥
- (٤١) البلاذري، انساب، ٢ / ورقة ١٠ ب

- ٤٥) الطبرى . تاريخ . ٢٤/٢ .  
 ٤٦) الطبرى . تاريخ . ٢٨١/٨  
 ٤٧) نفسه . ٢٤٢/٨  
 ٤٨) محمد ابوالفضل ابراهيم . ايام العرب . ٢٦٧/٦٦٦  
 ٤٩) الملادى . اسباب . ورقة ١٠ -  
 ٥٠) الطبرى . المصدر السابق . ٣٥٥/٨  
 ٥١) ابن الاثير . المصدر السابق . ٤٦٨/٤  
 ٥٢) ابن كثير . البداية والنهاية . ج ٩ (بيروت ١٩٦٦) ٤٠  
 ٥٣) الطبرى . تاريخ . ٢٤٦/٨  
 ٥٤) ملادى . اسباب . ورقة ١٥ -  
 ٥٥) الديبوري . الاحبار الصوال . ٣١٧  
 ٥٦) خبشة بن خياط . تاريخ . ٢٨٧/١  
 ٥٧) القدسية . تبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخا . ويصح ويبي العذبة اربعة اميال (ياقوت . معجم . ٢٩١/٤)  
 ٥٨) طبرى . موضع ماء بين القادسية والمغنية وتبعد عن القادسية اربعة اميال وهي حد السواد (ياقوت . ٩٢/٤)  
 ٥٩) وادى السباع . من نواحي الكوفة (ياقوت . ٣٤٣/٥)  
 ٦٠) هبت . تقع فوق الانبار . محاذرة للرية (ياقوت . ٤٢٧/٥)  
 ٦١) تقع بين الفراء ودجلة مصدرة لشبم . (نفسه ١٣٤/٢)  
 ٦٢) - بيرزرد . يقع ماراء دير الحجاج ملاصق لطرف ابر (نفسه ٥٢٦/٢)  
 ٦٣) - افلوحة . موضع على الفرات . وتجمع فلاليح (نفسه ٢٧٥/٤)  
 ٦٤) عين الثمر . عرسى الكوفة على طرف ابيرية (نفسه ١٧٧/٤)  
 ٦٥) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٥ -  
 ٦٦) دير الحجاج . هو مظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر الى البصرة (الحموي ٥٠٣/٢ - ٥٠٤)  
 ٦٧) نفسه . ٥٢٧/٢  
 ٦٨) الطبرى . تاريخ . ٣٤٦/٨ - ٣٤٧  
 ٦٩) اسباب الاسراف . ٢ / ورقة ١٦  
 ٧٠) نفسه . ٢ / ورقة ١٧  
 ٧١) المسعودى . مروج الذهب . ٢٤/٣  
 ٧٢) اسباب . ٢ / ورقة ١٦  
 ٧٣) نفسه . ٢ / ورقة ١٦  
 ٧٤) طبرى . المصدر السابق . ٢٤٧/٨  
 ٧٥) اسباب الاشرف . ٢ / ورقة ١٦  
 ٧٦) الكاظمي في التاريخ . ٤ / ١١  
 ٧٧) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٦  
 ٧٨) الطبرى . تاريخ . ٢٤٨/٨  
 ٧٩) اسباب الاشرف . ٢ / ورقة ١٦  
 ٨٠) اسباب الاشرف . ٢ / ورقة ١٦  
 ٨١) موضح قرب البصرة (انظر ابن عسحاق البغدادى . مراصد الاطلاع ٦٥٦/٢)  
 ٨٢) اسباب . ٢ / ورقة ١٦  
 ٨٣) الطبرى . تاريخ . ٢٤٨/٨  
 ٨٤) ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب . ج ١ (القاهرة ١٣٥٠) ٩٠  
 ٨٥) الطبرى . تاريخ . ٢٤١/٦  
 ٨٦) ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب . ٩٠/٨  
 ٨٧) المسعودى . مروج . ١٣٩ - ١٣٨/٣  
 ٨٨) اسباب الاشرف . ٢ / ورقة ١٦  
 ٨٩) الطبرى . تاريخ . ٢٨١/٨ . ابن الاثير . الكامل . ٤٦٥/٤  
 ٩٠) خليفة بن حياط . تاريخ . ج ١ (البيروت ١٩٦٧) ٢٨٨  
 ٩١) خليفة بن حياط . تاريخ . ج ١ (البيروت ١٩٦٧) ٢٨٦  
 ٩٢) الراوية . انظر هامش رقم (٨١) من البحث  
 ٩٣) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٦  
 ٩٤) نفسه . ٢ / ورقة ١٦  
 ٩٥) طبرى . تاريخ . ٢٤٢/٨  
 ٩٦) ابن الاثير . الكامل . ٤٦٥/٤  
 ٩٧) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٦  
 ٩٨) نفسه . ٢ / ورقة ١٦  
 ٩٩) نفسه . ٢ / ورقة ١٦  
 ١٠٠) محمد ابوالفضل ابراهيم . ايام العرب في الاسلام . (القاهرة ١٩٦٦) ٤٦٦ - ٤٦٧  
 ١٠١) الملادى . اسباب . ورقة ١٤ -  
 ١٠٢) نفسه . ٢ / ورقة ١٤ -  
 ١٠٣) نفسه . ٢ / ورقة ١٥ -  
 ١٠٤) نفسه . ٢ / ورقة ١٥ -

- ١٠٥) الطبرى . تاريخ . ٢٢٥/٦  
 ١٠٦) نفسه . ٢٢٥/٦  
 ١٠٧) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٠ -  
 ١٠٨) الطبرى . تاريخ . ٢٢٥/٦  
 ١٠٩) نفسه . ٢٢٦/٦ . الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٠ -  
 ١١٠) ابن قتيبة . المصدر السابق . ٣١ / ٢  
 ١١١) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١١  
 ١١٢) الطبرى . تاريخ . ٢٢٩/٦  
 ١١٣) نفسه . ٢٢٧/٦  
 ١١٤) نفسه . ٢٨١/٦  
 ١١٥) ابن قتيبة . المصدر السابق . ٤٤/٢  
 ١١٦) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٠ -  
 ١١٧) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١١  
 ١١٨) نفسه . ٢ / ورقة ١١  
 ١١٩) طبرى . تاريخ . ٢٢٦/٦ . ابن خلدون . تاريخ . م ٣ (القاهرة ١٢٨٤) ٤٨  
 ١٢٠) ليغقوسى . تاريخ . ٢٢/٣  
 ١٢١) ابن قتيبة . المصدر السابق . ٣٥/٢  
 ١٢٢) نفسه . ٢٧/٢ . اندلسى . الاخبار الطوال . ٣١٨ . ٣١٩  
 ١٢٣) كان عبدالمالك بن مروان يلقبه اعداءه بذلك  
 ١٢٤) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١١  
 ١٢٥) نفسه . ٢ / ورقة ١٢ -  
 ١٢٦) نفسه . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٢٧) الطبرى . تاريخ . ٢٢٩/٦  
 ١٢٨) الذهبي . دول الاسلام . ج ١ (القاهرة ١٣٦٤) ٣٨  
 ١٢٩) الطبرى . ٢٢٩/٦  
 ١٣٠) ابن الاثير . الكامل في التاريخ . ج ٤ (بيروت ١٩٦٥) ٤٦٤ - ٤٦٥  
 ١٣١) وهو صوح بين بغداد والاحواز (لحموى . معجم البلدان . ٧٩/٣  
 ١٣٢) انظر هامش (٩) من البحث  
 ١٣٣) اسباب الاشرف . ٢ / ورقة ١٢ -  
 ١٣٤) المظهر القدسي . البدء والتاريخ . ج ٢ (شالون ١٨٩٩) ١٨٤  
 ١٣٥) المسعودى . التنبيه والاشراف (بيروت ١٩٦٥) ٣١٤  
 ١٣٦) المظهر القدسي . مصدر السابق . ١٨٤/٢  
 ١٣٧) ليغقوسى . تاريخ . ٢٤/٣ . طبرى . تاريخ . ٢٤٨/٨  
 ١٣٨) الملادى . اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٣٩) نفسه . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٠) نفسه . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤١) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٢) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٣) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٤) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٥) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٦) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٧) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٨) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٤٩) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٥٠) اسباب . ٢ / ورقة ١٢  
 ١٥١) مسكن . وهو موضع من اوانا عن نهر دجيل عند دير الجابلق (مراصد الاطلاع ١٢٧/٣)  
 ١٥٢) خليفة بن حياط . تاريخ . ٢٨٢/٨  
 ١٥٣) ابن قتيبة . لامعة السياسية . ٤١/٢  
 ١٥٤) نفسه . ٤١/٢  
 ١٥٥) الطبرى . تاريخ . ٢٦٦/٨  
 ١٥٦) ابن قتيبة . المصدر السابق . ٤٢/٢  
 ١٥٧) ابن الاثير . المصدر السابق . ٤٨٣/٤  
 ١٥٨) الطبرى . تاريخ . ٢٢٩/٦  
 ١٥٩) حبيبة بن حطاط . تاريخ . ٢٨٠/٨  
 ١٦٠) طبرى . تاريخ . ٢٤٥/٨  
 ١٦١) نفسه . ٢٥٨/٨  
 ١٦٢) طبرى . نفسه . ٢٦٨/٨  
 ١٦٣) نفسه . ٢٦٨/٨



- ..... (١٦٦) نفسه ٢٧/٦ .  
 (١٦٥) نفسه ٣٧/٦ .  
 (١٦٦) نفسه ٣٧٠/٦ .  
 (١٦٧) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ٢٨٠/٢ .  
 (١٦٨) الطبري ، المصدر السابق ٣٧١/٦ - ٣٧٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ .  
 (١٦٩) نفسه ٢٩٠/٦ .  
 (١٧٠) نفسه ٣٨٩/٦ .  
 (١٧١) الديبوري ، المصدر السابق ٣٢ .  
 (١٧٢) الطبري ، المصدر السابق ٢٩٠/٦ .  
 (١٧٣) ابن كثير ، المصدر السابق ٥٣٨ .  
 (١٧٤) الدينوري ، المصدر السابق ٣٢٠ .  
 (١٧٥) الطبري ، المصدر السابق ٣٩١/٦ .  
 (١٧٦) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ (بيروت ١٩٥٦) ١١٥ .  
 (١٧٧) ابن كثير ، المصدر السابق ٥٣٨ .  
 (١٧٨) الطبري ٢٩٠/٦ .  
 (١٧٩) الدينوري ، المصدر السابق ٩٧ .
- ..... التنبيه والإشراف (بيروت ١٩٦٥) .  
 ..... مروج الذهب (القاهرة ١٩٦٧) .  
 ..... المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت ٣٥٥ هـ) .  
 ..... البدء والتاريخ ج ٢ (شالون ، ١٨٩٩م) .  
 ..... ابن خزم ، علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦) .  
 ..... جوهرة انساب العرب ، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة ١٩٧١) .  
 ..... الحموي ، ياقوت بن عبدالله (ت ، ٦٢٦ هـ) .  
 ..... معجم البلدان (بيروت ، ١٩٥٥) .  
 ..... ابن الأثير ، علي بن أبي كرم (ت ، ٦٣٠ هـ) .  
 ..... الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٦٥) .  
 ..... أبو الفداء ، اسماعيل (ت ، ٧٣٢ هـ) .  
 ..... المختصر في أخبار البشر (بيروت ١٩٥٦) .  
 ..... ابن عبدالحق البغدادي ، عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ، ٧٣٩) .  
 ..... مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (بيروت ، ١٩٥٤) .  
 ..... الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، ت ، ٧٤٨ هـ .  
 ..... العبر في خير من عبر (الكويت ١٩٦٠) .  
 ..... دول الاسلام (القاهرة ١٣٦٤) .  
 ..... ميزان الاعتدال (القاهرة ١٩٦٣) .  
 ..... ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (ت ، ٧٧٤ هـ) .  
 ..... البداية والنهاية (بيروت ١٩٦٦) .  
 ..... ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت ، ٨٠٨ هـ) .  
 ..... تاريخ ابن خلدون (القاهرة ، ١٢٨٤ هـ) .  
 ..... ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) .  
 ..... تهذيب التهذيب ( حيدر آباد ١٣٢٥ - ١٣٢٧ ) .  
 ..... ابن العماد الحنبلي ، عبدالحق بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) .  
 ..... شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة ، ١٣٥٠) .

#### المراجع الحديثة .

- ..... محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوب .  
 ..... أيام العرب في الاسلام (القاهرة ١٩٦١) .

#### مصادر ومراجع البحث (١٨٠)

- ..... ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ، ٢٣٠ هـ) .  
 ..... الطبقات الكبرى (بيروت ١٩٦٨) .  
 ..... خليفة بن خياط ، ت ، ٢٤٠ هـ .  
 ..... تاريخ خليفة (النجف الاشرف ، ١٩٦٧) .  
 ..... ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ، ٢٧٦ هـ) .  
 ..... الامامة والسياسة (المنسوب اليه) (القاهرة بدون تاريخ) .  
 ..... المعارف (القاهرة ١٩١٠) .  
 ..... البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) .  
 ..... انساب الاشراف ، مخطوطة استنبول رقم ٥٩٨ .  
 ..... الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) .  
 ..... الاخبار الطوال (القاهرة ١٩٦٠) .  
 ..... اليعقوبي ، أحمد بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) .  
 ..... التاريخ (النجف ١٩٦٤) .  
 ..... الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .  
 ..... تاريخ الرسل والملوك ، (القاهرة ١٩٧١) .  
 ..... ابن عذريه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) .  
 ..... العقد الفريد ، ج ٤ (القاهرة ١٩٦٢) .  
 ..... المسعودي ، علي بن الحسين ت ، ٣٣٦ هـ .

# الفضل بن الربيع "الحاجب والوزير"

١٣٨-٩٠٨ هـ - ٧٥٥ - ٨٢٤ م

بقلم :

الدكتورة فضيلة الشامي  
كلية الآداب / جامعة بغداد  
قسم التاريخ

بالأمور الحسابية ملماً بشؤون الدولة، محباً لفعل الخير، عارفاً بأداب الملوك (٧)، محدثاً (٨)، كما كان من أفاضل الرجال علماً وأدباً وحسن خلق وسداد رأي. لم تصدر عنه أية هفوة أو إساءة طيلة خلافة المنصور، لذا كان ممدحاً (٩)، كما يعرف عنه إباء النفس مثال ذلك أن المنصور دعاه يوماً فقال له : سلني ما تريد فقد سكنت حتى نطقت وخفضت حتى تقلصت واقلت حتى اكثرت - فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أرهب بخلك ولا استقص عمرك ، ولا استصغر فضلك، ولا اغنم مالك، وإن يومى بفضلك على أحسن من أملى وغدك في تأمليك أحسن من يومى، ولو جاز أن يشرك مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني في ذلك أحد . قال صدقت بهذا مثلك أجل هذا المحل (١٠).

والحقيقة أن الخليفة المنصور لم يكتف بتكليف الربيع الحجابة والوزارة من بعدها بل قلده نفقاته والعرض عليه (١١)، ومما يدل تكريم المنصور له أن أقطعه محلة كبيرة مشهورة ببغداد سميت بقطيعة الربيع لأنه أقطعه إياها (١٢)، وقد أثر عنه أن المنصور سأل يوماً : ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت ، فقال له : ما طابت الا بالموت ، قال : كيف بذلك ؟ قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، قال : صدقت (١٣) .

ومما يروى عن رجاحة عقله أن المنصور قال له يوم : يا ربيع سل حاجتك ؟ قال : حاجتي يا أمير المؤمنين أن تحب الفضل أبني، فقال : ويحك إن المحبة تقع بأسباب ، فقال له : قد أمكنك الله من إيقاع سببها قال : ماذا ؟ قال : تفضل عليه فانك إذا فعلت ذلك أحبك، وإذا أحبك أحبته، قال : قد والله أحبته إلى قبل إيقاع السبب، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء ؟ قال : لأنك إذا أحببت كبر عندك صغير أصدانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وحاجته اليك حاجة (١٤)، ويؤكد ابن خلكان (١٥) أن المنصور إذا أراد باتساع خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع ولم يزل الربيع حائراً ثقة المنصور إلى أن تولى المنصور سنة ١٥٨ هـ ومما يلاحظ أن المنصور لما توفى بيثر ميمون لم يحضر وفاته إلا خدمه والربيع (١٦) .

ومما لا ريب فيه أن الربيع استمر مخلصاً للخلافة فاخذ البيعة

لقد زخر العصر العباسي الأول بطائفة من الشخصيات السياسية التي لم يسمح الدهر بمثلها والذي كان لها دور فعال وبارز على مسرح الأحداث السياسية الجارية آنذاك . وقد كان هؤلاء معتمد الخلفاء العباسيين لتدبير شؤونهم الإدارية والسياسية . كما كانوا موضع ثقتهم ومشورتهم سواء في القضايا الصغيرة أو الكبيرة ، زيادة على ذلك فانهم كانوا عادة لم يسلكوا طريقاً دون أخذ نصيحهم والاستفادة من رأيهم . وقد تمثل هذا في الفضل بن الربيع الحاجب والوزير وال كاتب أيضاً ، والذي ورث تلك المناصب السياسية من والده الربيع ، علماً بأن المناصب الإدارية لا تورث قط ، وكأنها تحققت فقط في عهدهم ولأول مرة ، وهذا مما يلفت النظر إلى ذلك إذ تولى صاحب الترجمة منصب الحجابة والوزارة مثل أبيه فلم يعين بغيرهما مطلقاً، لأن والده الربيع (١) كان قد تولى الحجابة والوزارة أيضاً لا غيرهما . ولأنه كان من أبرز الشخصيات العربية فقربه الخليفة العباسي المنصور وعهد إليه اسمى المناصب السياسية . ومما لا شك فيه أن المنصور كان يشجع ذوى الكفاءات العربية ، إذ لم يكن للنفوذ الفارسي أى تأثير في البلاط العباسي . ومما يذكر أن تلك الشخصيتين عربيتان في الروح والنزعة والهوى (٢) . كما أن الطابع العربي كان هو الغالب على تلك النخبة من الرجال القائمين مع الخليفة العباسي على إدارة دفة الدولة .

وعلى أية حال فقد اختار الخليفة المنصور الربيع بن يونس حاجباً له (٣) ، حينما تولى الخلافة . والحجابة كانت تعد وجه الخليفة أمام الناس ولسانه اليهم . والحاجب بحكم منصبه يطلع على أسرار الخليفة الخاصة ويسهر على سلامته بمراقبة الحرس ، ويحضر المواعظ (٤) . ونظراً لما أمتاز به الربيع من رجاحة العقل وحسن الحديث وكتمان السر والأمانة فقد رشحه المنصور لهذا المنصب الخطير دون غيره فنجح فيه ، وأدى مهمته خير أداء بدليل أن المنصور لم ينح عن هذا المنصب طيلة حياته ، كما أنه كما يظهر لنا كان يثق به ثقة عمياء حيث رقاها إلى درجة الوزارة حينما عزل وزيره أبا أيوب المورياني (٥) ، إضافة إلى زيادة ثقته به أن جعل ابنه الفضل حاجباً له (٦) . والواقع أن الربيع استطاع أن يكسب رضا المنصور لرجاحة عقله وحزمه وفطنته وكان خبيراً

لابنه المهدي . ولهذا نرى يستحجبه المهدي ، وقد جعله ساعده اليمين، وكان غالباً ما يستشير به ويأخذ برأيه ويؤكد صاحب العقد الفريد (١٧) ان المهدي شاور أهل بيته في حرب خراسان فقال له الربيع : أيها المهدي ان تصارييف وجوه الرأي كثيرة وان الاشارة ببعض مصارييف القول بسيرة ، ولكن خراسان ارض بعيدة المسافة، مترامية الشقة متفاوتة السبل فاذا ارتأيت من يحكم التدبير ويبرم التقدير، ولباب الصواب رأيا قد احكمه نظرك، وقلبه تدبيرك، فليس وراءه مذهب الحجة طاعن.

وهنا نلاحظ ان الخليفة المهدي ابقى الربيع حاجباً له حتى وفاته ، ولم يستوزره رغم ثقته به ويبدو ان المهدي كان يعتبر الحجابة اقرب اليه من الوزارة لذا ابقاه بهذا المنصب، كما ارسله مع ابنه هارون الرشيد في حرب الروم فانحصروا هنالك (١٨)، أما الخليفة الهادي الذي جاء بعد المهدي فقد اختلفت ميوله معه لاسباب تعود الى شغب الجنود في بغداد بعد وفاة المهدي مستغلين بعد الخليفة الجديد عن مركز الخلافة، وقد تمادوا اكثر من ذلك اذ توجهوا نحو قطيعة الربيع فاحرقوها ، وكادوا ان يعتدوا على مركز الخلافة في بغداد لولا دعوة الخيزران زوجة المهدي الفارسية للربيع بانقاذ الموقف وتهذبة الاوضاع - رغم بغضها له لعرويته الاصيل - فاستجاب لدعوتها واستطاع بحكمته ودرأيته ان يوزع الاموال على الجنود لستين متتاليتين دون الرجوع الى موافقة الهادي لبعده وهو في جرجان (١٩)، ولما علم الهادي ارسل اليه يهدد بالقتل لكن تدخل يحيى بن خالد البرمكي حال دون ذلك لانه كان يوده (٢٠)، اذ نهض الربيع بارسال الفضل لاستقباله في همدان، وتقديم الهدايا له، اضافة الى ذلك فقد استقبله بنفسه وهو يصل دار الخلافة، كما افهمه سبب تصرفاته مع الجنود قبله وزال غضبه، بل زاد في ذلك ان ولاة وزارته وتدبير اموره والاشراف على ديوان الرسائل. كل تلك الامور سرعان ما تبدلت وعاد التباعد بينهما والظاهر ان الهادي لم يكن يثق به لذا عزله عن الوزارة وخلال السنة الاولى من توليه الخلافة بعد ان انتقل الى عيساباذ (٢١) وجعله مشرفاً على ديوان الزمام فقط ، ولم يزل عليه الى ان توفي وكان ذلك عام تسعة وستين ومائة للهجرة (٢٢)، ويروي الطبري (٢٣) ان الهادي كان ينوي قتل الربيع فلم ينفذه لانه توفي بعد مضي عدة اشهر من خلافة الهادي وقد صلى عليه الرشيد ولي عهد الهادي ، ولم يحضر وفاته الهادي ابداً.

من هذه المقدمة نتبين البيئة التي نشأ فيها الفضل بن الربيع والسمات العالية والاخلاق الراقية التي ورثها من ابيه . والواقع ان الفضل كان يعد من رجال الدهر رأياً وحزماً ودهاء (٢٤). فقد اتخذ الخليفة الهادي رغم سوء علاقته بابيه حاجباً له (٢٥)، طيلة حياته، كما جعله من اقرب الناس اليه. ويعرف عن الفضل انه كان قد برع بالكتابة (٢٦) مثل ابيه، وحينما يغيب عن بغداد كان يخلفه في الحجابة عبدالله محمد البواب (٢٧)، ويخطيء من يقول (٢٨) : ان المهدي اتخذ الفضل حاجباً له اذ لم يحجب الفضل المهدي بل حجبه والده الربيع. ومهما يكن من امر فان الهادي رغم ثقته به الا انه لم يتخذ وزيراً مطلقاً، وبقي الفضل بمركز الحجابة حتى وفاة الهادي وتولى الرشيد الخلافة عام ١٧٠ هـ. والحديث بالذكر ان

الخليفة الرشيد ابقى الفضل على مهامه ومن هنا ندرك ان تلك الشخصية العربية الفذة قد اخلصت للخلافة العباسية كثيراً فاستحقت ان تنال مركز الحجابة حتى في عهد الخليفة الرشيد حينما صرف عنها محمد بن خالد بن برمك عام تسع ومائة للهجرة (٢٩). وقد جعله الرشيد كاتباً له اضافة للحجابة (٣٠) لانه كان يتقن الكتابة ايضاً ، كما جعله على نفقات العامة والخاصة وبأدوية والكوفة (٣١).

ومما يلفت النظر ان الرشيد كان قد خلع عليه تلك المناصب بعد وفاة امه الخيزران (٣٢) لان الخيزران كانت تحقد عليه حقداً كبيراً وتمنعه من ان يوليه بشيء (٣٣) والواقع ان مرد ذلك العداء يعود الى العصبية العنصرية فالخيزران كما هو معروف ذات اصل فارسي خلاف الربيع وابنه الفضل ذي النزعة العربية الصرفة لهذا دفعت بالرشيد ان لا يعتمد عليه قاطاع الرشيد ذلك حتى وفاتها . وعلى أية حال نجد ان الرشيد لم يكتف بتعيين الفضل للحجابة بل رفعه الى درجة الوزارة (٣٤) بعد ان وضحت لديه عنصرية البرامكة اذ ابعدهم عن السياسة نهائياً . ويبدو ان الخليفة العباسي اصبح يدرك اخطار البرامكة الفرس على الخلافة اذ ان عرويته حالت دون الاعتماد عليهم وهم الذين كانوا يسعون الى اعادة مجد الفرس الغابر، كما انه عرف ان الاعتماد على العرب كفيل بدوام حكم العباسيين وقوتهم، وقد يخطيء من يقول (٣٥) بأن الفضل بن الربيع كانت له يد في ابعادهم عن السلطة . ويوضح ابن خلكان (٣٦)، الكره الذي يضره البرامكة للفضل فيقول : انه تنازع يوماً جعفر بن يحيى والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد فقال جعفر للفضل يا لقيط اشارة الى ما كان يقال عن ابيه الربيع انه لا يعرف نسبه وابوه ، فقال الفضل : اشهد يا امير المؤمنين. فقال جعفر للرشيد : ترى من يقيمك هذا الجاهل شاهدا امير المؤمنين وانت حاكم الحكام.

كما يؤيد الجهشيارى (٣٧) حقد البرامكة نحو الفضل وذلك ان الرشيد قال لجعفر قلد الفضل بريد ناحية يأخذ رزقها ويستعين به على خدمتي، فقال جعفر البرمكي بسلاسة خلقه : اختر فقال الموصل وديار ربيعة فأمر ان تكتب كتبه عليها فراح بها الى ابيه ، فلما عرضها عليه وعرفه حال الفضل وخصوصيته غضب يحيى وقال : هذه ناحية الى اخيك وقد صرفناه عن ارمينية ونصرفه عن هذه، وكان ولي خراج ارمينية وحربها ، وصرف عنها فقال ما كنت لافعل ، فقال فالموصل، فقال لا والله. فكره جعفر اغضاب ابيه ، وواقع الفضل وقرب عليه الرشيد .

من هنا يتبين لنا ان بغض البرامكة للفضل بن الربيع كان يمثل الصراع بين العرب والفرس في العصر العباسي الاول (٣٨)، ولقد تنبأ الفضل بزوالهم حينما قال فيهم (٣٩) :

عسى ونفى الرمان غسانه      بتصريف حال والزمان غشور  
فتقضى لبانات وتشفى حسائف      وتحصد من بعد الامور امور

وعلى أية حال نجد ان العلاقة بين الرشيد والفضل بقيت وثيقة ما ان الرشيد كان يدعو لمرافقته في ترحاله ، فقد رحل الى الحج واخذه معه فدبر اموره (٤٠) ، كما صاحبه الى خراسان فكان نعم

فليكن الفضل بن الربيع المتولى لاعطائهم على دفاتر يتخذها لنفسه بمحضر من اصحاب الدواوين، فان الفضل بن الربيع لم يزل يتقلده مثل ذلك عند مهمات الامور، وانفذ إلى عند وصول كتابي (٥٩)، كما كتب الى اخيه صالح في خراسان ان يتصرف هو ومن معه برأى الفضل بن الربيع (٦٠).

والواقع ان الفضل لازم الامين وعاضده (٦١) بل ذهب الى ابعد من ذلك ان اوعز اليه ان يعزل المأمون عن ولاية العهد ويجعلها لابنه موسى لعل ذلك حفاظاً على عروبة الخلافة ويعتقد الطبري (٦٢) بان المأمون فيما لو انتهت الخلافة اليه سيقضى عليه لكونه من انصار اخيه الامين.

ولقد ايد فكرة الفضل بكر المعتمر (٦٣)، كما ايده على بن عيسى بن ماهان (٦٤) القائد العربي. والواقع ان الامين رحب بها ووافق ان تكون ولاية العهد لابنه موسى بدلاً من اخيه المأمون، وطالب عماله في الامصار تأييد ذلك، وقد اعترض صاحب ديوان الرسائل يحيى بن سليم (٦٥) حينما شاوره الامين غير ان الامين قال له: لست بذى رأى والرأى الى الشيخ الموفق والوزير الناصح « يعنى الفضل بن الربيع » (٦٦).

من هنا تجسد الخلاف الحقيقى بين الامين والمأمون حتى تطور الى صراع حربي لما علم المأمون بذلك اذ قطع عنه البريد واسقط اسمه من الطراز والضرب (٦٧)، لكن الامين لم يفض الطرف عن ذلك اذ سارع بارسال جيش يقوده علي بن عيسى بن ماهان، بعد ان ولاه اماراة الجبل وهمدان واصبهان وقم وبهاوند (٦٨) حيث التقى بجيش المأمون والذي كان بقيادة طاهر بن الحسين باشارة الفضل بن سهل (٦٩) وعلى أية حال فان المعركة لم تكن في صالح الامين اذ خسر جيشه المعركة وانهزم علي بن عيسى بن ماهان ثم قتل. لكن الامين رغم فشل جيشه الا انه لم تخر عزيمته فاعاد الكرة وامر الفضل بن الربيع ان يجهز جيشاً يقوده عبدالرحمن الانباري ولكن هذا الجيش لم يستطع المقاومة اذ قتل القائد كذلك مما اضطر الفضل الى استدعاء القائد الكبير العربي اسد بن يزيد بن مزيد الشيباني قائلاً له: انت فارس العرب وابن فارسها (٧٠) وعلى أية حال نجد ان تلك الاستعدادات الحربية لم تجد نفعاً اذ خسر جيش الامين امام جيش المأمون والذي كان بقيادة طاهر بن الحسين الفارسي الذي بلغ حقه ان قتل الخليفة الامين دون رضا المأمون. اما الوزير الفضل بن الربيع فانه استتر وذلك عام ١٩٦ هـ (٧١).

وعلى أية حال نجد ان المأمون رغم انتصار جيشه الا انه لم يقدم من خراسان في هذا الوقت اذ توانى بعض الشيء ولربما كان مرد ذلك الى التأكد من استقرار الاوضاع نهائياً في بغداد، لكن النتيجة جاءت عكس ذلك فقد بايعت اهالى بغداد عمه وهو ابراهيم بن المهدي لانها اعتقدت ان المأمون سيبقى في خراسان وجعلها مركزاً للخلافة، ومما يلاحظ ان الفضل بن الربيع كان قد شجع ابراهيم بقبول الخلافة بعد الاتصال به (٧٢)، وحينما تمت المبايعة ظهر الفضل من مخبئه حيث رسمه الخليفة الجديد بحجابته (٧٣)، لكن الاوضاع سرعان ما تغيرت ودارت الدائرة مرة اخرى في غير صالح الفضل فقد عاد جيش المأمون مرة اخرى وسيطر على بغداد حيث اختفى ابراهيم بن المهدي وكذلك الفضل بن الربيع (٧٤). وقد جد

الرفيق ونعم الوزير (٤١) ولازمه حتى وفاة الرشيد بطوس عام اثنين وتسعين ومائة للهجرة (٤٢)، وكان الرشيد يستشيريه في الامور الصغيرة والكبيرة بل ذهب الى ابعد من ذلك حينما استشاره فيمن يختاره لتولية العهد من بعده، وقد اورد الدينوري (٤٣) ان الاصمعي قال: ان الرشيد اتفق رايه مع رأى الفضل بعد اخذ مشورته في تولية محمد الامين العهد من بعده، ويصير عبدالله بعد الامين، وتقسم الامور والجنود بينهما على ان يقيم محمد بدار الخلافة، وتولية المأمون خراسان.

ومن الجدير بالاشارة ان الخليفة الرشيد كان يناديه يا عباسي ولربما يدل على اخلاصه للعباسيين او يريد تقريره اليهم، وكان يحيى يحب الرشيد ويتودد الى زوجته العربية زبيدة (٤٤) كما ان الرشيد اكرمه حينما بنى منزله فوصله مال الاحواز والتي تقدر بخمسة وثلاثين الف درهم معونة له على بنائها (٤٥).

وعلى أية حال نلاحظ ان الفضل بن الربيع يواصل جهوده في سبيل خدمة الدولة العباسية دون ملل طيلة خلافة الرشيد، وقبل وفاة الخليفة استدعاه معه في رحلته الى خراسان لكن الرشيد مرض فيها وتوفى بطوس (٤٦)، مما اضطر الفضل الى العودة الى دار الخلافة ليعلن البيعة لـ محمد الامين. وهكذا يتبين لنا ان الفضل بقي يلازم الرشيد حتى الـرمق الاخير، ويوضح ابو الفداء (٤٧) ان الرشيد لما غشى عليه رأى الفضل على رأسه فقال يا فضل:

احسن دنا ما كنت اخشى دنوه	رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محسداً	فصبوا على مكروه من العواقب
سابقى على الوصل الذي كان بيننا	واندب ايام السرور الذواهب

ومما لا شك فيه ان اصالة عروبة الفضل جعلته تؤيد البيعة للامين دون اخيه المأمون الذي كان ذا ميل فارسي بـقائمه والذمه لهذا التف حول رجالات حقدوا على العروبة كالفضل بن سهل وأخيه الحسين وطاهر بن الحسين وغيرهم ممن كانوا يسعون لتكون مرو حاضرة الخلافة العظمى، وتعود لخراسان عظمته (٤٨)، والواقع ان الفضل بن الربيع اصبح من اكبر انصار الامين وقد اخذ له البيعة من الهاشميين والقواد (٤٩)، ممن وجد في خراسان، وارسل كتاب البيعة الى دار الخلافة بصحبة رجاء الخادم اذ وصلت قبل وصول الفضل الى بغداد (٥٠) ولما علم المأمون بذلك حاول منعه والتصدي له لكن الفضل بن سهل اشار عليه بان لايعترضه وخاف عاقبته (٥١) فسلم الفضل على أثر ذلك.

وعلى أية حال نجد ان الامين حينما تأكد له اخلاص الفضل اكرمه (٥٢) وقلده اموره واعماله (٥٣) والعرض عليه (٥٤) كما جعله كاتباً له (٥٥) ثم استوزره (٥٦)، كما جعل ابنه العباس حاجباً له (٥٧)، وقد زاد الامين في تكريمه ان كتب الى اخيه المأمون التنازل له عن بعض اعمال خراسان، كما طلب من المأمون وكتب اليه ان يعيده الى بغداد.

هذا وكان يحترمه ويحله فيدعو المأمون بن الميمون (٥٨) والسبيح، والذي يؤكد ذلك انه كتب الى المأمون كتاباً يقول فيه: اساك ان تنفذ رايك او تبرم امراً الا برأى شيخك وثقة انائك الفضل بن الربيع، ويقول له ايضا: ان امرت لاصل عسكرياً بعضاً او رزق

المامون في طلبهما لكنه أخيراً عفا عن عمه وعن الفضل بعد أن مثل بين يديه ثم رد إليه أملاكه (٧٥) فقط دون أن يمنحه أي منصب إداري حتى وفاته عام ثمانية ومائتين للهجرة (٧٦)، بعد أن عاش ثمانية وستين عاماً، وقد ترك ثلاثة أولاد هم (٧٧) محمد والعباس وعبدالله (٧٨).

وأخيراً وقبل أن أنهى هذا المقال أود أن أكشف شيئاً عن نشاطاته الأدبية وعن علاقاته بالشعراء المعاصرين، ففي الحقيقة أن الفضل بن الربيع الحاجب والوزير والكاتب إلا أنه رغم ذلك فقد كان يتخذ لنفسه كتاباً متعددين، منهم داود بن بسطام وموسى بن عيسى بن يزدانيرود وعبدالله بن نعيم (٧٩) ويحيى بن سليم (٨٠)، كما قلد ديوان الخراج علي بن الهيثم حينما استوزره الخليفة هارون الرشيد (٨١).

ولا ريب أن طيبة أخلاقه حرضت الشعراء بمدحونه بقصائدهم وعلى رأسهم الشاعر العباسي أبو نؤاس (٨٢) (الحسن بن هاني) والذي كان شعره من أحب الأشعار له وقد قال ذلك جفيد الفضل أن قال (٨٣) ما مدحنا شاعر أحب إلينا من قول أبي نؤاس (٨٤).

ساد الملوك ثلاثة ما منهم  
ان حصلوا الا اغمر قريع  
ساد الربيع وساد فضل بعده  
وعلى بعباس الكريم فروع  
عباس عباس اذا احترم الوغي  
والفضل فضل والربيع ربيع  
والجدير بالاشارة ان ابا نؤاس شديد الاعجاب بالفضل بن الربيع  
وقد قال فيه مدحا زخر ديوانه منها (٨٥)

ما من يد في الناس واحدة  
كيد ابو العباس مولاهما  
نام الثقة على مضاحمهم  
وسرى الى نفسي فاحياها  
قد كنت خفتك ثم امنني  
من ان اخافك خوفك الله  
ضعفوت عني عفو مقتدر  
حلت له نقم فالغاهما

منها (٨٦) :

رايت الفضل يأتي كل فضل  
وما استغل ابو العباس مدحا  
ولم تسك نفسه نفسين فيه  
فيه ايضا (٨٧).

ابا العباس ما ظني بشكري  
واني والذي حاولت مني  
ويقول ابو نؤاس ايضا (٨٨) :

لقد نزلنا ابا العباس منزلة  
وكلت بالدهر عينا غير غافلة  
ويقال ابو نؤاس في مدحه بقوله (٨٩)

يا بن ابي العباس انت الذي  
انتك اشعارى فانزيتها  
يرجو ويخشى حياتك الوري  
فقبلا منك اباك الذي  
سماؤه بالجو مدرار  
وفيك اشعار واشعار  
كانت الجنة والنار  
جرت له في الخير أنسار

وفيه ايضا (٩٠).

اليك ابا العباس عديت ناقتي  
لأعلم ما تأتي وان كنت عالما  
ويصف ابو نؤاس سماحة الفضل بن الربيع فيقول (٩١).

يا فضل قد اودعتني عظة  
وبرئت مما تستسريب به  
واقبل ابا العباس عذري من  
ان ضاق عفوك وهود سعة  
انت الذي الف السماح فما  
تغدو جميع العرض وافرة  
ويمدح كرمه (٩٢) :

يا فضل غاية خلق الله كلهم  
كم قائل لك من داع وقائلة  
كما قال فيه (٩٣) :

وليس لله بمستنكر  
ان يجمع العالم في واحد  
والواقع ان ابا نؤاس لم يمدح الفضل فقط بل مدح ابنه العباس ايضا فقد قال فيه (٩٤) :

وان عباس مثل والده  
تائق الله حين صاغكما  
فصور الفضل من ندي وحجي  
وعلى اية حال فقد مدح الفضل بعض الشعراء ايضا بقولهم (٩٥)  
كم من مقيم ببعدها على طمع  
لولا رجاء ابي العباس لم يقم  
السر ان نظروا والبحران رغبوا  
والحصن ان رهبوا والسيف ذو السقم

هذا وما يلفت النظر ان الفضل بن الربيع كان يوصف بأباء النفس كريمها فقد قال له الخليفة الرشيد يوما في كلام جرى :  
كذبت فقال له : وجه الكذب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك (٩٦).  
والحقيقة انه عرف للفضل بقله الشعر ومن شعره كما ورد على لسان الصولي (٩٧) :

اني امرؤ من هاشم  
اهل الهدى وذوى التقى  
اهل المعالم والمكارم  
يتألمون من الصدو  
بغناء معصور النواحي  
واول (٩٨) البسالة والسماح  
والكمال برغم لاهي  
د ويصبرون على الجراح  
كما انشد ايضا (٩٩)

كنت صبيبا وقلبي اليوم سالي  
لم يكن دأما على العهد فاستبد  
لقد عرف عن الفضل انه كان محدثا اضافة لادبه فما حدث به انه اسند الحديث عن ابيه وعن المنصور وعن جده وعن ابن عباس عن رسول الله (ص) (١٠٠)

ومن ادبه انه عاث به بعض بني هاشم في ركوبه بغلة فقال له : هذا مركب تطامن عن خيلاء الفرس (١٠١) وارتفع عن ذلة الحمار، وخير الامور اوسطها (١٠٢) من حكيمته انه قال : من كلم الملوك في الحاجات في غير وقت الكلام لم يظفر بحاجته، وضاع كلامه، وما اشبههم في ذلك الا باوقات الصلوات لا تقبل الا فيها، ومن اراد خطاب الملوك في شيء فليرصده الوقت الذي يصلح في مثله ذكر ما اراد، ويسبب شيئا من الاحاديث يحسن ذكره يعقبه (١٠٣) كما قال مسئله الملوك عن امرئهم من تحيات النوكي، فاذا اردت ان تقول : كيف اصبح الامير ؟ فقل : صبح الله الامير بالكرامة، واذا اردت ان تقول

كيف يجد الأمير نفسه ؟ فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب ، فإن لم يجبك اشتد عليك وإن اجاب اشتد عليه ( ١٠٤ )

لقد عاصر الفضل بن الربيع الشاعر العباسي اسحق بن ابراهيم الموصلي ( ١٠٥ ) كما عاصره الشاعر ابو العتاهية ، وعائشه ايضا ابو عبيدة «معمر بن المثنى التيمي النحوى» وكذلك الاصمعى وكانا يحضران مجلسه ( ١٠٦ )

## الهوامش

١ - الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن ابي فروة . واسم ابي فروة كيسان مولى الخليفة عثمان بن عفان (ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد . وفيات الاعيان . تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٧ الجزء الرابع ص ٢٧ ، الخطيب البغدادي ابوبكر احمد بن علي الخطيب تاريخ بغداد بيروت ، المجلد الثاني عشر ص ٣٤٣ ، المرباني . ابي عبدالله محمد بن عمران بن موسى ، معجم الشعراء ، تحقيق عبدالستار احمد مراح القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ص ١٨٢ . طاش كبرى زادة مفتاح السعادة تحقيق كامل بكري وعبدالوهاب ابو الور ، الجزء الثاني ص ٢٠٣ . ويرى الجهشيارى (ابو عبدالله محمد بن عبدوس) في كتابه الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الايبارى ، مصر ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٠ م ان والده يونس كان من الشراة الحوارج ، كما يضيف ان كيسان هو مولى الحارث الصغار مولى عثمان بن عفان ، ويؤيده اس حلكان في وفياته ج ٤ ص ٢٧ اما من اير جاء لقب ابي هروه فيروى ابن خلكان في وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٢٩ انه قيل لجده ابو فروة لانه ادخل المدينة وعليه فروة

٢ - الجومرد عبدالحماد ، ابو جعفر المنصور ، بيروت ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ص ٢٨٧ .  
٣ - الخطيب البغدادي تاريخ بغداد م ٢ ص ٢٤٣ الكازوينى ؟ (طهر الدين) على بن محمد البغدادي مختصر التاريخ ، تحقيق مصطفى حوان بغداد ، ١٩٧٠ ص ١٦٧

٤ - النعمورد . ابو جعفر المنصور ص ٢٨٧ .

٥ - ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٤ .  
٦ - المرتزاني محمد الشعراء ص ١٨٢ ، الزركي ؟ (حجر الدين) الاعلام ، بيروت ج ٥ ص ٣٥٣ ويقول الجهشيارى في الوزراء والكتاب ص ١٢٥ ان المنصور قال للربيع ، قد وليتك الوزارة والعرض ووليت اسك الفضل الحنابلة

٧ - حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، الطبعة السابعة مصر ١٩٦٤ ج ٢ ص ٢٥٧ ، وفي حسن اخلاق الربيع رأى المنصور يوما في ستمائة شجرة من شجر يسنقى الخلاف فلم يدرك ما هي فقال يا ربيع ، ما هذه الشجرة ؟ فقال الربيع احصاء ووقاق وكره ان يقول خلاف حسن ابراهيم ج ٢ ص ٢٥٨

٨ - يؤيد السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن) ذلك في كتابه تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي عبدالحميد القاهرة ص ٢٦٣ بان الربيع قال سمعت المنصور يقول الخلفاء اربعة ابوكرو وعمر وعثمان وعلي ، والملوك اربعة معاوية وعبدالملك وهشام وانا

٩ - يذكر ابو اسحق ابراهيم بن علي الحصري في كتابه زهر الادب وثمر الابواب تحقيق عي محمد النجاري ، مصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م الجزء الاول ص ٥٤١ انه قيل للعتابى امدحت احدا ؟ قال لا وليس لي على ذلك قدرة فقيل له فقد مدحت الربيع ، فقال ذلك ليوم يستحق فيه المدح فقلت

ومعضلة قام الربيع ازاءها  
بعملة والمنصور رهن كما اتى  
مغداة عددا الدين شاحضة المدي  
اليه وغول الحزب فاعثرة فما

١٠ - الهاشمى احمد ، جواهر الادب القاهرة ١٣١٥ هـ ج ١ ص ٤٢١

١١ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ١٢٥

١٢ - ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٢٩

١٣ - المصدر السابق

١٤ - ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٤ الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ١٢٥  
ابن العماد (ابو اعلج عبدالحي الحنبلى) شذرات الذهب بيروت ١٣٩٩ هـ ج ٩ ص ١٩٧١ م ج ١ ص ٢٧٤

١٥ - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٥

١٦ - الصدوق (ريق الله مقريوس) تريح دول الاسلام ، مصر ١٣٢٥ - ١٩٠٧ ج ١ ص ٩٤

١٧ - ابن عبد ربه ابو عمر احمد بن محمد الاسدي ، العقد الفريد ، تحقيق احمد امين

واحمد الزين و ابراهيم الايبارى ، الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م الجزء الاول ص ١٩٣

١٨ - الطبرى (ابو جعفر محمد بن حوير) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو العسل ابراهيم ، دار المعارف مصر الجزء الثامن ص ١٥٢

١٩ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ١٦٧

٢٠ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٨٧

٢١ - عيساباذ . وهي مجلة كانت شرقى بغداد منسوبة الى عيسى بن مهدي ، وكانت له قطاعا ، وفيها بنى المهدي قصره الذي سماه قصر السلام ، ياقوت (شهاب الدين ابي عبدالله الحموي) معجم البلدان ، بيروت المجلد الرابع ص ١٧٢

٢٢ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٨ ، الجهشيارى . الوزراء والكتاب ص ١٦٧

٢٣ - تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٨ ، وهناك روايات غير مؤكدة تقول ان الهادي سمع الرواعى (احمد) عصر المأمون ، القاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م المجلد الاول ص ٢١٠ ويوصح الطبرى في تاريخه ج ٨ ص ٢٢٨ ، ان يحيى بن الحسين بن عبدالخالق خال الفضل ذكر ان اباه حدثه بان موسى الهادي قال . اريد قتل الربيع فما ادرى كيف اعمل به فقال له سعيد بن سليمان تأمر رجلا ماتخاذ سكين مسعوم ، وتأمره بقتله ، ثم تأمر بقتل ذلك الرجل ، قال هذا الراى ، فأمر رجلا فقال له . انه قد أمر فريك بكدا وكدا ، وبأخذ في غير ذلك الطريق فدخل منزله فتمارض فمريض بعد ذلك ثمانية ايام ، معات ميتة نفسه

٢٤ - طاش كبرى زادة مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٠٣

٢٥ - الكازوينى مختصر التاريخ ص ١٢٤ ابن العمري . (محمد بن علي بن محمد) الانشاء في تاريخ الخلفاء تحقيق قاسم السامرائى ، ايدن ١٩٧٢ ص ٧٤

٢٦ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٤ ص ١٧٠

٢٧ - الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٢

٢٨ - لقد ذكر الكازوينى في كتابه مختصر التاريخ ص ١٢٠ ان المهدي كان الفضل بن الربيع حاضيا له ، كما روى الحصري في كتابه زهر الادب ج ١ ص ٥٠٦ ان المهدي قال للفضل اني قد وليتك ستر وجهي وكشفه فلا تجعل يبسى وببى خواصى سببا لصعدهم بقبج يدك وعيوس وجهك ، وقدم ابناء الدعوة فدهم اولى بالتقديم وثن بالاولياء ، واجعل للعامة وقت اذا دخلوا اعطهم ضيقة عى التلبث وصرفهم عى التملك

٢٩ - الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٦١ ، الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٢٣

٣٠ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٥ ص ١٦

٣١ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٨

٣٢ - ويؤكد الطبرى في تاريخه ج ٨ ص ٢٢٨ ان الرشيد دعا الفضل بن الربيع فقال له وحق المهدي (وكان لا يظف بها الا ابا احتشد) اني لاهم لك من الليل بالشئ من التولية وغيرها متمبئنى امى فاطبع امرها ، محد الحاتم بن جعفر

٣٣ - الحضرى (محمد) محاصرت في تاريخ الامم الاسلامية مصر ١٩٧٠ ص ١٢٢  
٣٤ - الكازوينى مختصر التاريخ ص ١٢٩ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٥ ص ١١٨ ، دحية (ابو علي حسن بن علي) النراسى في تاريخ خلفاء بني العباس ، تحقيق عباس العزاوى ، بغداد ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ص ٢٧ ، نصوبن صانعة من كتاب الجهشيارى ل محمد بن عبدوس الجهشيارى ، جمعها ميخائيل عواد ، بيروت ص ١٩

٣٥ - بيبي التوخى (ابو عي الحسن بن ابي القاسم) في كتابه الفرج بعد الشدة طبعة مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م الجزء الاول ص ٦٨ مدى كره البرامكة للفضل لا لسبب منه يقول ان الفضل بن الربيع سار الى الفضل بن يحيى البرمكى في حاجة له فلم يرفع له راسا ولا قضى له حاجة فقام مغضبا ، فلم يدع به ولا اكثر بفضبه ، وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لعص خاصته اتبعه فانظر ماذا يقول ، فان الرجل ينهى عما في نفسه من ثلاثة اماكن اذا افطع عى فراشه واذا خلا مفرسه ، واذا استوى عى سرجه قال الرجل فاتبته فلما استوى عى سرجه عص علي شعته وقال

عسى يطفى الزمان عفافه  
ففسدوك افعال وتفضى حارب  
بعثرة دهر والزمان عشور  
ويحدث عن بعض الامور امور

قال فلم يكن بين ذلك وبين سحق الرشيد الا ايام يسيرة

اما ابن الاثير (عمر الدين ابو الحسن) يوضح في كتابه الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ المجلد السادس ص ١٧٥ - ١٧٦ ان الرشيد دفع يحيى بن عبدالله بن الحسن بن علي الى جعفر بن يحيى بن خالد محمسه ثم دعا به ليلة وسأعه عى بعض مره فعن له . اتو الله في امرى ولا تتعرض ان تكون غدا حصمك محمد (ص) فادله ما احدثت عدتا هرقى له ، وقال اذهب حيث شئت من بلاد الله قال فكيف اذهب ولا آمن ان اوخذ فوجهه معه من اذاه الى مامنه وبلغ البحر الفضل بن الربيع من عي كاث له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد فقال ما آيت هذا فعلة عى امرى ، ثم احضر جعفر لاطعام جعله ليقفه ويحارثه ، ثم سآله عى

بحير فعال نحاني فظا جعفر فعال لا وحياتك. وفص عليه امره وقال علمت انه لا مكروه عنده. مقل. مع ما فعلت ما عدت ما في نفس. علما قام عنه قال قتلني الله ان لم اقلتك. فكان من امره ما كان

واما ابن خلكان في وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٧ وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة ج ٣ ص ٣٤ فيذكر ان الرشيد لما ال الامر اليه واستورد البرامكة كان الفصل بن الربيع يوم التشبه بهم. ومعارضتهم. ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم فكان في نفسه منهم احس وشجما.

ولكن الهاشمي في جواهر الادب ج ١ ص ٩١ (الهاشمي) يذكر ان الفضل هو الذي اوعر صدر الرشيد على البرامكة حسدا لهم على منزلتهم وكذلك حسن ابراهيم في تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٦٥ يقول ان الفصل بن الربيع اوقع بالبرامكة عند الرشيد

٣٦ - وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٨  
٣٧ - الوزراء والكتاب ص ٢٤٩.

٣٨ - حسن بابنا دراسات في تاريخ الدولة العباسية مصر ١٩٧٥  
٣٩ - ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٧.

٤٠ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٦٩

٤١ - ويخطى الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب ص ٢٧٧ بقوله ان الرشيد كان قد تزوج وعلم بمقتله وتبع امره الفصل بن الربيع. لان الفضل كان وزيراً حينما تولى الرشيد

٤٢ - الخطيب البغدادي تاريخ بغداد. مجلد ١٢ ص ٣٤٤. الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٧٧. الكاثيرى مختصر التاريخ ص ١٢٩. وعند اليعقوبى (اجمى بن اسى يعقوب) في التاريخ. النصف ١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ ج ١ ص ١٦٩. ان الرشيد تولى عام ثلاث وتسعين ومائة للهجرة. وكذلك عند الدينورى في الاخبار الطوال ص ٣٩٢. وابو الفداء عماد الدين اسماعيل في المختصر في اخبار البشر. المطبعة الحسينية الجزء الثاني ص ١٨

٤٣ - الاحبار الطوال. تحقيق عبدالمنعم عامر. الطبعة الاولى القاهرة ص ٢٨٩

٤٤ - الجومرد عبدالجبار. هارون الرشيد. بيروت الجزء الاول ص ١٢٤

٤٥ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٨٩. وكان يميل في الشارع الاعظم بآراء درج السقائين

٤٦ - الزركلى الاعلام ج ٥ ص ٢١٣

٤٧ - المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٨

٤٨ - حسن الناشا دراسات في تاريخ الدولة العباسية ص ٢٧

٤٩ - اليعقوبى التاريخ ج ١ ص ١٦٩

٥٠ - العمري الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٨٩

٥١ - ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٨

٥٢ - الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٢

٥٣ - الصدفي تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ٩٨ الكاثيرى. مختصر التاريخ ص ٢٢٣

٥٤ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٨٩

٥٥ - ابن عبد ربه العقد الفريد ج ٥ ص ١٦٥

٥٦ - الكاثيرى مختصر التاريخ ص ١٣٣

٥٧ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٨٩

٥٨ - المصدر السابق ص ٢٧٤

٥٩ - المصدر السابق ص ٢٧٦

٦٠ - ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٢٢

٦١ - وردت في ديوان ابى نواس ص ٤٩ قصيدة تؤكد ذلك مطعنها

لعمرك ما غاب الامين محمد  
ولولا موازيث الخلافة اسها  
فان تكن الاجسام فيها تباينت  
ارى الفضل للدينيا وللدن جامعا  
عن الامر يعنيه اذا شهد الفضل  
له دون ما كان بينهما فضل  
فقولها قول وفعلها فعل  
كما اسهم فيه الريش والقوق والفصل

٦٢ - تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٤ كما يرى الصدفي في تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ٩٧ روى الطبرى

٦٣ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٩٢. الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٤

٦٤ - اليعقوبى التاريخ ج ١ ص ١٧٢

٦٥ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٤. ويسميه الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب ص ٢٩٧ يحيى بن سلمة

٦٦ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٤

٦٧ - السيوطى تاريخ الخلفاء ص ٢٩٧

٦٨ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٩. الحضرى محاضرات في تاريخ الامم الاسلاميه ص ١٦٤

٦٩ - ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٩

٧٠ - الحضرى محاضرات في تاريخ الامم الاسلاميه ص ١٦٤

٧١ - الزركلى الاعلام ج ٥ ص ٣٥٢. ويوضح التنويخ في الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٣٥٦

ان الفصل قال لما استقرت عن المأمون اخفيت نفسى حتى عن عيالى وولدى. وكنت وحدى فلما قرب المأمون من بغداد ارداد حذى وحوى على نفسى. فتشددت في الاحشاش والتواوى فانقضت الى منزل براز كنت اعرفه في درب على باب امكن. وتشدد المأمون في طلبى فلم يعرف الى حبر

٧٢ - ابن خلكان. وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٩

٧٣ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٣٠١

٧٤ - يروى الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب ص ٣٠٢ ان الفضل لما استقر صار رهيح من المسبب الى داره في شارع الميدان فسكنها رغبة بحرمته وبحقوق كانت بينه وبين الفضل. اراد بما جعله حفظها عليه

٧٥ - ابن العمري الانباء في تاريخ الخلفاء ص ١٠٠ ومما بينه العمري ايضا ان الفضل لما ظفروا به حاووا به الى المأمون. فلما وقفت عليه خرج لمعمل مقام وسجد سم رفع رأسه وقال اندري لم سجدت قال نعم قال. لماذا قال الفضل شكرا لله على ظم. قال لا والله بل شكرا لله تعالى كيف رفقى حلما اعطوبه عن جرم مثلك. امضى لحال. ان فقد غوت عنك.

٧٦ - الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٤. طاش كبرى زادة مفتاح السعادة ص ٣٠٤ لكن ابن خلكان في وفيات الاعيان ج ٤ ص ٤٠ يبين ان الروايات اختلفت حول مولده فقد قيل ان مولده سنة اربعين ومائة او قيل سنة ثمان وثلاثين ومائة للهجرة ورواها ابن كثير والحافظ الدمشقي في كتابه البداية والنهاية. بيروت. الجزء التاسع ص ١١٥

٧٧ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٢٦٣

٧٨ - الاصفهاني (ابو الفرج) الاعيان مجلد ٥ القسم الثاني ص ٢٠

٧٩ - بصوص ضائعة من كتاب الجهشيارى ص ٢٨٩

٨٠ - الجومرد هارون الرشيد ج ١ ص ٣٥٤

٨١ - بصوص ضائعة من كتاب الجهشيارى ص ٥٠

٨٢ - لقد عاصر الشاعر ابو نواس الخليفة هارون الرشيد وقد نادى الحمر. واهم به سرور.

فحبس الامين وبقى فيه حتى اطلق سراحه وفي رواية الجهشيارى في الوزراء والكتاب ص ٢٩٦ عن حسبه فقد كان للفصل خال يستعرض اهل السجون ويتعدهم فدخل الى الحبس الذى هو فيه ولم يكن يعرفه فقال له. لم ياهدا انت زنديق. فقال ابو نواس. معد الله. فقال له فلعلك ممن يعد الكيش فقال له. انا اكل الكيش بصوفه. فقال له فلعلك تعد

الشمس فقال اسي اتجنب القعود فيه بغضا لها. فقال. فبأي حرم حسبت. فقال لاني انا لم خلف الناس فقال له. ليس الامر كذلك. قال. والله لقد صدقتك بحاء الى الفصل فقال له ياهدا لا تتسبون حوارى مع الله حسس الناس بغير حرم. فقال. وما ذاك فدبره الحبر. فصعد منه وعرف محمد الخبر وشجع اليه فيه. فأمر باستحلافه ان لا يشرب ولا يهسق فعمل ذلك

ويصيف الجهشيارى حول اتهامه بالزندقة وهو ان سليمان بن جعفر قال لامى. هو والله يا امير المؤمنين من ثار الشوية. فقال له. ايشهد عليه بهذا احد. فاستشهد سليمان جماعة شهد بعضهم انه وضع قدحا في يوم ممطر حتى قطر فيه قطرا كثيرا. وقال بعد سربه اياه يزعمون انه مع كل قطرة ملكا فكم ترائى قد شربت من الملائكة. فوجه به الى العصر من الربيع وامره بحسبه مع قوم كانوا يتهمون بالزندقة

٨٣ - القيروانى زهر الاداب ج ١ ص ٥٤٦

٨٤ - ديوان ابى نواس ص ٤٦٣ الحسن بن هانى. تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالى بيروت ص ٤٥٨

٨٥ - المصدر السابق ص ٤٥٩

٨٦ - المصدر السابق ص ٤٥٥

٨٧ - المصدر السابق ص ٤٥٨

٨٨ - ديوان ابى نواس ص ٤٥٧

٨٩ - المصدر السابق ص ٤٤٦

٩٠ - المصدر السابق ص ٤٤٨

٩١ - الديوان ص ٤٥٨

٩٢ - المصدر السابق ص ٤٤٩

٩٣ - المصدر السابق ص ٤٥٤

٩٤ - ديوان ابى نواس ص ٤٥٣

٩٥ - القيروانى زهر الاداب ج ١ ص ٥٤٦

٩٦ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٥٧

٩٧ - القيروانى زهر الاداب ج ١ ص ٥٤٥



٩٨ - عند الرراسى فى كتابه معجم الشعراء ص ١٨٢ (بى اسئلة)

٩٩ - الرراسى معجم الشعراء ص ١٨٢

١٠٠ - المحصب البعدارى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٢ ، كما حدث ما مروا من ابي جعصه قد دخل على المهدي بعد وفاة معين بن رائدة فى جماعة من الشعراء فيهم سليم الحاسر وغيره ، ما يشده مديحا فقال له من انت فقال له شاعرك بالأمير المؤمى وعندك مروا من ابي جعصه فقال له المهدي الست القائل

اقمنا	بالمدينة	بعد	مع	نؤالا
وقلنا	ابن زجل	بعد	من	نؤالا
وقد	ذهب	النوال	فلا	نؤالا

وقد ذهب النوال كما رجعت قلم حنت ؟

١٠١ - ورد فى عيون الأخبار لابن قتيبة (ابو محمد عبدالله بن مسلم) بيروت ١٣٤٢ - ١٩٢٥ ج ١ ص ١٦٠ (عن حيلة الخيل)

١٠٢ - ابن عبد ربه العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٩

١٠٣ - انفيروانى زهر الآداب ج ١ ص ٥٤٣

١٠٤ - ابن قتيبة عيون الأخبار ج ١ ص ٢٢ ، الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٢٩٤  
١٠٥ - لقد اكد ابن قتيبة فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٢٢ ذلك بأن اسحق بن ابراهيم الموصلى قال اناس الربيع بن دحمان يوم سبته ان يقيم عدى فقال قد ارسل الى الفضل بن الربيع وليس يمكنكم التحلف عنه فقلت له

اقم	اب	العوام	ويحط	نشرت
ونلت	مع	اللاهى	يوما	ونطرب
را	ما	رايت	اليوم	قد
معه	يشكر	وترك	العجل	يفضف

وبذكر الاصمغسى فى الاغانى ج ٥ فى ١ ص ١٧١ ان اسحق قال لا عت الفصل من الربيع النرد موقع بين خلاف فحلف وحلف ففضف على وهجرى فكتبت اليه ؟

يقول	اناس	شامتور	وقد	راوا
لقد	كان	هذا	جنى	بالفضل
مأصم	مده	اليوم	منصم	بحل

وبو كتاب الى فى ذات ديب علمته  
لقطعت نفسى باللامة والعبد

١٠٦ - ابن النصوص الواردة فى التاريخ بن العلاقة لم تكن حسنة من الفصل بن الربيع والشاعر جعصه ويوضح لجهشياري فى كتابه الوزراء والكتاب ص ٢٩٥ ان ابا العتاهية بعث فعلا الى الفضل بن الربيع وكتب معه

بفر	بعت	بها	لتبها
تسمى	بها	قدم	الى
تسمى	بها	قدم	الى
تسمى	بها	قدم	الى

كما ذكر ابن قتيبة فى عيون الاخبار ج ٢ ص ١٤٤ ان ابا العتاهية احتلف الى الفضل بن الربيع فى حاجة له زمانا فلم يقضها له فكتب

اكل	طور	الزمان	انت	اذا
جنت	فى	حاجة	تقول	غدا
لا	جعل	الله	سنى	اليد
عندك	ما	عشت	حاجة	ابدا

(١) بين ابن حنك فى وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٤٠ ان ابا عبيدة قال لما قدمت على الفضل بن الربيع قال لي من اشعر الناس ؟ فقلت الراعى . قال كيف فصلته عن غيره ؟ فقلت لانه مدعى عن سعيد بن عبدالرحمن الاموى فوصله فى يومه الذى لقيه فيه وصرفه فقال يصف حابه معه

تحن	الى	سعيد
طروقا	ثم	عطن
صمدن	صاحه	واصبر
عطاء	لم	يكن

فقال الفضل ما احسن ما افتصبتا يا ابا عبيدة ، ثم عدا الى هرون الرشيد فاخرج الى صبة وامر الى بشى من ماله وصرفنى

(٢) قال الاصمغسى حضرت ابا وامر عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع فقال كم كتابك فى الخيل ؟ فقلت هذ واحد ، فقال انا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدة . فقال يا قم الى هذا الفرس وامسك عصوا عصوا منه وسمه . فقال لست سيطارا وانما هذا شىء اخذته عن العرب فقال لي قم يا اصمغسى وافعل ذلك ففعلت وامسكت تاسمته وشروعت اذكر عصبه عصبه وسمعت ردى عليه وسمعت ما قال فيه . فمررت الى ابن فرات سنة فقال هذه تحفة من جلالته . فقلت لا عيب ج ٣ ص ١٧٢

# العائلة البغدادية شهدة الابري ورواياتها في تواريخ النساء

بقلم

الدكتور حسن عيسى علي الحكيم

الجامعة المستنصرية / كلية الفقه في النجف الاشرف

لامر الله ، وكانت يقال لها الكاتبة سمعت اباها واما عبدالله الحسين بن احمد طلحة النعالي وغيرهما ، كتبت عنها اوراق بسيرة في دارها برحبة الجامع « (١٣) ، كما تتلمذ عليها ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) الذي كان يشير الى تلمذته عليها بقوله « اخبرتنا شهدة بنت احمد الابري » (١٤) ، وقال في مشيخته « اخبرتنا شهدة الكاتبة بقراءتي عليها في صفر سنة ٥٥٧ هـ » (١٥) ، وقال سبط ابن الجوزي : « روى عنها جماعة منهم جدى » (١٦) ، وعند ترجمة ابن الجوزي لجعفر بن احمد المقرئ (ت ٥٠٠ هـ) قال : « قرأت عليها كتابه المسمى بمصارع العشاق بحق سماعها منه » (١٧) ، وتشير المصادر التاريخية والرجالية الى عدد اخر من العلماء والمحدثين قد تتلمذوا على السيدة شهدة الابري منهم : الحافظ عبدالغنى والموفق ابن قدامة والحافظ عبدالقادر الزهاوي وابراهيم بن الخير وابو الحسن بن الجميزي وابراهيم الكاشغري والاعز ابن علق وابو محمد عبدالله الجويني وابو عبدالله الاربلي وعبدالرزاق بن سكينه وابوبكر قاضي حزان وعلي بن حميدان وابوبكر بن الخازن ومحمد بن اسي البدر وعبدالعزیز بن محمود الاخضر وابو الحسن علي بن المعمر بن ابي القاسم الواسطي (١٨) ، يقول الدكتور مصطفى جواد : « ومن تلامذتها الخليفة الامام الناصر لدين الله فانه روى عنها في كتابه الذي الفه وسماه « روح العارفين » (١٩) ، ويقول السيوطي : « واجاز للناصر لدين الله جماعة منهم ابو الحسين عبدالحق اليوسفي ، وابو الحسن علي بن عساكر البطايحي وشهدة ، واجاز هو لجماعة فكانوا يحدثون عنه في حياته ويتنافسون في ذلك رغبة في الفخر لا في الاسناد » (٢٠) ، وروى عنها الحافظ ابو علي الحسن بن خلف بن معزوز التلمساني المغربي كتاب « الاموال » للحافظ ابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وعبدالله بن احمد بن محمد ابن قدامة المقدسي الذي يقول : « قرأت هذا الجزء وما قبله من كتاب الاموال لابي عبيد رحمه الله على شهدة بنت احمد بن الفرج الابري من اصل سماعها » (٢١) ، وقد ذكر كل من الذهبي والمنذري وابن الفوطي جماعة من تلاميذ السيدة شهدة الذين سمعوا عليها (٢٢) .

الفقيهة المحدثه شهدة بنت ابي نصر احمد بن الفرج بن عمر الابري (٤٨٢ - ٥٧٤ هـ) بغدادية المولد والوفاة ، دينورية الاصل ، نشأت في محيط بغداد العلمي ، وتتلمذت على شيوخها وعلمائها منهم جعفر بن احمد السراج ، وطراد بن محمد الزينبي (١) ، وسمعت من ابي الخطاب نصر بن احمد بن البطر ، وابي عبدالله الحسين بن احمد بن عبدالقادر بن يوسف ، وابي بكر محمد بن احمد الشاشي (٢) ، كما انها روت عن عبدالملك بن محمد السامري (ت ٤٩٣ هـ) (٣) ، وابيها احمد بن الفرج الدينوري (ت ٥٠٦ هـ) الذي كان من مشاهير علماء بغداد ومحدثيها (٤) ، فاصبحت السيدة شهدة عالمة محدثة ، سمع منها خلق كثير ، وكان لها السماع العالي الحقت فيه الاصاغر بالاكابر (٥) ، ولجودة خطها عرفت بالكاتبة او الكاتبة المسندة (٦) ، كما كانت تسمى « مستندة العراق » (٧) ، حتى اشتهر ذكرها وبعد صيتها (٨) ، لاسيما في علم الحديث وذلك لعل اسنادها (٩) ، وقد وصفت هذه العالمة بالثقة والصلاح والعبادة ، كما عدت صاحبة بر وخير (١٠) ونظراً لمقامها العلمي والفكري اصبح لها ذكر في معجم التراجم العائنية ، المسمى ببيوكرا في ينفرسسل Biographie Universel المطبوع في باريس عام ١٨٤٣ م فقد ترجم لها في هذا المعجم الكاتب الفرنسي المسيو جوردي في باب « الايف » باسم فخر النساء شهدة بنت احمد وقال « بغدادية انصرفت الى دراسة الفقه واللاهوت فبلغت في هذه العلوم درجة عالية ودروسها كانت مجمعا للعلماء المشهورين جداً في ايامها ، وكانوا شديدي الرغبة في السماع منها ولذلك اجتمع عندها كثير من طبقات الناس ، ويظهر ان هذه الشهرة العظيمة وعلوها هما اللذان اتاها لقب فخر النساء ومعناه مجد النساء ولانعرف لها كتاباً ، وان كان كثير من العلماء افتخروا ان يكونوا في عداد تلاميذها (١١) .

لقد تتلمذ على العالمة شهدة الابري ، الحافظ ابو القاسم ابن عساكر (ت ٥٦٢ هـ) وقد ذكرها في كتابه « ذيل تاريخ بغداد » (١٢) ، وابو سعد عبدالكريم السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) الذي ذكرها في مادة « الابري » من كتاب الانساب بالقول : « شهدة بنت الابري فهي صاحبة الحط الحسن وكانت لها قرابة الى امير المؤمنين المقتدى

الجوزي على شكل قصة او رواية (٢٥)، وفي معرض حديثه عن عمرو بن عبدالله التيمي (ت ٨٢ هـ) الذي كان أمير البصرة قال : انه اشترى جارية من رجل من أهل البصرة بمائة ألف درهم ، وبعد انصرافها انشد ذلك الرجل ابياتاً فيها (٢٦) .

والملاحظ ان الشعر الغزلي الذي روته السيدة شهدة عند حديثها عن النساء ، يعد من غرر الشعر العربي ، وقد حفظ كتاب « المنتظم » نصوصاً شعرية اغفلتها دواوين اصحابها المطبوعة ، وعند الحديث عن غيلان بن عقبة ( ذى الرمة ) ( ت ١٠١ هـ ) ذكر انه رأى جارية سوداء في الكوفة واقفة على باب دارها فاستحسنها ووقعت في قلبه فامراً اليها وقال : يا جارية هلا اسقيتني ماء ، فاخرجت له كوزاً فشرب ، واراد ان يمازحها فقال : يا جارية ما احمر ماعك ، فقالت : لو شئت لاقبلت على عيوب شعرك ، وتركت حرمائي وبرده ، واورد ابياتاً بعد ذلك لذي الرمة (٢٧)، وفي نص استقاه ابن الجوزي عن السيدة شهدة عند ترجمته ليزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥ هـ) انه شغف بحب جارية اسمها حبابة ، وكانت قد شرقت بحبة رمان فماتت على اثر ذلك ، فاقام عندها يزيد بن عبد الملك في الدار حتى نثنت ، وعند دفنها وقف على قبرها وانشد (٢٨) :  
فإن تسل عنك النفس او تدع الصبا  
فبالنفس اسلو عنك لا بالتجلد

وكان قد اراد بهذا البيت انه يسلو بنفسه لا بالتجلد كما هو المتعارف عند بقية الناس ، عند وفاة عزيز او حبيب ، وهو ينبيء عن فجيعة يفقد هذه الجارية .

وقد روت السيدة شهدة ان ابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤ هـ) قد اخفى عند اخته عليّة بنت المهدي في زمن المأمون ، وكانت تكرمه غاية الاكرام ، وقد وكلت به جارية قد ادبتها وانفقت عليها الاموال ، وكانت حاذقة ، راوية للشعر ، ثم اورد ابن الجوزي نماذج شعرية غزلية لابراهيم بن المهدي في تلك الجارية (٣٩) ويلاحظ في جميع النصوص التي استقاه ابن الجوزي عن شيخته شهدة الابري انها تدور في الحب والغزل والغرام ، وتوضيح بعض العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة ، عدا نصاً واحداً ذكرت فيه ان شفوانة العابدة (ت ١٧٥ هـ) قدمت مكة مع زوجها لاداء فريضة الحج ، وكانا يطوفان في البيت ويصليان فيه ، وقد اوردت دعاءً لكل منهما (٤٠)، ولم اجد بين النصوص التي روتها السيدة شهدة ما يشير الى علميتها ومكانتها في الفقه والحديث كما عبرت عنها المصادر التي تناولت ترجمتها ، وذلك يصرفنا عن التعرف على هذه العاملة في العلوم الاسلامية .

### هوامش البحث

- (١) ابن الجوزي : المنتظم ٢٨٨/٨٠
- (٢) ابن الاثير الكامل ٤٥٤/٨١ ، ابن خلكان وفیات الاعيان ٤٧٧/٢ ، الذهب العبر ٢٢٠/٤
- (٣) اليافعي : مرآة الجنان ٤٠٠/٣ ، ابن العماد شذرات الذهب ٢٤٨/٤
- (٤) ابن الجوزي المنتظم ١١٧/٨
- (٥) السمعاني : الانساب ٩٥/١
- (٦) ابن خلكان وفیات الاعيان ٤٧٧/٢ ، الذهب العبر ٢٢٠/٤ ، اليافعي : مرآة الجنان ٤٠٠/٣
- (٧) الفوجي : التاج المكلل ص ٥٦
- (٨) الذهب العبر ٢٢٠/٤

لقد كانت بين المحدثه شهدة والخلافة العباسية روابط عائلية ، فهي قد تزوجت ثقة الدولة ابا الحسن علي بن محمد الدويني ( ٤٧٥ - ٥٤٩ هـ ) الذي كان يخدم اباها ابا نصر أحمد بن الفرج الابري ، فزوجه ابنته الكاتبة شهدة فقربه الخليفة المقتفي لامر الله ووكله فبنى مدرسة بباب الازج (٢٣)، ومن الجدير بالذكر ان السيدة شهدة قد نقلت العلم عن زوجها ابي الحسن الذي كان من اعيان العراق وامائله ، متودداً متواضعاً خيراً كثير الصدقات ، اديباً ، شاعراً ، مقتدرأ لطيفاً ، وكان مقرباً الى الخليفة المقتفي لامر الله ، يشاوره ويدنيه منه ، وهو بدوره كان يسعى الى اعادة الدولة العباسية الى حالة من القوة والاستقلال بتخليصها من النفوذ الاجنبي ، وبنى مدرسة لاصحاب محمد بن ادریس على شاطيء دجلة في باب الازج من بغداد عرفت باسم المدرسة الثقتية نسبة الى ثقة الدولة وبأسم مدرسة الاصحاب ، نسبة الى اصحاب محمد بن ادریس (٢٤)، ويشير ابن الجوزي الى علاقة شهدة بالخلافة العباسية بقوله : « وتزوجت ببعض وكلاء الخليفة وعاشت مخالطة للدار ولاهل العلم ، وكان لها بر وخير وقرى عليها الحديث سنين وعمرت حتى قاربت المائة » (٢٥)، وقيل جاوزت التسعين (٢٦)، ويؤيد هذه الصلة الوثيقة ما كان عند وفاتها في الرابع عشر من المحرم عام ٥٧٤ هـ فقد صلى عليها في جامع القصر وازيل شباك المقصورة لاجلها وحضرها خلق كثير وعامة العلماء ودفنت في مقبرة باب ابرز (٢٧)، ويقال ان الخليفة صلى عليها وشهدا ارباب الدولة (٢٨) .

كانت الكاتبة الابري قد انشأت في مدينة بغداد برحبة جامع القصر رباطاً للمتصوفة والزهاد ، بقي قائماً بعد وفاتها فقد ذكره ابن الدبيثي عند ترجمته لابي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن الحازمي الشافعي (ت ٥٨٤ هـ) بقوله : « قرأت على الحافظ ابي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي كتابه ببغداد برباط الكاتبة برحبة جامع القصر الشريف » (٢٩)، وكان عبدالله بن خميس ابو المظفر الفقيه من أهل أهر باذربيجان قد قدم بغداد ودرس الفقه فيها ، وتكلم في المسائل الفقهية ، وناظر بعض الفقهاء ، واعاد الشافعي ، وولي خدمة الصوفية برباط الكاتبة شهدة بنت أحمد الابري برحبة جامع القصر (٣٠)، ويبدو ان السيدة شهدة قد قلدت في هذا الباب زوجها ثقة الدولة الانباري الذي بنى مدرسة في باب الازج والى جانبها رباطاً للمتصوفة (٣١) .

ان الروايات المنقولة عن المحدثه شهدة الابري والمودعة في كتاب « المنتظم » لابن الجوزي ، تناولت اخبار النساء عبر مختلف العصور ومعظمها مرفوع الى شيخها ابي محمد جعفر بن أحمد السراج ، منها النص المتعلق بنساء لقمان بن عاد الذي انفرد به ابن الجوزي ، اذ لم نجد له ذكراً في تاريخ الطبري (٣٢)، وغيره من المصادر ، وفي الحديث عن جميل بن معمر (ت ٦٥ هـ) روت السيدة شهدة من شعره الوجداني ابياتاً طريفة في بثينة (٣٣)، وكذلك روت لقيس بن الملوح (ت ٨٠ هـ) بعض اشعاره في ليل (٣٤). وفي غضون الحديث عن عبدالله بن جعفر (ت ٨٠ هـ) ذكر ابن الجوزي نصاً مسنداً ومرفوعاً الى السيدة شهدة يتناول هيام يزيد بن معاوية بجارية كانت لعبدالله بن جعفر ، وهو حديث طويل ، سرده ابن

- (٧) ن. م. دول الاسلام ٨٧/٢، اليافعي، مرآة الجنان ٤٠٠/٢، ابن العماد، شذرات الذهب ٢٤٨/٤
- (٨) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤٧٧/٢
- (٩) ابن الاثير: الكامل ٤٥٤/٨١
- (١٠) الذهبي: العبر ٢٢٠/٢، مرآة الجنان ٤٠٠/٢، ابن العماد، شذرات الذهب ٢٤٨/٤
- (١١) مصطفى جواد: في التراث العربي (المعاهد الخيرية النسوية) ١٢٤/٨، انظر ببوكراي أونيفيرسل ٢٤٠/٨٢
- (١٢) مصطفى جواد: هامش تكملة اكمال الاكمال ص ٨٤
- (١٣) السمعاني: الانساب ٩٦/٨
- (١٤) ابن الجوزي: دم الهوى ص ١١٢، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ٢٧٠ وغيرها تلييس ابليس ص ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٤٨
- (١٥) ابن الجوزي: المشيخة ورقة ١١٧
- (١٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨/ق ١ ٣٥٢
- (١٧) ابن الجوزي: المنتظم ١٥١/٨
- (١٨) مصطفى جواد: هامش تكملة اكمال الاكمال ص ٨٤، في التراث العرسى (فخر النساء) ٣٦/٨
- (١٩) ن. م. في التراث العرسى (فخر النساء) ٣٤/٨ - ٣٨
- (٢٠) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٤٨
- (٢١) مصطفى جواد: في التراث العربي (فخر النساء) ٣٣/٨ - ٣٣٨
- (٢٢) المنذرى: التكملة ٥/٥، ٥٢، ٥٤، ٨٢، ٩٠، ١٠٢، ١١٩، ١٧٢ وغيرها ٥٨، ٢٢، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٦٨، ٧٩، ٨٢، ١١٥، ١٢٧ وغيرها
- ابن الفوطى: تلخيص مجمع الاداب ١/ق ١ ٦٧٧، ٧٨٦
- (٢٣) ابن الاثير: الكامل ٢٠٠/٨١، ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤٧٨/٢
- (٢٤) مصطفى جواد: في التراث العربي (فخر النساء) ٤٠/٨ - ٤١
- (٢٥) ابن الجوزي: المنتظم ٢٨٨/٨٠، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨/ق ١ ٣٥٢
- (٢٦) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤٧٧/٢، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨٤/٨
- (٢٧) ن. م.
- (٢٨) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨/ق ١ ٣٥٢
- (٢٩) مصطفى جواد: في التراث العربي (المعاهد الخيرية النسوية) ١٢٤/٨
- (٣٠) ن. م. ١٢١/٨ - ١٢٢
- (٣١) ن. م.
- (٣٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ق ١ ورقة ١١٥
- (٣٣) ن. م. ٨/ورقة ١٨ ب
- (٣٤) ن. م. ٨/ورقة ٤٦ - ١
- (٣٥) ن. م. ٨/ورقة ٩٢ ب - ٩٤ ب
- (٣٦) ن. م. ٨/ورقة ١٠٣ - ١ ب
- (٣٧) ن. م. ٨/ورقة ٣٤
- (٣٨) ن. م. ٨/ورقة ٤٩
- (٣٩) ن. م. ٨/ورقة ٤١
- (٤٠) ن. م. ٨/ورقة ٦ ب

## مصادر البحث ومراجعته

- ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني (ب ٦٢٠ هـ)
- ١ - الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م
- ابن تغرى بردى: جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ)
- ٢ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستانتينوبوليس وبشرگاه/ القاهرة، بلا تاريخ
- ابن الجوزي: جمال الدين ابراهيم الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)
- ٣ - تلييس ابليس، او نقد العلم والطماء، الطباعة الميرييه/ القاهرة ١٣٦٨ هـ

- ٤ - دم الهوى، تحقيق مصطفى عبدالواحد، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م مطبعة السعادة، مصر
- ٥ - المشيخة، مخطوطة مصورة عن المكتبة الظاهرية بدمشق، في مكتبة المجمع العلمي العراقي/ بغداد، بحث رقم ٩٨
- ٦ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد الدكن/ الطبعة الاولى ١٣٥٩ هـ والاجراء المخطوطة المصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي/ بغداد عن مكتبة احمد الثالث
- وترخانة في استانبول
- ابن خلكان: شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٠٨ - ٦٨١ هـ)
- ٧ - وفيات الاعيان وانباء الزمان، تحقيق الدكتور احسان عباس دار صادر/ بيروت الذهبي: شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
- ٨ - العبر في خبر من غير تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦ م
- ٩ - كتاب دول الاسلام، تحقيق فهمي محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م
- سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤ هـ)
- ١٠ - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد الدكن، الهند، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م
- السمعاني: ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ)
- ١١ - الانساب، اعتناء مرجليوث، والبسطة التي صححها الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلى اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد الدكن، الهند الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٣ م
- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)
- ١٢ - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة/ مصر، الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م
- ابن لعماد: ابو الفلاح عبدالحي الحنظلي (ت ١٠٨٩ هـ)
- ١٣ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب، عنيث بنشره مكتبة القدس/ القاهرة ١٢٥٠ هـ
- ابن الفوطى: كمال الدين عبدالرزاق بن احمد الشيباني (ت ٦٤٢ - ٧٢٢ هـ)
- ١٤ - تلخيص مجمع الاداب في معجم الاقارب، تحقيق الدكتور مصطفى جواد الطبعة الهاشمية، ومطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي/ دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م
- القزويني: ابو الطيب صديق بن حسن بن عيسى بن لطف الله الحسيني البخاري (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ)
- ١٥ - التاج المكل من جواهر مائر الطراز الجزء الاول، تصحيح وتعليق الدكتور عبدالسليم شرف الدين، المطبعة الهندية العربية/ بومباي ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م
- مصطفى جواد: الدكتور
- ١٦ - في التراث العربي، بحث يعقوب وفخر النساء، وبحث يعقوب، والمعاهد الخيرية النسوية، اخرج
- محمد جميل شلش وعبدالحميد العلوجي دار الحرية للطباعة/ بغداد ١٩٧٥ م
- ١٧ - هامش كتاب: تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والاقارب، لجمال الدين ابي حامد \* محمد بن علي الحمودي المعروف بابن الصابوني (ت ٢٨٠ هـ) مطبعة المجمع العلمي العراقي
- المنذرى: زكي الدين ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (٥٨١ - ٦٥٦ هـ)
- ١٩٥٧ م
- ١٨ - التكملة لوفيات النقلة، تحقيق الدكتور يشار عواد معروف، مطبعة الاداب/ النجف الاسرف
- ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م
- الدفعي: ابو محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان المكي (ت ٧٧٨ هـ)
- ١٩ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعثر من حوادث الزمان، مطبعة دائرة المعارف
- النظامية/ حيدر اباد الدكن، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ

# من خصائص سيرة السيدة شغب

د. مليحة رحمة الله  
استاذة مشاركة قسم التاريخ  
كلية الآداب - جامعة بغداد

القدامى كثيراً تجاوز ما كتب عن أمة امرأة حرة أو جارية في العصور العباسية قاطبة ربما جاوز ما كتب عن بعض الخلفاء أيضاً . وذكر البعض سلبياتها وآخرون أكدوا على إيجابياتها ومن المعروف أن لهذه المرأة سلبيات وإيجابيات شأنها شأن النساء اللواتي وصلن إلى أعلى المراتب من أمهات أو زوجات الخلفاء ممن جاء قبلها أو بعدها وسأحاول أن أبين الخصائص العشرة التي تميزت بها هذه المرأة دون غيرها من نساء بني العباس في العصورين الأول والثاني مشفوعة بادلة مما ذكره المؤرخون القدامى لاطلاع القارئ على سيرة تلك المرأة المهمة في التاريخ العباسي .

١ - التسمية : جارية أطلق عليها ستة أسماء .. عرفت بناعم (١٢) .. كما ذكر الطبري .. وعرفت بغريب كما قال السيوطي (١٣) . وانقرض ابن الأثير (١٤) باسم ظلوم . ثلاثة أسماء وهي ما تزال جارية قبل أن تصبح زوجة للخليفة المعتضد ثم استبدل اسم ناعم وهو الشائع إلى اسم شغب (١٥) . عند ولادتها لابنها الوحيد جعفر «المقتدر بالله» هذا ولم أجد أية إشارة واضحة عن سبب اختيار هذا الاسم وربما جاءت في العادة الجارية باستعمال أسماء غير لائقة أحياناً وفي غير مكانها وهي تدل على عكس المسمى تدللاً أو تفاؤلاً أو دفعاً للعين أو لمطابقة المسمى للاسم أو لمخالفة الشخص .. الخ . وقد سبق أن سميت زوجة المتوكل «أم المعتز بقبيحة» لجمالها الذي اشتهرت به ، أما شغب قبل لانها أنجبت ابناً ذكراً شقياً وتحريشاً كما ذكر البعض (١٦) . ثم أطلق عليها لقب السيدة (١٧) ، بعد أن أصبحت أمّاً لخليفة المسلمين «المقتدر بالله» تفخيماً وتعظيماً واحتراماً لها ويشير ابن مسكويه (١٨) إلى علو منزلتها فيقول أن الخليفة «المقتدر» كان يتردد دائماً على دارها والجلوس معها ولا يرد لها طلباً .. ثم أطلق عليها أغلب المؤرخين كنية «أم المقتدر» (١٩) والمتعارف عليه تقليداً أن تسمى الأم باسم ابنها الكبير ولكن السيدة شغب لم تكن باسم جعفر بل «أم المقتدر» وهو لقب الخليفة لا اسمه احتراماً لها ولابنها خليفة المسلمين هذا وقد جاء في نشوار المحاصرة للتوخي اسم «السادة» أطلق على المقتدر نفسه إضافة للسيدة شغب أمه وخالته خاطف وأم ولد المعتضد دستيسوه وهؤلاء جميعاً كانت لهم علاقة وثيقة بالخليفة

جارية أم القاسم بنت محمد بن عبدالله (١) ، رومية (٢) ، الاصل وقيل تركية (٣) . بيعت وأشتريت حتى أصبحت من جوارى الخليفة المعتضد بل من أخص جواريه شغب بها وتزوجها (٤) ، وقدر لهذه المرأة أن تلد ولداً ذكراً سمي جعفرأ وقيل اسحاق وكنى بأبي الفضل (٥) وأصبح خليفة المسلمين «المقتدر بالله» سنة ٢٩٥ هـ (٦) .. دامت خلافته خمسا وعشرين سنة انتهت ٣٢٠ هـ (٧) تعرضت الخلافة خلالها لهزات عنيفة نتيجة الانقسامات بين رجالات الحكم من المدنيين والعسكريين من جهة وفيما بينهم من الجهة الأخرى وخير ما وصف تلك الحالة قول الشاعر

خليفة في قصص بين وصيف وبغا (٨)  
يقول ما قالوا له كما تقول الببغا

هذا وبالرغم من ذلك سادت هيبة الخلافة في بعض فترات حكم المقتدر عندما تسلم زمام الحكم وزراء وقادة أقوياء كابن الفرات وموسى بن عيسى ومؤنس وغيرهم إلا أن هناك عوامل أخرى أدت إلى انحلال الخلافة ومنها

هجوم القرامطة على الحجاج وانقطاع الحج سنة ٣١٧ هـ (٩) وقد كان له أثر كبير على الدولة سياسياً واقتصادياً .. كما كان للمرأة دور كبير في هذه الفترة في إضعاف سلطة الخليفة بعد أن استولت على شؤون الدولة . وقد ساهمت مع الرجل في جميع مرافقها حتى وصلت إلى منصب القضاء لأول مرة وعلى رأسهن السيدة شغب أم المقتدر ومرافقاتها اللواتي لقبن بالقهرمانات كأم موسى وقاطمة وزيدان وشمّل وغيرهن ويكفي أن نذكر قول التونجتي (١٠) بعد مقتل المقتدر إذ أراد مؤنس القائد ترشيح ابن المقتدر أبي العباس وكان ما يزال صغيراً فاعترض عليه قائلاً «بعد الكبير استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم بديرونه فذموا إلى تلك الحال لا والله لا نرضى إلا برجل كامل يدير نفسه ويديرنا» وقال الفخري «واعلم أن دولة المقتدر كانت دولة تخطيط كثير لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، وأكد ذلك كثير من المؤرخين وسنحاول أن نبين ذلك عند الحديث عن سيرة السيدة شغب وهي التي يدور موضوعنا حولها .. المرأة التي كتب عنها المؤرخون

منذ صغره إذ اشرفن على تربيته .

٢ - وقدر لهذه الجارية ان تعيش في قصر الخلافة مدة طويلة جاوزت الاربعين سنة بصفة رسمية .. زوجة للخليفة المعتضد منذ سنة ٢٨٢ هـ لفترة تبلغ نحواً من خمس عشرة سنة حتى اصبح ولدها خليفة للمسلمين وكان له من العمر ثلاث عشرة سنة (٢١). فلقبت باسم أم المقتدر خلال فترة حكمه التي جاوزت خمساً وعشرين سنة فكان مجموع ذلك اربعين عاماً دون الفترة التي عاشت فيها قبل ذلك وهي جارية والتي لا نعلم عنها شيئاً هذه الفترة الطويلة انقردت بها هذه السيدة دون غيرها ممن سبقها او جنن بعدها والتي مهدت لها السبيل لنشر سيطرتها ونفوذها على الدولة والخليفة نفسه .

٣ - السيدة شغب تعتبر الوحيدة من بين امهات الخلفاء من بنى العباس ممن تسلم ابنها منصب الخلافة ثلاث مرات .. الاولى عند الترشيع في سنة ٢٩٥ هـ وهو لا يزال صغيراً ابن ثلاث عشرة سنة، فيذكر السيوطي (٢٢) « لم يل الخلافة اصغر منه سناً قبل ذلك »، ويؤكد ذلك المسعودي (٢٣) بقوله « لم يل من قبله في مثل سنه من الخلفاء وملوك الاسلام الخلافة .. أما المرة الثانية فقد حدثت بعد أربعة اشهر من تسلمه الخلافة خلع وجيء بعبد الله المعتز سنة ٢٩٥ هـ (٢٤) ثم أعيد المقتدر اليها بعد يومين فقط قتل على اثرها عبد الله بن المعتز .. أما المرة الثالثة فكانت بعد احدى وعشرين سنة من خلافته خلع على يد العسكريين برئاسة ابي الهجاء وجيء بأخيه القاهر بالله (٢٥) ولكن أعيد ايضاً بعد فشل المؤامرة ووجدت له البيعة وكان للسيدة شغب والدته دور كبير في كل هذه المرات بجانب دور بعض رجال الدولة من العسكريين مثل مؤنس ومن المدنيين من الوزراء كابن الفرات وآل الجراح وغيرهم . هذا وقد عرفت فترة حكم المقتدر بكثرة عدد الوزراء الذين تسلموا الحكم وقد قيل انهم بلغوا اثني عشر وزيراً (٢٦). ومنهم من وُزر مرتين ومنهم من وُزر ثلاث مرات ولم يكن لمثل ذلك سوابق ابان حكم خلفاء بنى العباس قاطبة .. كما لم يل الخلافة خلال العصور العباسية خليفة غلبت عليه النساء مثله واشار كثير من المؤرخين القدامى الى ذلك .

٤ - اوصافها - تحدها بأربعة (أ) الجمال (ب) الغناء (ج) الموسيقى (د) الشعر والأدب .

(أ) جارية لم تكن تملك جمالاً كما هو شأن اغلب الجوارى اللواتي دفعت لشرائهن المبالغ الطائلة للوصول الى دار الخلافة ودور رجال الحكم كالخيزران أم الرشيد وأم المستعين وزوجة المتوكل « قبيحة » وغيرهن من الجوارى المشهورات كدنانير وعريب وبعده . وكل الذي ذكر عن جمالها ومحاسنها في بطون كتب التاريخ انه « القهرمانه كانت جميلة الأطراف مستنة الأوصاف » (٢٧) . فأحبها المعتضد وتزوجها . وكما جاء على لسان أحد الشهود الذين اشرفوا على توكيلها في بيع املاكها بعد تعذيبها على يد الخليفة القاهر إذ وصفها بأنها امرأة عجوز « دقيقة الجسم سمراء اللون الى البياض والصفرة » وهذا كل الذي جاء في وصف جمالها بصورة عامة

(ب) جارية لم تكن تملك صوتاً يصلح للغناء ولا معرفة باصوله ولا مشاركة إذ لم تشر المصادر الى ذلك في شيء كما كان شأن

الجوارى المغنيات اللواتي يتهافت عليهن اصحاب الثراء وعلى رأسهم الخليفة كدنانير الجارية الصفراء التي دفعت اموال بالغة عند شرائها (٢٩) .. وبدعة التي دفع المعتصم مائة الف درهم لشرائها ثم اعتقها بعد وفاة المأمون وكانت تلميذة عند جارية المأمون عريب (٣٠) التي عرفت باجادتها الغناء وكانت تعتبر استاذة في هذا الفن تدرب على يدها عدد كبير من الجوارى وعلى رأسهن المغنية بدعة وغنت يوماً من صنع عريب .

اعاذلنى اكثرت جهلاً في السعدل

على غير شيء في ملاهى وفي عدلى (٣١)  
أما الجارية المغنية شادية التي تزعمت الغناء بعد وفاة المعتصم حتى اواخر الوراق فكانت تضرب على العود وهي القائلة للمأمون :

وتخلط بالهجر بالوصل ولا

يدخل في الصلح بيننا احد (٣٢)

(ج) جارية لم تكن ممن بحسن الضرب على الآلات الموسيقية او لها معرفة في ذلك كعبيدة الطنبورية التي نسبت الى الطنبور وكانت تملك الى جانب الموسيقى صوتاً عذباً يرافق العزف وهي القائلة في غنائها:

من احسن النساء وجهاً حتى تبصرها

واحذق الناس ان غنت بطنبور (٣٣)

ولكن بدعة المعروفة باحيانها الحفلات الغنائية والموسيقية في دور الوزراء .. وكان ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات على رأس من كان يهتم بمثل ذلك

(د) جارية لم تكن تملك موهبة أدبية او شعرية ولم تقرا عنها انها كانت تتدق الشعر او تستمع اليه كما هو حال دنانير او عريب او الجارية فضيل الشاعرة التي اتصفت بجمالها وبقابليتها الادبية وشغرة بديهيته .. وكانت يجتمع عندها الادباء وقد اشاد بها الشاعر ابن المعتز وغيره من الشعراء وهي القائلة في خلافة المتوكل :

استقبل الملك امام الهدى

عام ثلاث وثلاثين

خلافة افضت الى جعفر

وهو ابن سبع بعد عشرين

هذا لم يكن لشغب في كل اولئك شيء ولم تشابه واحدة من ذوات

الملكات المذكورات .

٥ - جهازها الخاص

كان للسيدة شغب جهاز خاص تابع لها مفصول عن اجهزة الدولة ولم تجد مثل هذه البدعة سابقاً حتى لزبيدة الهاشمية أم الأمين ولا غيرها وكان للسيدة شغب موظفون من كبار رجال الدولة تدفع لهم رواتب من خزينتها الخاصة والدليل على علو منزلة موظفيها ان البعض انتقل من الاشراف على ديوانها الى منصب الوزارة مباشرة كما هو حال الوزير الخصيبى الذي كان كاتباً لديها (٣٥) . بل ذهب البعض من موظفيها يرفض الانتقال الى منصب الوزارة وتفضيله البقاء لديها خوفاً من التعرض الى النكبات بعد خلعهم من الوزارة ضماناً لحالهم وحفظاً لحباهم واموالهم لانهم تحت حماية السيدة شغب وبرز من فضل البقاء لديها الكاتب المعروف بنزاهته وعفته «محمد بن عبد الحميد» الذي رفض الوزارة

أما طبقة الرجال من وزراء وكتاب وقواد فقد تعرضوا للمصادرة بأمر من السيدة شغب أيضاً ولم يحدث مثل ذلك سابقاً إذ أن الخليفة وحده هو الذي يصادر وزراء دائماً. ومن بين الوزراء الذين شملتهم أوامر السيدة شغب الوزير المعروف ابن الفرات الذي أطرى الشعراء حسن تدبيره وسياسته.

دولة.. بقولهم (وبرت في ساعة دولة.. تميل لفيرك في أشهر) (٤٧). وكذلك الوزير الصالح القدير علي بن عيسى هو نفسه تعرض الى عقوبة السيدة شغب سنة ٢٠٧ هـ (٤٨)، أما كاتبها الخصيب الذي أصبح وزيراً بمعاونتها فنكبت واسترجعت منه أموالاً كثيرة (٤٩). وكذلك الوزير الخاقاني فقير علي واستخرج منه بأمر السيدة شغب والخالة خاطف ٧٠٠ ألف دينار (٥٠) وهكذا كان شأن الآخرين وهناك ممن شملتهم شفاعاة السيدة فلم تصادر أموالهم كابن جعفر ابن شيزاد كاتب خالة السيدة شغب هارون بن غريب الذي اتصل بها سنة ٢١٥ هـ عندما تعرض لنكبة طالبا شفاعتها فتخلص بذلك من العقوبة وأُخِي سبيله (٥١).

(ب) الرشوات :

وهي الأخرى أصبحت سنة متبعة وكانت لا تعتبر في العمليات الأخلاقية، تؤخذ من الأشخاص الذين يودون الحصول على مناصب كبيرة كمَنْصب الوزارة.. فحامد بن عباس كان «طامعاً بالوزارة وأعداً أياها بالمال فتم له ما أراد» (٥٢). وابن الفرات مع ما يملك من مقدرة وكفاءة وثقافة إلا أنه هو الآخر تعهد في وزارته الثانية أن يدفع للسيدة شغب وللخليفة في كل يوم ألفاً وخمسمائة دينار (٥٣) ويذكر مسكويه (٥٤)، أنه كان يدفع للمقتدر في كل يوم ألف دينار وللسيدة شغب ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث دينار وللاميرين ابن العباس وهارون ابني المقتدر في كل يوم مائة وستة دنانير وثلثا فالرشوة كُتِل معترفاً بها ليس على صعيد الخلفاء بل شملت الأمراء والوزراء والقادة أيضاً ونشير هنا الى قصة توضح مفهوم الرشوة وموقف المرتضى في أصحاب المراتب العالية تجاه الرشوة فالوزير الخاقاني كان من بين الوزراء الفاسدى التدبير ذكر أنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناطقاً لكوفة وأخذ في كل واحد رشوة فاندردوا واحداً واحداً للكوفة حتى اجتمعوا جميعهم في بعض الطرق فقالوا كيف يصنع فقال حدهم : اردتم بصفة فيبغى ان ينحدر الى الكوفة آخر عهد بالوزير فهو الذي ولايته صحيحة هذا وهجاه أحد الشعراء قائلاً :

وزير لا يمل من الرقاعة	يؤثر ثم يعزل بعد ساعة
ويدنى من تعجل منه مال	ويبعد من توسل بالشفاعة
إذا اهل الرشوا ساروا اليه	فاخلى القوم اوفرهم بضاعة

كما ان السيدة شغب كانت تمُد يدها علناً وبدون تردد تطلب من الوزير أن يدفع ما تحتاجه من أموال .. أرسلت يوماً قهرمانتها أم موسى للوزير علي بن عيسى سنة ٣٠٤ هـ (٥٦) ، لتوافقه على ما يطلع في عيد الأضحى للخدم والحاشية وعند رفضه مقابلتها لانشغاله بشؤون الدولة تعرض الى النكبة بعزله ثم سجنه وبالرغم من تقديمه الاعتذار إلا أنه لم يستطع التخلص من يد السيدة شغب وأم موسى .

عندما عرضت عليه (٣٦).. ومن بين الشخصيات البارزة ممن ساهم بديوانها البريدى (٢٧). وهارون ومحمد والخصيبى.. هذا وقد اتخذت السيدة شغب أيضاً كاتباً خاصاً يقوم بإدارة ضياعها وحشمتها سنة ٢١٤ هـ وكان عبدالرحمن بن محمد بن سهل تولى أمورها بعد قبول الخصيبى الوزارة وعندما عزل من الوزارة ونكب تمنى لو لم يترك منصبه لدى السيدة شغب لأنها كانت أنفع له من الخليفة (٣٩).. وبجانب هؤلاء توجد أعداد كبيرة من الموظفين في جهازها الذى توسع نتيجة توسع نفوذها وثروتها وحاشيتها

٦ - الثروة :

عرفت السيدة شغب بالثراء، الموفور الذى تجاوز ما كان يملكه حتى بعض الخلفاء وأية امرأة في البلاط العباسى وفي بعض الفترات تجاوزت هذه الثروة، ثروة الخزانة العامة مما دفع ولدها المقتدر مراراً الى طلب المساعدة المالية منها عندما تعرض الى مشاكل خطيرة كمشكلة هجوم القرامطة على قوافل الحج وعلى العراق سنة ٢١٧ هـ. هذا وقد ذكر ان دخلها من املاكها بلغ الف الف دينار في السنة (٤١)، وجاء في المنتظم لابن الجوزى (٤٢) «كان لها أموال عظيمة تفوق الاحصاء وكان يرتفع لها في ضياعها في كل عام الف الف دينار» وذكر أيضاً أخرجت مرة من تربتها ٦٠٠.٠٠٠ دينار (٤٣)، حيث كانت مخبأة خارج الخزانة كما كانت تملك كثيراً من البضائع الثمينة والرياش والجواهر كقص الياقوت الاحمر الذي اشتراه الرشيد بـ ٣٠٠ الف دينار وكذلك الدرة الثمينة التي تزن ثلاثة مثاقيل وغيرها (٤٤). وقد ذكر التنوخى في نشوار المجاهرة قصصاً كثيرة تشير الى تلك الثروة والمجوهرات والرياش والالبسة الثمينة وغير ذلك.

ولابد من ان نتعرف على المصادر والوسائل التي استخدمتها السيدة شغب في جمع مثل تلك الثروة الكبيرة التي كانت سبباً مباشراً لقتل ابنها المقتدر وإلى النكبة المؤلمة التي انتهت بها حياتها أيضاً.. فالوسائل كثيرة تبدأ ،

(١) المصادرات - هذه العملية لم تكن وليدة عهد المقتدر بل قام بها الخلفاء الذين سبقوه اى منذ عهد المنصور واستمرت من بعده حتى أصبحت في عهد المقتدر سنة متبعة مورداً خصباً (٤٥). للخزانة الخاصة به وبالسيدة شغب.. والمصادرات كما هو معروف تطبق على الوزير المعزول وعصبته بالدرجة الاولى ولكن في عهد السيدة شغب توسعت وشملت النساء بجانب كبار رجال الدولة.. فالقهرمانات وهن من كبريات حاشية السيدة شغب تعرضن لها عند نكبتهن، كما هو الحال مع القهرمانة أم موسى صاحبة النفوذ الواسع فقد تعرضت مع اختها الى المصادرة بعد أن زوجت ابنة اختها من أحد الأمراء من احفاد المتوكل وكان من أهل المروءة والنفعة.. صديقاً للوزير الصالح علي بن عيسى، انفقت أم موسى أموالاً كثيرة في هذه المناسبة مما جلب عليها الحساد والواشين الذين حاولوا اقناع المقتدر وأمه السيدة شغب على ان هذه الزيجة كانت بدافع نقل الخلافة من المقتدر الى الصهر الجديد فنكبتها السيدة شغب بالتعاون مع ابنها المقتدر وسلمتها الى القهرمانة ثمل المعروفة بشراسستها وقساوتها لمناظرتها واستخرجت منها أموالاً كثيرة عينية ونقدية وحرى لها ما جرى على يد ثمل (٤٦)



## ٧ - الحاشية :

السيدة شغب حاشية كما هو شأن بقية امهات وزوجات الخلفاء الذين سبقوها أوجثن من بعدها ولكن حاشيتها تختلف عنهن جميعا من حيث كثرتها فضلا عن شمولها للجنسين رجالا ونساء فالمجموعة الاولى تشمل كبار رجالات الدولة من وزراء وكتاب وحتى القواد العسكريين كمؤنس الذي يعتبر صاحب الفضل الكبير في ارجاع المقتدر الى كرسى الخلافة ، عند خلعه للمرة الاولى والثانية. كما ان الوزير ابن الفرات الذي تسلم الوزارة ثلاث مرات يعتبر من المقربين اليها فهي القائلة له يوما عندما وضعت ابنها الخليفة المقتدر في حجره وكان صغير السن آنذاك « هذا يا ابا الحسن ولدك ، وانت قلته الخلافة اولا وثانيا » واجابها قائلا : « هذا مولاي وامامى ورب نعمتى وابن مولاي وامامى » (٦٤) ، اما من بين الكتاب المقربين لها « أحمد بن عبد الحميد » كاتبها الخاص والمعروف بملازمتها حتى وفاته، اما الآخرون منهم من شاركته بالتجارة والضمان والاحتكار كحامد والخصيصي وغيرهم اما المجموعة الثانية في الحاشية « الحريم » وهؤلاء كن على مستويات مختلفة تشكل مجموعة منهم اقارب الخليفة وهم يعيشون في البلاط وسبق وان اشرفوا على تربية المقتدر وعلى راسهن الخالة خاطف ام والد المعتضد وكن يلقين بالسادة اسوة بالسيدة لعل منزلتها. اما المجموعة الثانية فهن اللواتي يشكلن الطبقة الارستقراطية اطلق عليهن لقب القهرمانات كان لهن تأثير ودور كبير في جهاز الدولة مالم يكن له مثيل في السابق وقبل ان تتوسع في البحث عنهن لابد من الإشارة الى مفهوم كلمة قهرمانة وجمعها قهارمة (٦٥) ، « معناها مدير البيت وابن الدخل والخرج » وهي كلمة معربة.

ومن القهرمانات في ذلك الحين فاطمة وام موسى وشمل وام زيدان ونظم وغيرهن. أما وظائفهن فقد بدأت باشرافها على نقل الرسائل من الخليفة واليه وهذه المهنة تعتبر وظيفة حساسة ومهمة لانها تعتمد على السرية وسلامة الاخبار ولكونها متصلة بالخليفة مباشرة .. ويضعف الخلفاء واحتجابهم عن الناس ازداد تسلطهم عليه وبالتالي على مرافق الدولة خاصة في العصر العباسي الثاني « عهد المقتدر » قيل كانت دولته في سنه الاولى منقادة لآراء جواريه والحاشية والسيدة شغب والدته وقهرماناتها .. وكما جاء في الفخرى (٦٦) « كانت دولته تدور امورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذاته » . هذا ومن مظاهر سعة نفوذهن في هذه الفترة ما سأوضحه في النقاط التالية :

١ - منهن من توصلن الى القيام بتعيين الوزراء وعزلهم ايضا حتى كان من بينهم وزير صالح متمتع بقوة الشخصية كعلي بن عيسى لمجرد عدم رضى القهرمانة أم موسى عنه كان قد تعرض الى العزل والحبس وهكذا الحال مع حامد بن العباس والخصيصي وغيرهم . ومن بين القهرمانات من اعطيت لهن صلاحيات واسعة كأشرافها على تعذيب وحبس الوزير المظلوع فأم زيدان كانت قد سجنحت علي بن عيسى واشرفت على حبسه عندما عزل من الوزارة (٦٧)

الاستيلاء على اموال غير مشروعة تابعة لموظفيها في جهازها الخاص بعد وفاتهم كما فعلت مع كاتبها المخلص الشيخ الجليل « محمد بن عبد الحميد » سنة ٢٠٧ هـ مدت يديها الى تركته واخذت منها مائة الف دينار من العين (٥٧) وهذا العمل لا يتماشى مع الشرع والتقاليد .. الاجتماعية وذكر انها حاولت مرة اخرى مد يدها الى الوقوفات عندما ارسلت قهرمانتها للقاضي ابن بهلول تطلب منه كتاب وقف بضيعة كانت ابتاعتها وكان كتاب الوقف مخزونا في ديوان القضاء واراوت اخذه لتعزقه وتمتلك الوقف وبعد المداولة والمعارضة الشديدة مع القاضي ابن بهلول الذي اضطر ان يقدم شكوى للمقتدر نفسه تراجعت بعد ذلك عن مطلبها لكونه عملا غير شرعى (٥٨) ويقال انها كانت تمنح المال وتمنعه فانها كانت تفضل ذلك على اساس السلطة التي تباشرها (٥٩) .

## (د) طرق التنمية :

واقصد بذلك تنمية ثروتها التي بلغت عن ممارسة طرق التنمية وهى التجارة والضمان والاحتكار ما بلغت اليه الوفرة .. فالعملية الاولى التجارة .. هذه المهنة لم تعد ينظر اليها بازدراء كما هو الحال في صدر الاسلام بل اصبح العرب بصورة عامة وعلى رأسهم الخليفة والحاشية وكبار رجالات الدولة يمارسونها بحرية وفخر واشتركت النساء في مزاوله التجارة ومن ضمنهن نساء البلاط العباسي وعلى راسهن السيدة شغب وقهرماناتها ويكفى ان نشير الى موقف السيدة شغب من التاجر المعروف ابن الجصاص الذي وقفت الى جانبه تطلب له الشفاعة من ابنها المقتدر حين تعرض التاجر الى النكبة فاخذت منه اموالا عظيمة فاذا بالسيدة شغب تشفع له وتدعوه لمقابلتها بدون سابق ثم ارجعت اليه ما صودر منه خاصة اعدال « الخيش » (٦٠) التي حملها معه من مصر.

## ٢ - الضمان :

عملية متداولة ومعروفة في عهد المقتدر .. كان يقوم بها اصحاب الثروات والملكيات الكبيرة وعلى رأسهم الوزراء . فحامد ابن العباس الوزير المعروف الذى قام بضمان منطقة السواد مما أدى الى خراب البلد وكانت للسيدة شغب يد في هذه العملية اذ انها كانت تضمن ضياعها الواسعة الكبيرة باشراف كتابها فابو يوسف البريدى (٦١) قيل كان يسعى جاهدا لضمان ضياع السيدة شغب على أحد التجار .. وطالما كانت تأتي ظلامات في المناطق التي في حوزتها كما حدث في منطقة جنبلات والسبيبة وقد اشار التنوخي (٦٢) الى عمليات اخرى كانت السيدة شغب قد مارست الضمان .

## ٣ - الاحتكار :

هذه العملية مرتبطة بالضمان سبق وان قام عدد من الوزراء باحتكار الحبوب خاصة وأدى ذلك الى الغلاء من جراء انقطاعها فعرض الناس الى الجوع والهلاك .. كالوزير حامد ابن عباس الذى قام بالتعاون مع السيدة شغب فكانت قد عرضت الدولة الى الخراب .. فاضطر المقتدر الى الوقوف ضدهما وامر بفتح مخازن الحبوب فانخفضت الاسعار وتمكن من كسر احتكار المحتكرين (٦٣) . هذا ولم يشر المؤرخون الى امرأة ساهمت بالقيام بعملية الضمان والاحتكار كما فعلت السيدة شغب .

ومن بينهم ايضا من قامت بالاشراف على البريد بين الخليفة ووالدته وبينها وبين الوزراء ولا يخفى ما لهذه الوظيفة من اهمية سلمت بيد القهرمانة فاطمة وبعد وفاتها سلمت الى القهرمانة صاحبة النفوذ الواسع أم موسى (٦٨) .

اعلى ما توصلت اليه منزلة القهرمانة باعطائها الاشراف على بيت المظالم (٦٩) . الوظيفة التي لم تسلم لغير الخليفة ولكن في سنة ٣٠٦ هـ امرت السيدة شغب القهرمانة ثمل القاسية ان تجلس بالرصافة للنظر بالمظالم في كل جمعة وذلك بحضور الفقهاء والقضاة والاعيان وكانت تبرز التواقيع وعليها خطها وانكر الناس ذلك واستبشعوه وكثر عيبهم له والطعن فيه وجلست اول يوم فلم يكن لها فيه طائل ثم جلست في اليوم الثاني واحضرت القاضي ابا الحسن فمن امرها واصلح عليها وخرجت التوقيعات على سواد فانتفع بذلك المظلومون وسكن الناس الى ما كانوا نافروه من تعودها ونظرها . هذا وبلغت منزلة القهرمانة الى درجة الارتباط العائلي مع اولاد القادة العسكريين وحتى الامراء ، فالقهرمانة فاطمة زوجت احدى بناتها من بنى بن نفيس « احد القادة الكبار » (٧١) . اما أم موسى زوجت بنت اختها من أحد احفاد المتوكل « ابي بكر بن العباس » وكانت تلك الزيجة سببا في نكبتها . سبق وان اشرنا الى ذلك في موضوع الحاشية .

هذا وكان من بينهم من اسند اليهن الاشراف على الدخل والخرج لما تملكه السيدة شغب من اموال وضياع واسعة ومن بينهم من كن يمتلكن الاموال الطائلة مما حدا ببعضهن بالانشاء ديوان خاص يدير شؤونهن المالية وهذا يدل على سعة ثروتهن التي نافست ثروة السيدة شغب واكثر من ذلك .

(ج) أما المجموعة الثالثة فهن بقية الجوارى اللواتي لم يكن لهن دور او تأثير يذكر على سياسة الدولة او المجتمع فالسيدة شغب كانت تملك اعدادا كبيرة من الجوارى طالما شاركتهن في المسرات والملاذات وانفقت عليهن اموالا كثيرة كما اعتقت اعدادا منهن .. اذ عرفت السيدة بعطفها وحسن معاملتها لجواريا .

## النفقات

كانت السيدة شغب كثيرة الانفاق الى درجة الاسراف وربما ساعدها ما كانت تملكه من ثروة كبيرة فابن الجوزي يشير الى ذلك بقوله « كانت لها اموال عظيمة تفوت الاحصاء كان يرتفع لها من ضياعها في كل عام الف الف دينار وكانت تتصدق باكثر من ذلك » . رغم كل ذلك اتهمت من قبل بعض المؤرخين بالحرص على ثروتها الى درجة اتصافها بالبخل متهمين اياها بعدم اعطائها المال لابنها المقتدر في حربه لمؤنس والذي قتل على اثرها وسنحاول ان نشرح ذلك بعد ان نبين الاوجه التي انفقت فيها الاموال من قبل السيدة شغب وهما :

١ - اسرافها وبذخها في امور لا تعود بالنفع على الدولة بل على نفسها بامتلاكها لصناديق كبيرة تحتوى على البسة ورياش واقمشة وجواهر وكثير من الامتعة الثمينة الغالية حتى قيل انها كانت تطلي بعالها بالمسك والعنبر المذاب وكان يعمل لها من الثياب الديبكية المخيطة بالابريسم مالا تلبسه اكثر من عشرة ايام (٧١) .

٢ - الانفاق على الولائم والحفلات التي تقام في مناسبات خاصة فذكر المؤرخون ان في حفلة ختان اولاد المقتدر نشر عليهم خمسة آلاف دينار عينا ومائة الف درهم .. وجميع ما انفق بلغ ستمائة الف دينار (٧٢) . وهناك حفلات خاصة كانت تقام في دار السيدة شغب ويحضرها عدد كبير من الجوارى الجالسات بعد ان شرب المقتدر بحضور السيدة شغب أمر بشراء جميع الجوارى اللواتي حضرن الجلسة الغنائية (٧٣) .

٣ - الهدايا الثمينة الغالية السعر التي كانت تقدمها الى حاشيتها وخواصها ويكفى ان نذكر القرية الفضية الثمينة التي ارسلت الى دار ابي القاسم بمناسبة تطهير احد ابنائها وجاء ذلك تلبية لرغبة القهرمانة نظم وهي على علاقة متينة بأبي القاسم فحملت له مع من حمل من فرش وثياب وهدايا اخرى وكانت القرية خاصة بالخليفة المقتدر عزيزة لديه (٧٤) .

وبالرغم من كثرة الاسراف والبذخ في وجوه لا اهمية لها فان المؤرخين اجمعوا على ان السيدة شغب انفقت اموالا كثيرة على الاعمال الخيرية وكانت تبذل المال بسخاء في سبيل البر والاحسان ومن تلك الاعمال الخيرية بيمارستان السيدة شغب الذي يقع في سوق يحيى وجلس سنان بن قرة فيه ورث المتطبين وكان مبلغ النفقة سبعة آلاف دينار (٧٥) كما انها كانت تواظب على مصالح الحجاج وتبعت خزانة الشراب والاطباء معهم وتأمر باصلاح الحياض وكانت توقف الاوقاف (٧٦) على المصالح الخيرية بالرغم مما قيل عنها انها ارادت ان تتخلص من الضريبة بقيامها بمثل هذا العمل .. واعتقد ان هذا اتهام لا يتماشى مع ما تتمتع به شغب من سلطة واسعة بها تتخلص من الضريبة بسرعة .. كما انها ساعدت على التخلص من القرامطة عندما قطعوا طريق الحاج ومنع الحجاج من زيارة مكة سنة ٣١٧ هـ (٧٧) .

## ٩ - خصائصها الموروثة والمكتسبة .

لم نعرف شيئا عن الاصول التي انحدرت منها شغب ونقصد بذلك نسب الأم والأب . وبعد دراستنا لمسيرة حياتها نستطيع ان نجزم انها لا تملك من الذكاء الموروث شيئا وذلك لعدم اتصاف والديها بهذه الصفة كما ظهر منها .. فخلال سيرة حياتها الطويلة في دار الخلافة وهي ارفع دار في العالم الاسلامي لم نجد اية اشارة تدل على انها كانت تتمتع بذكاء او بثقافة علمية كانت ام أدبية اللهم الا ان هناك قصتين الاولى تشير الى ان السيدة شغب ارسلت يوما احد خدمها ليجلب الكتب التي يقرؤها « ابو العباس » محمد بن المقتدر على يد معلمه الصولي وقد عرضت الكتب عليها ومن ثم امرت بارجاعها بعد ان اطلعت عليها فوجدت انها صالحة للتدريس (٧٨) .

هذه القصة قد تكون مبالغيا فيها كما اعتقد لسببين اولهما ان شغب لم تكن تملك شيئا من الثقافة لدرجة استطاعتها تميز الكتب المنهجية بصورة خاصة ومعرفة مدى صلاحيتها للتدريس وهذا من شأن المربين دون غيرهم من الناس . والسبب الثاني ان المربي هو المؤرخ الكبير الصولي فمن غير المحتمل ان تراقب شغب بالذات الكتب التي يقوم بتدريسها

اما القصة الثانية فتذكر ان الحواليقي والحسين بن اسماعيل

المحامي احضرتهما شغب الى دارها ليمتحنها ابا العباس بن المقتدر فوجدها متمكنة من العلوم التي كان يدرسها على اساتذته (٧٩). هذا الخبر قد يكون جائزاً لكونها لم تتدخل في صميم المادة بل اكتفت بالاعتماد على اقوال العالمين المحامي والجوابلي . . . والبعض يرى موقفها هذا دليلاً على قوة عزميتها وبعد نظرها باهتمامها بمراقبة ما كان يدرسه احفادها الامراء ولكن استبعد ذلك للأسباب التي ذكرتها سابقاً وربما ذكر البعض هذه القصص الغاية رفع منزلة السيدة شغب حتى في مجال الثقافة .

اما الخصائص المكتسبة واعنى بها العوامل التربوية التي ظهرت في سيرتها خلال حياتها في دار الخلافة ومدى تأثيرها في سلوكها فقد ورد في كتب المؤرخين جميعاً انها كانت تتمتع بقوة الشخصية التي فرضتها على من حولها رجالاً ونساء فقد كانت غريزة حب السيطرة والتمكك قوية عندها ساعدتها ظروفها الحياتية على اظهارها وتقويتها فهي الزوجة وهي الام لخليفة المسلمين لفترة طويلة كانت كافية لتنمية تلك الغريزة كما ان الوضع السياسي المضطرب في فترة ولدها المقتدر والنزاع ما بين طبقة الوزراء من جهة وما بينهم وبين العسكريين من الجهة الاخرى ساعد على تدخلها في شؤون الدولة ان رجال الحكم كانوا يحاولون التقرب منها لينالوا ما ينالون من منصب او جاه او مال، هذا ومن ملامح سيطرتها التربوية انها لم تحسن تربية ولدها الوحيد المقتدر بدفعه الى الانغماس في الملذات واللهو بدلا من توجيهه نحو حياة الجد والاهتمام بشؤون الدولة وقد ذكر المؤرخون في كتبهم الى ما يشير الى ذلك فالتتوخي يشير الى ان شغب كانت تجلس في مجالس الشرب والغناء مع الجوارى بحضور ولدها خليفة المسلمين المقتدر . فذكر ان في احدى الجلسات حملت الى مجلس شغب والمقتدر حاضرا احد الجوارى الصناعات صاحبة الصوت الجيد مع عدد من الجوارى وغنن امامه فامر بشتراهن جميعاً (٨٠) وهذا دليل على انفاق الاموال في مجال اللهو والملذات التي كانت الدولة احوج اليها من الجوارى وقد عرف المقتدر بهذه الصفة منذ صغره وحذر منها الخليفة المعتضد فقد ذكر ابن الجوزي (٨١) قصة تؤيد ذلك على لسان صافي الحرمي (مولى المعتضد) قائلاً « كان جعفر ابن خمس سنوات او نحوها وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصائف من اقرانه في السن وبين يديه طبق فيه عنقود عنب في وقت لا يوجد العنب والصبي يأكل منه واحده ثم يطعم الجماعة عنبه عنبه على الدور حتى اذا بلغ الدور اليه اكل واحدة مثل ما اكلوا حتى فنى العنقود والمعتضد يتميز غيظاً فرجع ولم يدخل الدار وبقي مهموماً فقلت له يا مولاي ما سبب ما فعلته فقال والله يا صافي لولا النار والعار لقتلت هذا الصبي اليوم فان في قتله صلاحاً للامة حتى يقول يا مولاي حاشاه اى شيء عمل ؟ اعينك الله يا مولاي اللعين ابليس فقال ويحك انا ابصر بما اقول انا رجل قد سست الامور واصلحت الدنيا بعد فساد شديد ولا بد من موتى وانا اعلم ان الناس لا يختارون غير ولدى وسيجلسون ابني علياً يعنى (المكتفى) وما اظن عهده طويل . . . حتى يقول ولا يجدون بعده اكبر من جعفر فيجلسونه وهو صبي وله من الطبع والسخاء هذا الذي رايت . . . حتى يقول فيقسم ما جمعته من اموال كما قسم العنب ويبذر ارتفاع الدنيا ويخربها الى آخره .

هذه القصة وغيرها تدل على ان شغب لم تعتن بتربية ولدها وتوجيهه نحو الصلاح مما اساءت الى الدولة وخزintتها التي تعرضت الى الافلاس مراراً كما ذكرنا وكانت هي السبب المباشر في قتل المقتدر ونهاية حياة السيدة شغب والدته النهاية المؤلة المفجعة كما سنرى . . . ونكتفى بذكر هذه الصور القليلة عن سلوكها معتمدين على ما ذكرناه سابقاً من خصائص ومميزات .

١٠ - ولا بد لي من ان اذكر في ختام هذا البحث وانا استعرض خصائصها العشر انها كانت المرأة الوحيدة من بين (نساء بني العباس) التي عاشت ما يقارب الأربعين سنة في رفاه وعز في ظل الخلافة لم ينافسها احد من الرجال او النساء فهي صاحبة الامر والنهي وهي المتسلطة على جهاز الدولة وهي التي انفردت بنهاية حياة مؤلة مفجعة لم تحدث من قبل لاية امرأة وذلك بنكبتها بعد مقتل ولدها . ان تعرضت الى صنوف العذاب فضربت ضرباً شديداً وعلقت من أرجلها عند استجوابها عن ما تملكه من ثروة مما ادى الى وفاتها وكان ذلك سنة ٢٢١ هـ (٨٢) . وكان تعذيبها بأمر من الخليفة القاهر اخى المقتدر اشد مرارة لكون السيدة شغب قد احسنت اليه سابقاً وانقذته من التعذيب والموت عند خلعه وارجاع المقتدر للخلافة في المرة الثانية سنة ٣١٧ هـ . وعلى الرغم من الاتهامات التي وجهت الى السيدة شغب وعلى رأسها صفة البخل التي كانت سبباً في مقتل ولدها لرفضها اعطاء المال عند خروجه لمقابلة مؤنس، هذه الاتهامات التي نريها لاسباب منها اولاً : ان السيدة لم تكن بخيلة ان هذه الصفة بعيدة عنها لكونها عرفت طيلة حياتها بالكرم والانفاق الى درجة الاسراف والتبذير وهذا ما اوصحناه سابقاً .

ثانياً : لم تكن المسؤولة عن مقتل ولدها ونحن نعلم ان علاقتها بابنها الوحيد كانت قوية ومتينة ادت به الى ان ينشأ مدلاً بعيداً عن الجدية في ادارة شؤون الدولة عندما اصبح خليفة المسلمين . ثالثاً : لم تدرك السيدة شغب التناحج التي ترتبت على خروج المقتدر لمقابلة مؤنس القائد الذي كانت تربطه به وبامه علاقة متينة بنيت على الاخلاص طوال فترة حكمه ما عدا الفترة الاخيرة ولو انها كانت على علم بما سيتعرض اليه ولدها من الموت المحقق لما تأخرت عن انفاق جميع ما تملك من ثروة لانقاذه وهي التي سبق وان اعطت وانفقت عليه المال الكثير .

وأخيراً نصف به سيرة هذه المرأة وشخصيتها ذكر بعض اقوال من عاصرها من كبار رجال الدولة واقوال المؤرخين القدامى والمحدثين على السواء ان اجمعوا على انها كانت متدينة وطيبة القلب فهذا الوزير الصالح علي بن عيسى يقول « بانها متدينة فاضلة تحب الخير وتعمل على تعميمه » (٨٣) والمؤرخ الكبير ابن الجوزي (٨٤) يقول « كانت لها اموال عظيمة تفوق الاحصاء . . . وكانت تتصدق باكثر من ذلك وكانت تواظب على مصالح الحاج والى اخره . . . والمؤرخ عبدالعزيز الدوري (٨٥) وهو من المحدثين قال « انها حمقاء وليست خبيثة ان انها كانت متدينة انفقت قسماً كبيراً من ثرواتها في الاعمال الخيرية

هذه الاقوال وغيرها كثير كافية لان تثبت ان السيدة شغب لم تكن شريرة او عديمة الاخلاق بدليل انها لازالت وهي في نهاية

حياتها تتمتع باحترام بعض الناس ومحبتهم ولاسيما كبار رجالات الدولة فهذا الحاجب علي بن يلبق اخذها الى داره بعد تعذيبها ليلا وجعلها عند والدته وكرمها ورفقها الا انها توفيت بعد عشرة ايام ودفنت في تربتها بالرصافة (٨٦) وتسدل الستار على حياة امرأة عاشت فترة طويلة في عز وجاه وترف ونعيم وانتهت سريعا بنهاية مفاجئة مؤلة مع الاسف .

## الهوامش

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	رقم الصفحة
١ الكبيسي - حمدار	عصى المقتدر	٢٢
٢ قتر - آدم	الحضارة الاسلامية ج ٢	٢٧٢
٣ السيوطي - جلال	تاريخ الخلفاء	١٥٢
٤ الزركلي - خير الدين	قاموس تراجم ج ٣	٢٤٥
٥ مجهول	العيون والحداث ج ٤	٢٠٧
٦ المسعودي	التنبيه والاشراف	٢٢٦
٧ الفخري - الطقطقي	الاداب السلطانية	٢٠٣
٨ الخضري - محمد	تاريخ الامم الاسلامية	٢٨
٩ المسعودي	التنبيه والاشراف	٢٢٩
١٠ ابي العبري	تاريخ مختصر الدول	٢٧٥
١١ الفخري	الاداب السلطانية	١٩٣
١٢ الطبري	تاريخ الرسل والملوك ج ١٠	٤٣٣
١٣ السيوطي	تاريخ الخلفاء	١٥٢
١٤ ابن الاثير	الكامل ج ٨	٢٠٢
١٥ المسعودي	مروج الذهب ج ٤	٩٩
١٦ الكبيسي	عصر المقتدر	٢٣٥
١٧ عربي	الصلة	٢٣٥
١٨ مسكويه	تجارب الامم ج ١	٦٧
١٩ كحالة - عمد	اعلام النساء ج ٥	٥١
٢٠ التنوخي	نشوار المحاضرة ج ٥	١٩٣
٢١ الفخري - الطقطقي	الاداب السلطانية	١٥٢
٢٢ السيوطي	تاريخ الخلفاء	٢٢٨
٢٣ المسعودي	التنبيه والاشراف	٢٠٩
٢٤ مجهول	العيون والحداث ج ٤	٢٤٦-٢٤٥
٢٥ الزركلي - خير الدين	قاموس تراجم ج ٣	٢٢٨
٢٦ المسعودي	التنبيه والاشراف	٢٢٦
٢٧ الصمري - ياسين	مذهب الروضة الفحاء	٢٥٤
٢٨ ابن الجوزي	المنتظم ج ٦	٢٦٧
٢٩ كحالة - عمر	اعلام النساء ج ٣	٩٨
٣٠ رحمة الله - مليحة	مقالة الغناء والموسيقى	٢٦٧
٣١ كحالة	العصر العباسي	٧٩
٣٢ الشايشني	اعلام النساء ج ٣	٩٨
٣٣ رحمة الله - مليحة	الديارات	١٧١
٣٤ كحالة	مقالة الغناء والموسيقى	١٨٤
٣٥ ابن الاثير	اعلام النساء ج ٤	١٥٥
٣٦ الجوزي	الكامل ج ٨	٦٨
٣٧ التنوخي	المنتظم ج ٦	٢٢
٣٨ الجوزي	نشوار المحاضرة ج ٨	٢٢٩
٣٩ المسعودي	الفرج ج ٣	
	التنبيه والاشراف	

٢٤٥	دائوس تراجم	٤٠ الزركلي
٢٥٤ ٢٥٣	المنتظم ج ٢	٤١ الجوزي
٢٤٦-٢٤٥	دائوس تراجم	٤٢ الزركلي
١٩٧	العصر العباسي المتأخرة	٤٣ الدوري - عبدالعزيز
١٩١	الاداب السلطانية	٤٤ الفخري
٢١٩	العصور المتأخرة	٤٥ الدوري
٨٤	تجارب الامم ج ١	٤٦ مسكويه
١٩١	الاداب السلطانية	٤٧ الفخري
٤٠	تجارب الامم ج ١	٤٨ مسكويه
٢٠٦	العصور المتأخرة	٤٩ الدوري
١٤٢-١٤١	تجارب الامم ج ١	٥٠ مسكويه
٢٢٩-٢٢٨	العيون والحداث ج ٤	٥١ مجهول
١٠٦	عصر المقتدر	٥٢ الكبيسي
٨٥	نشوار المحاضرة ج ٨	٥٣ التنوخي
٤٠	تجارب الامم ج ١	٥٤ مسكويه
١٩٧	الاداب السلطانية	٥٥ الفخري
٤٠	تجارب الامم ج ١	٥٦ مسكويه
٨٠	الصلة	٥٧ عربي
٢٣٣	المنتظم ج ٦	٥٨ ابن الجوزي
١٢٣	عصر المقتدر	٥٩ الكبيسي
٢٦٧-٢٦٦	نشوار المحاضرة ج ٧	٦٠ التنوخي
٢٦٨	نشوار المحاضرة ج ٨	٦١ التنوخي
٥٨	نشوار المحاضرة ج ٥	٦٢ التنوخي
٢٠٣	العصور المتأخرة	٦٣ الدوري
٦٧	نشوار المحاضرة ج ٥	٦٤ التنوخي
٤٥-٤٤	الفرج بعد الشدة ج ٢	٦٥ التنوخي
١٩٧	الاداب السلطانية	٦٦ الفخري
٢٩٨	العيون والحداث ج ٥٤	٦٧ مجهول
١٤٣	تجارب الامم ج ١	٦٨ مسكويه
١٥٢	تاريخ الخلفاء	٦٩ السيوطي
٦٧	اعلام النساء ج ٥	٧٠ كحالة - عمر
٢٩٣	نشوار المحاضرة ج ١	٧١ التنوخي
١٢٧	المنتظم ج ٦	٧٢ الجوزي
٢٨٦	الفرج بعد الشدة	٧٣ التنوخي
٧٥	المنتظم ج ٦	٧٤ ابن الجوزي
٦٨	اعلام النساء ج ٥	٧٥ كحالة - عمر
٢٤٩	المنتظم ج ٦	٧٦ الجوزي
٢٧٥	مختصر الدول	٧٧ ابن الصحرى
٢٤	الحضارة الاسلامية ج ١	٧٨ عثر آدم
٢٦	اخبار الرازي	٧٩ الصولي
١٣١	تجارب الامم ج ١	٨٠ مسكويه
٧١	المنتظم ج ٦	٨١ ابن الجوزي
٢٢٧-٢٢٦	مذهب الروضة	٨٢ الصمدى
١٠٩	عصر المقتدر	٨٣ الكبيسي
٢٢٦	المنتظم ج ٦	٨٤ ابن الجوزي
١٩٧	العصور المتأخرة	٨٥ الدوري
٢٢٧-٢٢٦	الروضة - الفساء	٨٦ العمري

## المصادر

### قائمة المصادر والمراجع

(١) ابن الاثير - الكامل في التاريخ - الشيخ العلامة محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير/ بيروت ١٩٦٦ - ١٣٨٦

(١٣) الطبري - أبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر .  
 (١٤) الصولي - اخبار الرازي والمتقى لله سنة ٢٢٢ / ٢٢٣ ابو بكر محمد بن يحيى - القاهرة - مطبعة الصاوي ١٩٣٥  
 (١٥) الصمدى - ياسين بن خير الله ، مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء  
 (١٦) عريب - صلة تاريخ الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف  
 (١٧) كحالة - عمر ، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام - الطبعة الثانية - المطبعة الهاشمية ١٣٢٨ / ١٩٥٩  
 (١٨) الكبيسي - حمدان عبد المجيد ، عصر الخليفة المقتدر دراسة في احوال العراق الداخلية ، مطبعة النعمان - النجف ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .  
 (١٩) قنز - ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو زيد .  
 (٢٠) مسكوية - أبي علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم ، شركة التمدن الصناعية بمصر ، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .  
 (٢١) المسعودي - أبي الحسن بن الحسين ، التنبيه والأشراف ، قام بتصحيحه عبدالله اسماعيل الصادق ، المكتبة التاريخية ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م  
 (٢٢) نفس المؤلف ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الاندلس للطباعة والنشر - بيروت .  
 (٢٣) مجهول العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، مطبعة النعمان - النجف ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

(٢) أبي الجوزي - أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، القسم الثاني في الجزء الخامس ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية بعاصمة حيدر آباد ، ١٣٥٧ هـ  
 (٣) أبي الحضري - غريغوريوس أبي الفرج بن هروت الطيب اللطبي ، تاريخ مختصر الدول ، مطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت ١٨٩٠ م .  
 (٤) أبي الطقطقي - محمد بن علي بن طباطبا ، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، المطبعة الرحمانية بمصر .  
 (٥) التنوخي - أبي علي المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة تحقيق عبود الشابي .  
 (٦) نفس المؤلف ، الفرج بعد الشدة ، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ببغداد ، ط ١ ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .  
 (٧) الحضري - محمد ، محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية الدولة العباسية ط ١ ، بمطبعة الجمالية بمصر ، ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .  
 (٨) الدوري - عبدالعزيز ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة ، بغداد ، ١٩٤٥ م .  
 (٩) رحمة الله - مليحة ، مقالة الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية في العصر العباسي ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٦٨ ان .  
 (١٠) الزركلي - خير الدين ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء في العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ٣  
 (١١) السيوطي - جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء ، مطبعة الميمنة ، ١٣٠٥ هـ  
 (١٢) الشبابشتي - الديارات علي بن محمد - تحقيق كوكيل عواد - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٦

# مسألة شغور كرسى الحكم من تنازل معاوية بن يزيد الى تسلم مروان بن الحكم لدست الحكم

الدكتور خليل شاكر حسين  
جامعة الموصل  
كلية التربية / قسم التاريخ

المصادر المبكرة وبدوره يشير الى مدة الاربعين يوماً ولكنه يورد روايات عديدة فواحدة منها تذكر عشرين يوماً والآخرى تشير الى شهر ونصف والثالثة ثلاثة اشهر ورواية رابعة تذكر اربعة اشهر وهى روايات لا يطمئن اليها الباحث (١٠). والذهبي يقول ان معاوية الثانى بقى في الحكم مدة شهرين او اقل (١١). والسيوطى يذكر ان معاوية ملك اربعين يوماً في خبر وشهرين في خبر ثان وثلاثة اشهر في خبر ثالث (١٢).

وهمدنا المؤرخون القدامى بمعلومات مفيدة حول الاسباب التى دفعت بمعاوية بن يزيد الى التنازل عن الخلافة من خلال خطبته المشهورة التى القاها من على منبر المسجد الجامع في دمشق حاضرة الدولة العربية آنئذ. فيذكر الطبرى عن عوانة بن الحكم ان معاوية بن يزيد قد خطب في اهل الشام واخبرهم بعجزه عن تحمل وزر الخلافة فضلاً عن انه لم يجد شخصاً كفئاً كعمر بن الخطاب ولا الستة الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب. وعليه فهو في حل من امرهم وعلى المسلمين ايجاد من يدبر لهم امرهم (١٣). أما عن ابن اعثم الكوفى فيورد نفس المعلومات الموجودة عند الطبرى بان معاوية مكث في الحكم اربعين يوماً وخطب بعدها الناس واستعفى نفسه من تحمل اعباء الحكم وانه لا يجد شخصاً خليفاً بالحكم كعمر بن الخطاب حين فزع اليه ابوبكر الصديق ولا الستة الشورى وانه امتنع عن تعيين احد في منصب الخلافة من بعده (١٤) والبلاذرى يذكر خبر خطبة معاوية بن يزيد التى تنازل بها عن الخلافة ويذكر انه كان مريضاً دون ان يقصح عن كنه ذلك المرض وان الضحاك بن قيس المهرى هو الذى كان يصلى بالناس بدلا عنه وعندما دنا الموت من معاوية سألته اقرباؤه الامويون واهل بيته بان يعهد لشخص من بعده لمنصب الخلافة رفض ذلك مبرراً انه لا يستطيع تحمل وزرها من بعد مماته (١٥). ومما تجدر الاشارة اليه هو ان المقدسى ينفرد برواية مفادها ان معاوية بن يزيد كان قدريا وان مؤدبه عمر المقصوص هو الذى اشار عليه بان يعتزل امر الناس

يتناول بحثنا هذا مسألة الفراغ السياسى الذى نتج عن تنازل معاوية بن يزيد عام ٦٤ هـ / ٦٨٣ م ولحين تسلم مروان بن الحكم لسدة الحكم. وهى فترة قصيرة جداً من عمر الزمن لكنها حافلة باحداث خطيرة عصفت بالدولة العربية، سيما ان صراعاً كان قائماً حول منصب الخلافة بين الامويين وانصارهم من جهة والزبيريين ومؤيديهم من جهة أخرى، ذلك الصراع الذى انتهى لصالح الامويين.

فمن المعروف تاريخياً ان معاوية بن يزيد قد تولى الحكم بعد وفاة ابيه يزيد بن معاوية بن ابي سفيان وبعده منه. غير ان الروايات التاريخية تختلف في المدة التى بقى فيها معاوية الثانى في الحكم. فالطبرى يذكر عن عوانة بن الحكم انه ظل مدة اربعين يوماً (١). في حين ان البلاذرى يورد ثلاث روايات مختلفة: الاولى تذكر مدة اربعين يوماً، والثانية تذكر عشرين يوماً والثالثة تذكر مدة ثلاثة اشهر (٢). وبدوره اليعقوبى يذكر مدة اربعين يوماً في خبر واربعة اشهر في خبر ثان (٣). بيد ان ابن اعثم الكوفى يؤيد الطبرى والبلاذرى واليعقوبى بذكره مدة الاربعين يوماً التى امضاها معاوية بن يزيد في الحكم (٤)، ومن جانب يقدم المقدسى لنا ثلاث روايات: الاولى تذكر ان معاوية حكم عشرين يوماً والثانية تذكر اربعين يوماً والثالثة تشير الى ثلاثة اشهر (٥). أما خليفة بن خياط فيشير الى ان مدة ولاية معاوية الثانى هى اربعون في رواية، وخمسة واربعون يوماً في رواية اخرى (٦). وابن قتيبة الدينورى يذكر مدة اربعين يوماً من جهته (٧). ويؤيده ابن عبد ربه الاندلسى الذى يورد مدة اربعين يوماً كذلك (٨). والمؤرخ الوحيد الذى لا يذكر شيئاً حول تولى معاوية للحكم ولا عن مدة حكمه ثم عن تنازله هو ابو حنيفة الدينورى الذى يندرج مع بعض المؤرخين في القائمة التى تعتبر معاوية بن يزيد الخليفة الشيعى.

أما عن مصادرنا المتأخرة، فابن الاثير يذكر مدة اربعين يوماً وهو بهذا يعيد رواية الطبرى (٩). ويؤكد ابن كثر ما جاء في

الى سبب موته والعلة التي مات بسببها وما هيته . فابن اعثم الكوفي يقول انه عاش ثلاثة ايام بعد تنازله ومات دون ان يذكر السبب في ذلك (٣٢). ويذكر خليفة ابن خياط سبب تنازله وهو مرض ألم به لكنه لم يوضح ، بدوره، لنا صفة ذلك المرض، فضلا عن انه لم يحدد لنا المدة التي احتجب خلالها عن الناس (٣٣). ولا يذكر الطبري المدة التي بقى خلالها معاوية الثاني في بيته لحين موته ولكنه يعرض لنا روايتين : اولاهما تذكر ان معاوية مات مسموما والرواية الثانية تذكر انه مات مطعونا (٣٤). ومن جهة لا يشير البلاذري الى العلة التي بسببها مات معاوية الثاني ولا عن المدة التي بقى فيها في منزله بعد تخليه عن الحكم . بقى ان نتساءل لماذا لم تذكر المصادر المبكرة والمتأخرة اسم الجهة او الشخص الذي دس السم لمعاوية وقتله او اسم الشخص الذي طعنه ومن هو المستفيد من ذلك ، والغريب حقا ان مصادرنا الرئيسية والثانوية تلزم الصمت ازاء هذا الموضوع حيث لا يزال موضع تساؤلات وشكوك . ولعل معاوية بن يزيد قد مات ميتة طبيعية او انه مات نتيجة اصابته بالطاعون الذي كان متفشيا في ذلك العام (٣٥).

ولم يثبت من خلال المصادر التاريخية ان معاوية الثاني قد عين مجلسا للوصاية من بعده لكي يدير شؤون الدولة العربية كما يذكر المستشرق هنري لانس (٣٦). غير ان المشهور في الروايات التاريخية ان معاوية اوصى الضحاک بن قيس الفهري ان يصلى بالناس لحين انتخاب او تعيين شخص يقوم بأمر الناس . فمعاوية بن يزيد ، كما يشير البلاذري، لم يعزل من عمال ابيه ولم يأمر ولم يمه (٣٧).

وبموت معاوية بن يزيد عام ٦٤ هـ / ٦٨٣ م وامتناعه عن ترشيح شخص يخلفه في منصب الخلافة يترك الباب مفتوحاً امام الصراعات التي ستحدث بين الامويين وانصارهم من اليمانية والزبيريين ومؤيديهم من القيسية والتي كانت صراعاً بين المبدئين القبلي والاسلامي (٣٨). ان شغور كرسى الحكم في حاضرة الدولة العربية في دمشق قد هيأ لعبدالله بن الزبير الفرصة الثمينة التي كان يتمناها لنيل الخلافة سيما وانه كان يطمح للوصول اليها منذ زمن .

والجدير بالذكر ان ابن الزبير قد سبق له ان رفض مبايعة يزيد بن معاوية ولم يعترف به خليفة . وقد لاذ بحرمة الكعبة واتخذ من مكة قاعدة لنشاطاته (٣٩).

والواقع ان الظروف حينذاك قد خدمت ابن الزبير . فقد قدم مقتل الحسين بن علي في العراق مسوغاً للتشنيع على الامويين وعارض سياستهم تجاه أهل الحجاز وحركات المعارضة في العراق مما اكسبه تأييدها حيث كونوا جبهة واحدة جمعت كل المعارضين ضد الحكم الاموي (٤٠). وقد اراد ابن الزبير سلخ الحجاز عن طاعة الامويين فاعلن عصيانه في مكة على حكم يزيد

اذا لم يكن عنده طاقة في العدل . وان بني امية قد احسوا بفعلته فوثبوا على عمر المقصوص وقتلوه لانه قد افسد عليهم معاوية بن يزيد (١٦). وحول هذه النقطة يشير البلاذري الى ان معاوية بن يزيد كان يظهر « التآله » (١٧). ومن جانبه اليعقوبي يذكر موضوع خطبة معاوية الثاني ويشير الى ان لمعاوية « مذهبا جميلا » (١٨) دون ان يوضح لنا ما هية ذلك المذهب. ويندرج بعض المؤرخين في القائمة التي تعتبر معاوية بن يزيد خليفة شبيحا انهم لا يعطونه تلك الاهمية ولا يذكرون لنا معلومات تاريخية مفيدة عن اسباب تنازله ولا عن اسباب وفاته مثل الدينوري والمسعودي والزبير بن بكار. ومن مصادرنا المتأخرة التي تذكر امر الخطبة وامتناع معاوية بن يزيد عن ترشيح احد من بني امية للخلافة ابن الاثير والسيوطي اللذان يذكran عبارة معاوية بن يزيد التي يعبر فيها عن رفضه تعيين خلف له وذلك بقوله . « ما اصبحت من حلاوتها فلم اتحمل مراراتها » (١٩). وكقوله : « لا اتزود مرارتها واترك لبنى امية حلاوتها » (٢٠). وبهذا فهو يعبر عن نبذه لمبدأ الوراثة وميله للمبدأ الاسلامي الذي يوصى بالانتخاب (٢١).

هذا وتختلف المصادر الاولى حول عمر معاوية بن يزيد عند وفاته. فيذكر الطبري ان عمره ، حين مماته . كان ثلاثا وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً (٢٢). ويورد خليفة بن خياط روايتين حول سنه، فيذكر في الاولى ان عمره كان عشرين سنة وفي الرواية الثانية يذكر احدى وعشرين سنة (٢٣). اما البلاذري فيقدم لنا اربع روايات مختلفة حول عمر معاوية الثاني. فيذكر في الرواية الاولى ان عمره كان تسعة عشر عاما وبالثانية عشرين سنة وبالثالثة ثمانى عشرة سنة وبالرابعة يذكر عن ابن الكلبي انه عمره ثلاث وعشرون سنة (٢٤). ومن جهة يشير اليعقوبي الى ان سنه كان ثلاثة وعشرين يوم وفاته (٢٥). وابن قتيبة الدينوري يذكر ان عمره كان سبع عشرة سنة (٢٦). ويورد ابن عبد ربه الاندلسي ان عمره احدى وعشرون سنة (٢٧).

ومن مصادرنا المتأخرة ابن الاثير الذي يذكر نفس رواية الطبري والبلاذري (٢٨). اما السيوطي فيقدم لنا خبرين عن سنه. فيذكر في الخبر الاول ان عمره عشرين سنة وفي الخبر الثاني يذكر ان عمره كان واحدا وعشرين سنة (٢٩). والذهبي بدوره، يقول ان معاوية الثاني قد توفي عن احدى وعشرين سنة (٣٠) ويؤودنا ابن كثير بسلسلة متباعدة من الروايات حول سن معاوية . ففي الرواية الاولى يذكر ان سنه احدى وعشرون سنة وفي الرواية الثانية يذكر انها ثلاث وعشرون سنة وفي الثالثة ثمانى عشرة سنة. وفي الرابعة تسع عشرة سنة والخامسة عشرون سنة والسادسة خمس وعشرون سنة (٣١).

اما عن المدة التي امضاها في بيته معتزلا الناس بعد تنازله عن الخلافة فهي الاخرى محل اختلاف . وكذلك الحال بالسنة



ابن معاوية وحرص اهل المدينة على الثورة ضد الحكم الاموي الامر الذي دفع بيزيد الى ارسال جيش لقمع هذه الثورة بقيادة مسلم بن عقبة المري الذي تمكن من دحر اهل المدينة في وقعة الحرة المشهورة. وتوجه مسلم بن عقبة بجيشه نحو مكة لقمع تمرد ابن الزبير فمات في الطريق فتسلم قيادة الجيش الحصين ابن نمير السكوني الذي نجح في محاصرة ابن الزبير في الكعبة والتضييق عليه ولكن مهمته لم تحقق اغراضها بسبب وفاة يزيد ابن معاوية. ومن الضروري قوله ان بعض الامويين وعلى رأسهم مروان بن الحكم كانوا يؤيدون ابن الزبير في معارضته لحكم يزيد ابن معاوية وموقفه الرافض لبيعتة (٤١). ومن مناقضات الامور اننا نجد مروان بن الحكم يعضد موقف ابن الزبير امام الضغوط التي مارسها يزيد عليه وذلك بارساله ولديه عبد الملك وعبد العزيز لكي يشدوا ازره بامتناعه الاعتراف بشرعية حكم يزيد. بيد اننا نلاحظ ان الامويين ومروان بن الحكم بالذات يستغيث بيزيد ويطلب منه النجدة عندما اعلنت المدينة ثورتها ضد حكم يزيد فارسل عندها يزيد جيشا من اهل الشام وانفذ الامويين وقمع ثورة اهل المدينة. ولعل من الغريب ايضا ان نجد الخوارج يحاربون مع عبدالله بن الزبير ضد جيش الشام طالما ان هدف المعارضة هو عدم الاعتراف بشرعية الحكم الاموي (٤٢).

وعلى اية حال، فان موت يزيد بن معاوية قد اعطى لابن الزبير فرصة ذهبية لو شاء استغلالها لما نازعه احد على منصب الخلافة. فمما يجدر اليه القول ان قائد الجيش الشامي الذي كان يحاربه بالامس نراه يعرض عليه الخلافة بعد ان فرغ كرسى الحكم من مرشحه بموت يزيد بن معاوية (٤٣). والغريب حقاً ان ابن الزبير قد رفض مثل هذا العرض مما ضيع على نفسه فرصة سوف لن تتكرر. وابن الزبير احس بخطئه واراد ان يتلافى ذلك طالبا من الحصين بن نمير وهو في رجعتة الى الشام ان يبايع له مما جعل الحصين يجاوبه: « ارايت ان لم تقدم بنفسك ووجدت هنالك اناسا كثيراً من اهل هذا البيت (يقصد بهم الامويين) يطلبونها يجيبهم الناس، فما انا صانع ؟ » (٤٤). وبالفعل فلوان ابن الزبير قد وافق الحصين على المضي معه الى حاضرة الدولة العربية في الشام لمبايعته هناك، لما اختلف عليه احد كما يؤكد ذلك ابن الاثير (٤٥).

ومن المناسب ذكره ان جميع الاقاليم في الدولة العربية قد ثارت على الحكم الاموي بعد وفاة يزيد بن معاوية وطردت العمال الامويين. وقد استغل ابن الزبير هذه الاوضاع فارسل عماله الى العراق ومصر حيث يؤكد البلاذري ان بيعة الافاق قد اتته ما عدا الاردن (٤٦). اما في الشام فان عامل دمشق الضحاك بن قيس الفهري كان يبايع سرا لابن الزبير الذي ارسل عهد الولاية له. وكان النعمان بن بشير الانصاري يبايع لابن الزبير في ولاية حمص. وفي ولاية قنسرين بايع عاملها زفر بن الحارث الكلابي

لابن الزبير. وبايع نائل بن قيس الجذامي في فلسطين ابن الزبير وطرده عامل الامويين روح ابن زنباع الجذامي. فلم تبق عدا الاردن مخلصا للامويين بيد حسان بن مالك بن بحدل الكلب ذلك لان معاوية قد تزوج ميسون الكلبية وان يزيد هو الاخر قد تزوج اخت حسان بن مالك الكلبى، اضافة الى الامتيازات التي كانت تتمتع بها اليمانية في عهد السفينيين (٤٧).

ومهما يكن من امر، فهناك مسألة ينبغي الوقوف عندها وهي مكان تواجد الامويين بعد طردهم من الحجاز. فالطبرى يذكر روايتين اولاهما تشير الى خروج الامويين من الحجاز الى الشام. (٤٨). والرواية الثانية تذكر انهم توجهوا الى تدمر بعد اجلائهم من الحجاز (٤٩). ومن جهة اخرى يورد البلاذري ان عبيد الله ابن زياد عندما قدم من البصرة وجد الامويين في تدمر (٥٠) والامر الذي يجمع عليه المؤرخون الاوائل هو ان الامويين كانوا في الشام وقد قاموا بدور مهم في الاحداث التي انتهت لصالحهم سواء كان تواجدهم في تدمر أم دمشق. بيد اننا نمتلك اشارات وردت عند مصادرنا الرئيسية تذكر وجود بعض وجوه الامويين المعروفة في دمشق ابان تنازل معاوية بن يزيد وما اعقبه من احداث مثل مروان بن الحكم وخالد بن يزيد واخيه عبدالله بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص الاشدي. فيذكر البلاذري ان مروان كان موجوداً عند تنازل معاوية الثاني عن الحكم (٥١) والطبرى بدوره يذكر اسم خالد بن يزيد واخيه عبدالله اللذين كانا اساساً في دمشق عاصمة حكمهم اثناء احداث يوم جبريز الاول (٥٢). والواقع ان وجودهم في دمشق هو الذي دفع بالضحاك بالاحجام عن الاعلان صراحة عن موقفه المؤيد لابن الزبير (٥٣). ويذكر الحافظ الذهبي اسم حوران كمكان لتواجد مروان به.

ولعل من المفيد حقاً ان نسلط الضوء على موقف الضحاك بن قيس الفهري هذا والذي وصفه اغلب المؤرخين بالمتذبذب والمعروف لدينا ان الضحاك في الماضي كان من المؤيدين لبنى امية وخاصة السفينيين. اذ كان الضحاك احد الثقات الذين اعتمد عليهم معاوية بن ابي سفيان. فقد كان رئيس شرطته في دمشق ورئيس الجند فيها. وهو الذي كلفه معاوية وهو مسجى علم فراش الموت بتطبيق وصيته المتضمنة تأييد موقف يزيد وتوطيد حكمه وقد فعل ذلك اذ كان يزيد بن معاوية غائبا عن دمشق (٥٤). وظل مخلصا للسفينيين حتى بعد موت يزيد بن معاوية المفاجيء ومجيء ابنه معاوية الثاني الى الحكم. وقد وكل اليه معاوية الثاني ادارة امور الدولة العربية لحين مجيء خليفه جديد. فالملحوظ ان الضحاك لحين موت معاوية بن يزيد ظل مخلصا للسفينيين الذين لم يكن بينهم من يبرز شخصية ابن الزبير في ماضيها الاسلامي وسنها المجرب الطويل (٥٥). ان موقف الضحاك صعب ويبدو ان الموقف العام هو الذي جرفه اذ

كان من العسير على الضحاك اتخاذ موقف حاسم وهذا ما جعل المؤرخين يصفونه بالمتذبذب (٥٦) وهناك سبب رئيسي جعل الضحاك يختار جانب ابن الزبير وبيايه وهو كونه من القيسية وأن أهل الحجاز ينتمون إلى القبائل القيسية فضلا عن تبرمه من هيمنة القبائل اليمنية في الشام وتفردا بالامتيازات. بقي أن لا ننسى طموحات الضحاك الشخصية في الحكم خاصة أمام غياب مرشح سفياني قوي يقف أمام ابن الزبير ويؤكد ذلك هو دعوة الناس في دمشق إلى نفسه مما أثار ذلك سخط انصاره وتشكيكهم في نواياه فرجع عن عزمه (٥٧).

وتزودنا مصادرها المبكرة بمعلومات مهمة حول الأوضاع التي تلت غياب معاوية بن يزيد عن الساحة السياسية. فقد ظهرت النزعات الإقليمية والتكتلات السياسية للعيان. فالزبيريون وانصارهم من القيسية يهونون ابن الزبير ويعني ذلك نقل مركز الحكم إلى الحجاز وهو أمر يرفضه الأمويون وانصارهم من اليمنية لما يعنيه من خسرانهم لامتيازاتهم ويصبحون بذلك تبعاً للحجاز بدلا من كونهم مركز الثقل السياسي. والأمويون منقسمون على أنفسهم فكلب وهم أخوال يزيد يريدون مبايعة خالد بن يزيد وأهل دمشق من انصار الأمويين يريدون بيعه عمرو بن سعيد الأشدق. وفريق يريد مبايعة مروان بن الحكم على أساس تجربته وكبر سنه وبهذا يصلح كمرشح للوقوف أمام ابن الزبير (٥٨).

وكان على الأمويين وانصارهم حسم الأمر بسرعة قبل استفحال خطر ابن الزبير وانصاره ومداهمته الشام بجيش من الحجاز وبالتالي يقع الأمويون وانصارهم بين فارين الضحاك وعماله من جهة وجيش الحجاز من جهة ثانية (٥٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفصل في دعم موقف الأمويين هو لحسان بن مالك بن بحدل رئيس قبائل كلب. فهو الوحيد الذي رفض مبايعة ابن الزبير واعتبره منافقا قد خلع خليفته وهما يزيد ابن معاوية وابنه معاوية الثاني. وكوّن جبهة معارضة في الأردن من قبائل كلب. وكان على علم بتحركات الضحاك بن قيس فأرسل له رسالة مع أحد انصاره الكلبيين واسمه ناغضة يعظم فيها حق بني أمية وجميلهم عنده وينتقد موقف ابن الزبير ويعرض به وينعته بالمنافق. وكتب بنسخة أخرى من الرسالة لكي يحتفظ بها ناغضة ويقراها أمام الناس في مسجد دمشق في حالة امتناع الضحاك عن قراءة رسالة حسان الكلبي. وقد كتب حسان رسالة أخرى للأمويين يدعوهم إلى حضور الموقف لمعرفة حقيقة نوايا الضحاك بن قيس (٦٠). والحق أن رسالة حسان بن بحدل كان لها أثر كبير في دفع الضحاك إلى الإفصاح عن موقفه وكانت حركة ذكية من جانب حسان الكلبي فقد عرف كيف يخرج الثعلب من جحره على حد تعبير فلهوّن (٦١).

ولا بد لنا في هذا المجال أن نرد على الرواية التاريخية التي

تذكر أن حسان الكلبي كان موجودا بدمشق عند وفاة معاوية بن يزيد الذي أمره أن يصلي بالناس. وهذا يخالف المشهور من الروايات التي تؤكد أن الضحاك بن قيس هو الذي كان يصرف أمر الناس ويصلي بهم. وأن حسان الكلبي كان يومذاك في فلسطين وعين محله روح بن زنباع الجذامي وقصد الأردن لوجود الكثرة من قبائل كلب فيها وليكون قريبا من الأحداث التي تجري في دمشق (٦٢).

والمؤرخون القدامى وخاصة الطبري يسمون يوم الجمعة الذي اجتمع به الضحاك الفهري والأمويون ومبعوث حسان الكلبي ناغضة وانصار الأمويين ومؤيد ابن الزبير في المسجد الجامع في دمشق بيوم جيرون الأول (٦٣) وفي هذا اليوم امتنع الضحاك عن قراءة رسالة حسان الكلبي وهو أمر يدهى لأن يخالف موقفه تجاه ابن الزبير مما حدا بمبعوث حسان الكلبي إلى اخراج النسخة الأخرى من الرسالة وقراءتها. وهنا انقسم الحاضرون، فريق يؤيد حسان والأمويين ويشتم ابن الزبير وفريق آخر يؤيد ابن الزبير ويعرض بحسان الكلبي. وتمكن خالد ابن يزيد من تهدئة الناس وصل الضحاك الفهري بهم ودخل دار الإمارة بعد أن أمر بحبس الأشخاص الذين شتموا ابن الزبير وهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ويزيد بن أبي النسر الغساني وسفيان بن الأبرد الكلبي (٦٤). فقامت غسان وكتب بأخراجهم من السجن رغما على إرادة الضحاك بن قيس (٦٥) وانقسمت الأجناد في الشام حسب قبائلهم إلى فريقين فيود الطبري أن الضحاك بن قيس خرج إلى الصلاة في المسجد ونال من يزيد بن معاوية فتجرا عليه أحد الكلبيين وضربه بالعسا والناس متقلدون سيوفهم فاقتتلوا دون أن يحسم الأمر لصالح أحد (٦٦). ويتضح لنا من المعلومات الواردة عند الطبري أن سلطة الضحاك قد ضعفت في دمشق بسبب وجود الأمويين وانصارهم الأمر الذي أدى به إلى دعوة الأمويين إلى دار الإمارة والاعتذار لهم وموافقة ترشيح شخص أموي وكتب بذلك إلى حسان وكتبوا إليه على أن يكون مكان الانتخاب والاجتماع هو الجابية (٦٧).

يبقى أن نتساءل عن السبب الذي دفع الضحاك بن قيس إلى اتخاذ مثل هذه الخطوة، هل أن دافع ذلك كان عن نية صادقة أم مجرد مناورة سياسية للتخلص من وجود الأمويين معه في دمشق وضغطهم عليه مع انصارهم. يشير الطبري إلى أنه كان عاقد العزم على الذهاب إلى الجابية ولكن أحد انصاره واسمه ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي قد رده عن عزمه بقوله له: «دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك، وانت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن اخته خالد بن يزيد، فقال له الضحاك: ما الرأي؟ قال: الرأي أن نظهر ما كنا نسر وندعه إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها» (٦٨).

المؤرخون على تسميته بمؤتمر الجابية . فمصادرها التاريخية تذكر ان اهواء الناس كانت مختلفة . ففريق يهوى هوى خالد بن يزيد ويريد مبايعته بالخلافة ويمثل هذا الفريق الكلبيون وعلى رأسهم مالك بن هبيرة السكوني وحسان بن مالك بن بحدل . لانهم اخوال خالد واصحاب الامتيازات والمقربون ايام السفينيين (٧٥) . وفريق ثان يفضل مروان بن الحكم نظرا لسنة وتجربته (٧٦) . فهم يريدون ندا لابن الزبير وكانت حجتهم « لا يأتونا الناس بشيخ ويعنون ابن الزبير ونأيتهم بصبى » ويقصدون خالد بن يزيد . وكان فريق ثالث يرشح عمرو بن سعيد ابن العاص الاشدق للخلافة . هذا ومن المفيد ذكره ان المناقشات استمرت طيلة اربعين يوما الى ان اتخذ المؤتمر قرارهم النهائي بترشيح مروان بن الحكم وعلى شروط : اولها ان يكون ولي العهد الاول هو خالد بن يزيد وله ولاية حمص . وضمن الشرط الثاني يكون ولي العهد الثاني عمرو بن سعيد وله ولاية دمشق . وان الكلبيين امثال حسان بن مالك بن بحدل الذى كانت له اليد الطولى في اقناع السفينيين في ترشيح مروان بن الحكم ومالك بن هبيرة والحصين بن نمير السكوني قد بايعوا مروان بن الحكم على شروط حيث حصلوا على امتيازات لقاء بيعتهم (٧٧)

تبقى مسألة مهمة لا بد من التأمل فيها هي تاريخ زواج مروان بن الحكم بفاخته ام خالد بن يزيد . فالطبرى يذكر ان مروان تزوج منها في تدمر قبل مؤتمر الجابية (٧٨) . ويذكر ابن عبد ربه الاندلسي ان الزواج حدث بعد معركة مرج راهط (٧٩) ويقدم لنا البلاذري رواية عن المدائني يذكر فيها ان مروان تزوج بفاخته بعد استعادة مصر من قبضة ابن الزبير (٨٠) . ومهما يكن من امر فاننا نرجع وقوع تاريخ الزواج قبل مؤتمر الجابية ومعركة مرج راهط وهو امر لا يتعارض مع سياق الحوادث . ان المروانيين ومؤيديهم حرصوا ان يذهبوا الى الجابية وهم جبهة واحدة لكي يتم انتخاب مروان على اساس انه شيخ قريش وكبير بنى امية (٨١) .

وبعد مبايعة مروان بن الحكم في الجابية ، ظهر على مسرح الاحداث خليفة اموى ولكن من الفرع المرواني ووقعت على عاتقه مسؤولية مجابهة خصومهم السياسيين وعلى رأسهم الضحاك بن قيس الذى يقف مع قواته من القيسية في مرج راهط بانتظار المواجهة التى تحسم مصير الخلافة ولاى فريق ستكون . وبويع مروان لثلاث خلون من ذى العقدة او في رجب عام ٦٤ هـ (٨٢) . وسار الى مرج راهط بقبائل كلب والسكاسك والسكون وغسان . وتعطى مصادرها المبكرة والمتأخرة التفوق العددي لجيش الضحاك الذى يتراوح تعداده الى حد ٣٠.٠٠٠ مقاتل مقابل ١٠.٠٠٠ مقاتل يكونون تعداد جيش مروان وانصاره من اليمانية (٨٣) . ويذكر البلاذري ان جيش الضحاك يبلغ ٦٠.٠٠٠ مقاتل وجيش مروان ٢٠.٠٠٠ مقاتل (٨٤) .

ان مجرد التصديق بهذه الرواية الموجودة عند الطبرى يبين لنا مقدار تذبذب مواقف الضحاك بن قيس وانه رجل لا رأى له وهو امر يحتاج الى مناقشة . ذلك ان الامور بخواتيمها . لقد تخلص الضحاك من وجود الامويين اذ ان رحيلهم عن دمشق قد اعطاه حرية الحركة وصمم على اعلان موقفه صراحة ومواجهة الامويين وانصارهم واختار مرج راهط (٦٩) كموقع لمنازلتهم وكتب الى انصاره عمال الولايات بامداده بالمقاتلة . فامده النعمان بن بشير الانصارى والى حمص بالمقاتلة . وقدم زفر بن الحارث الكلابى بنفسه من قنسرين لدعم موقف الضحاك الفهرى . وارسل قاتل بن قيس الجذامى مدداً من فلسطين ، فاجتمعت الاجناد للضحاك في المرج واخذ يعد عدته لمواجهة الامويين واليمانية (٧٠) .

ولهذا كان من الضروري الاشارة الى الدور المضخم الذى اعطى لعبيد الله بن زياد في احداث الشام . يذكر البلاذري والطبرى وغيرهما من المؤرخين الاوائل ان الفضل يرجع الى عبيد الله بن زياد في اقناع مروان بن الحكم في ترشيح نفسه للخلافة (٧١) . وان عبيد الله نفسه هو الذى جعل مروان بن الحكم يتراجع عن قراره في الذهاب الى ابن الزبير ومبايعته في مكة واخذ الامان لبنى امية وانصارهم منه . زيادة على ذلك ان بعض المصادر الرئيسية تجعل من شخصية عبيد الله بن زياد صاحبة فكرة الزواج السياسى بين مروان بن الحكم وفاخته ام خالد بن يزيد لكى يضمن ولاء السفينيين له ويخفف من حدة طموحات وتطلعات خالد بن يزيد السياسية نحو الحكم (٧٢) . هذا ويعطيه البلاذري اهمية خاصة للدور الذى قام به في كداع الضحاك بن قيس اذ امتنع الاخير بالدعوة لنفسه بالخلافة مما جعل اصحابه ينفضون عنه ويتشككون في موقفه . ويضيف البلاذري ان عبيد الله بن زياد قد نجح في اخراج الضحاك بن قيس من دمشق واعلانه عن موقفه الصريح تجاه ابن الزبير حتى لا يتخذها حصنا له (٧٣) . والجدير بالذكر ان هنالك رواية ينفرد بها البلاذري تظهر الضحاك بن قيس القوى والذى يفرض بيعة ابن الزبير على مروان بن الحكم على الرغم من تهرب الاخير . وتؤكد رواية البلاذري خروج الضحاك ومروان بن الحكم الى مرج راهط حيث تتم البيعة هناك من قبل مروان لصالح ابن الزبير ويشترط مروان شروطاً على الضحاك . وتضيف الرواية الى ان اتفاقاً مسبقاً كان قد تم بين مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص يركب الاخير حسب اتفاقهما جواداً جامعاً لا يمكنه من مواصلة المسير فيرجع الى دمشق لاستبداله ولكنه يدخلها ويحتلها ويطرد عامل الضحاك منها ويغلق الابواب ويتحصن بها (٧٤) .

ان ما وقع في الجابية من مناقشات ومجادلات يستحق وقفة فاحصة من لدن الباحث التاريخى وهو الحدث الذى اصطلح

ومن المناسب ان نذكر في هذا المجال ان حدثا ذا اهمية كبيرة قد وقع في دمشق لصالح الامويين هو استيلاء يزيد بن النمير الغساني على دمشق وطرده عامل الضحاك بن قيس منها. واستولى على خزائن الاموال واطهر البيعة لمروان وامده بالمال والسلاح والرجال « فكان اول فتح فتح على بنى امية » على حد قول الطبرى (٨٥). وهذا الحدث قد اثر سلبيا في معنويات جند الضحاك على الرغم من كثرتهم العددية .

واستمر القتال عشرين يوما دون نتيجة لصالح احد الفريقين المتحاربين ويبدو ان التفوق العددي للقيسية قد حال دون تحقيق نصر سريع من جانب جيش الامويين فعمدوا الى الحيلة لكسب المعركة. فيذكر المسعودي وابن عبد ربه الاندلسي ان مروان بن الحكم طلب من الضحاك بن قيس المودة في القتال . فقبل الضحاك عرض مروان ظنا منه ان الحرب قد اتعبت الامويين وانصارهم ولعلهم يلجؤون الى حل عن طريق المفاوضات. وكان مروان قد اعد خياله للانقضاض على القيسية. ومباغتتهم دون استعداد فقتل الضحاك وصبرت القيسية عند راياتها فقتلت مقتلة عظيمة (٨٦).

ويذكر المستشرق هنري لامنس اسبابا هيأت النصر لليمانية على القيسية في مرج راهط . اول الاسباب هو نجاح اليمانية في فصل القضاة واليمانيين المنشقين عن انتماءاتهم القبلية والمنضمين في صفوف جيش الضحاك بن قيس . ثانيا الاسباب هو الاستيلاء على دمشق وعلى بيت المال ومد جيش مروان بالمال والرجال وتأثير ذلك على معنويات جيش الضحاك الفهري . ويشير المستشرق لامنس الى دور الاموال التي جلبها عبيد الله ابن زياد من العراق في استمالة القلوب ودعم موقف الامويين والتي كانت في خزينة الدولة بدمشق وهو امر لا يمكننا تصديقه ان كيف يمكن لعبيد الله بن زياد المعروف بولائه الاموي تقديم الاموال لدعم موقف الضحاك الموالي لعبد الله بن الزبير ووضعها تحت تصرفه في بيت المال بدمشق . ويضيف لامنس سببا ثالثا في هزيمة جيش الضحاك هو شعور بعض الشاميين المتذبذبين بولاءاتهم كم سيكلفهم مبايعة شخص من الحجاز من فقدانهم لامتيازاتهم وذلك بنقل مركز الحكم الى الحجاز . فانضموا الى جيش الامويين (٨٧).

والحقيقة ان شرحبيل بن ذرى الكلاع الحميري خير نموذج لهذا الفريق فهو مدد ارسله النعمان بن بشير الانصارى والي حمص الزبيرى النبوى لدعم موقف الضحاك ولكنه خذله وانضم الى جيش مروان هو احد الاشخاص الذين اعتمد عليهم مستقبلا . ومما تجدر اليه الملاحظة ان معركة مرج راهط قد ابرزت العصبية القبلية بين القيسية واليمانية وهو امر طالما حرص السفليانيون على اقامة نوع من التوازن فيه حيث اختلف هذا التوازن وجرت هذه المعركة صراعات دامية هي بمثابة حرب

ابادة بين قيس وكلب وقيس وتغلب سيما وان القيسيين لم ينسوا قتلهم في مرج راهط وكان شعارهم الدائم هو الثأر لقتل مرج راهط . كان للعصبية القبلية اثر في اضعاف الدولة الاموية ثم في اسقاطها وكذلك في زعزعة سلطان العرب في الاندلس (٨٨). وعلى أية حال فان مروان بن الحكم دخل دمشق ظافرا بعد انتصاره في معركة مرج راهط حيث بويع له مرة اخرى في دمشق. وتم اخضاع باقى الولايات الشامية لصالح الامويين فقد هرب زهر بن الحارث الى قرقيساء واتخذها قاعدة لمحاربة الكليبيين وهرب عامل حمص النعمان بن بشير الانصارى فتم قتله. وهرب نائل بن قيس الجذامي من فلسطين والتحق بابن الزبير في مكة وبهذا خلصت الشام كلها لمروان بن الحكم (٨٩).

وقام مروان بن الحكم بخطوة مهمة عززت انتصاره هي ذهابه بنفسه على رأس جيش لاسترداد مصر من قبضة ابن الزبير لما تتمتع به مصر من موقع جغرافى وموارد اقتصادية كبيرة للدولة العربية. واستطاع مروان طرد عامل ابن الزبير عبدالرحمن بن حجدم الفهري من مصر وتعيين ولده عبدالعزيز واليا عليها . وبهذه الخطوة أمن مروان حدوده الجنوبية لان مصر تعد امتدادا جغرافيا لبلاد الشام. ولم ينس مروان اهمية العراق وتوابعه من الاقاليم بالنسبة الى دولته فأرسل جيشا بقيادة عبيد الله بن زياد لاستعادته من سيطرة ابن الزبير وتلك مهمة اضطلع بها خليفته عبد الملك ان نجح بها نجاحا باهرا واعاد وحدة الدولة العربية في عام ٧٣ هـ.

بقى امامنا ان نوضح موقف ابن الزبير الذى لم يوفق في اهتبال قرص عديدة للوصول الى الخلافة . فحسب المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا ان جملة من المآخذ يمكن توجيهها الى ابن الزبير ان يمكن اعتباره ضيق الافق بالامور السياسية وذلك امر عائد الى تكوينه العقلي ومزاجه الشخصى وبيئته الحجازية . فالملاحظ انه لم يقبل بعرض قائد الجيش الشامى الحصين بن نمير مبايعته بالخلافة شريطة ان يذهب معه الى حاضرة الدولة العربية دمشق لان نظرة اهل الشام ان يبقى مركز الدولة في اقليمهم. هذا وقد عبر عن ندمه حينما انسحب الجيش الشامى دون اتفاق يذكر (٩٠). اضافة الى انه قام بطرد الاسويين من الحجاز الى الشام بحيث شجعت هذه الخطوة اهل الشام في ترشيح مروان بن الحكم لمنصب الخلافة (٩١). لقد اكتفى بالبقاء في مكة دون ان يعطى لنفسه العناء في التحرك كما فعل الامويون في الشام واكتفى بارسال العهود والكتب لتولية ابنه على الولايات. فلو انه ذهب بنفسه الى الشام لما اختلف عليه الناس هناك. والحق يقال انه كان لا يأمن الامويين ومؤيديهم وكان يخاف الغدر (٩٢). وان خطوته العسكرية بارسال اخيه مصعب على رأس جيش لاسترداد الشام كانت متأخرة وكان من السهل صد هذا الجيش من قبل الامويين. وثمة مأخذ يأخذه

المؤرخون على ابن الزبير هو بخله وعدم تمكنه من استمالة جميع المعارضين للحكم الاموي بالوسائل المعروفة . فمن المسلم به ان عملية الوصول للحكم تتطلب بذل الاموال والقيام بوسائل الدعاية لدعم المواقف السياسية والدينية اذ ان الرياسة لا تتفق مع البخل كما يصف ذلك المؤرخ البلاذري في معرض كلامه عن سياسة ابن الزبير (٩٣). وبدلاً من ان يستميل الخوارج والعلويين وانصارهم الى جانبه ويجعلهم في جبهته لمقاتلة الامويين نراه قد نفر الخوارج وضيق على العلويين فكانوا عاملاً في خذلانه (٩٤). والواقع اننا نستطيع ان نأخذ صورة عن ابن الزبير من الحوار الذي جرى بينه وبين الحصين بن نمير عندما طرح عليه ان يبايعه وان يذهب معه الى الشام ثم يؤمن الناس على ارواحهم واموالهم ويهدر الدماء التي كانت بين اهل الشام واهل الحجاز وينهى العداوة . غير انه رفض عرض الحصين بن نمير ووعد بالانتقام من اهل الشام وهو امر يتعارض مع ايسر قواعد الملك والرياسة مما دعا الحصين الى الرد عليه : « قبح الله من يعدك بعد هذا داهياً قط او ادبياً ، قد كنت اظن ان لك رأياً . الا ارانى اكلمك سرّاً وتكلمنى جهراً ، وادعوك الى الخلافة وتعدنى القتل والهلكة » (٩٥). او كقول البلاذري : « لله ابوك ما عرف من نسبك الى الدهاء ، انا اكلمك مثل هذا سرّاً وتجيبني عليه علانية » (٩٦). وقد صدق قائد الجيش الشامي ان اموراً من هذا النوع تستحق الكتمان والسرية . ويبدو ان ابن الزبير لم يع ما قام به معاوية بن ابي سفيان عندما منح الامان لكل الذين حاربوه في عهد الامام علي بن ابي طالب وابنه الحسن بن علي لكي يسوس الناس بطمأنينة وهذه من شروط الرئاسة التي لم يفهمها ابن الزبير الا بعد فوات الاوان ولكنها لم تفت خصمه الاموي الحازم عبد الملك بن مروان حيث تمكن من القضاء عليه ببذله الاموال وكسبه القلوب باساليب الدعاية ومنحه الامان والمناصب (٩٧).

## الهوامش

- ١٦ - المقدسي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧
- ١٧ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ٦٤
- ١٨ - اليعقوبي، المصدر السابق ج ٢، ص ٢٤١ - ٢٤١.
- ١٩ - السيوطي، المصدر السابق، ص ٢١١
- ٢٠ - ابن الاثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٠
- ٢١ - د. عبدالعزيز الدوري، النظم الإسلامية، بغداد ١٩٥٠ ص ٢٩
- ٢٢ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٠٤
- ٢٣ - خليفة بن خياط، المصدر السابق، في ١، ص ٣٢١
- ٢٤ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ٦٢ - ٦٢.
- ٢٥ - اليعقوبي، المصدر السابق ج ٢، ص ٢٤١ - ٢٤١
- ٢٦ - ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص ٣٥٢
- ٢٧ - ابن عبد ربه الاندلسي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩١
- ٢٨ - ابن الاثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٠
- ٢٩ - السيوطي، المصدر السابق، ص ٣٩١
- ٣٠ - الذهبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٩
- ٣١ - ابن كثير، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٧
- ٣٢ - ابن اعثم الكوفي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٠٤
- ٣٣ - خليفة بن خياط، المصدر السابق، في ١، ص ٣٢١
- ٣٤ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٣١
- ٣٥ - المقدسي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧، ابن الاثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٠.
- ٣٦ - H. Lammens, La Syrie, precis historique, Beyrouth. 1920, p. 62
- N. Elisseef "orient Musulman au Moyen Age", Paris, 1977, P. 92
- ٣٧ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ٦٢ - ٦٢
- ٣٨ - د. عبدالعزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٠
- ٣٩ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٧٥
- ٤٠ - نفس المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٧٤ - ٤٧٥
- ٤١ - نفسه، ج ٥، ص ٤٧٦
- ٤٢ - نفسه، ج ٥، ص ٤٧٤
- ٤٣ - نفسه، ج ٥، ص ٥٠٢
- ينظر (بالفرنسية) El: art Ibn al-zubayr T.I, P. 57
- ٤٤ - الطبري، نفس المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٠٢
- ٤٥ - ابن الاثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٠. ويذكر البروسور هاملتون حب ان سلطة ابن الزبير بقت اسمية محضة (بالفرنسية) El: T.I, P. 57
- ٤٦ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ١٨٨
- ٤٧ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ وما بعد
- ٤٨ - نفس المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٣٠
- ٤٩ - نفسه، ج ٥، ص ٥٤٠
- ٥٠ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ١٤١
- ٥١ - نفس المصدر السابق، م ٤، ص ٦٢ - ٦٢
- ٥٢ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢٣
- ٥٣ - نفس المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢٣ وما بعد
- ٥٤ - El: art. al-Dhak, T. I, P. 91 (بالفرنسية)
- ٥٥ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢٤
- ٥٦ - نفس المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٣٥ - وينظر كذلك El: art al-Dhak, T. I, P. 91 (بالفرنسية)
- ٥٧ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ١٤٦ - ١٤٦
- وكذلك ينظر د. دكيس، عبدالأمير، الخلافة الأموية، بيروت، ١٩٧٣ ص ١٤٤
- ينظر Dr. DIKON, El: art. Kalb, P. 91 (بالإنجليزية)
- والصغير
- Dr SHABAN Islamic History A New Interpretation Part-1, Cambridge Press, London, 1971, P. 93
- كذلك B. LEWIS, The Arabs In History London 1975, P. 67
- ينظر كذلك N. ELISSEEF "L'Orient Musulman Au Moyen Age" OP. cit, P. 92
- ٥٨ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢٤، يذكر صاحب العقد العربي ان اهل الشام رفضوا تولية الصالح الفهري عليهم من قبل ابن الزبير وقالوا « الملك فيما اهل الشام فاستغلنا ان نحاصر لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر » اس

- ١ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١، ص ٥٠٣
- ٢ - البلاذري، انساب الاشراف، م ٤، القدس، ١٩٣٦، ص ٦٢
- ٣ - اليعقوبي، كتاب التاريخ ج ٢، المكتبة الحيدرية، البغداد، ١٩٧٤، ص ٢٤١
- ٤ - ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح ج ٤ حيدر آباد، الهند، ١٩٧٤، ص ٣٠٣
- ٥ - مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، ج ٥ باريس، ١٩١٦، ص ١٧
- ٦ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ق ١ دمشق، ١٩٦٧، ص ٢٢١، ت سهيل زكار
- ٧ - ابن قتيبة الدينوري، المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٣٥٢
- ٨ - ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج ٤، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ ص ٢٩١
- ٩ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، دار صادر، بيروت ١٩٦٥ ص ١٣٠
- ١٠ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، دار المعارف بيروت ١٩٧٧ ص ٢٣٧
- ١١ - الحافظ الذهبي، كتاب العبر في خبر من غير، ج ١، تحقيق المنجد، الكويت، ١٩٦٠، ص ٦٩
- ١٢ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، القاهرة ١٩٥٢، ص ٢١١
- ١٣ - الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢١
- ١٤ - ابن اعثم الكوفي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٠٣ - ٣٠٤
- ١٥ - البلاذري، المصدر السابق، م ٤، ص ٦٤

عبدربه الأندلسي ، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٤  
 ٥٩ - بيطر الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٠ ، فيما قاله الحصين بن نمير السكوني  
 حول الحالة التي كانت عليها الشام  
 ٦٠ - البلاذري ، المصدر السابق ، م ٤ ص ١٣٤ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص  
 ٥٣٢ ، ابن عبدربه الأندلسي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٥  
 ٦١ - يوليوس فلولون ، الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة أبو ريده ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص  
 ١٦٨  
 ٦٢ - البلاذري ، المصدر السابق ، م ٤ ص ٦٤ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص  
 ٥٣١ ، بيطر ابن عبدربه الأندلسي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٤ - ٢٩٥  
 ٦٤ - نفس المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٢  
 ٦٥ - نفسه  
 ٦٦ - أيضا  
 ٦٧ - الطبري ، المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٢ وما بعد . حول الحامية يقول بأقوت  
 الحموي أنها قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر من ناحية الحولان في شمال حوزان  
 معجم البلدان ، ج ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ .  
 ٦٨ - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ٥٣٤  
 ٦٩ - يصف بأقوت الحموي مرج راطط بأنه أشهر المروج وإذا ذكر لوحده مفردا فإياه  
 يقصد . ويضع نواحي دمشق . ينظر . معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٠١ ويذكر المستشرق لا  
 مفسر أن جيش الضحان اختار أول الأمر مرج الصفر وبعدها أجبر على اختيار مرج راطط  
 كموقع للمنازلة الأخيرة . وهو رأي يخالف إجماع المؤرخين  
 ينظر E.H. art. Marij Rahit P. 293 (بالفرنسية)  
 وكذلك ينظر N. FISSEEF, L'Orient Musulman au moyen age, Op. cit, P. 92  
 ٧٠ - ينظر Dr DIXON, EL: art. Kalb, P. 493  
 وحول دور القبائل في المشرق العربي خلال الحكم الأموي . بيطر  
 د. ناخي حسب ، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، منشورات اتحاد المؤرخين  
 العرب ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٦٨ وما بعد .  
 ٧١ - البلاذري ، المصدر السابق ، م ٤ ص ١٤١ .  
 الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٠ - ٥٣٤  
 ٧٢ - البلاذري ، المصدر السابق ، م ٤ ص ١٤١ وما بعد  
 الطبري ، المصدر السابق ج ٥ ، ص ٥٤١  
 ٧٣ - البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ١٣٢  
 ٧٤ - نفس المصدر السابق م ٤ ص ١٥٦  
 ٧٥ - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٦  
 ٧٦ - البلاذري ، المصدر السابق ، م ٤ ص ١٣٢

الجابري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٦  
 ٧٧ - نفس المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٤١  
 ٧٨ - نفسه ، ج ٥ ص ٥٤١ .  
 ٧٩ - ابن عبدربه الأندلسي ، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٨  
 ٨٠ - البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ١٤٤ - ١٤٥  
 ٨١ - نفس المصدر السابق م ٤ ، ص ١٤٥ - ١٤٦  
 ٨٢ - نفسه ، م ٤ ، ص ١٢٩  
 ٨٣ - يذكر المستشرق لا مفسر أن جيش الضحاك الهجري كان يضم جماعات من اليمنية  
 والقضاعية المنشقة عن قبائلهم  
 ينظر : E.H. art: Marij Rahit, P. 293-294 (بالفرنسية) .  
 ٨٤ - البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ١٢٧ وكذلك ينظر ابن عبدربه الأندلسي ،  
 المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٧  
 ٨٥ - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٣٧  
 ٨٦ - ابن عبدربه الأندلسي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ويرويه المسعودي  
 بذلك ، ينظر : مروج الذهب ، ج ٢ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٨٦ وكذلك ينظر  
 E.H. art: Marij Rahit, P. 91  
 ٨٧ - ينظر ، E.H. Op. cit, P. 91  
 ٨٨ - DIXON, EL: op. cit, P. 493  
 وكذلك ينظر Levi, provençal, E.H. Op. cit, P. 493  
 ٨٩ - البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ١٤٧  
 الطبري ، المصدر السابق ج ٥ ص ٥٢٩ - ٥٤٠  
 ٩٠ - الطبري ، المصدر السابق ج ٥ ص ٥٠٢  
 ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٠ حيث يورد ما نصه : وندم . الربيع علي  
 ما صنع .  
 ٩١ - البلاذري ، المصدر السابق ، م ٤ ص ١٣٦  
 ٩٢ - الطبري ، المصدر السابق ج ٥ ص ١٩٤  
 ٩٣ - البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ١٩٤  
 ٩٤ - ابن الأثير ، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤  
 ٩٥ - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٠٢  
 ينظر كذلك ، E.H. art: Ibn al-zubayr, Op. cit, P. 57  
 ٩٦ - البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ٥٢  
 ابن عبدربه الأندلسي ، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٢  
 ٩٧ - ينظر : البلاذري ، المصدر السابق م ٤ ص ١٩٤ .  
 د . عبد الأمير دكسن ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧

# الناصر داود الأيوبي

## وشعره الحزين

بقلم  
الدكتور موسى بناي العلي  
وزارة الاوقاف بغداد

فقال الناصر داود : اسكت فقد أخطأت، قد كان جدُّ أمير المؤمنين العباس شاهداً يومئذ، ولم يكن المقدم (٥) فخرج مرسوم الخليفة بنفى ذلك الفقيه الى القاهرة ، ثم خلع الخليفة على الناصر داود خلعةً سنّية تتناسب مع مكانته العلمية (٦) ، وما كان ذلك الا لمكانته العلمية ، ولاستحسان مناقشاته المدعمة بالأدلة . وكان يجلس العلماء ، ويكرم الشعراء ، فقد وقد عليه شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلي ومدحه ، فوصل اليه ما يزيد على أربعين ألف دينار ، واعطاه على قصيدة (٧) أخرى ألف دينار ، لذلك قال في مدحه جمال الدين بن مطروح .

ثلاثة ليس لهم رابع عليهم معتمد الجود  
الغيث والبحر وعززهما بالملك الناصر داود

لما مات والده المعظم عيسى سنة ٦٢٤ هـ بدمشق خلفه على حكم البلاد التي كان يحكمها ، وهي : الشام ، والشوبك ، والكرك ، وعجلون ، ونابلس وما تابعها ، وقد قاد البلاد بحكمة بارعة ، وأرسل اليه الملك الكامل بالخلع والهدايا ، وطلب منه الشوبك ليجعلها خزانة له ، فرفض طلبه ، واستنجد بعمه الملك الأشرف ، فاستجاب له ظاهراً واتفق مع الكامل سراً على ان تكون للأشرف دمشق ، وللکامل بقية البلاد ، فحاصروا الناصر داود في دمشق لمدة أربعة اشهر ، فلما ضاق عليه الحصار ، وقلت الأرزاق ، طلب الأمان فاجاباه الى ذلك . فأخذ الأشرف دمشق ، وأخذ الكامل الشوبك وقسماً من الجزيرة التي كانت تابعة للملك الأشرف ، وأبقيا للناصر داود الكرك وعجلون والصلت ونابلس والخليل (٨) ، وانتقل الناصر داود الى الكرك وجعلها عاصمة له ، وبقي فيها مدة عشرين سنة لم يكن سعيداً خلالها ، لكثرة النكبات التي أصابته طيلة حياته ، والتي سوف نعرض لها بالتفصيل حينما نناقش شعره الحزين ، وكانت وفاته سنة ٦٥٦ هـ ، أصيب بالطاعون في قرية البويضاء ، ودفن بسفح قاسيون بدمشق (٩)

تاريخ أمتنا مليء بالعلماء والقادة والأدباء والشعراء الذين قدموا خدمة عظيمة لوطنهم وخلصوا اسماءهم في التاريخ الاسلامي ، بعلمهم وأدبهم وسيوفهم . ومن هؤلاء الملك الناصر داود الأيوبي ، لقد كان من الشخصيات المرموقة في الأسرة الأيوبية ، فقد جمع بين العلم ، والشعر ، والشجاعة والرئاسة ، فكان ملكاً ، وكاتباً ، وفيلسوفاً ، وشاعراً ، وفارساً مقدماً سجل اسمه في سجل الخالدين .

وبحثنا هذا يتناول حياته بصورة موجزة ، ودفاغه عن الاسلام ، ومعرفة اسباب حزنه ، ومناقشة شعره الحزين .

### حياته

هو داود بن المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي ، ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٠٣ هـ (١) . بدمشق ، ورباه والده المعظم عيسى ، وتعلم على مشاهير الاساتذة ، أمثال محمد بن أحمد القطيفي ، وأجازه ابو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي ، واشتغل في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام على الشمس الخسرو شاهي (٢) ، ودرس النحو والصرف على ابن الحاجب (٣) . وكان ملازماً في الاشتغال بالعلوم على اختلافها ، وشارك في كثير منها ، وحصل منها طرماً جيداً (٤) ، واستمر في طلب العلم والمعرفة حتى أصبح أديباً وفيلسوفاً وشاعراً ، واشترك في مناقشات علمية وأدبية مشهورة ، فقد حضر أول درس القي في المدرسة المستنصرية ببغداد ، وكان الخليفة في روشن ينظر ويسمع الكلام ، وحضر جماعة من الفقهاء المرتبين بالمدرسة وغيرهم من ائمة الأربعة ، وباحث الناصر داود العلماء ، واستدل واعترض وناظر الفقهاء مناظرة حسنة ، وكان جيد المناظرة صحيح الذهن ، له في كل فن مشاركة جيدة ، ثم قام رجل من الفقهاء يقال له وجيه الدين القيرواني ، ومدح الخليفة بقصيدة منها قوله :

لو كنت في يوم السقيفة شاهداً كنت المقدم والامام الاعظم



## دفاعه عن الاسلام

كان بيت المقدس تحت سيطرة الصليبيين ، ولما جاء صلاح الدين الأيوبي الى الحكم بذل جهوداً كثيرة في الجهاد في سبيل الله ، لأجل تخليص فلسطين وبيت المقدس من سيطرة الصليبيين ، فتمكن بحكمته وشجاعته من تحرير أكثر أرض فلسطين منهم ، وانقذ القدس من رجسهم ، وأرجع هبة الاسلام الى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كانت تلك الانتصارات التي تحققت بعهد الا بجمع كلمة العرب وتوحيد قلوب المسلمين في الجهاد في سبيل الله (١٠) .

بعد وفاة صلاح الدين توزعت البلاد بين اولاده ، واخوته ، فضعفت قوة المسلمين ، ووقعت الحرب بين الاخوة والابناء ، والاعمام ، الى ان وصل الامر باحد ملوك الايوبيين - الملك الكامل محمد - ان يسلم بيت المقدس الى الصليبيين بغير حرب (١١) ، سنة ٦٢٦ هـ ، وكان الناصر داود حاكماً للشام ، فاخذ يشنع على عمه الكامل بسبب تسليمه القدس الى الاعداء ، وأمر سبط بن الجوزي ان يعمل مجلساً في ذلك ، قال فيه : « وانقطعت من القدس وفود الزائرين ، يا وحشة المجاورين ، كم كانت لهم في تلك الاماكن من ركعة ، وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمة ، تالله لو صارت عيونهم عيوناً لما دنت ، ولو انقطعت قلوبهم أسفاً لما اشتفت ، أحسن الله عزاء المؤمنين ، يا خجلة ملوك المسلمين ، لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات ، ولمثلها تنقطع القلوب من الحسرات ، قال الشاعر (١٢) :

عزيز علينا ان نرى القدس تخرب      وشمس مبابية يزول ونخرب  
وقلت له من الدموغ لانه      على مثله تجرى الدموغ ونسب

بعد ان سلم بيت المقدس الى الصليبيين ، بقى تحت سيطرتهم مدة إحدى عشرة سنة ، الى سنة ٦٢٧ هـ ، حيث جهز الناصر داود جيشاً وقاده بنفسه ، وحاصرها ، وضرب القلعة ، وضرب برج داود (١٣) ايضاً ، ودخل مدينة القدس وحررها من الارجاس الصليبيين ، وأرجع الغزاة الى بلداهم ، وأرجع المسلمين الى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبهذه المناسبة أنشد الشاعر ابن مطروح يقول (١٤) :

المسجد الأقصى له عادة      سارت فصارت مثلاً سائرا  
اذا غدا بالكفر مستوطناً      ان يبعث الله له ناصرا  
فناصر طهره اولا      وناصر طهره آخر

يقصد الشاعر بالناصر الذي طهره اولا : الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وبالناصر الذي طهره آخر : الناصر دواود بن عيسى الأيوبي ، وكتب فخر القضاة نصر الله بن بصافة رسالة عن الناصر داود الى الديوان المستنصري في بغداد ، يقول فيها « وقابلهم العبد بصليب من الراى لا يعجم عوده ، وقاتلهم بجيش المصابرة لا تقل حنوده .. الخ ، (١٥) »

وبعد تحرير القدس بقيت تحت حكم المسلمين الى ان سلمه الصالح اسماعيل مرة أخرى الى الصليبيين سنة ٦٤١ هـ ، ثم استرجعها الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر من أيديهم (١٦) ولم ترجع الى الصليبيين بعد ذلك .

## سبب حزن الناصر دواود

إنَّ الإنسان يحزن لفقد أخ أو ولد أو والد ، أو صديق أو يحزن لمصيبة تحل به فتفقده أعز ما يملك ، والناصر داود لم يزل منذ توفي والده سنة ٦٢٤ هـ الى ان أدركته منيته سنة ٦٥٦ هـ في نكد وتعب ونصب ، لم يصف له من عمره سنة واحدة (١٧) وكان ذلك الحزن بسبب الاضطهاد الذي تعرض له من عمومته وأبناء عمومته ، لذلك يجدر بنا ان نعرف ، لم هذا الاضطهاد وم سببه ؟

ان الناصر داود يختلف عن الاسرة الايوبية ، وهذا الاختلاف يبدو واضحاً في حبه للفلسفة واشتغاله بها ، وفي مذهبه الديني الذي يختلف عن مذهب الاسرة الايوبية ، لاجل ذلك نحاول ان نتعرف على النقطتين السابقتين

### ١ - مذهبه الديني :

ان الناصر داود والده المعظم عيسى كانا على مذهب الاما ، أبى حنيفة ، وكانا يتعصبان لمذهبهما (١٨) ، وكان بنو أيوب جميعهم على مذهب الامام الشافعي ، ولما عوتب المعظم عيسى في ذلك ، قال : أما ترضون ان يكون فيكم واحد مسلم (١٩) ، وبعد وفاة المعظم عيسى تولى ابنه الناصر داود مكانه ، فضايقه عم الكامل - كما بينا سابقاً - ولم يترك له عمه الكامل والاشرف الكرك وبالس وما جاورهما ، وهذه المقاطعة الصغيرة لم تترك له مع بلائه العظيم في انقاذ بيت المقدس من الصليبيين .

### ٢ - حبه للفلسفة واشتغاله بها

الناصر داود شاعر مشهور ونحوي وكاتب له رسائل نفيسة واشعار شيقة جمعت في «كتاب الفوائد الجليلة في الفرائد الناصرية» (٢٠) ، ولكنه مع اشتغاله في نظم الشعر ، وحبه للادب واللغة ، فقد شغف بالفلسفة والمنطق ، وقد درسهما على الخسر شاهی تلميذ الفخر الرازي (٢١) ، قال أحمد بن محمد الحنبلي وذلك هو السبب في حصول ما لاقاه من الشدائد (٢٢) ، وقد كانت الدولة الايوبية تحارب الفلسفة والمشتغلين بها ، وخُرب قبر الناصر دواود يحيى بن حنش الملقب بشهاب الدين السهروزي الفيلسوف الحكيم ، الذي كان محبوباً بقلعة حلب ، وأمر بخنق الملك الظاهر غازي (٢٣) ، بأمر والده صلاح الدين الأيوبي ، وفي مصر خُرب علي بن محمد الملقب بـ (سيف الدين الأمدى) وشُرَّ الى حماة ، ومنها الى دمشق ، ودرس فترة بالدرسة العزيزية ، فلم تولى الملك الاشرف على دمشق عزله من المدرسة المذكورة ، ونادى في المدارس من ذكر غير التفسير والعقود والحديث نفى من البلد (٢٤) ، وقد علق ابن عربي شيخ المتصوفة ، وابن الصلاح شيب

الخليفة في مقدمتها ، وعاتبه فيها عتاب محزون لم يحصل على بغيته التي جاء من أجلها ، ومنها قوله (٢٠) :

الا يا امير المؤمنين ومن غدت  
ايحسن في شرع المعالي ودينها  
بأني اخوض الدوا والدوا مَقْفَرُ  
وارتكب الهول المخوف مُخَاطِراً  
وقد رصد الاعداء لي كل مرصم  
فتسخط لي بالمال والجاه بغيتي  
واتيك والعصبي المهبط مُضَلَّتْ  
وانزل امالي ببابك راجياً  
وباتيك غيري من بلاد قريبة  
وما اغتر من حوب الفلاح وجبهه  
فيلقي دُؤاً منك لم الق مثله  
وينظر في للاء قدسك نظرة  
ولو كان يعلوني نفس ورثته  
لكنت اسلي النفس عما ترومه  
ولكنه مثلي ولو قلت إنني  
وما اسام من بلاء المال عينه  
وبني فلما رؤيتك مهمل رثته

على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه  
وانت الذي تُعزّي اليه مدهابه  
سياربتة مغبرة وسبابية  
بفسي ولا اعيا بما انا راحته  
فكلهم يحوي نذب عقاربته  
وما الجاه الأبعث ما انت واهته  
طرير شاة قانيات ذوابته  
فواصل جاء بهز النجم ثاقبه  
له الامر فيها صاحب لا يحانه  
ولا انصبت بالسير فيها رعايته  
ويحظي ولا تحظي بما اناطته  
فيرجع والنور الامامي صاحبه  
وصدق ولاء لسث فيه اصاقبه  
وكنث ادو العين عما تراقبه  
ازيد عليه لم يعجب دك عانيه  
ولا سوى التقريب نُفْضى ماريه  
ولا غرو ان تصفو لوردي مشاريه

إن الشاعر جاء قاصداً الخليفة المستنصر بالله العباسي مستجيراً به من عمه الكامل ، وبقية الذين يحاولون اقتسام بلاده ، وإنه أقبل من بلد بعيد قاطعاً الغلوات والصحارى القاحلة الكثيرة الغبار ، وقد عرض نفسه للمخاطر والأحوال ، وهو لا يعبأ بما يلاقى من الاعداء ومؤامراتهم التي تستهدفه ، وتحاول ازالته عن مملكته التي ورثها عن والده ، وقد اعتقد ما يرجوه من هذه السفارة الساتة . حديثه من الاعداء .

في شعره في حمة . أخرى الى الإشارة لمظفر الدين صاحب اربل (٢١) . الذي قدم قبله عي الخليفة ، وكرمه وقابله ، ولم يبذل ما بذله الناصر داود من تربص الاعداء وقطع الصحراء ، ويقارن بين نفسه وبين صاحب اربل من حيث النسب والمكانة والعلم والشجاعة ، ويبن بأنه ان لم يكن مساوياً له ، فان الناصر داود يفوقه ، ويختم كلامه بأنه يرفض المال ، ويريد المقابلة والتكريم ، وأنه جاء لاجلهم ، فلما وصلت هذه القصيدة استدعاه الخليفة سراً وقابله ، واستمع اليه ، وكان الخليفة يمتنع من مقابلته بسبب الملك الكامل ، لانه بحاجة الى كسب ود الملك الكامل وليس الناصر داود ، فجمع بين المصلحتين باستدعائه سراً

ثم ان المستنصر بالله خلع على الناصر داود « خلعة سنية عمامة سوداء ، ورحية سوداء مذهبة ، وخلع على اصحابه ومماليكه خلعة سنية ، واعطاه مالا جليلا ، وبعث في خدمته رسولا من اكبر خواصه الى الملك الكامل يشفع اليه في اخلاص بيته له وابقاء بلاده عليه ، فوصل الناصر والرسول الى دمشق وبه الملك الكامل ، فخرج لتلقيهما الى القصير ، واقبل على الناصر

المحدثين على عزل الامدى من المدرسة العريزية ، بأن اخذها منه أفضل من استرداد عكا من الصليبيين (٢٥) ، وهذا التعليق وامثاله يظهر شدة بغض الفلسفة والمشتغلين بها في تلك الفترة . ولا كان الناصر داود قد درس الفلسفة واشتغل بها ، فقد اتهم بفساد العقيدة ، قال ابن كثير : « وحكوا عنه اشياء ان صحت تدل على سوء عقيدته » (٢٦) ، وقال أحمد بن محمد : « قرأ العلوم العقلية على الخسرو شاهي تلميذ الامام الرازي ، وذلك هو السبب في حصول ما قاساه من الشدائد » (٢٧) ، ولهذا السبب نرى عمه الاشرف الذي عزل الامدى عن التدريس من المدرسة العريزية بسبب الفلسفة اتفق مع عمه الكامل على تجريده من مملكته التي ورثها عن والده ، بعد محاربته ومحاصرته في دمشق .

يتضح لنا من ذلك ان اتجاه الناصر داود الفلسفي هو الذي اثار حقد عمومته عليه ، وعرضه للنكبات المتوالية التي جعلته يكره الحياة ويتمنى الموت ، ويظهر ذلك بقصائده الحزينة ، وليس مخالفته في المذهب لاسرته الأيوبية ، ولو كانت المخالفة المذهبية هي السبب ، لوقع الخلاف بين المعظم عيسى والده ، وبين اخوته ، ولم تنقل لنا المصادر خلافاً واقعاً بين المعظم عيسى واخوته ، وبذلك تكون الفلسفة هي السبب في شقاء الناصر داود وحزنه المستمر الى وقت وفاته .

### شعره الحزين

إن الشعر الذي نظمه الناصر داود ليس جميعه حزيناً وإنما فيه صور شعرية جميلة في الغزل والوصف والمديح . نقلتها المصادر المعاصرة له ، والتي جاءت بعده (٢٨) ، اضافة الى كتابة « الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية » ، ولكنني رأيت الغالب في شعره سمته الحزن ، لذلك اخترت بعض الصور الحزينة وناقشتها لكونها خارجة من قلب ملء بالحزن والكابة ، فكانت هذه الصور الشعرية دليلاً على ما لاقاه الناصر داود من المصائب والنكبات التي لازمت طيلة حياته السياسية ، ولعل الصور غير الحزينة نظمها قبل وفاة والده ، أو في الفترات القليلة من الراحة النفسية التي تخللت حياته السياسية

بعد ان اتضح لنا السبب الذي حوّر من أجله الناصر داود ، نعرض الى شعره الحزين موضحين ما فيه من صور مأساوية نتيجة لتلك المحاربة المستمرة .

اجتاز الملك الكامل على الناصر داود في الكرك ، وحصل بينهما تواد وتقارب مما دعاه الى ان يعقد له على ابنته عاشوراء ، وبعد ذلك حصل بينهما خلاف بسبب بعض الوشائيات ، فالزعم بطلاق ابنته قبل ان يدخل بها ، فخاف الناصر داود من عمه خوفاً شديداً ، وتوجه الى الخليفة المستنصر بالله العباسي لاتخاذ به (٢٩) ، فرحب به في بغداد ، وخلع عليه . ولكنه لم يؤذن له بمقابلته ، كما اذن لمظفر الدين صاحب اربل ، فظم فصدة مدح

داود اقبالا كثيراً وقبل شفاعة الخليفة، والسسه الخلعة هناك ، وكان الخليفة قد لقب الناصر داود الوالي المهاجر مضافاً الى لقبه ، فأمر الكامل خطباء بلاده ان يذكروا ذلك والدعاء له ، ثم خلع على رسول الخليفة واعطاه شيئاً كثيراً (٢٢). وعاش الناصر داود فترة من الوقت مرتاح البال

ساعد الناصر داود الملك الصالح أيوب في الاستيلاء على مصر واسقاط الملك العادل ، وبعد ان حكم الصالح أيوب مصر مكان العادل ، ناصب الناصر داود العداء واراد ان يعتقله ، بعد ان حلف له بأنه سوف يساعده في استرجاع الشام اليه ، فرجع خائباً ، ورابط بالساحل ، فاغتنم الصليبيون الفرصة بابتعاد الناصر داود عن دولته ، فهاجموا نابلس ، واعملوا السيف في أهلها ، واسروا من وجده فيها من النساء والأطفال ، واقاموا بها ثلاثة أيام ، يقتلون وينهبون ، ونصبوا على المساجد صليبانهم ، ومن سلم من أهلها تعلق برؤوس الجبال ، فلما علم الناصر داود ، قدم بجيشه وحينما تحققوا من قدومه ، تركوا نابلس منهزمين الى حصونهم ، فوجه الناصر داود قصيدة الى شيخ الاسلام في مصر العز بن عبدالسلام يقول فيها :

الا ليث أسي اثم طول عمرها	ولم يقضها رضى لمولى ولا سفل
وباليتها لما قضاهما سيد	ليسب طيب الفرع والاصل
قضاهما من اللاني خلف عواقر	ولا نشرث يوما ساني ولا فحل
وباليتها لما عدت بي حاسلا	أصيبت بما احتفت عليه في العمل
وباليتني لما ولدت واضبحت	تشدني الشدق صيات بالرحل
لحقني باسلا في فكت ضجيفهم	ولم اري الاسلام ما فيه من ركل

إن هذه الابيات تظهر مدى الحزن الذي أصاب الناصر داود من هول الفجعة ، وعظم المصائب ، الذي أصاب المسلمين في نابلس نتيجة لتفريق سلاطينهم ، فقد وجد العدو بفرقتهم طريفاً تسلل من خلاله لضربهم والتككيل بمواطنيهم ، إنها شكوى محزون أثقله الحزن فنبث شكواه الى الشيخ العز بن عبدالسلام الذي كان سابقاً شيخ الاسلام في الشام ، وبحكم منصبه انكر على الصالح اسماعيل تعاونه مع الصليبيين ، فسجنه هو وابن الحاجب (٢٣) ، ثم اطلق سراحهما بعد ذلك ، فذهب الى الصالح أيوب في مصر ، واصبح شيخاً للاسلام هناك ، وكان علي معرفة بالاتفاق الذي تم بين الناصر داود ، والصالح أيوب بخصوص تسليم الشام وتوابعها الى الناصر داود بعد انقاذها من الصالح اسماعيل .

يتمنى الناصر داود - في الابيات السابقة - ان تكون امه غير متزوجة ، واذا كتب عليها الزواج بسيد شريف مثل والده المعظم عيسى ان تكون عاقراً ، واذا قسم لها ان تنجب يتمنى ان يموت من اسبته طفلاً ، فيلحق بأبائه كي لا يبقى حياً ، ويرى من يتهاون في حقوق وطنه ، ويمكن العدو الغاصب من نفسه

والصالح أيوب لم يكتف بعدم مساعدة الناصر داود في محاربة الصليبيين ومنعهم من الاعتداء على المدن الاسلامية ، بل جهز جيشاً بقيادة فخر الدين بن الشيخ لمحاربة الناصر داود (٢٤) ، فهاجم ضياع الكرك وخرب الممتلكات وعاث في الأرض فساداً ، فقلت موارده بسبب الحرب ، فنظم الناصر داود قصيدة ، وجهها الى الصالح أيوب يذكر فيها بفضلته عليه ومخالفته لعشيرته في سبيل تنصيبه ملكاً لمصر ، وكان جزاء تلك التضحية العداوة المستمرة التي وصلت الى اعلان الحرب المدمرة ، قال فيها (٢٥) :

قولا من قاسته ملك اليد	ونعت فيه نهضة المستاسد
عاضيت فيه ذوى الحجي في اسرتي	واطعت فيه مكارمي وتوددي
يا قاطع الرحم التي صلتى بها	تعت على الظك الاثر بعسجد
عسي اسوك والدي عم به	يعلمو انتسابك كل ملك اصيد
ذغ سيف مقوي البليغ يذب عن	اعراضكم بفرده المتوقد
فهو الذي قد صاغ تاج فخركم	بمنصل من لؤلؤ وزرجد
والله يابن العم لولا خيقتي	لرميت فخرك بالعداة المنزد
لكنني ممر يحاف حزامه	نفساً يجزعني سهام الاسود
فما اراك ربك بالهدى ما ترجي	لثراك ففعل كل فعل ارسد
لتعبد وجه الملك طلقاً ضاحكا	وترد شمل البيت غير مبذ

لقد كسرت هذه الابيات عتاباً حزيناً ، لابن عمه الصالح أيوب ، وذكره فيها باليد البيضاء التي اكرمتها ، وحمته من أخيه العادل ملك مصر ، وعمه اسماعيل ملك الشام ، فأنهما بذلا للناصر داود الأموال والمساعدة والتأييد (٢٦) ، اذا سلمه اليهم فلم يسلمه ، وحوله من أسير الى ضيف مكرم ، وساعده في الوصول الى مصر ، ووطد له الأمور هناك ، وصحبه بجيش ، فلما وصلوا الى قرب مصر ، عزل قادة مصر أخاه الملك الكامل ونصبوه مكانه ، وبعد ان تمكن من قيادة البلاد تنكر له ، وحاول اعتقاله ، فرجع الناصر داود الى بلاده حزيناً ، لم يحصل من الوعود التي وعده بها ، ومنها مساعدته في استرجاع الشام من عمه اسماعيل ، وقد اقسم على ذلك في بيت المقدس (٢٧) .

ثم بين صلة القربى التي تربطه به ، وأنه قد قطع هذه الصلة باعتدائه ولما كان قد حلف ولم ينفذ الذي حلف عليه ، فمطلبه الوحيد الذي يريده منه هو ان يتركه يذب عن اعراض العشيرة ، بلسانه الذي هو أمضى من السيف القاطع ، ويوضح له بان لسانه هو الذي جعل الاسرة الايوبية تفتخر على غيرها بأبجاده التي ذكرها بتعمره ، اضافة الى ما قدمه لها بسيفه ، وذلك بفتح بيت المقدس وتطهيره من الصليبيين .

ثم اقسم بالله العظيم ، بأنه لولا خوفه من تفريق الاسرة الايوبية لرماه بشعره الذي يكون أمضى من السيف ، لكنه كان يخاف ان يصيب ابن عمه ، وينفرط باصابتة شمله وشمل

عشيرته ، فصبر على مضض كالذي يتجرع سم الافاعي القاتلة ، ولاجل ذلك دعا الله جل شأنه بأن يجعل عمله صالحا وصانبا كي يعز به الدولة وتتقوى على الاعداء .

وهذه الأبيات وإن كان فيها شيء من العجز والتعالي إلا أنها تظهر حزنه الثقيل، وصبره الكثير مما يقاسيه من قلة الناصر وشحة المال الذي تقوم به الدولة ، كي تأخذ مكانتها بين الدول المجاورة. ولما رأى الاخطار تحيط به من كل جانب، الصليبيون يهدونه ويحاولون غزو الكرك والصالح أيوب يغير على نواحي الكرك ، جمع ما عنده من المال وارسله الى الخليفة المستعصم بالله ، كي يكون وديعة، وجاءه التوقيع منه باستلامه (٢٨)، وكان قد استناب ولده شرف الدين عيسى على الكرك، ومضى الى حلب مستجيراً بصاحبها الملك الناصر صلاح الدين يوسف، وبعد غيابه اتفق ولداه الامجد والظاهر على عزل اخيهما عن الكرك ، وذهب الامجد الى الصالح أيوب في مصر، وقال له : اسلمك الكرك على ان تعطيني عوضاً عنها أرضاً وعقاراً له ولا خوته الباقين، فاجابه الى ذلك، وسير الى الكرك الطواشي بدرالدين بدر الصوابي نائباً عنه (٢٩)، وبذلك خرجت الكرك من حكم الناصر داود، ثم حصلت وشاية تخوف (٤٠) منه بسببها صاحب حلب فاعتقله، وهو في الاعتقال بلغه اجتياح الكرك من قبل الصالح أيوب فنظم الناصر دواود قصيدة حزينة، قال فيها (٤١) .

إلهي إلهي أنت أعلى وأعظم  
واسد الذي تُرجي لكل عظمة  
إلى علمك العلني أشكو ظلامي  
أبث جبايات العشيرة مُعلناً  
اتيتهم مستنصرًا متحرماً  
فلما أبسا نصرهم ونوالهم  
وقطع مي ما احترت بوصله  
ملبكي اتعلني الملوك بقهرها  
فحسبي اعتصاماً إنني بك لاثد  
أعشا اغتنا من عدائنا بكر لنا  
لندركهم من باسنا بكنائب  
لنسقمهم كاساً سقوا بمثلها  
طلبنا حليلاً من عظيم وانما  
نصده نسمك القديمة عندها  
فنصرك مدهول لنا ومُفحل

إن الذي يقرأ هذه القصيدة، ويتدبر معناها يتعرف على الحالة المأساوية التي كان يعيشها الناصر داود، فمملكته محتلة، وأولاده مشردون، وهو سجين بتهمة لا يعرفها، فاتجه الى الله جل شأنه يبيث حزنه، ويشكو حالته المأساوية التي لا تطاق، فقد جنت عليه العشيرة، فقد جاء الى ابن عمه يستعين به على ما اصابه من

اعتداء وظلم وحرمان، فلم يحصل منه على عون بل رماه بما نقل اليه الوشاة من قول الزور، وهو يرى منه .

ثم توجه الى الله مرة أخرى ، فهو ربه الذي خلقه وخلقهم، وسوف ينصره عليهم، كي يسقيهم بالكأس الذي سقوه به من الظلم والحرمان ، لأن الله يغيث قاصده، وينصر من يستنصر به، ومن يعتمد على الله فهو حسبه نعم المولى ونعم النصير .

بقي الناصر داود بالسجن مدة من الزمن، لم يُفرج عنه إلا بشفاعة الخليفة (٤٢) سنة ٦٥١ هـ، وبعد ان ضاع منه الكرك، لم يبق له شيء الا الوديعة التي اودعها عند الخليفة في بغداد، وقد بذل جهوداً مضنية لاجل استرجاعها فلم يتمكن، ففي سنة ٦٥٣ هـ، طلب من الناصر يوسف الاذن لاجل السفر الى بغداد، لاسترداد وديعته، والذهاب الى مكة المكرمة، فاذن له وجعل طريقه على أرض كربلاء، وزار قبر الحسين بن علي عليهما السلام، واستجار بضريحه، ونظم قصيدة موجهة لخليفة المستعصم بالله العباسي يمدحه فيها ويستعطفه لاجل ارجاع وديعته، نذكر منها ما يتفق مع البحث، وهو قوله (٤٣) :

مقامك أعلى في الصدور وأعظم  
فلا عجب ان عض بالقول شاعر  
البيكم امير المؤمنين توجهي  
وقال

تنتثر للخرزيت باليد عرضة  
فظل لأفراط الاسى متندما  
يضاحي فجأج الدؤ والدوصامث  
على حين قال الظي والظل قائل  
وجف مراد القوم فهي اثنه  
ووشع ميدان المنايا بخيله  
موحش الرزايا لمرزبة حصر  
علما تبتت كربلاء وتبينت  
ولدت له مستشفعا متحرما  
واصح لي دون البرية شافعا  
انثرت ركامي حيث ايقنت انني  
وقال

تضر بماء الوجه لكر وقدكم  
مصن ماء وجهي عن سواك فانه  
ومتلي يحيى للفتوق ورتقها  
فلانست لالامال تبقى مسلما

بدأ الشاعر بمدح الخليفة الذي قصده، حيث مدحه مدحاً يتفق مع مقامه الرفيع، ثم ذكر ما يرجوه منه من النعم، وهذه اشارة الى وديعته التي اصبحت شغله الشاغل، بعد ان فقد مملكته ثم انتقل الى الجهد الذي بذله في الطريق، والصعوبات

التي لاقاها في الصحراء الممتدة بين الشام والعراق، ثم ذكر وصوله الى كربلاء، واستجارته بقبر الحسين عليه السلام، وانه جعله شقيقاً له في حاجته الى ابن عمه الخليفة، لاجل ان يصون ماء وجهه من ذل السؤال عن سواء، لانه لا يعرف الكريم والعزيز الا الكريم والعزيز مثل الخليفة.

وختم القصيدة ببيان شجاعته وبطولته في مكافحة الاعداء، وهي اشارة الى محاربته للصليبيين وتخليص بيت المقدس من حكمهم، وانه لذلك يمكن الاعتماد عليه في الاوقات العصيبة.

وبعد ان ارسل القصيدة الى الخليفة لم يحصل منه على شيء من وديعته (٤٤)، فتوجه مع الحجاج الى بيت الله الحرام، وبعد ان اكمل مناسك الحج، رجع الى المدينة المنورة، ووقف امام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مادحاً، وفرائضه ترتعد، وهو يخاطبه بقصيدة قال في مطلعها (٤٥).

عليك سلام الله ياخير مرسل انشاء صريح الوحي من خير مرسل

ثم احضر شيخ الحرم وخدامه، ووقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم متمسكاً بأذيال الحجرة المقدسة، وقال بمشهد « ان هذا مقامى من رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل عليه مستشفعاً به الى ابن عمه المستعصم بالله أمير المؤمنين في ان يرد عليّ وديعتي (٤٦)، فاعظم الناس هذا المقام الشريف، وجرت عبراتهم، وكثر بكاؤهم، وقد كتب بصورة ما جرى الى الخليفة في بغداد

وبعد ان اتم زيارة المدينة المنورة توجه مع الحجاج الى العراق فوصل بغداد سنة ٦٥٤ هـ وخرج امر الخليفة بانزال الناصر داود في المحلة (٤٧)، وقُرّر له راتب لا يكفيه، ثم ارسل الخليفة من يحاسب الناصر داود على ذلك في تَرْدُده الى بغداد، ومحاسبته على اللحم والخبز والعليف ونحوه، وثمن عليه ذلك باغلى الاثمان، وارسل اليه شيئاً قليلاً، والزمه ان يكتب بخطه ردّ وديعته فكتب بذلك مكرهاً (٤٨). ويكون بذلك قد فقد شيئاً يعلق عليه الأمال.

توجه الناصر داود من بغداد الى دمشق، وبقي فيها وهو في اضيق حال الى سنة ٦٥٥ هـ، وطلب الاذن في التوجه الى بغداد مرة اخرى، فلم يؤذن له، فلما ضاق به الحال، ذهب الى تيه بنى اسرائيل، وهناك اجتمع عليه جماعة من العرب والترك، فلما سمع المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرك، خاف ان يكثر جمعه ويقصده لاسترجاع الكرك منه، فراسله مخادعاً له باظهار المودة، ثم ارسل اليه عسكرياً وقبضوا عليه ومن معه، وافرده عن اصحابه، وأمر ان يُرسل الى الشوبك ويوضع في مطمورة ليحبس فيها، كي تنقطع اخباره، ولما وصلوا الى ذلك المكان وجدوا المظمورة لم تكتمل، فانزلوه في طور هارون عليه السلام، الى ان تكتمل المظمورة فتوجه بقلبه الى الله مستشفعاً بموسى وهارون عليهما السلام، فاتاه الفرح من حيث لا يحتسب، حيث ان

الخليفة لما ضايقه المغول كتب الى الناصر صلاح الدين يوسف يستمده بالرجال، ويطلب منه ان يسير اليه الناصر داود مقدماً على من يبعثه اليه من العساكر التي يستخدمها لنصرة الاسلام، فوصل رسول الخليفة الى مكان الناصر داود قبل ان تكمل المظمورة التي يوضع فيها، فقال (٤٩) :

تبارك الله اخلاصاً وإيماناً سبحانه خالقاً بالجوهر مئاناً  
هو الذي اقداني في قعرهاوية اقمته فيها مطار اللب حيراناً  
موسى بن عمران بل هارون صاحبه تكفلائي اشفاقاً وتحناناً  
هما الى الله قاصداً بالشفاعة في تلتفأ منهما برأ واحساناً

إن الحالة المتساوية التي حلت بالناصر داود دفعته الى ان يتوجه الى خالقه بقلبه ولسانه وجميع جوارحه متوسلاً اليه بنبيه موسى وأخيه هارون عليهما السلام، فاستجاب الله تعالى دعوته، وانقذه من ذلك المصير المظلم الذي ينتظره حيث توافق وصول رسول الخليفة وانتهاء المظمورة، ففرح فرحاً شديداً بنجاته، وراح يرفع كلمات الشكر لله تعالى ذاكراً شفاعة النبي موسى، وأخيه هارون.

إن هذه الفترة المؤلمة في حياة الناصر داود أنسته التفكير بوديعته وبمملكته، وجعلته يتجه الى خدمة الاسلام، لعله يفوز برضا الله جل شأنه، فتوجه الى الشام، ونزل في البويعاء، وبدأ بتجهيز الجيش، واعداد العدة لحرب المغول تحت راية الخليفة، وقد قصر صلاته مدة اقامته في البويعاء (٥٠)، وقد تواترت الاخبار بمضايقة التتر لمدينة بغداد، فاشار عليه جماعة من اصحابه، بأن يترث في الحركة، فقال : « إنني قد بعث نفسي من الله تعالى، وما توجهي لطلب دنيا، وانما مقصودي ان أبدل نفسي في سبيل الله، لعل الله تعالى يجعل علي يدي نفعاً للمسلمين، او تحصل لي الشهادة في سبيله » (٥١)، واستمر بتجهيز جيشه، وبينما هو يقوم بواجبه، وردت الاخبار ان التتر ملكوا بغداد، وشاع خبر بان الخليفة لحق بالعرب، فقال : « لا بد لي من اللحاق به فله في عنقي بيعة، وقد لزماني الوصول اليه، واخذ بغداد منه لا يسقط وجوب اتباع امره، والذي يخشاه الناس القتل وأنا لا اخشاه » (٥٢)، فلما تحقق مقتل الخليفة للناس، بفرق اكثر اصحابه، ولحق الناس في تلك الفترة مرض الطاعون، فخاف اصحابه من الطاعون، فكان يُصَبِّرهم ويذكرهم باحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه الكرام فيه، ثم ابتهل الى الله وقال « اللهم اجعلنا منهم، وارزقنا ما رزقتهم » (٥٣)، فلما أصبح اليوم الثاني اصيب بالطاعون، وبقي يتألم فترة، ومات ليلة السبت في السادس والعشرين من جمادى الاولى سنة ٦٥٦ هـ، وخرج الناصر يوسف الى قرية البويعاء، وحزن هو وجماعته عليه، وحملوه الى الشام، ودفنوه قرب قبر والده المعظم عيسى الانبوسى

## الهوامش

- ١ - ترجمته في وفيات الاعيان ٢/ ٤٩٦، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، المختصر في اخبار البشر ٣/ ٥٦، فوات الوفيات ١/ ٣١٢، الغيث المسحوم ٢/ ٧٧، اس الوردى ٢/ ١٦٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨، صبح الاعشى ٤/ ١٧٥، النجوم الراهرة ٧/ ٦١، الكامل لابن الاثير ٢/ ٤٨٢، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٢٤٦، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٥، الاعلام ١٠/ ٣
- ٢ - البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨
- ٣ - الايضاح في شرح المفصل الدراسة ص ١٦
- ٤ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٧
- ٥ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨
- ٦ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٧
- ٧ - فوات الوفيات ١/ ٣١٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨
- ٨ - فوات الوفيات ١/ ٣١٤
- ٩ - ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٢٩، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٤٧
- ١٠ - وفيات الاعيان ٣/ ٤٩١، فوات الوفيات ١/ ٣١٢، السلوك ١/ ٤١٢
- ١١ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ١٩٧ - ٢٢٦
- ١٢ - صبح الاعشى ٤/ ١٧٦، الكامل لابن الاثير ٢/ ٤٨٢
- ١٣ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣١٢
- ١٤ - المختصر في اخبار البشر ٣/ ١٦٥، السلوك للمقريزى ١/ ٢٩٢
- ١٥ - السلوك ١/ ٢٩٢، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٤٢، شفاء القلوب ص ٣٥١
- ١٦ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٤٢
- ١٧ - المختصر في اخبار البشر ٣/ ١٧٢، صبح الاعشى ٤/ ١٧٧
- ١٨ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٤٣
- ١٩ - وفيات الاعيان ٣/ ٤٩٤، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٢٧٦
- ٢٠ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٢٧٦
- ٢١ - مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية في القاهرة، وقد سخطها الاستاذ بيلم رشيد رسالة للدكتوراه ونوقشت مؤجرا في كلية الاداب جامعة بغداد، وحصل صاحبها على درجة الدكتوراه
- ٢٢ - البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٩٨
- ٢٣ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٧
- ٢٤ - المختصر في اخبار البشر ٣/ ٨١، حطط الشام ٤/ ٣٧
- ٢٥ - طبقات الشافعية للاسوى ١/ ١٢٨، حطط الشام ٤/ ٣٧
- ٢٦ - نقض المنطق لاس تيمية ص ١٥٦
- ٢٧ - البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨
- ٢٨ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٧
- ٢٩ - فوات الوفيات ١/ ٣١٢، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٤٥ - ١٥٣، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ٤/ ١٧٥، النجوم الراهرة ٧/ ٦٢، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٥ - ٢٧٦
- ٣٠ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٢٤٨
- ٣١ - انظر القصيدة في دين مرآة الزمان ١/ ١٢٣، شف القلوب ص ٢٤٨، المختصر في اخبار البشر ٣/ ١٥٧، فوات الوفيات ١/ ٤٢٠، ثمرات الاوراق ص ٢٤، العيث المسحوم ٢/ ٧٨، اس الوردى ٢/ ١٦٣
- ٣٢ - هو مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين عي كوجل بن بكتكين
- ٣٣ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٣٧
- ٣٤ - المصدر نفسه ١/ ١٥٧
- ٣٥ - الاسيات مذكرة في دين مرآة الزمان ١/ ١٥٨، شفاء القلوب ص ٣٥٨
- ٣٦ - الايضاح في شرح المفصل قسم الدراسة ص ١٤
- ٣٧ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥١
- ٣٨ - القصيدة في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٦١، اسحوم الراهرة ١/ ٢٢٦، شفاء القلوب ص ٣٥٢
- ٣٩ - المختصر في اخبار البشر ٣/ ١٦٥
- ٤٠ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٦٦، السلوك ١/ ٢٩٤
- ٤١ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٦٤، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٣
- ٤٢ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٦٥
- ٤٣ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٣

- ٤٤ - وردت القصيدة في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٦٧، كبر الدرد ٨/ ١٥، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٢
- ٤٥ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٤
- ٤٦ - القصيدة بتمامها في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٦٨ - ١٧٠
- ٤٧ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٠
- ٤٨ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧١
- ٤٩ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٢، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٥
- ٥٠ - لعلها محلة الخلفاء التي يسبب اليها رضى الدولة داود بن مقدم بن مظفر المحلي معجم البلدان ٥/ ٦٣
- ٥١ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٦
- ٥٢ - الانبيات في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٣
- ٥٣ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٤، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٧
- ٥٤ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٤
- ٥٥ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٤
- ٥٦ - ذيل مرآة الزمان ١/ ١٧٥، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ص ٣٥٧

## المصادر والمراجع

- ١ - الاعلام لصبر الدين الزركي، الطبعة الثالثة بيروت، ١٩٦٩م
- ٢ - الايضاح في شرح المفصل، قسم الدراسة، الدكتور موسى ساي العلبي مطبعة المجمع العلمي الكردى، بغداد ١٩٧٦م
- ٣ - البداية والنهاية في التاريخ، لابي الفداء ابن كثير، دمشق (ت ٧٧٤ هـ) مطبعة السعادة مصر.
- ٤ - تاريخ ابن الوردى، تأليف الشيخ زين الدين عمر بن بوردى (ت ٧٤٩ هـ) منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٩م
- ٥ - ثمرات الاوراق، لابن حجة الحموى (ت ٨٣٧ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة الهيئة الجمعية، القاهرة ١٩٦٩م
- ٦ - ذيل مرآة الزمان، موسى بن محمد البيهقي (ت ١٢٦ هـ) طبعة حيدر اباد الدكر، الهند ١٩٥٥م
- ٧ - انشام (مخطوط انشام) تأليف محمد كرد علي، الطبعة الثانية بيروت ١٩٧١م
- ٨ - شذرات الذهب في اخبار بني ابي طالب، عبدالحى بن العماد، (ت ١٠٨٩ هـ) نشر مطبعة القدس القاهرة ١٩٥١م
- ٩ - شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب تأليف حمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦ هـ) تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨م
- ١٠ - صبح الاعشى، لاحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٤م
- ١١ - طبقات الشافعية للاسوى، تحقيق عبدالله الحموى، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٠م
- ١٢ - العيث المسحوم، لخليل بن ابيك الصلدى (ت ٧٦٤ هـ) المطبعة الازهرية، القاهرة ١٣٠٥
- ١٣ - فوات الوفيات، محمد بن شاذل الكشي (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق محمد محسن الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة مصر ١٩٥١م
- ١٤ - الكامل في التاريخ، لابن الاثير المجلد الثاني عشر مطبعة دار صادر بيروت ١٩٦٦م
- ١٥ - كبر الدين وجامع العزيز، لعبدالله بن ابيك الدوادارى (ت ٧٣٦ هـ) تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، كتب السلوك للمقريزى (ت ٨٤٥ هـ) مطبعة لجنة التأليف القاهرة طبعة ثانية ١٩٥٦م نشر المعهد الالمانى للاثار القاهرة ١٩٧٢م
- ١٦ - المختصر في اخبار البشر، لعبد الدين اسماعيل بن الفداء، (ت ٧٢٢ هـ) الطبعة الاولى، المطبعة الحسينية القاهرة
- ١٧ - معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموى، دار صادر للطباعة بيروت ١٩٥٧م
- ١٨ - النجوم الراهرة، يوسف بن تعري بوردى (ت ٨٧٤ هـ) مطابع كوستانتينوماس وشركاه القاهرة
- ١٩ - بعض المنطق لاس تيمية احمد بن عبدالحليم، تحقيق عبدالرزاق حمزة - مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥١م
- ٢٠ - وفيات الاعيان، لاسر خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق احسن عباس مطبعة دار الثقافة بيروت

# فَبَيْلًا خَجَرَتْ

## ودورها السياسي في تاريخ اليمن قبل الإسلام

الدكتور منذر عبد الكريم البكر  
قسم التاريخ / كلية التربية  
جامعة البصرة

العربية . لانها عبارة عن تحول واضح وسريع في العلاقات الاجتماعية ، أدى الى ترسيخ أنظمة اجتماعية جديدة . ومما زاد في ارباكها هو دخول الحصان بدلا من الجمل في الاستعمالات المختلفة . وأثر ذلك تأثيراً واضحاً على القرن . ويرى (دوستل) ان اهتماماً واضحاً قد شمل سروج الخيل أيضاً كدلالة على اهتمامهم بها إضافة الى ذلك كانت سرعة الحصان في الهجوم ووصوله لمسافات نائية عبر الصحراء مما جعل القوة العسكرية غير محصورة في الأراضي الزراعية فقط ، بل انتقلت الى الواحات والأراضي الرعوية . وبهذا ظهرت قوة عسكرية أخرى أثرت في الأحداث السياسية في البلاد وزادت من اضطرابها (٦) . والمتصارعون في هذه الحروب هم زعماء القبائل والأزواء والأقبايل . ولو نظرنا الى قائمة الملوك من فترة سبأ وذى ريدان نجد ان معظم القبائل وصلت الى الحكم ومن هذه القبائل قبيلة جرت .

— ٢ —

ذكر الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » (٧) مخلاف (٧) باسم مخلاف ذى جرت (٧) . ويقول أيضاً انه ينسب الى ذى جرت ابن يكل بن مالك بن الحارث بن مره بن اد ( وهذا الاسم يذكر في الكتابات العربية الشمالية الصفيوية ) (٨) ابن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن حمير . (٩) أما في النقوش فقد جاءت ( جرت ) على انها اقبيل قبائل ذمرى حلفاء سمهرم . (١٠) وفي نقش آخر ذكرت (جرت) على انها من عشيرة سمهرم (١١) . الواقع انه يتبين من دراسة النقوش التي اشارت الى (جرت) ان (جرت) اسرة واحدة من عشيرة سمهرم من قبيلة ذمرى . ويمكننا من دراسة النقوش ان نفترض نسب (جرت) كالاتى : جرت بن زينور ابن تزداد بن سمهرم (يهود) بن ذمرى (١٢) . كما نفترض ان (جرت) هم سادة هذه القبيلة ، لان معظم الاقبيل على عشيرة سمهرم وقبيلة ذمرى كانوا من (ذى جرت) وقد وصل قسم منهم الى كرسي الحكم في اواخر فترة سبأ وفترة سبأ وذى ريدان . كما كان قسم منهم اقبالا ومقتولين .

تقم منذر (جرت) في الجنوب الشرقي من بلاد سمعى (سكل - وهي تطبق بلاد سنجان اليوم) (١٣) ويظهر ان سنجس دي

قد لا تكون المعلومات حالياً وافية عن المراحل الاولى التي ادت الى قيام الدول في بلاد اليمن غير اننا نستطيع القول ان المجتمع في بلاد اليمن قد نظم نفسه منذ وقت بعيد جداً ، في شكل من اشكال التنظيم القبلي الذي يرأس فيه القبيلة رئيس او شيخ من ابنائها (١) . الذين تربطهم روابط قوية كقول الشاعر مثلاً : لذلك .

ولم ارمعشرا بنى صريم      تلفهم التهائم والنجوم  
واكثرنا شئنا مصراق حرب      يعين على السيادة او يسود

كما يبدو من النقوش التي عثر عليها في اليمن قوة الرابطة التي تربط ابناء القبيلة الواحدة (٢) .

ثم تطورت الملكية الزراعية حيث اسندت الى شيوخ القبائل واعطيت لهم الارض ليتولى زرعها . وكانت هذه الارض تعطى في الأصل مقابل خدمة عسكرية . وقد يشتري الشيخ الارض باسم القبيلة ان يدفع عن الارض شيئاً محدداً كل سنة ، وتعطى عادة وثيقة لشيخ القبيلة تبين حدود الارض ، كما توضح الواجبات المترتبة على ذلك وتبين هذه الوثيقة دور شيخ القبيلة . لان التعاقد تم عليها مباشرة بين الملك وشيخ القبيلة . ويكون الاخير مسؤولاً مسؤولية مباشرة تجاه الملك عن كل الالتزامات المتفق عليها . ويذكر ، ج . ركمانس هذا بقوله : « ان القبائل المالكة كان يضاف اليها جماعات من قبائل أخرى (بقرار) كمواالى تتولى الزرع حسب الحاجة ، وتعتبر جزءاً من الكيان الكبير للقبيلة » (٣) ويعتقد ج . ركمانس ايضاً « ان القبيلة ليست دائماً من نسب واحد بل فيها اناس من مجموعات وشرائح مختلفة طبقاً لضرورة العمل واستغلال الأرض (٤) . وعلى هذا النمط يبدو ان قيام النظام الاقطاعي او مانسميه « الاقبيل » في اليمن . وبه تكونت صلات اقطاعية بين الملك وشيوخ القبائل (٥)

ويبدو لنا ان هذا التحول الذي حدث في اليمن أدى الى زيادة قوة القبيلة وفعالية دورها السياسي . وبذلك أصبحت هذه الفترة المحصورة بين « قبيل نهاية فترة ملوك سبأ وفترة ملوك سبأ وذى ريدان » من الفترات القلقة في التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة



جرت لها نفس الحدود السياسية ان صبح التعبير (١٤) وجرت كما ذكرها ياقوت قرية من قرى صنعاء باليمن (١٥) اما البكرى فقال انها قرية باليمن (١٦). وكانت تقع في النتوء الشمالى من بلاد جرت مدينة (صنعو) قبل ان يكون لها مكانة مميزة (١٧) ويظهر ان (صنعو) كانت ضمن ارض قبيلة جرت ، غير انها كانت قريبة جداً من حدود ارض قبيلة (بتع). واما شعوب التي لا تبعد سوى كيلو مترا واحدا او كيلومترين عن الجهة الشمالية الغربية من صنعاء فقد كانت في ارض (بتع) (١٨). أما في اقصى الجنوب فيقع جبل (كنن) (شكل - ٢) ويقول ياقوت : ١١ جبل كنن باليمن من بلاد خولان العالية ، عال يرى من بعد. وقال الصليحي :

حتى رمثهم ولو يرمى بها كنن والطود من صبر لانهدأ اومادا (١٩)

وقيل ان على رأسه قلعة يقال لها قبيلة لبنى الهرس (٢٠). وهو في ارض متسوجة يصل ارتفاعها الى ٢٥٠٠م فوق سطح البحر اما الجبل فيكون ارتفاعه حوالى ٣٤٠٠م ويعتبر هو أعلى جبل في المنطقة. وهو مركز امراء (جرت) (٢١). وعلى قمته يوجد مسجد . اما على سطح هذا الجبل فتقع مدينة (نعص). وفي الحقيقة تعتبر هذه المدينة مركزاً لقبيلة (جرت) (٢٢). وتقع على بعد ٢٣ كم الى الجنوب الشرقى من صنعاء وشرق الطريق العسكرى الى مدينة تعز .

كانت هذه المدينة مسورة ولها بابان. أما الحدود بين بلاد (جرت) وسمى (٢٣). فهي تجرى في ارض سهلة والى الجنوب من صنعاء غير ان القسم الاعظم من هذه الارضين يعود الى قبيلة (جرت) (٢٤).

#### ٤ -

يظهر ان قبيلة (جرت) برزت على مسرح الاحداث السياسية في حوالى سنة ٨٠ م (٢٥). وذلك لان هبة الملوك في مارب كانت قد ضعفت. ولان قوة امراء الاقطاع القبلى في مخلاف اليمن زادت. ثم كان زحف الحميريين وضغطهم، وهى اسباب ادت الى تفكك المملكة وضعف السلطة المركزية بها . وهناك نقوش همدانية تحدثت عن معارك خاضتها هذه القبيلة تحت قيادة امرائها الاقطاعيين ضد الحميريين وكذلك ضد الاحباش ايضا (٢٦). ومن خلال هذا الصراع الكبير تمخض في النجود وضع فريد. في هذا الوضع ظهر (نشاكر يها) من الذى اختلف في اصله المهتمون بدراسة تاريخ العرب قبل الاسلام. اذ اعتبره بعض الدارسين من بين الملوك الذين جاؤوا في اخر الطبقة التى ملكت العصر المعروف «ملوك سبأ». وذهب بعضهم الى أنه آخر من حكم من الاسرة الحاكمة السبئية التقليدية - فيشان - (٢٧) بسبب اسم والده (ذمر على ذرح) لانه اسم شائع في هذه العائلة الحاكمة (٢٨). وقيل انه من قبيلة همدان لان (نشاكر يها) من الاسماء الهمدانية المعروفة (٢٩) وخالف غيرهم هذا الراى، وقالوا انه من (بنى جرت) من قبيلة (سمهرم) وهم يشكون في كون ابيه كان ملكاً فعلياً على سبأ (٣٠).

ويظهر من النصوص التى تعود الى «الملك نشاكر يها» انه كان يقيم في قصر سلحين بمارب وهو مقر ملوك سبأ ومركز حكمه

(٣١). والى عهده تعود الكتابة الموسومة CIH 573 والتى تشير الى انه قدم ٢٤ تمثالاً الى الالهة (شمس تنف بعلت غضرين) لسلامته وسلامة قصر سلحين وسلامة ممتلكاته. ولتذلل وتسحق كل خصومه واعادته وتجعله سعيداً هو وأهله (٣١). كما ذكرت الكتابة التى تعود الى عصره ولأول مرة اسم (ربن) اى الاعراب الذين هاجموا ارض سبأ

وقد قدر الدكتور (جام) حكمه بين عام ١٧٥ - ١٦٠ ق.م (٣٢) اما (فلبى) فيرى انه حكم سنة ٢٥٠ ق.م (٣٣). وقال (فيزمان) انه حكم في حوالى سنة ٨٠ م (٣٤).

ويأتى في النقوش ذكر ملك باسم (نشاكر يها من يهرحب) وقد افترضه (جام) ابناً للملك (ايل شرح يحضب) وكما في المخطط التالى (٣٥).

#### ايل شرح يحضب + يازل بين



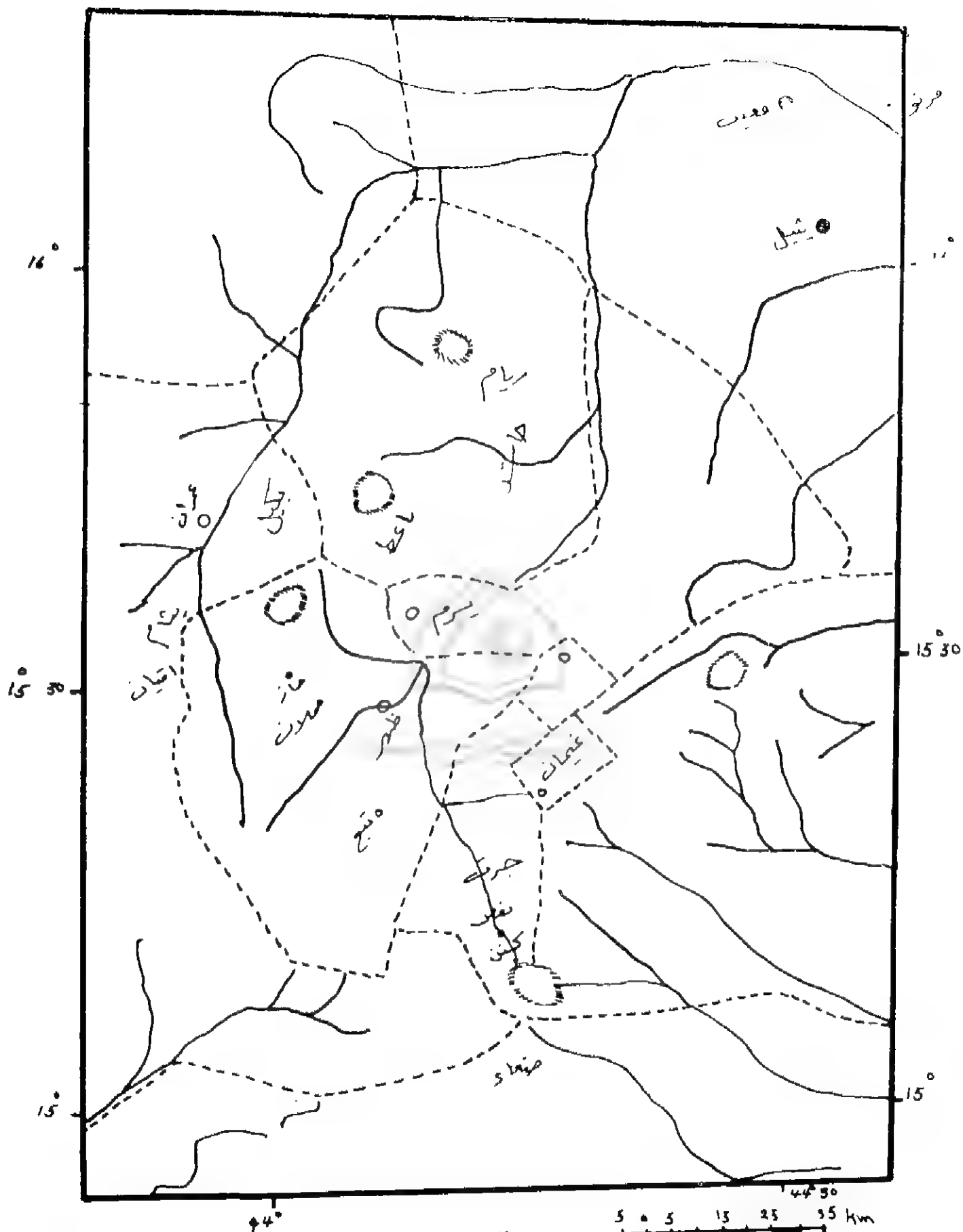
وذكر ان حكمه كان بين سنة ١٠ - ٣٠ م وجعله معاصراً للملك القتباني (سهر هلل يهصدق) (٣٦). ولم ينسبه الى قبيلة (جرت). غير اننا نفترض انه من (جرت) بقريته ان النقوش سبق وان ذكرت لنا ملكاً جرتياً باسم (نشاكر يها من) كما يذكر النقش المرسوم (٦٧ زيد بن علي) (٣٧). المقتوى (نشاكر الجرتى) قائد جيش (كرب ايل بين) ملك سبأ وذى ريدان ضد حضرموت (٣٨).

ثم برز من ملوك قبيلة (جرت) سعد شمس اسرع بن ايل شرح يحضب الاول وابنه (مرثدم يهحمد). وقد كانا قيلين في عهد ابيهم (٣٩). والظاهر ان (ايل شرح يحضب الاول) تلقب بلقب ملك سبأ وذى ريدان بعد وفاة الملك (كرب ايل وتريهنعم) الذى يحمل نفس هذا اللقب. ويظن (فيزمان) ان الزوجة الثانية (لايل شرح يحضب الاول) هى ابنة الملك (نشاكر يها من) (٤٠). لذلك تحولت الامارة بعد وفاة (نشاكر يها من) في جرت وحصلتها (كنن) الى الابن الثانى للملك (ايل شرح يحضب الاول) وهو (سعد شمس اسرع) (٤١) اذ بعد وفاة الابن الاول للملك ايل شرح يحضب الاول وهو (وتريهنعم) الذى حكم سنة ١٠٠ م (٤٢) ورث لقب ملك سبأ وذى ريدان سعد شمس اسرع، وابنه مرثدم يهحمد

بهذا الانتقال اصبحت (جرت) و (شبابم اقيان) و (مرثدم) في قبضة حاكم واحد وهو الملك سعد شمس اسرع، ملك سبأ وذى ريدان وابنه (مرثدم يهحمد) ولاندرى كيف حدث هذا. ولانعرف له تفسيراً جالياً (٤٣).

من المحتمل ان سعد شمس اسرع، جاء الى الحكم في سنة





شکل (۲)

١١٠ م وكان يشاركه الحكم ابنه مرثد يهحمد، الذي حكم سنة ١٢٠ م (٤٤) بينما جعل (جام) حكمهما فيما بين سنة ٢٠ - ٣٠ م (٤٥).

كان (سعد شمس اسرع) وابنه (مرثد يهحمد) ملكي سبأ وذى ريدان من اشرس اعداء الملك (وهب ايل يحز) وتؤكد الكتابة الموسوم GL 1228 هذا الموقف العدائي. اذ يحتفل الملك (وهب ايل يحز) ملك سبأ ورجاله للانتصار على ذمر على دوريدان (يهبرر) (٤٥). وكذلك على سعد شمس اسرع و (مرثد م) (٤٦). انه يشير الى تحالف قبيلة (جرت) مع (حمير) ضد وهب ايل يحز وامراء قبيلة (سمعى) و (هوف عم) من مدينة (حاز) و (سخيم ثلثى (سمعى) (٤٧). و (ذوخولان) في قمة جبل (حضور النبی شعيب) الى الغرب من صنعاء. وهذه هي الاشارة الاولى لصنعاء (٤٨) وبعد فترة قليلة جدا ذكرت المدينة مرة أخرى في النقش Ja. 629 والنقش Ja. 644 ويبدو في هذا النص ان سعد شمس اسرع ، وابنه مرثد يهحمد ، وحليفهم الملك الحميري (ذمر على يهبرر) لم يحصلوا على نصر حاسم ضد الملك وهب ايل يحز ، واتباعه (٤٩). كما تعود الى الملك سعد شمس اسرع ، وابنه مرثد يهحمد ، نقوش اخرى اكتشفت في مدخل بلاط (محرم بلقيس) غير ان معظمها لا يحتوى على معلومات تاريخية مثل 626 Ja. 627'628'630 (٥٠) غير ان النقش الوحيد من المجموعة والذي له أهمية تاريخية هو النقش المعروف Ja. 629 وهو يصف لنا حرب هذين الملكين ضد التحالف الشمالى المكون من (يدع ايل) (٥١) ملك حضرموت و (نبا عم) ملك قنبان و (وهب ايل بن معاهر) و (خولان) و (ذو هصبغ) و (مضحيم) و (ردمان) و (انس) وربما يقصد هنا أناسا آخرين وأعرابا اى البدو (٥١) .

غير ان اسباب هذه الحرب غير معروفة لنا الآن (٥٢) وقد سجل هذا النقش (مرثد م) حيث سقط لقبه في النقش، ولم يبق الا الحرف الاول منه وهو (ى) مع ابنه (ذرحن) او (ذرحان اشوع) من (جرف) وقد دارت الحرب في ارض (ردمان) قرب العاصمة (وعلان) التى تقع على بعد ٩٠ كم جنوب غرب تمنع (٥٣) .

يذكر النقش ان (ذرحان) كان قائدا لوحدة قبائل (فيشان) و (يهبل) وانه احتل بالاشتراك مع الملكين مدينة (حازوم) ومدينة (مشرقتين) كما دمروا ونهبوا وخربوا الأودية والآبار ونظم الرى . كذلك يشير النقش الى ان الملكين قاما بجولة على مدينة (منوبم) وكل مدن ومصانع قبائل (اوسان) كذلك احتلا مدينة (شيعان) ومدينة (بن بدا) ووادي منوبم من الأودية التى تصب في وادي حضرموت في غرب ، الحوطة التى تقع على مسافة ٢٠ كم من جنوب شرقى (شباب) . واما (شيعان) فتقع على مسافة ٨٠ كم جنوب (تمنع)

ثم يختتم النقش بانه ، بالرغم من النجاح الذى اصابه ملكا سبأ الا ان النتيجة النهائية للحملة كما يبدو كانت اقل بريقا ، وذلك بالنسبة للوضع الخطر الذى تعرض له (ذرحان اشوع) ورفيقه (ريشم يعرر). فان النقش سجل الشكر لحماية الهتهم (المقه) ومساعدتها فقد نجحوا هم ومليكيهم بعد قتال رهيب من شق طريق لهم الى موطنهم سالمين . وكان كاتب النقش (مرثد م) غير مشترك بالحرب وانما كان في مدينة صنعاء وربما كان ذلك لحمايتها. كما

كلف المايكا خمسة اقبال آخرين لحماية مدينة (الرحبة) وتقع هذه المدينة على مسافة ٢٠ كم شمال شرقى صنعاء (٥٤) .

ويشير النقش الخامس من مجموعة الكهالى الى نجاح الملك سعد شمس اسرع ، وابنه مرثد يهحمد ، ملكي سبأ وذى ريدان في غزو ارض (ردمان) ونصره على (يدع ايل) ملك حضرموت و (وهب ايل المعاهرى) (٥٥) .

غير اننا لا نعرف كيف انتهى حكم الملك سعد شمس اسرع ، وابنه مرثد يهحمد ، وربما كان (رب شمس نمران) ملك سبأ وذى ريدان من قبيلة (بتع) والذى حكم في مأرب قد ابعد السلالة من الحكم (٥٦). لكن لم ينته الدور السياسى لقبيلة (جرت) وبقي لها دور مميز على مسرح الاحداث السياسية ، ففي النقش الموسوم (JA 629 bis 643) و (JA 629) يشرح الكاتب دور (الجرتى نشاكرب) و (توبان) اقبال شعب (سمهرم) (٥٧) .

ان من الامور المهمة في تاريخ هذه القبلة الدور القومى الذى لعبته في تاريخ اليمن خصوصا عندما كان هناك خطر يهدد الوجود العربى (٥٨) . ففي النقش الموسوم (٢٠ مجموعة الكهالى) اشارة الى انتصار الملك (نشاكر بيهامن يهرحب) ضد الاحباش الذين استغلوا فرصة الصراع الداخلى في اليمن . غير انهم عادوا خائبين بعد ان سقط عدد منهم في الاسر (٥٩) .

كما يوضح النقش الموسوم (٢٦ زيد بن على) الدورى المتميز لاقبال (جرش) وهم (كرب عثت يذفت) (سعد عثت يسكب) في الحرب التى خاضوها غمارها ضد الاحباش الغزاة وقبائل عك التى يحتل منها قد اجبروا من قبل الاحباش للدخول في الحرب الى جانبها . غير ان قبيلة (جرت) استطاعت بقيادة اقباليها القضاء على جيش الاحباش وعادوا بالغنائم فقدموا الشكر للآلهة ، لانها منعت عليهم بالاموال والثروة حتى تمكنوا من تشييد الابنية وزخرفتها في مدينة (نعص) الجريته . وكان ذلك في عهد الملك (ايل شرح يحضب) واخيه (يازل بين) ملكي سبأ وذى ريدان (٦٠)

ويجسد لنا النقش الموسوم Ja. 631 والذي كتبه القيل الجرتى (قطبان اوكن) ما قامت به قبيلته ضد الاحباش الذى اعلنوا الحرب على الملك (شعرم اوتر) في البحر وفي الباياسة (٦١) وردهم على اعقابهم ثم هاجم ارض الحبشة والملك (جدرت) ملك الحبشة واقسوم (٦٢) مما نستدل به على انه ركب البحر وهاجم الساحل الافريقى وانتصر على النجاشى وعاد سالما ثم يصور لنا النقش المعارك التى وقعت بين مدينة (نعص) ومدينة (ظفار) التى تقدم نحوها (بيجت) ولد النجاشى (٦٣) ثم كيف باغتهم ليلا فذعر الاحباش والتجؤوا الى حصن وسط مدينة (ظفار) بعدها عزز جيش (قطبان اوكن بقوات لعز يهنف يصدق) ملك سبأ وذى ريدان وقايل قبائل (ذى ريدان) وقضوا على الاحباش في وسط المدينة (٦٤). وفي اليوم الثالث يبدأ (قطبان اوكن) بتعقب الاحباش ومعه بعض رماة المعافرين بحيث يجلبون معهم اسرى معسكرهم (٦٥). ثم انسحب بعد ذلك الاحباش من انحاء ظفار (٦٦) .

من الامور المهمة في هذا النص ان (قطبان اوكن) استجاب لنداء الاستغاثة من الحميريين المحاصرين في ظفار من قبل الاحباش ولم

اننا لانعرف عن التأثير الداخلي للمعبد الا الشيء القليل. كما اننا لانستطيع القول ان العرب القدماء كانوا يضعون في كوه Nische المعبد تمثالا للالهة. غير ان (جروهمان) يعتقد جازما انه لا توجد تماثيل للالهة في المعابد وانما يرمز اليها بحيوان مقدس (٨٤) وفي هذه المعابد توجد مذابح (مذبحت) وهي على اشكال مختلفة اذ يضحي عليها بالحيوان حتى اذا كان كبيرا كثور مثلا وهو مربع الشكل من الممر غير انه مسطح طوله ٤/٦٦ سنتم، وعرضه ٩/٢٧ سنتم وارتفاعه ٧٠/١٧ سنتم ويوجد مجرى مربع الشكل ايضا يجرى فيه دم الفدية او القربان (٨٥). كما يضم المعبد مكانين للقربان اجدهما للحرق ويسمى (مخترن) (٨٦). كما يسمى ايضا (مصرب) (شكل - ٤) وثانيهما لدم الاضحية ويسمى (منطفت) (٨٨). اما المياخر التي يحرق بها البخور من المتلمسين فيسمى (مقطر) (٨٩).

كما ان هناك ما يشير الى ان مقدمى النذور او المعترفين بذنوبهم كانوا يتطهرون في اماكن خاصة في المعبد (٩٠). ولا يجوز ان يدخل الانسان المعبد باثواب نجسة فهو ان فعل يجب عليه ان يدفع الفدية او الكفارة. كما انه لا يسمح له بأن يفعل منكرا كان يأتي زوجته في الاوقات المنوعة ويدخل المعبد. فان فعل عليه دفع الفدية وطلب الصفح من الاله والاله هنا الشمس. فاما ان يغفر له او ان تؤكد العقوبة عليه حسب النظام الاجتماعي السائد في تلك الفترة (٩١) ويبدو ان الاعتراف بالذنب كان من الامور التي تتطلب شجاعة اخلاقية عالية وتشهد بانصياع الانسان المطلق في طاعة الاله (٩٢) وهذا يدل على تطور العرب القدماء من الناحية الدينية والفكرية. ويبدو ان العرب القدماء كانوا يسجدون للشمس فقد جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم ايها تعبدون» (٩٣). كذلك فعل اهل سبا اذ جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون» (٩٤). ويظهر ان العرب كانوا يصلون للشمس ثلاثا اذا طلعت سجدوا كلهم لها وكذلك اذا غربت واذا توسطت الفلك (٩٥). ونفهم من ترجمة رقيقة الثقافية انهم كانوا يصلون صلاة شبيهة بصلاة المسلمين. اذ يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم اوصى امرأة من ثقيف اسلمت على غير علم من قومها. فقال لها صلى الله عليه وسلم: «لا تعبدى طاغيتهم، ولا تصلى اليها» قالت اذن يقتلونى، قال: «اذا جاؤك فقولى ربى رب هذه الطاغية ووليها ظهرك اذا صليت» (٩٦).

ونلاحظ حتى التقويم عند العرب تقويما شمسيا (٩٧). واشهر مشتقة من الطبيعة فهي تتعلق بالحر والبرد والنمو (٩٨). وكان لهذه المعابد سدينتها، والسادن كالحاجب في خدمة المعبد (٩٩). ويبدو ان هذه الوظيفة كانت وراثية وفي اسر معينة كما هي في السلالة السغيرية العربية الحمصية التي حكمت روما (١٠٠) وبنو عبدالدار في مكة (١٠١) وقد ذكر في نصوص المسند اسم (رشوت) بمعنى رجل الدين. وجاء في النصوص السبائية - القتبانية باسم (رشو) و (شوع) وفي النصوص الحضرمية باسم (رشو) (١٠٢).

يكن هذا تنفيذا لاوامر (شعرم اوتر) (٦٧). نستدل من ذلك ان الواجب القومي هو الذي املا عليه الموقف في نجدة الحميريين ابناء عمومته.

وقد استمر الدور السياسي لقبيلة (جرت) الى عهد الملك (شمر يهرعش) ملك سبا وذى ريدان وحضرموت ويمينات. فقد اشار النقش الموسوم 650 a. الى (بله اسعد) من عشيرة (جرت) اقيال (ذمرى) والتي تكون ربيع قبيلة (سمهرم) (٦٨). وكان (مقتوى) في الجيش اى ضابطا كبيرا (٦٩). وقد تحدث عن معارك وقعت في ارض (سهرتان) بين الملك (شمر يهرعش) وبين قبيلة (سهرتان) (٧٠). ولم اجد بعد هذا النقش اشارة الى قبيلة (جرت) اذ يبدو ان دورها السياسي قد اضحل وادمجت مع القبائل الاخرى وربما كان هذا من نتائج التعبير الذي حدث في طبيعة المجتمع العربى الجنوبي

- ٥ -

ان الاله القومي الذى عبدته قبيلة (جرت) هو الاله الشمس (٧١) (شمس تنف بعلت غضرن) (٧١). والواقع ان العرب خصوا الشمس بالاولوية في عبادتهم وسميت لما عبدوها الاهمة. قالت ميه بنت ام عتبة:

تروحنا من العلباء عصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا  
على مثل ابن ميه فانعباه تشق نواعم البشر الجيوبيا (٧٢)  
ويرى (تلسن) ان اسم الالهة الشمس اسم فطرى وهو اجد الاسماء التي لاتحمل اى معنى عقل للمعبود. بل تصفه كما هو في الطبيعة. ويشير بذلك ايضا الى بقية الشعوب العربية (السامية) (٧٣). غير اننا لا نتفق معه في هذا الراى. ونعتقد ان عبادة الشمس عند العرب انما هي عبادة لها معان عقلية سواء في نسلكهم لها او ما ترمز اليه الشمس عند العرب من الوحدة والقوة والذكاء (٧٤) ان اسم شمس من الاسماء الشائعة في كل شبه جزيرة العرب حتى لقد قيل ان الاسم الذى نجده في كل ارض العرب هو اسم شمس (٧٥). ويبدو ان اقدم اشارة لاستعمال العرب لهذا الاسم كاسم علم ذكر في حوليات الاشوريين (٧٦). كما ذكرت النقوش الجنوبية اسم شمس كعلم (٧٧).

ويأتى اسم الالهة الشمس في جنوب الجزيرة العربية باسماء مركبة مثل (ذات حميم، ذات بعدن، ذات غضرن، ذات برن، ذات صخرن، ذات زهرن وذات محرضو ومشرقتن) (٧٨).

وقد رمز العرب للشمس بالنسر لسيادته وهيمنته لان النسر يحلق عاليا في كبد السماء كما تفعل الشمس في مدارها فيراقب من علوما يحدث على سطح الارض (٧٩).

وخصص العرب احسن البنايات واضخمها (شكل - ٣١) لتكون اماكن ومعابد لتمجيد آلهتهم حتى ذكر انه في بلاد العرب توجد معابد كثيرة جدا، وعلى سبيل المثال ما ذكره (بيلينوس) بان مدينة (شبو) وحدها تحتضن ٦٠ معبدا (٨٠).

وكانت المعابد مربعة او مستطيلة (٨١). ومكعبة. وان كان التكعيب هو الاسلوب الشائع عند العرب كافة. فقد كانت بيوت الاصنام عندهم مكعبة وكذلك المعابد التي شيدها الى الاله الشمس في سوريا والعراق (٨٢) وتضم هذه المعابد صحناء واسعا تعقد كما يبدو فيه الاجتماعات وتقام الولائم والاحتفالات والاعياد (٨٣). غير

وكان للكاهن واجبات كثيرة ضمن الديانة العربية القديمة (١٠٣).  
من هذا نرى ان لاله الشمس الذي عبده قبيلة (جرت) مكانة  
مميزة عند العرب حتى فلاسفة الأفلاطونية الجديدة من العرب  
(١٠٤)

### قائمة بأسماء الملوك من قبيلة جرت

- ١ - نساكرب يهأمن .
- ٢ - نساكرب يهأمن يهرحب ...
- ٣ - سعد شمس اسرع
- ٤ - مرثد يهحمد .
- ٥ - فرعم ينهب \*
- ٦ - مرثد يهقبض \*
- \* أنظر جواد على الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت  
٤٩٣/٢
- \* م . ن ٢/٣٦٠

### قائمة بأسماء اقبال ومقتوين من قبيلة جرت

- ١ - قطبان اوكان
- فترة حكم الملك شعرم اوتر ملك سبأ وذى ريدان .
- ٢ - كرب عثت يهدف
- فترة حكم الملك ايل شرح يحضب ملك سبأ وذى ريدان .
- ٣ - سعد عثتر يدف
- ٤ - نساكرب الجرتي
- فترة حكم الملك كرب ايل بين ملك سبأ وذى ريدان .
- ٥ - ثوبان الجرتي
- ٦ - ابو كرب اصمح
- فترة حكم الملك نساكرب يهأمن يهرحب ملك سبأ وذى ريدان
- ٧ - بهل اسعد الجرتي
- فترة حكم الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت  
ويعنات .

### الهوامش

A. Grohmann, Arabien, P. 21

- ١٠ - مطهر الأرياني : في تاريخ اليمن ص ٣٢ ، ص ١١٦
- ١١ - 279 - A Jamme, Sabaean inscriptions, P. 279
- وراجع ايضا : محمد عبدالقادر مافقية : تاريخ اليمن القديم ص ١٢٢
- ١٢ - انظر : زيد بن علي عمان : تاريخ حضارة اليمن القديم ص ٢٥١ ومطهر الأرياني في  
تاريخ اليمن ص ١١٦
- ١٣ - الهمداني : صفة جزيرة العرب - ص ١٤٩ وراجع ايضا ما كتبه هرمان فون ويرمان في  
كتابه : Zur Geschichte und Landeskunde von Alt-Su'darabien P. 366
- ١٤ - H. von Wissmann, Op Cit P. 366
- ١٥ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ١١٩/٢
- ١٦ - البكري : معجم ما استعجم ٢٧٥/٢
- ١٧ - H. von Wissmann, Op Cit P. 367
- ١٨ - H. von Wissmann, Himyar, Ancient History, P. 461
- ١٩ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٨٤/٤
- ٢٠ - المصدر نفسه ٤٨٥/٤
- ٢١ - H. von Wissmann, Zur Geschichte P. 329 P. 367, P. 368
- ٢٢ - Ibid P. 368
- ٢٣ - راجع الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١١٠ ص ١٨٢
- ٢٤ - H. von Wissmann, Op Cit, P. 368
- ٢٥ - Ibid وراجع ايضا P. 367
- ٢٦ - H. von Wissmann, Himyar Ancient history P. 444
- ٢٧ - راجع H. von Wissmann, Zur Geschichte, P. 321
- وقارن ذلك مع ما ذكره : محمد عبدالقادر مافقية : تاريخ اليمن القديم ص ٩٠
- ٢٧ - H. von Wissmann, Himyar, Ancient History, P. 455
- ٢٨ - H. von Wissmann, Zur Geschichte, P. 393
- ٢٩ - A. Jamme, Op.Cit, P. 272
- ٣٠ - Ibid, P. 273
- ٣١ - Ibid PP. 269-274
- ٣٢ - Ibid, P. 391
- ٣٣ - H. Stj. B. Philby, Op Cit, P. 142
- ٣٤ - H. von Wissmann, Zur Geschichte, Iap. II
- ٣٥ - A. Jamme, Op Cit P. 391
- ٣٦ - Ibid
- ٣٧ - زيد بن علي عمان : تاريخ حضارة اليمن القديم ص ٢٢٦
- ٣٨ - H. von Wissmann, Himyar, Ancient History, P. 466
- ٣٩ - H. von Wissmann, Zur Geschichte, P. 367
- ٤٠ - Ibid
- ٤١ - Ibid
- ٤٢ - وقد قدر (حام) تاريخ حكمه بين ٥ ق م و ١٠ م - راجع A. Jamme, Op Cit P. 391 وكذلك H. von Wissmann, Op Cit P. 394
- ٤٣ - H. von Wissmann, Op.Cit, P. 394
- ٤٤ - Ibid
- ٤٥ - A. Jamme, Op Cit, P. 391
- ٤٥ - (ذمر على) الذي جاء في هذا النص بصيغته (ذمر على ذوريدان) بقصد انه (ذمر على  
بهير) وليس كما ذهب ريكمانس في كتابه (La Chronologie) المطبوع في استنبول سنة ١٩٦٤  
بانه (ذمر على ذرج) من سلالة مارب للتفصيل راجع
- H. von Wissmann, Op Cit P. 412
- ٤٦ - H. von Wissmann, Himyar Ancient History P. 460
- ٤٧ - ويبدو ان هذا المصطلح ظل مستعملا حتى في العصور الاسلامية كقول جرير : كانت  
حنيفة اتلا فتلتهم من العبيد وثلاث من موالها .
- H. von Wissmann, Op Cit P. 461
- ٤٩ - Ibid
- ٥٠ - A. Jamme, Op Cit PP. 269-272
- ٥١ - (يدع ايل بين بن اب غيلان) ويذكر (حام) اننا نعرف حاليا ثلاث اشخاص مستعصر  
يحملون اسم (يدع ايل) A. Jamme, Op Cit P. 327
- ٥١ - (سطع بهمع بن شهر هل يعفص) الذي حكم بين ٣٠ - ٣٠ م راجع
- H. von Wissmann, Himyar, Ancient History, P. 461
- ٥٢ - H. von Wissmann, Zur Geschichte P. 58 وراجع ايضا Ibid P. 329

- ٥٦ - Ibid - ٨٦
- ٥٧ - Ibid P. 248 - ٨٧
- ٥٨ - Ibid P. 251 - ٨٨
- ٥٩ - Ibid P. 248 - ٨٩
- ٩٠ - W. Caskel, Das Altarabische Königreich Lihyan, P. 13 - ٩٠
- ٩١ - A. Grohmann Op Cit P. 252 - ٩١
- ٩٢ - Ibid - ٩٢
- ٩٣ - سورة فصلت آية ٣٧ - ٩٣
- ٩٤ - سورة النمل آية ٢٤ - ٩٤
- ٩٥ - الألوسي بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢/٢١٦ - ٩٥
- ٩٦ - نقلاً عن الدكتور مصطفى جواد: الحياة والموت في الشعر الجاهلي ص ٤٤ وكان العرب يطوفون حول البيت غير أن لهم تلبية خاصة بعبادتهم للشمس فيقولون  
ليتك اللهم لبيل  
ماهارنا نحره ادلاجه وجره  
لا تنقئ شيئاً ولا نضره  
حجسا لرب مستقيم بره  
راجع ابن حبيب المصبر ص ٣١٢
- ٩٧ - البيروني الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٢٥ - ٩٧
- J. Wellhausen, Op Cit P. 69 - ٩٨
- J. Wellhausen, Op Cit P. 69 - ٩٨
- ٩٩ - ابن منظور لسان العرب ١٢/١٠٧ - ٩٩
- F. Altheim-R. Stiehl, Die Araber in der alten Welt - ١٠٠  
Vol. III PP. 134-135
- ١٠١ - ابن منظور لسان العرب ١٣/١٠٧ - ١٠١
- A. Grohmann Op Cit P. 249 - ١٠٢
- J. Wellhausen, Op Cit P. 136 - ١٠٣
- ١٠٤ - تفصيل عن ذلك راجع د. منذر النكر في الميثولوجيا العربية، الشمس في عبادة  
الغرب قبل الإسلام (مجلة كلية الشريعة) العدد الرابع ١٩٨١ ص ١١٧ - ١١٩
- ### المصادر العربية :
- ١ - ابن حبيب المصبر، منشورات المكتب التجاري بيروت
- ٢ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ١٩٦٨
- ٣ - الأرياني، مطهر فـ تاريخ اليمن، القاهرة ١٩٧٢
- ٤ - الألوسي، محمود شكرى، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط. الثالثة القاهرة ٤٢ ١٩
- ٥ - البكري، معجم ما استعجم، ط. الأولى، القاهرة ١٩٤٥
- ٦ - البيروني، الآثار الباقية من القرون الخالية، ط. لايبزيك ١٩٢٣
- ٧ - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط. دار صادر، بيروت ١٩٥٧
- ٨ - الحوت، محمد سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، بيروت ١٩٥٥
- ٩ - الدوري، د. عبدالعزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي بيروت ١٩٦٩
- ١٠ - الهمداني، الأكليل، الجزء العاشر، تحقيق محب الدين بن الخطيب القاهرة ١٣٦٨
- ١١ - .....صفة جزيرة العرب، تحقيق الاكوع الحوالى، الرياض ١٩٧٤
- ١٢ - باقرية، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، بيروت ١٩٧٤
- ١٣ - بلسلف، د. أ. العرب والإسلام والخلامة العربية، ترجمة د. أنيس فريجة - بيروت ١٩٧٣
- ٥٦ - A. Jamme, Op Cit, P. 342 - ٥٦
- H von Wissmann, Himyar, Ancient History, P. 464 - ٥٢
- A. Jamme, Op. Cit P. 129 - ٥٤
- ٥٥ - مطهر على الأرياني، في تاريخ اليمن ص ٣١ - ٣٤ ويذكر في النقش السادس من نقوش  
عربية جنوبية للدكتور يحيى خليل ناسم اسم الملك كما يأتي ذكر الآلهة القومية لقبيلة (جوت)  
راجع د. يحيى خليل ناسم نقوش عربية جنوبية ص ٢٥ (مجلة كلية الآداب)
- H von Wissmann, Op Cit P. 466 - ٥٦
- A. Jamme Op Cit P. 348 - ٥٧
- ٥٨ - راجع د. منذر البكر الحس القومي عند العرب قبل الإسلام - ص ٦٥ - ٦٩ (مجلة  
أفاق عربية السنة العاشرة العدد ١ أيلول ١٩٨٤)
- ٥٩ - مطهر الأرياني، في تاريخ اليمن ص ١١٢
- ٦٠ - زيد بن علي عتبان، تاريخ حضارة اليمن القديم ص ٢٥١
- ٦١ - النقش 631 a السطر ٧ - ٨
- ٦٢ - السطر ١٥
- ٦٣ - السطر ٢١
- ٦٤ - السطر ٢٥ - ٢٥
- ٦٥ - السطر ٣٦
- ٦٦ - راجع ما ذكره محمد عبدالقادر باقرية تاريخ اليمن القديم ص ١٢٦ وكذلك  
H von Wissmann, Zur Geschichte, P. 55
- A. Jamme, Op Cit P. 154
- ٦٧ - المصادر نفسها
- A. Jamme, Op Cit P. 154 - ٦٨
- ٦٩ - بى (بيشتر) انه ليس بالضرورة ان يكون (مقتوى) له دلالة عسكرية
- A. F. L. Beeston, Problems of Sabaean Chronology P. 54
- وقارن مع ما ذكره (خروهمان) في كتابه الموسوم (Arabien) الصفحة ١٣١
- A. Jamme, Op Cit P. 270 - ٧٠
- H Winkel, Sams Go'tun (ZDMG Bd. 54) PP. 414-417 - ٧١
- ويعتقد قلها وين ان الاسماء العربية للكواكب قليلة جدا لان معظم الاسماء يونانية
- J. Wellhausen, Reste Arabischen Meidentum P. 173
- وقارن مع ما ذكره هومل حول نفس الموضوع ويبدو ان ملاحظته لاند من الموضوع فيها
- F. Monumel, Ueber den Ursprung und das Alter  
der arabischen Sternnamen und  
insbesondere der Mondstationen (ZDMG  
BD. 45) PP. 408-420
- A. Jamme, Op Cit P. 270 - ٧١
- ٧٢ - ابن منظور لسان العرب ١٣/٤٦٨
- ٧٣ - ديتلف تلسن التاريخ العربى القديم ص ١٩٢
- ٧٤ - د. خليل احمد مضمون الاسطورة في الفكر العربى ص ٧٦ وربما يقصد بالشمس  
ايضا السرعة يذكر ابن الكلبي ان اليموب صنم لعدله طي واليموب في اللغة الفرس  
السرعة الطويل، كتاب الاصنام تحقيق احمد زكى القاهرة (١٩٦٥) ص ٦٣.
- ٧٥ - ديتلف تلسن - التاريخ العربى القديم ص ١٨٨ ومن الأفضل ايضا الرجوع الى كتاب  
الحير لابن حبيب ص ٢١٢ وابن دريد - الاشتقاق تحقيق عبدالسلام محمد هارون القاهرة  
(١٩٥٨) ص ٧٣ - ٨٣ ص ٩٨ ص ٤١٦ ص ٥١٠ و
- A. Grohmann, Op. Cit P. 60
- Lexikon Assyriologie Vol. 1 P. 125 - ٧٦
- ٧٧ - مثل سعد شمس الجزى A النقش 1228 GL والنقش 360+398 CHH راجع  
A. Jamme, Op.Cit P. 341 P. 349
- H. Winkel, Sams-Go'tun, P. 414. A. Grohmann, Op Cit P. 245 - ٧٨
- ٧٩ - د. احمد خليل مضمون الاسطورة في الفكر العربى ص ٤٤، مؤاد سفر الحضر  
مدينة الشمس ص ٢٤٥
- A. Grohmann, Op Cit, P. 247 - ٨٠
- Ibid. P. 157 - ٨١
- ٨٢ - مؤاد سفر الحضر مدينة الشمس ص ٤٢
- A. Grohmann, Op Cit, P. 166 - ٨٢
- Ibid P. 247 - ٨٤
- وقارن مع ما ذكره الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب  
ص ٩٣
- A. Grohmann, Op Cit. 247 - ٨٥



- 8) Müller, D.H., Kritische Beiträge Zur Südarabischen Epigraphik (ZDMG Bd. 37) Leipzig 1883
- 9) Philby, H. Stj. B., The Background of Islam Alexandria 1947
- 10) RealLexikon der Assyriologie Berlin-Leipzig. 1932.
- 11) Ryckmans, J., L'institution Monarchique en Mésopotamie avant L'Islam. Louvain 1951
- 12) Wellhausen, J., Reste arabischen Heidentums Berlin. 1966
- 13) Winckel, H., Sams (4Götting (ZDMG Bd. 54) Leipzig. 1900
- 14) Wissmann, H. von, Zur Geschichte Und Landeskunde von Alt-Südarabien. Wien 1964.
- 15) Himayr, Ancient History (Le Muse'on LXXVII, 3-4) Louvain 1964

### مفتاح للنقوش المذكورة في البحث

Cropus inscriptionum = CIH (١)  
Semiticarum

مجموعة النقوش السامية

Eduard Glaser = GL (٢)

النقوش التي عثر عليها من قبل الرحالة النمساوي أدورد كلاسر .

Albert Jamme = Ja (٣)

النقوش التي عثر عليها البرت جام .

- ١٤ - جاوروك ، د . مصطفى . الحياة والموت في الشعر الجاهلي بغداد ١٩٧٩ .
- ١٥ - خليل ، د . خليل احمد ، مضمون الاسطورة في الفكر العربي . بيروت ١٩٧٣
- ١٦ - سفر ، فؤاد ومحمد علي مصطفى . الحضر ، مدينة الشمس بغداد ١٩٧٤
- ١٧ - عنان ، زيد بن علي . تاريخ حضارة اليمن القديم . ط . المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٦
- ١٨ - نلسن ، ديتلف . التاريخ العربي القديم . ترجمة د . فؤاد حسنين القاهرة ١٩٥٨ .

- 1) Altheim, F.-Stiehl, R., Die Araber in der alten Welt. Vol I-V. Berlin 1966-1969.
- 2) Beeston, A.F.L., Problems of Sabaean Chronology (BASÖR.16) 1954
- 3) CASHEL, W., Das altarabische Ko'nigreich Lijhan Ko'Ln. 1950
- 4) -----, Gamhart An-Nasib, Das Genealogischen des ibn al-Kalbi. Leiden 1966.
- 5) Grohmann, Arabien. Mu'nchen. 1963
- 6) Hommel, F., Ueber den Ursprung und das Alter der arabischen Sternnamen und ins besondere der Mondstationen (ZDMG Bd. 45) Leipzig 1891
- 7) Jamme, A., Sabaean inscriptions from Mahram Bilqis. Baltimore 1962

# نظرة في ديموسستين وخطبه

الدكتور سامي سعيد الأحمد  
كلية الآداب - جامعة بغداد

(أخت ديموستين) البالغة آنذاك خمس سنوات من عمرها لذي كبرها (٣). وخلافاً لتوقعات والد ديموستين فقد أظهر اقاربه الذين ترك عائلته بعهدتهم عدم ثقة وبعداً عن الامانة والاخلاص مما أثار دون شك في شخصية ديموستين نفسه او ضمنيتها كتاباته حيث اخبرنا بان ثلث ما ترك والده يدرباً قدره ٥٠ مناً (المن الواحد حوالي ستة دنانير عراقية) في السنة والتي كانت مبلغاً كبيراً وربحاً وافراً آنذاك، وكان المقرر ان يتسلم عند بلوغه اربعة عشر طاليناً من اوصيائه ولكنه قبض طالينين فقط وصمم على الانتقام منهم بعرض المسألة على الحاكم. وقد حصل ديموستين على ثقافة واسعة بتشجيع أمه وايدة مدرسه في خصامه مع اوصيائه لما رفضوا دفع ماله عندهم وتوا ديموستين نتيجة حيويته وقابليته مركزاً لدى الكاتب المعروف ايسوس من خالكيس المشهور بخطبه ودفاعه في القضايا الخاصة بالمنازعات حول الاراضى والممتلكات. ومثل هؤلاء الخطباء - المحامين كانوا ولعين في السياسة - وتقلد المناصب العليا السياسية للترابط آنذاك بين القانون والسياسة. ولكن ايسوس لم يدخل الحقل السياسي لكونه غير اثينى واكتفى بكتابة الخطب والدفع للآخرين.

ونقرأ كيف ان ديموستين كان يود الانخراط بمدرسة ايسوكراتيس لولا غلاء السعر الذي كان يطلبه هذا الخطيب عن التعلم بمدرسته (٤). ولو انه قد هاجمها مرة. وذكر بان ديموستين قد انخرط في مدرسة افلاطون ولكن هذا يصعب تقبله لان مدرسة افلاطون هي الاخرى كانت تطلب اجوراً عالية ولكن ديموستين كان قد عرف افلاطون بكل تأكيد واصغى الى محاضراته وتأثر بالكثير من افكاره

وقد درس ديموستين حال بلوغه عند ايسايوس Isaeus الذي لازمه بين ٣ - ٤ سنوات. وفعلاً نلمس في خطبتي ديموستين الاولين المعروفتين بأفوبوس واونيتور تأثير ايسايوس وحتى قيل ان الاخر قد كتبهما له او انه قد اشرف هو على كتابة ديموستين

ديموستين (ديموستينيس) الخطيب والاديب اليونانى الكبير ربما ولد حوالى سنة ٣٨٤ أو ٣٨٥ ق.م. ولو ان هناك اختلافاً كبيراً حول تاريخ ميلاده بالضبط. فدايونيسيوس اكالديكارناسى من القرن الاول ق.م. يجعل ميلاده سابقاً للاولبياد المنوى اى ٣٨١ ق.م. في وقت يجعله كيلليوس من اواسط القرن الثانى ق.م. بعمر قدره ٢٧ سنة حين القائه خطبته ضد تيموكراتيس واندروتيون التى القيت سنة ٣٥٥ ق.م. وبذلك يكون تاريخ ميلاده سنة ٣٨٢ ق.م. او ٣٨٢ ق.م. ويذكر ايضا انه قد ولد خلال ارخونية ديكسيثيوس (سنة ٣٨٥ ق.م.) والذي تقبله الكثيرون وكان والده ذا مركز مرموق وثرى وليس هناك اساس لما يذكره جوفينال (١). من انه كان حداثاً اعتيادياً. وام ديموستين هي كليوبولة ابنة كيلون المعروف باقناعه عاهل مملكة البوسفور على حماية المستعمرة الاثينية عند نيمفيوم في منطقة القرم. وقد تزوج كيلون من امرأة محلية هناك ربما كانت الاساس لمن ذكر عن ارتباط نسب ديموستين بغير اليونانيين (اسموهم بربارة) (٢) ورغم فقدان ديموستين لوالده وهو في السابعة من عمره فانه عاش طفولة سعيدة حسب ما ظهر. فقد ترك لهم والده ثروة طائلة لانه كان يمتلك معلمين احدهما معلم للسلاح والثانى لتجارة السجاد والستارات الى جانب ثروة طائلة قدرت باربعة عشر طاليناً من الفضة (يساوى الطالين حوالى الاربعمئة دينار عراقى) وادار الاعمال لعائلة ديموستين بعد وفاة والده ثلاثة اشخاص اثنان منهم اولاد عم لأبيه وهم: ايلوبوس وديموفون والثالث صديق اسمه فيريبيديوس، وتعيين ثلاثة جاء مخالفاً للعادة الجارية بتخصيص شخص واحد مما قد يدل على عدم تأكده بالثقة بواحد منهم فقط، واوصى لهم ثلث ما ترك ربما لضمان اخلاصهم لعائلته وحرصهم على مصلحتها. كما اوصى بزوجته (أم ديموستين) الى ابن اخته أفوبوس (ليتزوجه حسب عادة اليونانيين القدامى) مع كمية من المال ودار يعيش فيها معها حتى يبلغ ديموستين اشده. وان يتزوج ابن اخيه ديموفون ابنته

لهما حيث تظهر هاتان الخطبتان صفات واضحة يشترك بها ديموستين وايسايوس امثال التفكير النير والبراهين المفصلة المفحمة والشرح مع الدليل الممزوجين بالعاطفة الدافئة وحتى بالغضب، في وقت تمتاز خطب ديموستين بتكرار النقاط الاساسية والاستعمال المتكرر للبراهين ذات الحديث والنغمة المقنعة الجدية والتنميق (٥). وتتفق مصاحبته ايسايوس مع اقامته الدعوة على أحد اوصيائه (افوبوس) والتي ربما كانت سنة ٣٦٣ ق. م أو ٣٦٦ ق. م وقد تجنب افوبوس المواجهة المباشرة مع ديموستين لسنتين كاملتين الامر الذي دعم مركز الاخير وقوى حجته وصار فيها اكثر سيطرة على فن الخطابة. وأخيراً عرض المشكلة على الارخون محتفظاً بحق اقامة الدعاوى بأى وقت شاء على الاوصياء الآخرين (ديموفون وثيريديس) وخسر أخيراً افوبوس الدعوى وصار عليه ان يدفع غرامة قدرها عشرة طالينات ولانعرف ان كان قد استحصلها ديموستين بالفعل لصعوبة تنفيذ مثل هذه الاحكام باثينا آنذاك. وتظهر مهارة ديموستين في الصعوبات التي كان يضعها خصمه خلال المحاكمة. وتغلب خلالها ديموستين على الكثير من الصعوبات التي كان يشتكى منها في طفولته وشبابه واكثرها صعوبة التلعثم التي حصل نتيجتها على الاسم باتالوس (التلعثم) الذي عمل (كما تذكر الاخبار) كل ما في وسعه للتخلص منه كان يضع حصى في فمه عند ساحل البحر او يصيح بأعلى صوته وهو يرتقى التلال أو ان يحبس نفسه في غرفة تحت الارض يمارس بها الخطابة وحده لمدة اربعة اشهر انتسخ خلالها أيضاً كتاب ثوسيديديس ثمانى مرات، ولا نريد ان نناقش هذه الاخبار التي لا بد وان بولغ فيها الى حد بعيد ولكنها تصور مدى المشاق التي لاقاها ديموستين في سبيل اتقانه فن الخطابة، وحتى قال أحد معاصريه ما نصه « ان كانت أم ديموستين قد جلبته الى الحياة فان الفن قد خلق منه رجلاً آخر بالمشاق والاعتاب » (٦) الى جانب كون الاثينيون آنذاك معروفين بالنقد وحتى السخرية بالخطباء على اخطاء بسيطة.

وقد عاش ديموستين في عصر انحطاط بقوة اثينا وعظمتها في وقت ظهر فيه خطر فيليب المقدوني الذي شهر ديموستين بوجهه سلاح معارضته. وان ظهوره الاولى في المحاكم كان بالقضايا الخاصة او المدنية وتدرجياً صار اكثر مساساً بالامور والقضايا العامة، وبين السنوات ٣٥٥ - ٣٥٢ ق. م صارت خطبته تظهر نغمة سياسية الامر الذي مهد السبيل له ليكون اكبر رجل دولة آنذاك ومن الصعوبة علينا ان نعرف تواريخ خطبه بالضبط وربما كانت اول خطبه تلك المعروفة بضد اندرويتون او ضد ليبتينيس واللذان يمكن ارجاعهما سوياً الى حوالى سنة ٣٥٥ ق. م فخطبته ضد اندرويتون قد كتبها الى ديودوروس وكانت انتقاداً للإدارة آنذاك. فقد اقترح اندرويتون ان يمنح المجلس تاجاً ذهبياً

اعترافاً بخدمات اعضائه الجليلة. وهاجم رجلان هذا الاقتراح لكونه غير شرعى ولا يمكن تبريره. وقد وجد ديموستين ان المجلس قدم اموالا الى مخصصات عيد في وقت تحتاج به المدينة الى سفن اضافية لتقوية وسائلها الدفاعية. فكانت خطبة ديموستين بمثابة نداء بوجوب تقوية اسطول اثينا والتأكيد على فشل اندرويتون والمجلس، بناءً مثل هذا الاسطول مما يترك البلد تحت رحمة المهاجمين. وجاء في خطابه هذا « هذا الشعب (الاثيني) لم يعمل على اكتساب الثروة بل الشهرة على الدوام. فالمدينة التي كانت اكثر دول اليونان ثراء صرفت كل ما لديها في سبيل الشرف، وبذلك حصلت على كنز لا يفتنى وذكريات من الاعمال النبيلة والمباني الفخمة » (٧).

وخطابه ضد ليبتينيس قد القاه ديموستين في المحكمة. وكان موضوع النزاع يتركز في قانون ايدته ليبتينيس نقض الاعفاءات الموروثة عن الضرائب والتي تمنح بالعادة الى اولئك الابطال الذين نذروا انفسهم في سبيل الدولة والوطن وقت الحرب والازمات. ولعدة سنة كاملة كان ديموستين خلالها يعمل على البرهنة بعدم شرعية الاجراء، وقد جاء في خطابه هذا ما نصه « ان النقطة الاكثر اهمية في خطابي هي ليست مسألة الاعفاء. وأقول ان القانون يخلق ممارسة فظيعة، ستكون نتيجتها خلق عدم ثقة بجميع المنح التي تقدم من قبل الشعب » (٨).

وكانت سنة ٣٥٤ ق. م مشهودة في حياة ديموستين لانه القى فيها اول خطاب امام المجلس. وربما كان قد ظهر امام المجلس من قبل ونماشة نجاح. وقد عرف خطابه باسم ركوب متن السفن البحرية Thy symmories وتقرأ في الخطاب شعور ديموستين بان فارس لا تشكل اى تهديد على بلاد اليونان لضعفها ولكنه لا يريد ان يذهب بعيداً في تأكيد ذلك خوف ترك الشعب الاثيني التفكير بضرب عدوهم هذا. واخبرهم بان اليونان ليست مستعدة لشن حرب اعتدائية اذا لم يتقبلوا مسؤولية التوحيد وان اليونان المفككة لا يمكنها من دخول حرب فخطر فارس ليس محدقاً وقريباً ويمكنهم انتظار التوحيد الضروري لدويلاتهم ومواردهم. ثم يتعرض الى الموضوع الرئيسى الا وهو اصلاح البحرى وضرورة تقسيم الاسطول الى وحدات صغيرة. ثم وضع رأيه في طيبة « من الصعوبة عليكم سماع اى شيء طيب عن اهل طيبة حتى ولو كان صحيحاً. انتم تكرهونهم، وفي السابق ساعدوا الملك الفارسى في غزو بلاد اليونان ولكنهم الآن مستعدون لتقديم اموال طائلة ليكفروا عن خطاياهم السابقة » (٩). ولم يذكر الخطاب فيليب المقدوني مما قد يدل بان ديموستين لم يكن يشعر بكون فيليب يشكل خطراً على حرية بلاد اليونان

وفي سنة ٣٥١ ق. م « حسب التاريخ الذي يقدمه دايونيسيوس اكاليكارناسى » جاء خطاب ديموستين المعروف باسم من أجل حرية شعب رودس ولو ان هناك اشارات تدل على

انه ربما تم القاؤه سنة ٢٥٢ ق.م وحتى سنة ٢٥٤ ق.م وكان الخطاب بمثابة نداء لمساعدة شعب جزيرة رودس للاستقلال عن كارياء، وفيه ذكر ديموستين لأول مرة اسم فيليب المقدوني وجاء فيه « يستخف بعضكم على الدوام بفيليب كشخص لا اهمية له ويخاف الملك الفارسي كعدو قوى.. اذا كنتم تحتقرون الاول كثيراً الى الحد الذى تقاومونه وتخافون الثانى الى الدرجة التى تريدون فيها تسليم كل شيء اليه، فخذ من يجب على الاثينيين شهر السلاح » (١٠). وفعلأ كان فيليب المقدوني ينتهز فرصة خوف اليونانيين من الفرس لتعزيز مركزه وتقوية نفسه. وفي سنة ٢٥٦ ق.م حصل فيليب على كافة المدن والموانئ الاستراتيجية التى كان ينشدها امثال امفيبوليس وميثون وبيدنا وصار على مقربة من اثينا. ثم سيطر على ثيساليا كل هذه الامور اثار مخاوف ديموستين فلقى خطبته الهامة المعروفة باسم الفيليبينية الاولى، وتبدأ بالاشارة الى زعامة اثينا الرديئة وافتقارها الى القائد الكفوء الذى تحتاجه الآن. واقترح ضرورة القيام بعمل حاسم ووضع خطة عمل للمستقبل « ان فيليب ليس بالرجل الذى يقبل بما غزا وحصل بالحرب بل هو على الدوام يوسع دائرته ممتلكاته. وفي الوقت الذى نقف نحن فيه مكتوفى الايدي يطوقنا هو من كل جانب.. فماذا بعد هذا ايها الاثينيون فمتى تقومون بواجبكم؟ ماذا تنتظرون؟ ماذا نقول عن الاحداث الحالية؟ هل هناك اسوأ من كون المقدونيين يسيطرون على الاثينيين وينظمون شؤون اليونان؟ هل ان فيليب ميت؟ لا انه مريض فقط، فلو كان مريضاً او ميتاً فما هو الفرق بالنسبة اليكم؟ فاذا ما حدث له شيء فسرعان ما ستنصبون عليكم فيليب آخر » (١١). ثم قدم مقترحه الخاص بالدفاع عن بلاد اليونان بتهينة خمسين سفينة حربية وجيش يتألف من الفى جندى مشاة ومئتى فارس للخدمة الفعلية من الاثينيين، وجاء في خطابه ايضا « ان الجزء الهام من الاستراتيجية الماهرة ان لا ينتظروا الاحداث بل ان يسيروها » (١٢). واختتم خطابه بالقول « من المؤكد ان فيليب عدونا، قد انتزع منا ما هولنا، وأهاننا منذ مدة طويلة، وكل ما اعطينا نحن الى الآخر ليعملوا لنا قد تحول ضدنا، والذى بقى يعتمد علينا، فاذا كنا راغبين بحربه في الخارج فعلياً ان نحاربه الآن هنا » (١٣).

هناك خطبه الثلاث المعروفة بالاولنثيات التى القاها سنة ٣٤٩ ق.م عندما كان فيليب يحاول الحصول على مدخل الى بلاد اليونان. والقى ديموستين اولنثيته الاولى عندما ارسلت مدينة اولينثوس وفداً الى اثينا يشد مساعدها. وقد اتت الخطبتان الثانية والثالثة بوقت قصير بعد الاولى. وقد تكلم في الثلاثة عن ضرورة تغيير الادارة ان كانت اثينا تفكر بالحرب. واقترح في الاولى ارسال قوات حربية من المواطنين الاثينيين لمساعدة اولينثوس واجبار فيليب على التراجع وحماية بلده. واكد

ديموستين أنه اذا احتل فيليب اولينثوس فانه سوف يهاجم اثينا متى يشاء. واخير الاثينيين ان يحكموا على فيليب بما عمل لحد الان، وفي الاولينثية الثانية بين ديموستين اسرار نجاح فيليب المقدوني التى لخصها بالغش والخداع والرشوة والغدر ولهذا السبب صار حلفاؤه يخرجون عن حلقته. واذا تنهض اثينا بمسؤوليتها فعلية والجميع سحق فيليب، وفي الاولينثية الثالثة غير ديموستين لهجة خطابه وصار قلقاً وترك كل تحفظ ونادى بضرورة تحويل مخصصات العيد الى خزانة الحرب لعدم توفر الوقت لجمع المال ودعا الاثينيين الى الحرب والا فانهم سوف يهاجمون من قبل فيليب.

ومن خطب ديموستين الهامة تلك المعروفة بحول التاج. وخلفية هذه الخطبة ان ديموستين كان قد اشرف بنفسه على بناء سور حول اثينا لحمايتها من فيليب وتبرع له بثلاث طالينات من ماله الخاص. واقترح صديق لديموستين يدعى كتيشفون ان ينتهز الاثينيون الفرصة لظهار ثقتهم بديموستين فيمنحوه تاجاً ذهبياً يضعونه على رأسه في المسرح خلال احتفال دايونيسيوس اعترافاً بخدمته اثينا. وقد عارض ايسيجينيس هذا الاجراء في مجلس الشعب ثم عرضها على المحاكم بعد ست سنوات. ولا نعرف السبب في ذلك ولكن هذه المحاكمة « في سنة ٢٢٠ ق.م » لم يخلها التاريخ عبثاً (١٤). فالخصمان خطيبان معروفان واراد ايسيجينيس اضعاف ديموستين وتوضيح المبالغة في اقتراح كتيشفون على اساس ان القانون الاثيني يجعل منح التاج عند اليينكس وليس في المسرح من ناحية ويمنع وضع التاج على رأس أى موظف قبل تدقيق حساباته وان ديموستين لم تدقق حساباته في اصلاح وتعمير الاسوار بعد. وبعد ان القى ايسيجينيس خطبته في المحكمة ضد ديموستين تلا الاخير خطابه. وبدأ ديموستين كلامه وانهاه بالدعاء الى الارباب، ويظهر هذا الخطاب جميع اوجه فن خطابة ديموستين واتباعه الخط التقليدى في اجتذاب الاثينيين واستعماله اللغة والبلاغة في اثراء خطبته مع توازن تام وسجع عاطفة وحسن عرض واستعماله الكثير من الالفاظ القادرة ضد خصمه امثال الممثل البائس والطفيلى والخائن (١٥).

وان الخطباء الاثينيين عادة يكيلون التهم ويلفقون الاخبار للخط من سمعة خصمهم ولكن ديموستين لم يقل عن ايسيجانيس سوى « ان والدى ايسيجانيس قد توفيا منذ مدة طويلة وهذا من حسن حظي حيث نسيت اخبارهما وانباء سلوكهما وسيرتهما لان والده كان عبداً واهه كانت فاحشة » (١٦). وبذلك اوضح لمستمعيه بان ايسيجانيس منافق لا يستحق اى تقدير ولد من ابوين هما مجلة للعار. وقال ديموستين فيها علناً بانه غير مسؤول عن صلح فيلوكراتيس الذى جاء لمصلحة فيليب. ولما ان نعرف بان هذا الانكار كان كذبة واضحة واستغل

ديموستين لاختفائها الفترة الزمنية التي مضت (١٦ سنة) بين عقد الصلح والمحاكمة والتي أخفتت من ذكرها (١٧) ولكن ديموستين كان يعرف مستمعيه وكيف يجذبهم لما يقول. وكانت النقطتان اللتان اتى بهما ايسيجانيس ضد وضع التاج صحيحة ولكن ديموستين عرض المسألة بوضع مثير عندما قال « ان المجلس قد صوت على شكري.. لتبرعى.. وان التبرع يجب ان يجازى بالشكر والثناء » (١٨). اما عن النقطة الثانية وهي التتويج في المسرح فقال ديموستين «.. لقد وضع التاج علي مرات عدة في المسرح.. وباسم السماء فانك يا ايسيجانيس لاتعرف شيئاً وعدم احساس فان التاج يضم نفس الشرف بغض النظر عن مكان تسلمه، ولكن لمصلحة اولئك الذين يمنحون التاج ان يكون مكان منحه في المسرح » (١٩) ثم تعرض الى نقطة هل انه جدير بشلم التاج وصار يلفق الحقائق ويزور بها ولام ايسيجانيس لعدم اقتراحه امراً بديلاً قبل هذا الوقت (٢٠). واخبره بانه ليس هناك أى لوم يقع عليه حول ما حدث « لا تفترض ان انتصار فيليب بالمعركة كان ذنبى لان هذا امر قدرته الارباب » ثم تحدى ايسيجانيس وطلب منه مقارنته بنفسه وقال مخاطباً المستمعين « انظروا كيف انى اتكلم بكل بساطة وعدل عما نسب لي اثناء هجومه عليّ وتهجمه على حياتي الخاصة. ولكنكم لو تعرفوا بانى على تلك الصفات التى ادعاها لما كنت قد تمتعت باى حب كالذى تكنونه انتم لي.. قف في الحال وقلم ما لديك ضدى » (٢١). وصار ديموستين بعد ذلك يكيل المدح لاثينا ومواطنيها وأجج بمستمعيه روح الاخلاص والوطنية ودعاهم الى التمسك بالتقاليد الاثينية الخاصة بالزعامة وجعلهم يعتقدون بان كل ماتفوه به هو بالواقع لمصلحة اثينا وقال « لم يتمكن أحد منذ اقدم العصور ان يخضع اثينا بلجونه الى القوة المجردة من الحق وان يتقبلوا العبودية ولكنها كانت خلال جميع ادوار تاريخها كانت دائماً في مصارعات للزعامة والشرف والمجد ». وكان ديموستين يطلق على ايسيجانيس وأعدائه الكلمة « الخونة » مما يجعل المستمعين بانهم ليسوا فقط ضده بل ضد الدولة . وتكمن قوة ديموستين في قدرته على اخراج المبادئ من الحقائق التى يعرضها وبذلك يؤثر على مستمعيه (٢٢). فقال في الخطبة « على كل شخص في حياته الخاصة وعلى المدينة في مسيرتها الوطنية ان تعمل دوماً على السير بسياستها مستنيرة بمبادئ ماضيها النبيلة » ثم « ان كل اثيني كان يعتبر نفسه مولوداً ليس لوالديه ولكن لبلده انظروا الفرق ؟ » و « هناك خاصيتان يجب ان يملكهما المواطن الاثيني المتواضع.. فعندما يكون في مركز رسمى يجب ان يهتدى بالمبدأ الذى يتطلب النبل وهيبة الدولة وتسلطها. وفي كل امر وعقد يجب ان يكون مخلصاً والاخيرة تعتمد على طبيعته وقدرته وقوته الخ.. » (٢٣) وذكر ديموستين الاسلاف مرات عدة لانه يعرف اهميتها بالنسبة للاثينيين (٢٤) ولاحل

اثارة المستمعين صار ديموستين يصف مأدبة غداء اقامها على شرف الشهداء الذين سقطوا في معركة الشرف للدفاع عن المدينة.

وتعكس الخطة اعتقاد ديموستين بالقدر والاسلاف والارباب وايمانه بالصدق « ان الصدق ذو طبيعة يصعب تشويهها. من المستحيل ولا يمكنك ان تسمح جريمة اعمالك فيه. ان محيط اعمالك سوف يخيب املك ». ثم « هل يخطئ الانسان طواعية ؟ ارى ان الغضب والعقوبة قد حتمت عليه. هل يجبر على ارتكاب الخطأ ؟ ارى هنا الانغماس بدلا من العقوبة » (٢٥). ونرى ديموستين حتى في ذكر خصاله الحسنة وصفاته يشكر الارباب لما حبوه ولكونه اثينيا تربى في كنفها وما هو الا الالة المتواضعة في يد الارباب استخدموها في مجال الحق والتقوى » (٢٦). وقد قورنت خطبة التاج هذه بخطبة التشجيع لتوسيديديس (٢٧). وقال ديموستين عن الحكم « ان الملكية قد يكون مرغوباً فيها اذا كان الملك يمثل احسن التقاليد اليونانية وهم الملك الاخذ بيد جميع اليونانيين في طرق السلام ويقدم نظام دولة حاكمة تمثل احسن مدينة لدى اليونان وبذلك لاتعتمد عظمتها على رجل واحد » (٢٨) وقال في هذه الخطبة عن شخصيته « انى لا اعرف المساومة، لم اتذكر انى فضلت زعيماً على حساب حقوق الامة وفي شؤون اليونان لم تكن رشوات وضمانات الصداقة التى اغدقها فيليب عليّ ان تغرينى لاضحى بمصالح اليونانيين.. ونعرف قوله في خطاب آخر له يعرف باسم حول خير سوينوس « اطمح نحو الاحسن على الدوام وليس الاسهل مطلقاً ».

وبعد السلام الذى عقده اثينا مع فيليب المقدونى القى ديموستين خطابه المعروف حول السلام (نهاية سنة ٣٤٦ ق م) واخبر الاثينيين فيه ان عليهم الآن ان يحاربوا جميع دول الوحدة الامفكتيونية اذا ما حاربوا فيليب. وكان الخطاب المعروف بالفيليبينية الثانية (سنة ٣٤٤ ق م) والتى كانت بمثابة جواب على رسالة من فيليب اتهم بها الاثينيين بسوء التصرف. وان لهجة الرسالة تدل على ان فيليب كان يريد حجة وسبباً لشن هجوم على اثينا. اما الفيليبينية الثالثة فقد بين فيه فيليب ان السلام هو بالاسم فقط وان فيليب يشن منذ مدة حرباً غير معلنة على اثينا. وكان يتكلم فيه كوطنى يونانى لا كشخص اثينى ودعا الى ضرورة اخذ اثينا للسلاح وقيادة اتحاد المدن اليونانية لحرب فيليب حيث لم يعد هناك اختيار بين حرب وسلام وعلى اثينا عدم الانتظار الى وقت اعلان فيليب الحرب عليها لانه لا يعلنها الا عندما يكون على ابواب مدينتها. وحث اليونانيين على ضرورة ايقاف التناحر بين دويلاتهم المختلفة والاتحاد لدرء خطر فيليب بقيادة اثينا

وكان ديموستين بين ٣٤٠ - ٣٢٨ ق م اكثر الرجال اهمية في بلاد اليونان، ومع الاسف نعرف عنه قليلاً خلال هذه السنوات

ولما توفي فيليب سنة ٢٢٦ ق.م قدم ديموستين القرابين للارباب شكراً على جميلها ولو ان ابنته كانت قد توفيت منذ ايام قليلة. ولما ثارت طيبة على الاسكندر خليفة وابن فيليب قدم لها ديموستين المساعدة. ونعرف ان انتيبايتز قد اتهم ديموستين بمساعدة هاربالوس على الهرب وسجنه ونفاه. ولكنه ارجع حال وفاة الاسكندر ودخل اثينا وسط استقبال حافل، ولما فشلت اثينا في ثورتها ضد انتيبايتز طلب الاخير استسلام الزعماء الاثينيين وحكم على ديموستين بالاعدام غيابياً، فهرب ديموستين الى كالوريا ولجأ بمعبد بوسايدون فيها حيث تناول السم ومات وهو في الثانية والسنتين من عمره سنة ٢٢٢ ق.م.

واعتبر دايونيسيوس الهاليكارناسي ديموستين اعظم خطيب عرفه التاريخ فقال « اسلوبه اكثر قوة وارصن عملية. لقد نسج اسلوباً خاصاً به.. اسلوب رفيع وبسيط متميز غير اعتيادي ومعروف بالاستقامة والمدح والمرح والاقتضاب والشمول لآتمل قراءته يمزج فيه بين الحلاوة والمرارة يعبر مرة عن عاطفة وبأخرى عن قوة شخصية » (٢٩). وهام الرومان في حب اسلوب ديموستين حيث اقتطف منه الكتاب والبلغاء الشيء الكثير. فديموستين عاش في عصر امتاز بالاضطراب والتغير ولو ان الحياة العامة بقيت هي هي كما في العصر الذهبي وكانت الحاجة ماسة الى الخطيب الماهر والبلاغة كانت ناضجة وجميلة وصار للخطيب مركز هام في الدولة. ولهذا السبب كان يتطلب من الخطيب معرفة السياسة المحلية وصارت الادارة بيد رجال غير اكفاء وعم الفساد في الادارة وانتشرت الرشوة واعتبر الاثرياء العمل في السياسة شراً مستطيراً وفي دراستنا لخطيب ديموستين نرى اقتناعه بان الدوافع الاخلاقية يجب ان تكون جزءاً من السياسة متأثراً بذلك بافلاطون وتوسيديس (٣٠). وترينا كتاباته حكمته السياسية واحكامه القوية وشعوره الطيب (٣١) وكان ينشد الجمال على الدوام ونقرأ في خطبه سلسلة من الملاحظات الجذابة والذكريات والامثلة والصورة المقنعة وكلها

تظهر قدرته على اقناع المستمعين بكلامه (٣٢) وكان ديموستين رأس الحركة الوطنية زمانه التي يجب ان تستند لرايه على الحرية سواء لاثينا او بلاد اليونان.

ويعمل في خطبه على اشعال جذوة الوطنية الى ابعد حد والخلق والاستقامة لقد احب ديموستين اثينا وفي رايه يجب ان تقود الدول الحرة ويدعو الاثينيين الى تذكر اعمال اجدادهم المجيدة. ولا يريد ان تكون اثينا معتدية تعتمد على القوة في نشر الحرية التي يريد ان تنهض بها اثينا. وراى ديموستين في فيليب المقدوني وتقدمه العسكري الخطر الاكبر على حرية اثينا وبلاد اليونان ونقرأ في خطبة له « الم يكن عملاً جليلاً لاثينا المحبة للسلام، الدولة التي تعتمد على القوة البحرية بصورة اساسية ان تدخل حرباً بجيوش ذات قيادة فقيرة في وقت يتحتم عليها ان تصطدم بجيوش فيليب في ساحة القتال ؟ الم يكن خطأ ان تضع اثينا مقدراتها بأيدي فيليب ؟ كل شيء يحملنا على الاعتقاد بانه سوف يعامل اثينا بالحسنى ولكنها سوف تضحي بحريتها في السياسة العامة » (٣٣).

#### الهوامش

- 1 Juvena X. 130.
- 2 Encyclopaedia Britannica, (New York, 1962), p. 192
- 3 W.J. Brodribb, Demosthenes, (New York 1920), p. 24
- 4 ibid, p. 253.
- 5 S. H. Butcher, Classical Writers, Demosthenes, (New York, 1901), p. 29
- 6 Werner Jaeger, Demosthenes, the Origin and growth of his policy, (Berkeley, 1983), p. 37
7. Butcher p. 33
- 8 Stanza, 124.
- 9 Butcher op cit p. 38
10. ibid, p. 44
11. stanza 7-11.
- 12 F. B. Tarbell, The Philippics of Demosthenes (Boston, 1893), p. 39
- 13 stanza 50.

# نحتٌ نذريٌّ محوّرٌ لأنثى عليه رموزٌ فلكيّة

عبد الجليل عبدالعزيز عمرو  
قسم الآثار - الجامعة الأردنية

الحفرة كهيئة شبه دائرية يبدو جانبها الخلفي في وضع مستقيم. ولهذا النحت ثديان مستديران قطر كل منهما ١٣ سم ولكن الحلمتين Nipples غير ممثلتين فضلاً عن وجود بعض التلف والتآكل في الجزء العلوي من الثدي الأيسر. أما في أسفل ما بين الثديين فقد نحت قرص الشمس على هيئة دائرية بارزة قطرها ٧ سم يطوقه من الأسفل نحت ناتئ للقمر الهلال الذي تدعم طرفاه لبسلف الثديين المذكورين، ويبلغ طول هذا الهلال من طرفه الأول إلى طرفه الآخر ١٨ سم، وتبرز عند نهاية التمثال الأجزاء الإمامية للقدمين العاريتين وهما مصطفيتان بعضهما إلى بعض على قاعدة شبه مستديرة من حجر التمثال نفسه. أما باقي التفاصيل الأخرى كتمثيل الأيدي أو السيقان أو الملابس فهذا مما لم يلتفت إليه النحات. والتمثال، في كل حال، قليل العمق متبسط، يستدق كلما اتجهنا نحو الأسفل وتظهر على جانبه آثار حريق، وعلى أنه ذو سطح أملس. فإن به أثراً تدل على خشونة في النحت تظهر على هيئة جفر عشوائية مبعثرة على سطحه.

## معنى الرموز الفلكية على هذا التمثال

إن اجلال الشمس والقمر وتقدير الكواكب والنظر إليها جميعاً على أنها رموز لآلهة غير مرئية مسألة معروفة في أماكن عديدة من الشرق القديم من ذلك أن السومريين عبدوا الشمس في مدينتي لارسا Larsa وسبار Sippar في بلاد ما بين النهرين لأنها - عندهم - ترمز إلى الآلهة أوتو Utu وعدو الظلام وما يمثله من شياطين وآله العدالة والمساواة بين الناس وقد رمز إلى شكله الأصلي بقرص الشمس (٢). وتجدر الإشارة هنا إلى أن أوتو هذا قد مثل برجل تخرج أشعة الشمس من جسمه تعود أن يركب عربته كل يوم ويتجول بها حول العالم ليرى أعمال العباد وإنجازاتهم، وهو فضلاً عن ذلك يعطي النور الذي يضيء القلوب ويبصرها ويحمي الضعفاء والمظلومين من أعدائهم الظالمين. وليس هناك من مسؤول عن القوانين والشرائع السماوية التي منحت فيما بعد للملك حمورابي في بابل إلا هو. وهكذا مثله النحاتون في عهد هذا

جاء بهذا النحت في صيف ١٩٧٧ م إلى مكتب دائرة الآثار بمدينة الزرقاء، على بعد أربعة عشر كيلو متراً من عمان، مواطن ذكر أنه عثر عليه في أرضه، هذا ولم تتوفر أية معلومات أخرى عن المكان الذي عثر فيه على هذا النحت النذري موضوع البحث، لا بل إن اسم ذلك الرجل لم يسجل في السجلات الرسمية ليكون في الوسع - ربما - إعادة سؤاله عن موقع أرضه لأجراء حفرة استطلاعية فيها لتزيد من معلوماتنا عن مثل هذه المنحوتات. وأخيراً فقد انتهى المطاف بهذا النموذج الفني ليخزن في المستودع الرئيسي للمتحف الأردني بعمان إلى أن يتيح لنا مشاهدته.

## الوصف

نحت حجري لأنثى عارية فاقدة الرأس والرقبة (اللوحة ٢، رقم ١).

الطول : ٩٦,٩ سم

العرض : ٣٤,٥ سم

العمق أو السمك : يتراوح ما بين ١١ - ١٢ سم فقط  
توجد حفرة بين كتفي التمثال في المكان المخصص للرقبة قياساتها هكذا :

الطول من الخلف : ٩ سم

العرض : ٧,٦ سم

العمق : ٦,٥ سم

يتكون هذا النحت من مادة صخر الدولومايت الصلب وبه حبيبات من الرمل والصلصال (١). ويمكن وصفه من الأعلى إلى الأسفل هكذا

هناك حفرة صغيرة نسبياً (قياساتها مذكورة أنفاً) بين الاكتاف كانت تستعمل لإدخال رقبة التمثال فيها ثم تركيزه بمادة جيرية توضع في الفراغات الناجمة عن صغر قطر الرقبة بالنظر إلى الحفرة حتى لا يتحرك هونا وقد عثر في داخل هذه الحفرة على بقايا لتلك المادة الجيرية. وبينما يجيء الجانب الأمامي لهذه



الملك برجل قاعد تخرج اشعة الشمس من كتفيه (٣). لقد اعتبر الآله أوتو كذلك بأنه ابن الآله نانا Nanna القمر الذى كان بدوره ابناً للآله الكبير انليل Entil الجبل العظيم سيد بلاد سومر كلها (٤). ومن أبناء نانا كذلك ابنة اسمها أنانا Innana كان يرمز إليها بنجمة كانت وظيفتها حماية البساتين والحدائق وكانت الآمنة على اللحوم والبلح والالبان أيضاً (٥). ولعل من المفيد أن نذكر أن هذه الابنة هي التي عرفت في الفترتين الآشورية والبابلية / الكلدانية بالاسم الجديد عشتار Ishtar كما أنها هي إلهة الحب والجمال السامية وملكة السماء، ولقد اقترن اسمها منذ القرن الحادى عشر قبل الميلاد، باسم الآله آشور نفسه على أنها إلهة الحرب، وكان يمثلها على الأرض الأسد حيث ظهرت معه في منحوتات من بلاد ما بين النهرين ومصر منذ عهد الأسرة التاسعة عشرة، ومن المعروف أن الأسد كان يرمز في بلاد ما بين النهرين إلى الشمس. وهكذا يصبح في الوسع الاستنتاج أن الآلهة عشتار معادلة للشمس ومنها تستمد قوتها وجمالها، ومما يؤكد هذا ويسدده ما نراه في نحت بارز من عمرت بسوريا، يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، تظهر فيه عشتار ممسكة بيدها أسداً صغيراً، راكبة على أسد آخر سائراً بها فوق الجبال ويعلو هذا النحت قرص الشمس المجنح والقمر الهلال (٦). لقد أطلق على هذه الآلهة أسماء جديدة في العصور اللاحقة فصارت تعرف في العهد الفارسي الساساني باسم اناهيتا Anahita وهي نفسها أفروديت Aphrodite اليونانية وفيونوس Venus الرومانية، ولها أسماء سامية كثيرة مثل عشتروت، عشتارت، عشتار، عشتار عرفت بها في جنوب الجزيرة العربية، أما في العهد النبطى فقد عرفت باسمى عطارغثس Atargatis والعزى al - Uzza ولقد اقترن نحتها في جبيل بنحت الآلهة عشتار - رشف والآله السامى عتتر الممثل بنجم الصباح فيونوس (٧).

إن الأشكال الفخارية لنساء تكشف عن ثدييها كشفت عنها الحفريات في أماكن مختلفة شرق نهر الأردن تذكر بهذه الخاصية التي نراها في تمثالنا هذا وقد بدا لنا في تفسير هذه الأشكال أنها تجسيد لصفة مهمة من صفات الآلهة عشتار بأنها إلهة يتغذى على ثدييها البشر كلهم فهي الأم صاحبة الثدي المخلص (٨). وهكذا يمكن القول بأن الثديين الممثلين في نحتنا، هذا، إنما هما رمز يمثل هذه الآلهة العريقة.

أما في العهد الأكادي فتجدر الإشارة إلى أن الآلهة السابقة الذكر قد عرفت بأسماء جديدة، فحمل أوتو اسم شماش Shamash ونانا القمر اسم سين Sin وأنانا اسم عشتار إلهة الخصب والحب. ويبين مما سلف صعوبة التفريق بين هذه الآلهة كل من حيث الوظيفة التي كانت تؤديها في العهدين السومري والأكادي.

أما القمر فقد عبد بمنازله المختلفة بظنهم أنه منظم للشهور في جنوب الجزيرة العربية فنظر إليه كأنه زوج الشمس وأن كوكب الزهرة

الذى عرف عند المعينين باسم « عتتر » هو ابن لهما (٩). لذلك جاء في المرتبة الثانية بعد إله القمر والشمس، وكانت عبادته منتشرة في موآب وعمون (١٠). وتعتبر حران شمال العراق المركز الرئيسى لعبادة إله القمر بعد أن تركزت عبادته في السابق في مدينة أور في الجنوب، وإذا كان صحيحاً أن لاستتقاق اسم حران ارتباطاً بمعنى القوافل (١١)، فلربما عنى ذلك أن القمر عبد هنا بسبب دوره في تبديد الظلام أمام التجار وإضاءة الطريق لهم في رحلاتهم الليلية، فلقد أعطيت الأولوية في تدمير لعبادة القمر باسم الآله يراح Yearah ربما لما له من دور أيضاً في قياس الزمن الذى كانت تستغرقه رحلاتهم التجارية، كما ألحقت باسم هذا الآله أسماء بعض الأعلام ولكن في فترة مبكرة منذ النثر السابع قمر الميلاد مثل التمثال الذى عثر عليه بجبل القلعة بعمان وهو يحمل اسم صاحبه الزعيم العمونى « يريح عازر » مكتوباً بالحروف الآرامية.

كما أن اسم مدينة أريحا أو « يريحو » بمعنى مدينة القمر ( على الجانب الغربى لنهر الأردن ) لا يبعد كثيراً عن اسم هذا الآله. يبين مما سبق أن قوة الآلهة أو الآلهة إنما تتركز في الظواهر الطبيعية المرئية فمثلاً كانت نانا أو سين تعبيراً عن قوة إله القمر وما له من فضل على الأحياء، والآله أوتو أو شماش تعبيراً عن حرارة الشمس ودورها في استمرار الخصب والحياة، أما أنانا اخت الآله أوتو فكانت تنعكس في قوة نمو النباتات والأشجار، وهكذا وربما يصل هذا بنا إلى تفسير منطقي لهذا التمثال النذرى على أنه تمثيل للآلهة عشتار التى رمز إليها في التمثال بالثديين العاريين، والآله أوتو أو شماش وقد رمز إليه بقرص الشمس ثم آخر هذا الآله نانا أو سين، وقد رمز إليه بالقمر الهلال، بحيث كان هذا الآله أباً كما رأينا لقرص الشمس، أوتو، وعشتار أيضاً التى كثيراً ما كان يرمز إليها بنجمة سداسية أو ثمانية الأذرع بدلاً من الثديين كما سنرى فيما بعد. وربما يفسر هذا لماذا نحت القمر الهلال بهذا الحجم البارز على تمثالنا وهو يحيط بقرص الشمس ويدعم الثديين عند طرفيه كذلك تعبيراً عن حنان الأبوة وعطفها، كما يمكن القول أن هذا النذر الدينى يعود في أصوله إلى بلاد ما بين النهرين وليس له أية أصول كنعانية أو مصرية، لأن تكريم القمر والشمس في الدين الكنعانى كان أمراً محدوداً جداً، أما في مصر فقد كان إله القمر ممثلاً بشكل حورس الصقر الذى كانت عيناه الشمس والقمر (١٢).

إن مثل هذه الرموز الإلهية المقدسة كانت تحمل في العهدين الآشورى والبابلي / الكلدانى إلى ساحات المعارك للتأكيد فيما يبدو على أن الآلهة ممثلة برموزها كانت ترافق الحكام وتبارك حملاتهم على سوريا وفلسطين والأناضول في الشمال وبلاد فارس في الشرق، ولعل في هذا إجابة عن سؤال قديهنس هنا فيقول: لماذا صنعت هذه الرموز بأشكال مصغرة لدلائل Amulet forms وضعت في عقود حول رقاب المتعبدين واستخدمت في زخرفة المعابد والطقوس الدينية الخاصة؟ وصار ممكناً كذلك استنتاج

الرسوم الصفوية التي تمثل أشكالاً بشرية مرفوعة الأيدي وهي تسوق الماعز الى الحظائر في صحراء شرق الأردن أو تلك النماذج الثمودية من القرن الرابع قبل الميلاد، المرسومة على صخور بالقرب من العلا بالجزيرة العربية، نقول لا ريب في أنها تعكس الفكرة الدينية عينها المشار إليها سابقاً . يبين مما سبق ان ما ذكره غريغز Graves بأن مسلته من دوجا نادرة وليس لها سوى نموذج واحد من فينيقيا أمر فيه نظر، فضلاً عن أنه يكفي فقط بهذا القول دون أن يشير الى وصف هذا النموذج الفينيقي وأين هو أو في أي مصدر نشر (١٨). ولقد اقترح هيسلوب Hyslop (١٩). الذي يربط مثل هذه النماذج بالآلهة عشتار البابلية / الكدانية، في تفسيره لتمثال نصفي لانثى عثر عليه بقبر في فولتشي Vulci بإيطاليا أنها هي الآلهة عشتار عينها وقد مثلت في ذلك النحت وهي تمسك بيديها قرص الشمس المجنح والمنحوت اسفل ما بين الثديين العاريين، وهذه صفة تذكرنا بالرموز على تماثلنا المحور هذا مع بضع الفوارق التي تتلخص في ان نموذج فولتشي المذكور، عبارة عن تمثال نصفي ملامحه جميعها ( الرأس واليدان والصدر.. الخ ) متكاملة كما لم ينحت على صدره كذلك القمر الهلال . وتنعكس فكرة الرموز الدينية على ما يبدو كذلك في تمثيل الفتاة العارية وثدياها بارزان (٢٠)، من مجموعة «ورمان كولفيل»، وهي مجنحة تقف على أسدين متدابين وترتدى على رأسها غطاء رأس الآلهة شماش نفسه وترفع شعاراته وهي العصا والحلقة Ring بيدها اليسرى عوضاً عن القرص والهلال كما في موضوع بحثنا، وبالرغم من ان قدميها مصطفتان بعضهما الى جانب بعض كما في نحتنا الا انهما ينتهيان بمخالب. ان فكرة تمثيل الآلهة بنحت رموزها فكرة ظهرت واضحة على اختتام بابلية ايضاً من القرنين السابع والثامن قبل الميلاد وقد ظهر قرص الشمس بأذرع اربعة وبشعاع محفور وسط رموز مقدسة بدا لهيسلوب انها نجمة الآلهة عشتار بأذرعها الثمانية والآلهة سين الممثل بالقمر الهلال المفتوح الطرفين الى أعلى ولكنه لا يحيط بقرص الشمس كما هو في تماثلنا (٢١). ويتشابه هذا الموضوع الديني كذلك مع موضوع نحت آخر على ختم من القدر يمثل هلالاً مفتوحاً الى أعلى ويضم بداخله نجمة سداسية الأذرع وهي النجمة التي ترمز احياناً للآلهة عشتار كما ذكرنا سابقاً ( انظر اللوحة ٢ رقم ٢ ) ويتضح من الكتابة المحفورة على هذا الختم انه لمناسه Manasseh ابن وخليفة الملك حزقيا Hiezekiah الذي يصفه سفر الملوك الثاني بأنه هو الذي أدخل الى البلاد عبادة كل الكواكب (٢٢). وهكذا فان ظهور هذه الرموز الفلكية محفورة على خاتمة أمر لا يثير دهشة أبداً كما يقول افيجاد Avigad الذي أرخ هذا الختم اعتماداً على أشكال الحروف، الى القرن الثامن قبل الميلاد (٢٣). ان الفارق بين الرموز الممتلئة على هذا النحت يسرى ونلك الممتلئة على ختم مناسه انما يكمن في رموز هذا

ان هذه الرموز الفلكية الممتلئة على تماثلنا هذا وعلى غيره من النماذج المشابهة انما هي في الاصل أفكار أو أساطير دينية مقدسة مثلت كهيئة تماثيل للآلهة أو الهات ستقوم، من خلال رموزها الفلكية المجسدة، بالاعانة على جلب الحظ والخير والنصر للناس وطرد الامراض والارواح الشريرة عنهم، يضاف الى ذلك ان هذا النحت الرمزي وامثاله يدل على ان المتعبدين له لم يكن من الممكن لهم رؤية الآلهة المذكورة وجها لوجه، ولكن ذلك كان يتم عن طريق الوساطة التي هي هذه الرموز الفلكية. وهذه فكرة تذكرنا بمعنى قوله تعالى « ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (١٢) .

ولقد مورست هذه المعتقدات الدينية في بلاد ما بين النهرين وبطرق عدة ثم انتشر استعمالها بعد ذلك في الشرق القديم على يد الآشوريين بعد ان أصبحت آشور هي القوة العسكرية التي يحسب حسابها في مناطق شرقي البحر المتوسط . ويبين آخر هذا ان لا وجه لما ذهب اليه اليهودى المسمى، ايغال يادين، في تفسيره لرموز مشابهة عثر عليها في حفريات بهازور أو حاصور بفلسطين المحتلة على انها « رموز ترمز الى المرحلتين اللتين يمر بهما القمر وهما مرحلة الهلال ومرحلة البدر » (١٤) .

### النماذج المشابهة

لا نكاد نجد لتمثالنا هذا نماذج تشبهه في أي من مصادر الشرق القديم وأثاره غير انه بدا لنا - على هذا - ان الفكرة في تمثيل رموز دينية كهذه وجدت على مسلة تذكارية في دوجا Douga بتونس « في موقع لا يبعد كثيراً عن مدينة قرطاجنة » (١٥)، فقد ظهر على هذه المسلة نحت بارز محور لامرأة رافعة يديها عاليها القمر الهلال منفتحاً الى أعلى وفي وسطه وردة بدلا من قرص الشمس الممثل في نحتنا هذا ( انظر اللوحة ٢ رقم ٢ ) ولقد نحتت هذه الفكرة على كثير من المسلات التذكارية التي كشفت عنها الحفريات في قرطاجنة نفسها وغيرها من مواقع الحضارة البونية من القرن الخامس الى القرن الثاني قبل الميلاد، ولكن الفارق بين رموز هذه المسلات ورموزنا يكمن في ان الهلال وقرص الشمس يعلوان المسلة في هيئة مقلوبة ، أما عشتار التي عبر عنها في نحتنا بالثديين فقد رمز اليها في كثير من هذه المسلات بيدين مرفوعتين الى الأعلى (١٦). يضاف الى ذلك انه عثر في حاصور بفلسطين على مسلة بازلتية تعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد نحتت عليها يدان مرفوعتان الى الأعلى يعلوهما الهلال وقرص الشمس ولكن تتدلى من مركز الهلال دليتان كرويتا الشكل مما لا نجده في أمثلة أخرى (١٧) . وفي رنجري (شمال) في شمال سوريا نماذج تعكس لنا رموزاً مشابهة غير ان قرص الشمس فيها يملأ الهلال تماماً ولا ترتاب في ان ما نراه اليوم في

الخاتم وهي النجمة والهلال وقد نحتنا منفصلين على خط مستو واحد في الثلث العلوي الأخير من الختم . الهلال على الجانب الايمن ، والنجمة على الايسر . ومن المتشابهات القريبة من هذه الفكرة الدينية كذلك ختم عبراني آخر يرجع ايضا الى القرن الثامن قبل الميلاد ، يتضح منه بما لا يدع مجالا للشك ان العبرانيين ، على انهم ذوو كتاب سماوي عبدوا آلهة وثنية ممثلة برموز فلكية ظهرت محفورة على هذا الختم بشكل هلال مفتوح الى أعلى في الجانب العلوي الايمن من الختم وفي داخله قرص الشمس (٢٤).

هذا ويختلف نحت الرموز على هذا الخاتم بان قرص الشمس ملتصق بالجدار الداخلي لويسط الهلال ، فضلا عن ان هناك شكلا بشريا نحت في وسط الختم مشى ويمسك بيده الصولجان ، توحى ملامحه بانه لذكر وليس لانثى كما هو الامر في نحتنا الظاهر للثديين هذا ، وتجدر الإشارة الى ان هناك امثلة اخرى لهذه الرموز نحتت على اختام آرامية فينيقية نشرها غالينج Gallin (٢٥) . دون ان يلتفت الى ما تمثله هذه الرموز . ولقد ظهر على هذه الاختام نحت لقرص الشمس بالطريقة نفسها التي ظهر فيها القرص على الختم العبري المذكور انفا ، فمثلا ظهر على ختم آرامي من بيروت ، ارضه غالينج (٢٦) بمطلع القرن السابع قبل الميلاد . رموز تشبه الى حد كبير تلك الرموز الممثلة على ختم مناسبة المذكور سابقا ، مع فارق في ان الهلال وقرص الشمس يعطوان شخصين متقابلين وقفا وحها لوجه ، ولقد ظهرت هذه الفكرة على ختم ارضه غالينج كذلك (٢٧) الى ما بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، فالى جانب الهلال المفتوح الى أعلى ، وقرص الشمس بأذرعه الثمانية المشعة ، ظهر في الجزء الايمن من الختم كذلك رمز عنخ المصرية ، وقرص الشمس ولكن بلا تمثيل للشعاع ، ويعد تمثيل إشارة عنخ هنا دليلا آخر على ما لهذه الرموز من علاقة بمعنى الخصب والتوالد . وتجدر الإشارة هنا ونحن بصدد الحديث عن « اختام الرموز » ، هذه انه عثر اثناء حفرة اتقان قامت بها دائرة الآثار الاردنية عام ١٩٨٢ على قبر في منطقة ام اذينة بعمان كان من اهم ما عثر عليه فيه ختم له يد فضية كبيرة نسبيا ، هلالية الشكل ، عليها اربعة فصوص متباعد بعضها عن بعض بابعاد متساوية ، وقد بدا ان الختم ام اذينة شبيها قويا بالاختام المذكورة اعلاه عامة ويختتم مناسبة بشكل خاص ، خصوصا فيما يتصل بتمثيل الرموز الفلكية هكذا اذن يمكن تأريخ هذا الختم بنهاية القرن الثامن ومطلع القرن السابع قبل الميلاد (٢٨)

اما في مصر فقد سبق ان ذكرنا ان فكرة الشمس والقمر فيها انما اختصرت بتمثيل حورس الصقر ، يضاف الى ذلك ان إله طيبة المحلي خونس Khons قد مُثل وهو يضع على رأسه القمر الهلال ويدخله قرص الشمس ولكن هذا القرص ظهر وهو يملأ الهلال تماما ، ولقد أُرِيت تمثال خونس هذا الى ما بين ٦٧٢ - ٥٢٥ قبل الميلاد (٢٩) ويظهر من بين المعبودات المصرية كذلك الآلهة توت Toth على هيئة قرد قاعد وعلى رأسه القمر الهلال ويدخله قرص الشمس ولكنه ايضا يملأ الهلال فيكون هذا بعيد الشبه من الطريقه التي وزعت بها الرموز عن

نحتنا النذري ، هذا وان كانت قدما هذا الآله بتحريزهما واصطفاهما بعضا الى بعض يلعباننا الى ما لهذا التمثال من خاصية مشاهدية ، ان مثل هذه الاقدام العارية التي تقف على ارضية مرتفعة لتعتبر ظاهرة شائعة بين التماثيل العمونية بشكل خاص من القرن السابع قبل الميلاد (٣٠) كما هو الحال بالنسبة للحفرة التي بين الكتفين لنماذج ترجع الى تلك الفترة ايضا (٣١) ويبدو ان هذه الفكرة قد استمرت بالظهور في الفترات اللاحقة فبدت الآلهة نيك Nike مثلا في مملكة الانباط وهي تقف في تماثيلها على ارضية مرتفعة وصفها الدارسون بانها ارضية مقدسة (٣٢) .

واخيرا فقد استمر تقديس القمر الهلال على ما يبدو حتى الامس القريب . ومن احسن الشواهد المادية على ذلك ما نراه في مصابيح الاضاءة الفخارية من القرن الاول الميلادي حيث انتهت ايدي هذه المصابيح بأشكال آلهة مفتوحة الى الأعلى (٣٣) .

### الخلاصة

راينا مما سبق ان هذا المعبود النذري فريد في طريقة نحته ، اذ لم يقصد النحات الذي جسم هذه الفكرة الدينية ان ينحت تماثلا عاديا لانثى وانما بدا واضحا ان تركيزه منصّب على نحت الرموز بالدرجة الاولى ، اذ ليس لهذا التمثال عمق التماثيل العادية فضلا عن أن يديه غير ممثلتين وتأتي ندرة هذا التمثال كذلك من تجسيد ما يسمى بالثلاثي الكوكبي على صدره ، وبذلك يجتمع هذا الثلاثي لأول مرة على نحت حجري واحد ليبين لنا معتقدات دينية .

وتجدر الإشارة الى ان وجود هذا المعبود على الارض العمونية لا يرجع فقط الى الهيمنة الآشورية في المنطقة وانما يمكن ان يكون قد دخل هو وامثاله من المعبودات الآشورية على شكل أفكار نقلها التجار الآشوريين في حالات السلم ، وكان مما ساعدهم على ذلك ، الطريق التجاري المهم الذي كان يربط الحجاز بدمشق ومنها الى غزة من طريق وادي عربة ، ثم الى الشرق عن طريق دومة وتيماء الى اعالي الفرات والخليج . وقد يكون هذا مفيدا في تحليل حمل اختام عبرية من فلسطين رموزا فلكية عراقية كهذه ، وان نساء من بني اسرائيل قال النبي حزقيال انهن يكن الآلهة تموز العراقي المشهور في مكان اقامتهن بجنوب فلسطين منذ القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، هذا وتجدر الإشارة الى ان العبرانيين ، رغم كون التوراة بين ظهرانيهم ، قد قرنوا اليهم باسم بعل الآلهة الكنعاني المشهور والآلهة يهوه اله القمر عند المدنيين الذين كانوا يعيشون في الاجزاء الجنوبية لصحراء سيناء . ولعل من المفيد ان نذكر هنا ايضا نحت القمر والشمس معا على هذا المعبود انما يرجع سببه الى اعتدال المناخ في هذه المنطقة من شمال الجزيرة العربية بما في ذلك الارض العمونية ، فبينما لم تمثل الشمس في وسط الجزيرة العربية وجنوبها ربما لارتفاع حرارتها التي تتعدى الدفء الى اتلاف المزروعات والاشجار حتى تطير منها الناس واتخذوها عدوا ، نجد ان منحوتات القمر انتشرت في تلك المناطق كأنها رمز الهي . ومما يزيد هذا الامر بيانا ما ظهر واضحا في أشعارهم كقول الأعشى

تقطع الامعر المكوكب جذا  
بنواح سريعة الايفال

فالأمعز المكوكب هي الشمس تقدح شررا وحرارة ، ولا يقال هنا أن النابغة الذبياني انتحى غير مذهبهم حين قال في الحارس الفسافي : فانك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منه من كوكب لأن النابغة ذهب إلى معنى السطوة وشدة البأس فشبهه بالشمس لذلك ، وهذا معنى يروق الملوك ويسوغ في أخلاقهم . وتراهم في مقابل هذا يتغنون بالقمر فوجه الحبيب عندهم كالقمر ، وعمر بن أبي ربيعة يشبه نفسه به (قد عرفناه وهل يخفى القمر) والسمار تطيب بينهم الأحاديث وتتصل في ليالي أسماهم المقمرة ، ونور القمر « للعصبة السارين جد قريب » في قول البحترى منهم ، ولقد استمر تقديس القمر وتاليه إلى اليوم ، فالعلويون من الشيعة الغلاة يؤكدون أن القمر ليس فقط هو علي بن أبي طالب وسلمان الفارسي بل أنه هو الاله أيضا (٢٤) . أن وجود القمر والشمس معا على هذا النحت إلى الشرق من نهر الأردن يعد وحده مؤشرا قويا على الحياة الاقتصادية التي عاشها الناس في هذه المنطقة من الشرق القديم أثناء السيطرة الآشورية وذلك على شكل جماعات اعتمدت حياتي الرعي والزراعة . ولقد يزيد الاعتقاد بسداد هذه الفكرة تذكر الحوار الذي دار في بلاد ما بين النهرين بين الاله ديموزي (تموز) اله الرعي وأنكد واله الزراعة وكيف أن كلا منهما كان يحاول أن يخطب ود الاله عشتار حتى كان تموز هو الاله الفائز بقلبها منهما ، وهكذا تكون عبادة الشمس بهذا المعنى ممثلة للمرحلة الثانية من تطور حياة البشرية التي اعتمدت الزراعة بدلا من حياة الرعي . أن القمر الهلال الذي يمثل حياة الرعي وقرص الشمس الذي يرمز إلى الزراعة بالإضافة إلى الثديين البارزين اللذين يمثلان الآلهة عشتار كآلهة للخصب ، لهما رموز ممثلة بشكل واضح على هذا التمثال العموني المهم ، ثم أن الحفرة التي بين الكتفين (The Mortice) والثديين الفارين بالإضافة إلى القدمين المصطفين على أرضية مرتفعة كلها صفات تحمل على الاعتقاد بأن هذا التمثال المحور إنما ينسب إلى مدرسة النحت العمونية التي تظهر في منحوتاتها مثل هذه الصفات منذ القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وهي فترة تؤرخ فيها معظم النماذج المشابهة التي عالجتها هذه الدراسة

من كل ذلك يتبين أن هذا التمثال لم ينحت اعتباطا بقصد التلهي أو الزينة كما قال الكثير من الدارسين الذين حاولوا تفسير نماذج مشابهة وإنما نحت لغرض ديني تعبدى لثالوث الهى عريق تمثل في الآلهة عشتار والاله أوتو أو شماش وأخيرا الاله نانا أو سين وكلها الهة عراقية الأصل والمنبت .

## الهوامش

(١) اشكر الرميّين الأستاذ الدكتور عبدالقادر عابد والدكتور سعد الباشا على تحليلهم لعبنة من صخر هذا التمثال في محضر قسم الجيولوجيا بكلية العلوم بالجامعة الأردنية

(٢) J. Gray, Near Eastern Mythology Mesopotamia Syria, Palestine, (London, the Hamlyn Publishing Group 1960) P. 20  
Gray, Mythology, K.R. Hyslop, Western Asiatic Jewellery c. 3000-612 B.C. (London: Methuen & CO LTD, 1971), P. 152

وسيشار اليه فيما بعد باسم Hyslop, Jewellery

(٣) د.ع بشور ، الميثولوجيا السورية (دمروت ، مؤسسة فكر للأبحاث والبشر ، ١٩٨٩) ، ص

٦٠ - ٦١ ، وسيشار إلى هذا المرحع فيما بعد باسم بشور ، ميثالوجيا ، إذ بلغت المؤلف إلى أن هذا الاله كان يمثل وهو يستعرض الآلهة رانكا حصانا ، ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعة من الأشكال الفخارية لفرسان يركبون الخيول ويرتدون قبعات كداب الآشوريين في ذلك معروضة في متحف الآثار الأردني بعمان ، وقد بدا لنا أن لها علاقة بعبادة الشمس في منطقة شرق الأردن في العهد الآشوري للمزيد في هذا انظر

A. J. 'Amr, A Study of the Clay Figurines and Zoomorphic Vessels of Trans-Jordan During the Iron Age, With Special Reference to their Symbolism and Function. (London, Unpublished Ph. D. Thesis, 1980), P. 185

وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد باسم 'Amr, Figurines and Zoomorphic

(٤) بشور ، ميثالوجيا ، ص ٤٩ - ٥٢ ، ٦١

(٥) المرجع السابق ، ص ٦١ وانظر أيضا Hyslop, Jewellery, P. 144.

(٦) F. Cumont, "Une Intaille Provenant D'emese," Syria, 7 (1926), PP. 347-352.

Cumont, Syria; S.A. Cooke, The Religion of Ancient Palestine in the Light of Archaeology, (Oxford, Oxford University Press, 1930) P. 117, 'Amr, Figurines and Zoomorphic, P. 238

(٧) Cumont, Syria, P. 349, Gray, Mythology, P. 22, C. M. Buisson,

'Le Cylindrescau Archaïque de Byblos Reexamine," Berytus, XXVI,

(1955), PP. 98-119; D. G. Shepherd, "The Iconography of Anahita,"

Berytus, XXVIII, (1980), PP. 47-56. بشور ، ميثالوجيا ، ص ٨٦

'Amr, Figurines and Zoomorphic, P. 127, Figs. 343-351, 17-21, 24-26. (٨)

(٩) جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٥ ، (معداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٥) ص ١٣٨ - ١٤٠ ، لطفي عبدالوهاب ، العرب في العصور القديمة (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٨) ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠

(١٠) Gray, Mythology, P. 22

(١١) بشور ، ميثالوجيا ، ص ٥٨ وانظر أيضا Gray, Mythology, P. 21

(١٢) R. Patrick All Colour Book of Egyptian Mythology, (London, Octopus Books Limited, 1972) P. 38, pl. 36. بشور ، ميثالوجيا ، ص ٩١ ، ٩٢

(١٣) الزمر / ٣

(١٤) Y. Yadin, Hazor, The Rediscovery of a Great Citadel of the Bible, (Tel Aviv, Weidenfeld and Nicolson, 1974), P. 46.

(١٥) R. Graves, New Larousse Encyclopedia of Mythology, (London, The Hamlyn Publishing Group, 1968), P. 84

سيشار إلى هذا المرحع عند تكراره باسم Graves, Myth, P. 84

(١٦) Pp cit. P. 56-57

(١٧) Ibid, P. 46

(١٨) Graves, Myth, P. 84

(١٩) Hyslop, Jewellery, P. 219, Pl. 194

(٢٠) اندريه بارو ، بلاد آشور ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بعد د . وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٠) ص ٣٠٣ لوحة ٣٥٨

(٢١) Op. Cit. P. 145, Pl. 114.

(٢٢) 2 Kings 21: 5

(٢٣) N. Avigad, "A seal of 'Manasseh son of the King," IEJ, 13 (No. 2), PP. 133-136

(٢٤) A. Reifenberg, "Some Ancient Hebrew Seals," PEQ. (1939), PP. 195-198.

(٢٥) G. Gallng, "Beschriftete Bildsiegel des ersten Jahrtausends

(٢٦) A. Chr. Vornehmlich aus Syrien und Palästina," ZDPV, 64 (Heft 2), (1941), PP. 121-202

وسيشار له عند التكرار باسم Gallng, Bildsiegel

(٢٧) Ibid, Pl. 8, 121

(٢٨) يقوم الزميل الدكتور محمود ابوطالب ، من قسم الآثار بالجامعة الأردنية بدراسة

حادة لهذا الحتم ستظهر في القريب العاجل

(٢٩) Graves, Myth, P. 33

(٣٠) R. D. Barnett, Four Sculptures from Amman, ADAJ, 1 (1951) PP. 31-36 Pls. XXI-XL

(٣١) N. Gluck, Dattes and Dolphins, (New York: Ambassador Books Ltd, 1965) Pl. 153-154 Pls. 70-71 M. Ibrahim, "Two Ammonite Statuettes from

Khurbat El-Hamir, ADAJ, XVI (1972), PP. 91-97 Pl. I

وسيسار إلى المصدرين الأوليين عند تكرارهما على النحو التالي

(٢٣) انظر في سبيل المثال

A. Negev, The Nabatean Potter's Workshop at Oboda, (Bonn: Rudolf Habelt Verlag GmbH 1974), P. 27, Pl. 1b, 82; R. Rosenthal and R. Sivan, "Ancient Lamps in the Schlossinger Collection," Qadim, 8, (1978), PP. 19-21, Nos. 42, 49-50.

(٢٤) للمريد عن تقيديس القمر عند غلاة العلويين انظر مصطفى الشكعة، اسلام بلا

مذاهب، (بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٧٣)، ص ٢٢٦ - ٢٢٨

Barnett, Sculptures, Glueck, Deities

Barnett, Sculpture, Pl. XIII A;

(٢١)

Glueck, Deities, P. 154, Pls. 69; d, 72: c-d, 'Amr, Figurines and Zoomorphic, Figs. 373-74, 76-78

Glueck, Deities, PP. 402 Pls. 180-81, 408 F.G.

(٢٢)



# عرض الكتب ونقد هـا كتاب تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة

للدكتور أحمد السعيد سليمان  
عرض الدكتور شاكر محمود عبد المنعم

أدنبه سنة ١٩٦٧ م، إذ لم يتناول هذا الكتاب الأخير غير اثنين  
وثمانين دولة .

ولما كان النص التركي قد طبع سنة ١٩٢٧ ، وكان العالم  
الإسلامي قد تغير منذ ذلك التاريخ، فكانت فيه دول لم تكن من  
قبل ، واستقلت من دوله دول كانت تعاني من الاستعمار، وحل  
النظام الجمهوري في بعض بلادها محل النظام الملكي ، فقد ذكر  
الدكتور سليمان هذه التغيرات في مواضعها أما في فقرات وأما في  
فصول كاملة يعالج كل منها دولة ، ولقد كان عدد الدول التي  
أضافها سبعة وعشرين دولة ارتفع بها عدد الدول إلى ثمان ومائتي  
دولة .

ولقد قابل بين النصين الإنجليزي والتركي ووضع الزيادات  
التركية حيثما وجدت بين خاصيتين هكذا [ ] .  
وأما الدول التي أضافها أدهم سواء نقلاً عن مخطوطاته أو عن  
بارتولد فقد كتب د . سليمان أمام اسم كل منها في الفهرس عبارة  
( زيادة ليست في النص الإنجليزي ) .  
وكتب أمام كل اسم من أسماء الدول التي أضافها عبارة ( زيادة  
ليست في النص التركي ) .

ولما كان أدهم قد أضاف عشرات الدول دون أن يزيد فصول  
الكتاب ، فقد أدرج د . سليمان أيضاً سبعة وعشرين دولة في فصول  
الكتاب البالغة أربعة عشر فصلاً، فزاد عدد الدول ولم يزد عدد  
الفصول .

والجزء الأول من الكتاب يشتمل على ثمانية فصول والتممة في  
الجزء الثاني .

## الفصل الأول :

خلفاء الإسلام من القرن الأول إلى القرن العاشر فتكلم عن  
الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين وتحدث عن عباسي مصر  
( وهذه إضافة ليست في النص الإنجليزي ) .

## الفصل الثاني :

إسبانيا - الأندلس ( ق ٢ - ق ٩ ) .  
فتكلم عن أمويي الأندلس ( أمويي قرطبة ) وملوك الطوائف

طبع بمصر بمطابع دار المعارف سنة ١٩٧٢ م يقع الكتاب في  
جزأين وعدد صفحاته ٧٢٥ ص وفيه جداول بأسماء الأسر  
الحاكمة .

حرر هذا الكتاب لأول مرة عالم النحتيات الإنجليزي «ستانلي لين  
بول» Stanley Lane-Poole وظهرت طبعته الأولى في لندن سنة  
١٨٩٣ م

ونقله بعد ذلك إلى اللغة الروسية «بارتولد» بزيادات وتصحيحات  
وظهرت طبعته الروسية سنة ١٨٩٩ م .

ثم قُيِّص للكتاب عالم تركي من الرعيل الأول هو خليل أدهم  
الدم ( ١٨٦١ - ١٩٣٨ )، فنقله إلى اللغة التركية نقلاً موسعاً على حد  
تعبيره ، وكان اعتماده في التوسيع على زيادات «بارتولد» ، وعلى عدد  
كثير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية ، وعلى كتالوجات  
المسكوكات ، وعلى كثير من نصوص الوقفيات وعديد من النقوش .  
وكان أدهم يذكر زياداته في مواضعها من تاريخ كل دولة ، وطوراً  
في أول النص فتكون هي فاتحته بدلاً من الأصل الإنجليزي ، وطوراً  
في آخره فتكون بمثابة ذيل عليه ، وطوراً يوزعها جملاً وفقرات في  
ثنايا البحث .

وحرر أدهم بالإضافة إلى ترجمته الموسعة إباحاً جديدة كاملة ،  
فلقد كان عدد الدول التي درسها لين بول مائة وثمانين عشرة دولة ،  
ويبلغ عدد الدول في النص التركي الذي حرره أدهم مائة وأحدى  
وثمانين دولة .

ويعنى هذا الكتاب في تاريخه لكل دولة بثلاث مراحل من  
تاريخها : مرحلة النشوء، ومرحلة الارتقاء ، ومرحلة الاضمحلال ثم  
الانقراض .

وهو بهذه المعلومات التاريخية الأساسية الموثقة كتاباً في  
التاريخ ، دُلِّت كل دولة فيه بشجرة الأسرة المؤسسة وبسلسلة  
ملوكها أو أمرائها مرتبة ترتيباً زمنياً ، وليس - ككتاب زنباور - دفتر  
قوائم وأشجار ونسب .

وهو أوسع - حتى في أصله الإنجليزي الأول الذي لا يبلغ ثلث  
النص التركي - في كتاب الدول الإسلامية The Islamic Dynasties  
الذي حرره بوزورث C.E. Bosworth والذي ظهرت أولى طبعاته في

وعن بني حمود في (مالقة) وفي (الجزيرة) وبني عباد (في اشبيلية) وبني زيري (في غرناطة) وبني جهور (في قرطبة) وبني ذي النون (في طليطلة) وبني عامر (في بلنسية) وبني تجيب وبني هود (في سرقسطة) وملوك دانية والمرابطين والموحدين وعن بني نصر - بني الأحمر (في غرناطة) .

اما (الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي) :  
تحدث عن بني الافطس (في بطليوس) و (بني حماد في مرسية) وملوك طرطوشة وميورقة والبونت ومرسية وعن بني هود في مرسية.

### الفصل السادس :

سوريا الجزيرة (ق ٤ - ق ٦)

تكلم عن بني حمدان (في الموصل وحلب) وبني مرداس (في حلب) وبني عقيل (في الموصل والمناطق الاخرى) وبني مروان (في ديار بكر) وبني مزيد (في الحلة).

اما الزيادة التي ليست في النص التركي فهي : (الجمهورية العراقية).

### الفصل السابع :

ايران وما وراء النهر (ق ٣ - ق ١١)

تحدث عن بني دلف (في الكرج والبرج) وبني ساج (في اذربيجان) والعلويين (في طبرستان) وبني طاهر (في خراسان) والصفاريين (في ايران) والسامانيين (في ما وراء النهر وايران) والالخانيين (في التركستان) وبني زيار (في جرجان) وبني حسينية (في ديناور وهمدان ونهاوند) وبني بويه (في جنوب ايران والعراق) وبني كالويه (في اصفهان وهمدان).

ثم اضاف عن : الباونديين (في طبرستان) وبني بادوسيان (في رستمدرار ورويان) والبريديين (في خوزستان والبصرة وواسط) والاسماعيلية (في الديلم والموت) والسادات (في مازندران) واسرة كاركيا (في كيلان).

### الفصل الثامن :

السلاجقة (ق ٥ - ق ٨)

تحدث عن سلاجقة خراسان وكرمان والشام والعراق والاناضول. فالاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي : عن الدانشمندويين وبني منكوجك وبني سلق. اما الجزء الثاني فيبدأ بالفصل التاسع .

### الفصل التاسع :

الاتابكة (ق ٦ - ق ١٠)

تحدث عن البوريين والزنكي وatabake الموصل وحلب وسنجار والجزيرة والالبكتينية وبني ارتق في ماردين والارمن شاهات وatabake اذربيجان والسلفريون (atabake فارس) والهازارسيون (atabake بلاد اللورالكبير) الخوارزمشاهية والقتلغ خانان (في كرمان).

الاضافات التي ليست في النص الانجليزي هي عن : بني ارتق في خرتبرت وبني شداد ودولة شاهات شيروان وبني خورشيد (atabake لورستان الصغير) وatabake يزد وatabake شبانكاره وابناء اينال

### الفصل العاشر :

عن ورثة السلاجقة في غرب الاناضول

وعن بني حمود في (مالقة) وفي (الجزيرة) وبني عباد (في اشبيلية) وبني زيري (في غرناطة) وبني جهور (في قرطبة) وبني ذي النون (في طليطلة) وبني عامر (في بلنسية) وبني تجيب وبني هود (في سرقسطة) وملوك دانية والمرابطين والموحدين وعن بني نصر - بني الأحمر (في غرناطة) .

اما (الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي) :  
تحدث عن بني الافطس (في بطليوس) و (بني حماد في مرسية) وملوك طرطوشة وميورقة والبونت ومرسية وعن بني هود في مرسية.

### الفصل الثالث :

شمال افريقيا (ق ٢ - ق ١٤)

تكلم عن الادارسة (في المغرب الاقصى) والاغالبة (تونس الخ) والفاطميين (في الفصل الرابع) وبني زيري (في تونس) وبني حماد (في الجزائر) والمرابطين (في المغرب الاقصى وجزء في الجزائر واسبانيا) والموحدين (في بقية شمال افريقيا) وبني حفص (في تونس) وبني زيان (في الجزائر) والوجاقات المغربية والولايات العثمانية بشمال افريقيا وبني مرين (في المغرب الاقصى) وشرفاء السعدية وشرفاء الغلالية (في المغرب الاقصى) والدول الاسلامية في القارة الافريقية .

اما الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي : بعض الحكومات المتفرقة في المغرب .

والاضافات التي ليست في النص التركي فهي : الجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية والمملكة الشرفية المغربية وجمهورية موريتانيا الاسلامية وجمهورية السنغال وجمهورية مالي وجمهورية غينيا وجمهورية نيجيريا .

### الفصل الرابع :

مصر وسوريا (ق ٣ - ق ١٤)

تكلم عن الطولونيين والاخشيديين والفاطميين وعن الايوبيين : ايوبيه مصر وايوبية دمشق وايوبية حلب وايوبية حماة وايوبية حمص وميفارقين (في الجزيرة) واليمن وعن معاليك مصر والأتراك والجراكسة .

اما الزيادات التي ليست في النص الانجليزي فهي : تحدث عن بني كلب (في صقلية) وايوبية حصن كيفا وايوبية بعلبك وكرك وخدوية مصر وملكيته .

اما الزيادات التي ليست في النص التركي فهي : الجمهورية السورية واللبنانية وجمهورية مصر العربية، والجمهورية السودانية وجمهورية تشاد وجمهورية الصومال وزنجبار .

### الفصل الخامس :

جزيرة العرب اليمن والحجاز (ق ٣ - ق ١٤)

تحدث عن بني زياد (في زبيد) وبني يعفر (في صنعاء جند) وبني نجاح (في زبيد) وبني صليح وبني همدان (في صنعاء) وبني مهدي (في زبيد) وبني زريع (في عدن) وايوبية اليمن وبني رسول (في اليمن) وبني طاهر (في اليمن) وأئمة بني رسي (في صنعاء) وأئمة صنعاء

### الفصل الثالث عشر :

ما وراء النهر

تكلم عن التيموريين والشيبانيين والجانيين والمنغيت وخانات  
خيوه وخانات خوقند .

### الفصل الرابع عشر :

الهند وافغانستان

تكلم عن الغزنويين والغوريين وسلاطين دهل والخلجيين  
والتغلقيين والسادات واللوديين والافغان وولاة البنغال وملوكها  
والمملوك الشرقيين في جونبور وملوك مالوه وملوك الكجرات وملوك  
خاندش والملوك البهمنية ودولة عماد شاه ودولة نظام شاه ودولة  
بريد شاه ودولة عادل شاه ودولة قطب شاه وامبراطورية المغول في  
الهند . وباكستان وامراء افغانستان .

اما الاضافات التي ليست في الاصل التركي فهي عن : اندونيسيا  
واتحاد ماليزيا .

والاضافة التي ليست في النص الانجليزي فهي عن ملوك  
كشمير .

وفي نهاية الجزء الثاني نجد فهرساً للاعلام من ص ٦٦٩ - ٧٠٧  
وفهرساً باسماء البلدان من ص ٧٠٨ - ٧٢٠ .

وقد صوب الأخطاء المطبعية في الصفحة الاخيرة وهي  
ص ٧٢٢ .

الاضافات التي ليست في النص الانجليزي هي عن : بنى بروانة  
وبنى صاحب آتا وبنى قراسي وبنى صاروخان وبنى أيدين وبنى  
ازمير وبنى منتشا وبنى تكة وبنى اشرف وبنى حميد وبنى كرميان  
وامراء دكزل وبنى قرمان وبنى جاندار وبنى ذى لقادر وبنى  
رمضان والعثمانيين والجمهورية التركية .  
الاضافة التي ليست في النص التركي فهي عن (جمهورية  
البانيا) .

### الفصل الحادي عشر :

المغول

تحدث عن القانات وعن حقول ايران وخانات القبيلة الذهبية  
وخانات القرم وخانات جفتاي والقاضي برهان الدين احمد سلطان  
سيواس .

اما الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي عن : آل  
طفاتيمور وبني ارتنا .

### الفصل الثاني عشر :

ايران

تحدث عن الجلائريين والمظفريين والسريدارية وملوك كرت  
والقراقيونلية والاق قيونلية وشاهات ايران والصفويين والافغان  
والمملوك المنتمين الى افشار والزنديين والقاجاريين .

اما الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي عن : بنى  
اينجو وخانات آل شرف .

## تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا

حتى أواخر القرن السابع الهجري - أواخر القرن  
الثالث عشر الميلادي

تأليف الدكتور عادل محيي الدين الألوسي  
عرض الدكتور : محمد جاسم حمادي المشهداني

وأكد المؤلف على أهمية الخليج العربي باعتباره المنفذ البحري  
الوحيد الذي يوصل العراق بالشرق ، كما تناول مواد التجارة وما  
كان يصدر منها من العراق والمنطقة العربية الى الشرق الاقصى وما  
يستورد منها ، وبين المؤلف الأثر الإيجابي للتجارة كإداة مهمة  
لنقل الحضاري وللتبشير الديني ، كما بين مصاعب النشاط  
التجاري في تلك الاثناء .

ويقع الكتاب في أربعة فصول ، تطرق فيها الى عوامل الازدهار  
التجاري في العصر العباسي مع جنوب شرقى آسيا ، وتجارة  
العباسيين البحرية بما في ذلك طرق التجارة ، ووسائل النقل ، وأفرد  
فصلاً خاصاً عن التجارة مع اندونيسيا ، وأثر الاسلام في ازدهارها  
كما أنه أفرد فصلاً خاصاً بمواد التجارة المستوردة والمصدرة

الكتاب من بين الكتب التاريخية المهمة التي تبحث في النشاط  
التجاري كحقل مهم من حقول الدراسات التاريخية الاقتصادية في  
تاريخنا العربي ، حيث كان للنشاط التجاري دور مهم في حضارة  
العالم ، وفي نشر الاسلام وتبادل الآراء والافكار ، والتبادل  
الحضاري .

وبين الكتاب البُعد التاريخي القديم للعلاقات الاقتصادية بين  
العالم العربي وبلاد المشرق ، وبالأخص جزائر الهند الشرقية ،  
حيث كان للموقع الجغرافي للعراق وبالأخص بعد بناء بغداد دور  
مهم في نمو التجارة وازدهارها ، حتى أصبحت مظهراً من مظاهر  
الإنهضة العربية الاسلامية ، مع دراسة العوامل التي أدت الى تعزيز  
وتشجيع الازدهار التجاري ، وتطور نظام الائتمان والمعاملات  
التجارية كالصيرفة والحوالات .

(١) الكتاب منشورات دار الشؤون الثقافية - وزارة الثقافة والاعلام العراقية (بغداد)



### الفصل الثالث عشر :

ما وراء النهر

تكلم عن التيموريين والشيبانيين والجانيين والمنغيت وخانات  
خيوه وخانات خوقند .

### الفصل الرابع عشر :

الهند وافغانستان

تكلم عن الغزنويين والغوريين وسلاطين دهل والخلجيين  
والتغلقيين والسادات واللوديين والافغان وولاة البنغال وملوكها  
والمملوك الشرقيين في جونبور وملوك مالوه وملوك الكجرات وملوك  
خاندش والملوك البهمنية ودولة عماد شاه ودولة نظام شاه ودولة  
بريد شاه ودولة عادل شاه ودولة قطب شاه وامبراطورية المغول في  
الهند . وباكستان وامراء افغانستان .

اما الاضافات التي ليست في الاصل التركي فهي عن : اندونيسيا  
واتحاد ماليزيا .

والاضافة التي ليست في النص الانجليزي فهي عن ملوك  
كشمير .

وفي نهاية الجزء الثاني نجد فهرساً للاعلام من ص ٦٦٩ - ٧٠٧  
وفهرساً باسماء البلدان من ص ٧٠٨ - ٧٢٠ .

وقد صوب الأخطاء المطبعية في الصفحة الاخيرة وهي  
ص ٧٢١ .

الاضافات التي ليست في النص الانجليزي هي عن : بنى بروانة  
وبنى صاحب آتا وبنى قراسي وبنى صاروخان وبنى أيدين وبنى  
ازمير وبنى منتشا وبنى تكة وبنى اشرف وبنى حميد وبنى كرميان  
وامراء دكزل وبنى قرمان وبنى جاندار وبنى ذى لقادر وبنى  
رمضان والعثمانيين والجمهورية التركية .  
الاضافة التي ليست في النص التركي فهي عن (جمهورية  
البانيا) .

### الفصل الحادي عشر :

المغول

تحدث عن القانات وعن حقول ايران وخانات القبيلة الذهبية  
وخانات القرم وخانات جفتاي والقاضي برهان الدين احمد سلطان  
سيواس .

اما الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي عن : آل  
طفاتيمور وبنى ارتنا .

### الفصل الثاني عشر :

ايران

تحدث عن الجلائريين والمظفريين والسريدارية وملوك كرت  
والقراقيونلية والاق قيونلية وشاهات ايران والصفويين والافغان  
والمملوك المنتمين الى افشار والزنديين والقاجاريين .

اما الاضافات التي ليست في النص الانجليزي فهي عن : بنى  
اينجو وخانات آل شرف .

## تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا

حتى أواخر القرن السابع الهجري - أواخر القرن  
الثالث عشر الميلادي

تأليف الدكتور عادل محيي الدين الألوسي  
عرض الدكتور : محمد جاسم حمادي المشهداني

وأكد المؤلف على أهمية الخليج العربي باعتباره المنفذ البحري  
الوحيد الذي يوصل العراق بالشرق ، كما تناول مواد التجارة وما  
كان يصدر منها من العراق والمنطقة العربية الى الشرق الاقصى وما  
يستورد منها ، وبين المؤلف الأثر الإيجابي للتجارة كإداة مهمة  
لنقل الحضارى وللتبشير الدينى ، كما بين مصاعب النشاط  
التجارى في تلك الاثناء .

ويقع الكتاب في اربعة فصول ، تطرق فيها الى عوامل الازدهار  
التجارى في العصر العباسى مع جنوب شرقى آسيا ، وتجارة  
العباسيين البحرية بما في ذلك طرق التجارة ، ووسائل النقل ، وأفرد  
فصلاً خاصاً عن التجارة مع اندونيسيا ، وأثر الاسلام في ازدهارها  
كما افرد فصلاً خاصاً بمواد التجارة المستوردة والمصدرة

الكتاب من بين الكتب التاريخية المهمة التى تبحث في النشاط  
التجارى كحقل مهم من حقول الدراسات التاريخية الاقتصادية في  
تاريخنا العربى ، حيث كان للنشاط التجارى دور مهم في حضارة  
العالم ، وفي نشر الاسلام وتبادل الآراء والافكار ، والتبادل  
الحضارى .

وبين الكتاب البُعد التاريخى القديم للعلاقات الاقتصادية بين  
العالم العربى وبلاد المشرق ، وبالاخص جزائر الهند الشرقية ،  
حيث كان للموقع الجغرافى للعراق وبالاخص بعد بناء بغداد دور  
مهم في نمو التجارة وازدهارها ، حتى اصبحت مظهراً من مظاهر  
الابهة العربية الاسلامية ، مع دراسة العوامل التى ادت الى تعزيز  
وتشجيع الازدهار التجارى ، وتطور نظام الائتمان والمعاملات  
التجارية كالصيرفة والحوالات .

(١) الكتاب منشورات دار الشؤون الثقافية - وزارة الثقافة والاعلام العراقية (بغداد

# رسوم الفضائل

## للأبي نصر أحمد بن محمد السمرقندي

تحقيق الاستاذ محمد جاسم الحديثي  
عرض : إسامة ناصر النقشبندی

عدة فصول وبعض الفصول قسمت الى جرائد وأنواع ومجاسر مع ابقائه للنص كما هو دون ان يقدم او يؤخر او يغير في النص او اسلوب المؤلف ، حيث ان المؤلف اصلاً استرسل في الكتابة وفق الاسلوب الذي كان سائداً آنذاك .  
والابواب التي تضمنها الكتاب :

- الباب الأول : رسوم الحكام وفيه اربعة فصول .
- الباب الثاني : في الالتماسات وفيه ثلاثة فصول .
- الباب الثالث : كتب التزويجات وفيه فصلان .
- الباب الرابع : كتاب الفصل وفيه فصلان .
- الباب الخامس : كتب القوام وفيه تسعة فصول .
- الباب السادس : كتب التقديرات وفيه فصلان .
- الباب السابع : كتب الاستدانات وفيه ثلاثة فصول .
- الباب الثامن : كتب التوسطات وفيه احد عشر فصلاً .
- الباب التاسع : كتب الحل والشيات وفيه ستة فصول .
- الباب العاشر : في المحاضر والدعاوى وفيه ستة وثلاثون فصلاً .
- الباب الحادي عشر : في السجلات وفيه اثنا عشر فصلاً .
- الباب الثاني عشر : الكتب الحكمية وفيه فصلان .

لقد ختم المحقق الاستاذ محمد الحديثي هذا الكتاب بكشافات عامة مهمة وهي فهرس الايات القرآنية الكريمة وفهرس الاعلام الواردة في النص المحقق وفهرس المصطلحات الفقهية والحضارية وفهرس المصادر والمراجع وفهرس موضوعات الكتاب .  
ان هذا السفر يعد بحق من الكتب المفيدة والمهمة للباحثين والدارسين للتراث العربي الاسلامي خصوصاً للدارسين لاحكام الشريعة الاسلامية ولرجال القانون والمعنيين بأمور القضاء .  
ولا يفوتني ان اذكر ان هذه الطبعة الانيقة حليت بغلاف تضمن صورة للوحة زخرفية ملونة من التراث العربي الاسلامي رسمت بأسلوب مغربي متميز ترقى للقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي كما اشير الى ذلك في آخر هذا الكتاب ..

من الكتب التي صدرت أخيراً عن دائرة الشؤون الثقافية والنشر في وزارة الثقافة والاعلام ببغداد كتاب رسوم القضاة ويقع في ٢٨٦ صفحة .

هذا الكتاب من المؤلفات النادرة تناول فيه المؤلف جانباً مهماً من التراث العربي الاسلامي وهي شكلية الاحكام والقرارات القضائية التي تنظم علاقات الناس في مختلف جوانب الحياة اليومية التي يعيشونها . وقد بدأه برسوم الحكام كما ضمنه الصفات التي يجب ان يكون عليها الحاكم وكتب الالتماسات والتزويجات والفصل والقوام وغيرها ولم يترك المؤلف في هذا الموضوع أمراً الا واتي عليه . وقد ذكر ان علماء زمانه قد ارتضوا هذا الكتاب واجمعت كلمتهم على صحته وانتفاء الخلل منه .  
لقد اعتمد المحقق في اخراجه لهذا الكتاب على نسخة خطية فريدة محفوظة في قسم المخطوطات بمؤسسة الآثار ببغداد كتبها عمر بن ابي الحسن التميمي في ذي الحجة سنة ٦٠٩ هـ - ١١١٦ م ولم يعثر له على نسخة ثانية في خزائن المخطوطات في العالم كما ان خط هذه النسخة بالرغم من جمالية كتابته ومشقه على اسلوب قريب الى خط النسخ الا ان اغلب كلماته غير منقوطة واختزل الناسخ بعض اجزاء من الحروف وطمست معالم بعض الكلمات كما ظهر لنا ذلك في الصفحات التي صورها المحقق في بداية الكتاب . لذلك نجد ان المحقق قد استعاض عن النسخ الاخرى بضبط النص على كتب الشروط والسجلات والدعاوى وكتب اللغة والادب والفقه وبالصفة التي وردت عند علماء هذا الموضوع اضافة الى تخريج النصوص القرآنية كما وردت في مواضعها بالقرآن الكريم والى توثيق الرجال ونقل تراجمهم من المراجع والمصادر المعتمدة فلم يترك المحقق صغيرة ولا كبيرة في هذا الكتاب الا واتي عليها شرحاً وتوضيحاً وتوثيقاً .  
ومن الامور التي لاحظتها على هذا الكتاب ان جهد المحقق لم ينصب على عملية التحقيق فقط ، بل قام بتبويب الكتاب بأسلوب معاصر دقيق فقسم الكتاب الى اثني عشر باباً ، وكل باب جعله في

# العصبية والدولة

## معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي

تأليف: الدكتور محمد عابد الجابري  
عرض: محمد محمود الكبيسي

(٤٨٣)، والموضوعات (٤٨٥ - ٤٨٦).

ثانياً: الأسباب والغاية والمنهاج

لقد برر المؤلف تأليف الكتاب الذي أرادته مفيداً في تصحيح الدراسات الخلدونية. حين وجدها كثيرة متنوعة، تجعل أمر الاتيان بجديد، هدفاً عزيزاً وسفراً غير قاصد، فكان الأسلوب، أو قل المنهاج في دراسة الفكر الخلدوني، الباب الأرحب صدرأ، للمؤلف في الدخول الى عالم ابن خلدون، وعقد هذه الدراسة بغية تقديم آرائه، كما هي، وكما فكر فيها، بنظرة شمولية، استرشاداً بالمنحنى الشخصي والتجربة الاجتماعية لابن خلدون، طالما ان الدراسات السابقة، وكما يرى المؤلف، وقعت في خطأ فهم أفكاره على ضوء الفكر الحديث المعاصر، وفهم مصطلحاته وتعبيره، بعيداً عن مقصوده، واهتمامه، وقولب تفكيره، والنظر الى آرائه في ميدان بمعزل عن الميادين الأخرى، وانتزاع نص خلدوني وتأويله وشرحه بعيداً عن عصره وأطواره الخاص.

ثالثاً: الموضوعات والنتائج

١ - القسم الأول: الرجل وعلمه الجديد

عقد المؤلف هذا القسم اخلاصاً للمنهج الذي رسمه لبحثه، فأناب في الفصل الأول، الاحوال العامة في القرن الثامن الهجري، سياسية، واجتماعية، وفكرية، خلاصتها حياة سياسية غير مستقرة، وتدهور في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، للعالم الاسلامي عامة، والبلاد العربية خاصة. تلك رؤية خلدونية استخلصها المؤلف لوصف هذا العصر، فأفادته في ايضاح العوامل الخارجية التي أثرت في تكوين آراء ابن خلدون، الذي امتاز، عند المؤلف، على رجالات عصره ممن غرقوا معه من منابع ذاتها، في اهتمامه بالشؤون السياسية والاجتماعية، بسبب عنصر ذاتي جعل المؤلف الكتشف عنه من مهمة الفصول اللاحقة من هذا القسم.

وتتبع المؤلف، في الفصل الثاني والثالث مراحل تطور فكر ابن

إن الهدف من هذا العرض، تقديم موجز مكثف، عن رؤية بحث مغربي، لآراء ابن خلدون في العصبية والدولة، بوصف الكتاب، وبيان أسباب تأليفه وغايته، ومنهاجه، وموضوعاته ونتائجه، ومصادره ومراجعته، على نحو ما يلي أولاً: وصف الكتاب

ظهر هذا المؤلف، عن دار الثقافة، الدار البيضاء، في طبعته الأولى عام ١٣٩١ / ١٩٧١، وهو يقع في ٤٨٦ صفحة، تتوزع على مقدمة (٣ - ١٢) وكلمة شكر (١٣)، وقسمين (١٥ - ٣٨٢). يشتمل الأول: الرجل وعلمه الجديد، على تمهيد (١٧ - ١٨) وثمانية فصول (١٩ - ١٠٦) الأول: عصر التراجع والانحطاط (١٩ - ٤٣)، والثاني: بين العلم والسياسة (٤٤ - ٧٠) والثالث: من النكبة الى المقدمة (٧١ - ٩١)، والرابع: بين العقلانية واللاعقلانية (٩٢ - ٩٦)، والخامس: من التاريخ الى علم العمران (١٢٨ - ١٤٨) والسادس: علم العمران موضوعاً ومنهاجاً (١٤٩ - ١٦٣)، والسابع: البناء الهرمي لعلم العمران الخلدوني (١٦٤ - ١٧٧)، والثامن: هوية علم العمران (١٧٨ - ١٠٦). ويشتمل القسم الثاني: العمران البشري وحركة التاريخ، على تمهيد (٢٠٩ - ٢١١)، وثمانية فصول (١١٢ - ٣٨٢). الأول: جغرافية العمران (١١٢ - ١٤٤)، والثاني: نظرية العصبية - العصبية والصراع العصبى (١٤٥ - ٢٧٠)، والثالث: العصبية والملك (٢٧١ - ٢٩٥)، والرابع: اصناف الملك وانواع السياسات (٢٩٦ - ٣١٩)، والخامس: الدولة وتطورها - الدولة العصبية (٣٢٠ - ٣٣٦)، والسادس: الدولة وتطورها - من خشونة البداوة الى رقة الحضارة (٣٣٧ - ٣٥٤) والسابع: الدولة وتطورها الحضارة المفسدة للعمران (٣٥٥ - ٣٦٩)، والثامن: وحدة الفكر الخلدوني والعامل الاقتصادي (٣٧٠ - ٣٨٢). كما تتوزع الصفحات على خاتمة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي (٣٨٣ - ٤٣٢)، وملحق بأهم مصطلحات ابن خلدون (٤٣٣ - ٤٧٤) وفهرس المراجع (٤٧٥ -

بسبب الطبع . استناداً الى ما يحدث في الواقع الاجتماعي . ويخلص المؤلف على صعيد المنهج الى ان صاحب المقدمة لم يكن ذا منهج تجريبي خالص ، انه منهج استقرائي تاريخي ، لانه يعتمد في البرهان على استقراء جملة من الحوادث التاريخية في تسلسلها الزمني ، وهو ايضا يعتمد على الاستنباط .

وقد ناقش المؤلف ، في الفصل السابع ، ست مقدمات تمثل العوامل الفاعلة في حياة الافراد والجماعات ، بعد ان سأل عن الاسس التي بنى ابن خلدون عليها دراساته العمرانية ، والمحور الاساسي الذي تدور عليه ابحاثه . ولم ينس المؤلف مناقشة موقف الباحثين من المقدمة السادسة المتعلقة بالنبوة والكهانة والسحر ، ليبطل الجانب «اللاعقلاني» الذي صورده هؤلاء في شخصية ابن خلدون العقلانية ، انطلاقاً من اعتقاده بان هذه الامور في عصر ابن خلدون ( ظواهر عمرانية ) مسلم بحقيقتها عند الناس والفلاسفة والعلماء ، وليس من الصحيح اخضاع فكر ابن خلدون للمقاييس الراهنة .

وبرؤية نقدية يناقش المؤلف ، في الفصل الثامن ، مدى قدرة علم العمران على تحقيق اغراضه ، وفيما اذا كان علماً في الاجتماع او فلسفة في التاريخ ، لينتهي الى انه لا يكفي لتمحيص الاخبار كل الاخبار ، وانه يقع بين علم الاجتماع وفلسفة التاريخ وليس هو ، هما

٢ - القسم الثاني : العمران البشري وحركة التاريخ وبعد ايجاز القول بمسائل القسم الاول ، يأتي دور القسم الثاني ، الذي هدف فيه المؤلف الى بيان اسباب ما اسماه ، ظاهرة «الدولة البدوية الحضرية» انها حركة التاريخ ، حركة الانتقال من البداوة الى الحضارة ، ومن الحضارة الى البداوة ، التي تمر عبر الدولة وبذور انهيارها .

لقد اراد المؤلف من الفصل الاول ان يبين اثر العوامل الجغرافية في احوال الناس ، وعلى الاخص طبيعة الارض من حيث الخصب والجذب التي تجعل العمران البشري يتدرج من البساطة الى التركيب والتعقيد ، مما يؤدي الى اختلاف طرق كسب العيش واختلاف احوال الناس الاجتماعية والشخصية ، باختلاف اصنافهم ، اراد ان يبين ذلك لاهميته في ايضاح اغراض ابن خلدون ، لذلك تأتي مقولة المؤلف « كل شيء في العمران يؤدي الى الدولة » استخلاصاً دقيقاً ، للغاية التي يهدف اليها ابن خلدون من ابحاثه في توزيع العمران على الارض ، وتأثير العوامل الجغرافية في الافراد والجماعات واختلاف احوال الناس باختلاف نحلهم من المعاش ، الا وهي : كيفية نشوء الدولة وعوامل ازدهارها وسقوطها وسير الامور حتى عهده في التاريخ الاسلامي .

وقد تناول المؤلف في الفصل الثاني والثالث والرابع ، نظرية العصبية التي لها اهمية بالغة في نظريات ابن خلدون الاجتماعية

خلدون ، منذ ولادته في تونس ٧٢٢ / ١٢٢٢ حتى وفاته في القاهرة ٨٠٨ / ١٤٠٦ ، اى في تونس وفاس والاندلس وبجاية وبسكرة وقلعة ابن سلامة والقاهرة ، من حيث التعلم والدراسة والتأليف والتدريس والمناصب والاصدقاء والخصوم والنكبات والعزلة ، التي تفسر بمجموعها الانقلاب النفسي ، المشار اليه في النتيجة الثانية من بين النتائج الثلاث التي استخلصها المؤلف من الرحلة الفكرية الطويلة ، لهذا المفكر الذي احب السلطان والفكر ، وهذه النتائج هي :

١ - ان التجربة السياسية والاجتماعية التي عاشها ابن خلدون مصدر اساسي من مصادر فكره الاجتماعي .

٢ - انقلاب نفسي خطير ، أدى باين خلدون الى التحول من السياسة الى التاريخ ، ومن الفلسفة والشعر الى تأمل الواقع الاجتماعي والسياسي لعصره والعصور السابقة له ، والميل الى التفكير الصوفي .

٣ - ان نوع الدراسات التي تلقاها والاساتذة الذين احتك بهم واخذ عنهم والمجالس العلمية التي انتظم فيها ، كل ذلك جعل من فكره فكراً موسوعياً لا فكرياً متخصصاً .

وفي الفصل الرابع ، يوضح المؤلف موقف ابن خلدون من الفلسفة التي درسها في شبابه فأعرض عنه بعد ، اعراض وامق ناقد يطلب اليقين ، فاذا العالم عنده مادي روحاني ، والمعرفة المقبولة حسية وتجريبية ، والمفروضة نظرية ، لان العقل النظري لا يدرك الوجود كما هو . وعليه فلا فائدة من البحث في العلم الالهي ، والاولى الاتجاه بالبحث الى طبيعة العمران ، بالاعتماد على الحس والتجربة . اما العلم المنطقي فمفيد ، يميز بين صحيح الحد والقياس عن فاسدهما ، والحقيقة في العلم الطبيعي ممكنة وغير ممكنة . وهو يرى ان السببية عادة ، والحقائق دينية وعقلية ، وقوانين الحكم والسياسة تعتمد على العقل ، مع ايمان بالنبوة والوحى .

ويتحدث المؤلف ، في الفصل الخامس عن اهتمام ابن خلدون بالتاريخ واهتمامه الى علم العمران ، بسبب وعي تاريخي . جعل من الحاضر مشكلة تأخذ بمجامع الوعي وتستفز التفكير ، مما أدى به الى ان التاريخ نظر وتحقيق وتعليل وعلم بأسباب الوقائع ، لا مجرد رواية للاخبار ، قصد التسلية والاعتبار ، فيضع معياراً يميز الصدق والكذب في احداث التاريخ ويتجاوز الاخطاء فيها ، حين أدرك ان الوقائع الاجتماعية والتاريخية لها طابع خاص بها ، بعد رحلة الايمان والتمعن في ان فهم الحاضر يتحقق بفهم الماضي ، وفهم الماضي يتحقق بفهم الحاضر .

ويتناول المؤلف ، في الفصل السادس ، موقف ابن خلدون من بيان مشروعية وبناء علم العمران ، على صعيد الموضوع ، والاعراض الذاتية ، والمسائل ، والمبادئ ، والمقدمات ، التي يتطلبها التفكير المنطقي ، فهو يبحث في الظواهر الاجتماعية التي تحدث

والسياسية ، والتي تلعب دوراً بارزاً في شد الأفراد في الدفاع ضد العدوان الخارجي ، فهي رابطة دفاع وقوة مواجهة ، انها على حد تعريف المؤلف : رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا ، تربط افراد جماعة ما قائمة على القرابة ، ربطاً مستمراً يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد اولئك الافراد ، كأفراد او كجماعة . لذلك يبدأ المؤلف بتحديد معنى الوازع باعتباره منطلق نظرية ابن خلدون في العصبية ، التي تقوم على اساس رابطة النسب ، فتقوى كلما كان النسب قريباً . الا ان المعنى الحقيقي الذي تقوم عليه العصبية هو المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة ، ذلك ان تطبيق نظرية العصبية في الواقع الاجتماعي ، بحسب تدقيق المؤلف في النصوص الخلدونية وامتحانها ، يكشف ان المقصود بالنسب هو الانتماء الى جماعة معينة اى الى عصبية ما

واذا كان الصراع القبلي صراعاً من أجل البقاء ، والبقاء يتطلب تحقيق أمور المعاش ، وأمور المعاش العنصر الفاعل في المصلحة المشتركة المؤطرة بعلاقات النسب ، والمصلحة المشتركة هي القوة المحركة للعصبية ، تبين اثر العامل الاقتصادي في قوة العصبية ، الذي يلعب دوراً مهماً ، وإن لم يكن أساسياً ، كما يقول المؤلف ، في فاعلية العصبية وتحولها الى حركة سياسية تجرى وراء السلطة .

وهكذا يظهر ان العصبية تسعى الى تحقيق الدولة ، بمعنى مدة حكم اسرة مالكة معينة ، والملك ، بمعنى التغلب والحكم بالقهر ، بحسب تعبير ابن خلدون الذي يذكره المؤلف ، وذلك عن طريق سيطرة العصبية على قومها ، فتتحقق الرئاسة الخاصة لرئيس يشترط به النسب الصريح والشرف والحسب ، ومن ثم السيطرة على العصبية القريبة ، وبعدها البعيدة لتتحقق الرئاسة العامة التي ينبغي ان تتسم بالغلبة اضافة الى الشرطير السابقين . ولكن غاية العصبية لا تتحقق اذا ما دُلَّ القبيل ، أو قل الناس ، وانغمسوا في النعيم ، اذ لا عصبية مع الخضوع والانقياد ، وبين الترف والنعيم . واذن فالشروط الموضوعية لفاعلية العصبية ، وجود عصبية عامة جامعة لعصبية متفرقة ، ووقوع الدولة في طور الهرم ، ويتحقق هذان الشرطان في العمران البدوي فقط ، فالعصبية في المجتمع البدوي الذي يتألف من قبائل البدو الرحل تصبح فاعلة بسبب الدين ، دونما حاجة الى هرم الدولة ، مما يؤدي الى تحقيق الملك . أما في المجتمعات البدوية القائمة على الزراعة ، والتي تقوم عصبيتهم على المصلحة المشتركة التي يولدها وينميها طول المعاشرة ، فتصل الملك بالحرب او باضمحلال وفساد الدولة .

ولابد من الإشارة الى رأى المؤلف في ان الدولة عند ابن خلدون انما تنشأ - باعتبارها وزاعاً - من أجل التعاون وحفظ النوع ، وأن كان ظاهر ربط مسألة الحكم بفكرته عن الوازع تشير

الى ان الدولة تقوم على اساس من التنازع والغلبة . والسياسة عند ابن خلدون عقلية ، واخرى شرعية ، وانواع الحكم . ملك طبيعي ، وملك سياسي ، وخلافه ، واكثر بحث ابن خلدون في الخلافة .

وفي الفصل الخامس والسادس والسابع ، يبين المؤلف موقف ابن خلدون من الدولة وتطورها ، فالدولة تعنى الامتداد المكاني والزمانى لحكم عصبية ما ، فهي خاصة وعامة وشخصية وكتلية . واذا كل شيء مرتبط بالعصبية وحال عصبية الاقوام التابعة لها ، فان امتدادها المكاني يتوقف على قوة العصبية وضعفها ، وعلى صعب - سهو العصبية فان الدولة تستمر داخل حكم العصبية العامة ، فلا تنفص الحضارة والعمران ، لان انتقال الحكم من عصبية خاصة الى اخرى مماثلة ، لا يؤثر في الحضارة ولا في العمران بحسب رأى المؤلف ، الذي تحدث عن مستويات تطور الدولة وعوامله ، فالدولة : شخص يملك على اساس الحسب ، وجماعة تحكم بقوة العصبية وحال تطورها فيهم ، والنوع الثالث ، عصبية غالبية واخرى مغلوبة . وهكذا فان تطور العلاقات الداخلية والخارجية من خلال ما تتضمنه مستويات تطور الدولة من معان ينطبق على الدولة فتجتاز ثلاثة اطوار رئيسية هي :

أ - طور التأسيس والبناء

ومن خصائص ومميزات هذا الطور ، استمرار العصبية ، حيث المساهمة في السلطة والمشاركة في الثروة الناجمة عن الغنائم . وان علاقات الدولة برعيتها من جنس علاقات افرادها بعضهم ببعض ، وسياسة مالية سليمة ، مشاركة ، ومساهمة ، وتسيير جماعي ، واقتصاد في النفقات فتظهر بوادر الرخاء والرفاهية ، لتدخل طور العظمة والمجد .

ب - طور العظمة والمجد

ومن مميزاته انتقال من البداوة الى الحضارة ، وظهور المصالح الخاصة واستبداد الرئيس واعتماده على عصبية الموالي والمصطنعين له ، بدلا من عصبية الاصلية ، مما يؤدي الى الدخول في طور الهرم والاضمحلال .

ج - طور الهرم والاضمحلال

وفي هذا الطور يصيب الدولة الهرم نتيجة الضعف والخلل في العصبية والحال . ومع هذا فان نهايتها تتوقف على نوعية الظروف والاحوال القائمة .

والنتيجة التي يستخلصها المؤلف ، هي ان الفساد يصيب الرئيس اولا ، ثم اهل عصبية ثانيا ، ثم مجموع الدولة حاكسين ومحكومين . ذاهبا الى ان الفساد نتيجة جملة من العوامل الموضوعية والتنظيمية والاجتماعية والاقتصادية المتداخلة والمتراصة ، وهي تشكل في مجموعها ما يطلق عليه ابن خلدون اسم الحضارة . الامر الذي جعل المؤلف يصحح ما ذهب اليه بعض الباحثين في تقديم لان خلدون ، لان الحضارة عند ابن

خلدون لاتعنى ما تفهمه في عصرنا الراهن، انها اسلوب حياة اولئك الذين يعيشون من الجاه فقط ، اولئك الذين لايعملون ولا ينتجون في الوقت الذي يستهلكون فيه بغير حساب، على حد تعبير المؤلف، فيصدق ابن خلدون في قوله الحضارة مفسدة للعمران . ويبقى الفصل الثامن والاخير من هذا القسم ، الذى يجمل فيه المؤلف ما حطه واستعرضه في الفصول السابقة ، ويناقش انطلاقاً من منهجه في البحث، دراسات اقتصادية جعلت جوانب معينة من آرائه موضع بحث بمعزل عن آرائه الاخرى ، ان هو يؤكد وحدة الفكر الخلدونى ، اضافة الى نتائج أخرى تعرض العرض لمعظمها .

### ٣ - الخاتمة

وفي الخاتمة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامى، اراد المؤلف استخلاص النتائج التى قد تلقى بعض الاضواء ليس على الماضى فقط ، بل على الحاضر ايضا .

رابعاً : المصطلحات والمصادر والمراجع

### ١ - المصطلحات

وضع المؤلف ملحقاتاً خاصاً بأهم مصطلحات ابن خلدون، مرتبة بحسب حروف الهجاء، وهى : الاستبداد : الملك بالاستبداد ، استظهار. الملك بالمظاهرة، استبصار ، استعداد ، الاستعداد القريب والاستعداد البعيد ، اصطلاح : اصطلاح التعليم ، اصطلاح المتقدمين والمتأخرين ، امة، امكان : الامكان العقلى والامكان بحسب المادة التى للشئ ، اماره، برهان : البرهان الطبيعى ، البرهان الصناعى ، بدو : البداوة ، خشونة البداوة ، ترتيب ، توحش ، خلق التوحش ، جاه : الجاه المغيد للمال ، جيل : الاجيال الحادثة . حسب الحسب بالحقيقة ، الحسب بالمجاز ، حضارة رقة الحضارة ، الحضارة مفسدة

للعمران ، حل وعقد ، حلة ، حي ، حوادث ، افعال ، حوالة : حوالة الاسواق ، خطة : الخطط الدينية الخلافية ، دولة : الدولة العامة . الدولة الخاصة ، الدولة الكلية ، الدولة الشخصية ، الدولة المستقرة والدولة المستجدة او الحادثة ، رئاسة : الرئاسة الخاصة ، الرئاسة العامة ، سذاجة : سياسة ، سياسة مدنية ، سياسة ملوكية وسياسة عامة ، صورة ومادة، صناعة : صناعى ، التعليم الصناعى ، التعليم غير الصناعى ، الشروط الصناعية ، البرهان الصناعى ، مصطنعون ، ضرورى : الضرورى والحاجى والكمالى، طبع وطبيعة ، طبقة ، غير ، عصبية ، العصبية الخاصة ، العصبية العامة ، عمران ، علم العمران ، علة ، سبب ، عادة ، عوارض ذاتية فساد العصبية ، قبيلة ، كسب ، مبدا ، مجد ، مرتزقة ، مسائل ، مصر ، المصر الكرسى ، مطاولة ، معاش ، معاش ورياش ، معاش نحل ، ملكة ، سوء الملكة ، حسن الملكة ، ملائكية ، موالى ، وجود ، وازع : وازع ذاتى ، وازع اجنبى ، وزينة ، وظيفة ، وقائع ، وبهذا يصبح عدد المصطلحات (٦١) مصطلحاتاً من دون تفرعاتها، مع ملاحظة ان المؤلف حدد معانى هذه المصطلحات .

### ٢ - المصادر والمراجع

في البدء لابد من الاشارة الى ان المؤلف لم يستخدم كلمة (مصادر) ان هو اطلق كلمة (مراجع) على الكتب القديمة والحديثة ، وقد بلغ عدد مراجعه العربية (٦٠) مرجعاً (٥) في مؤلفات ابن خلدون ، و (٦) دراسات وابحاث عن ابن خلدون ، ومراجع مختلفة منها ثلاث مخطوطات، و (٤٦) كتاباً مطبوعاً. اما مراجعه باللفة الفرنسية فعددها (١٥) مرجعاً .

واخيراً فان هذا العرض لا يغنى عن قراءة الكتاب ، الذى يقدم موضوعاً مهماً في فكر ابن خلدون بطريقة مفيدة .

# الدويلات العربية المستقلة على ساحل الخليج العربي

للرحالة كارستين نيبور

عرض :  
كاظم سعد الدين  
بغداد

## تناول المؤلف في الفصل الاول :

### العرب الساكنون حول الخليج العربي

لقد اخطأ جغرافيوننا، كما بينت في مكان آخر (١)، في زعمهم ان جزءا من الجزيرة العربية كان تابعا لملوك فارس. ان ذلك بعيد كل البعد عن الحقيقة، بل على العكس، فان العرب يمتلكون جميع السواحل البحرية للامبراطورية الفارسية من مصب نهر الفرات حتى مصب نهر السند تقريبا.

ان هذه المواطن على الساحل الشرقي لاتخضع فعليا للجزيرة العربية غير انها مدامت مستقلة عن فارس وتستعمل اللغة نفسها والتقاليد ذاتها التي يمارسها سكان الجزيرة العربية، فاني ساقدم وصفا موجزا لها.

من المستحيل تحديد الفترة التي أسس فيها العرب دويلاتهم على هذا الساحل. فالتراث يؤكد انها تأسست منذ قرون عديدة ونستطيع ان نقول واثقين ان هذه الدويلات احتلت مواقعها الراهنة في ايام الملوك الاوائل لفارس. وهناك تشابه مذهل بين التقاليد المنسوبة الى اكلي الاسماك القدامى وبين تقاليد هؤلاء العرب. انهم يكادون يعيشون بالطريقة نفسها ويحيون حياة بحرية ويشغلون بصيد السمك والغوص على اللؤلؤ ويتناولون طعاما قليلا علاوة على السمك والتمر، ويطعمون مواشيهم السمك ايضا. انهم يقدسون الحرية شأن اخوانهم في الصحراء وتكاد كل مدينة ان يكون لها شيخها الخاص بها، الذي لا يتقاضى اية ضريبة من اتباعه، بل يترتب عليه لعدم امتلاكه ثروة خاصة به، ان يعيل نفسه بعمله الخاص، شأنه شأن رعيته، اما بنقل البضائع او بصيد السمك واذا حدث ان كان اكثر السكان غير راضين عن شيخهم فانهم يخلعونه ويختارون آخر من العائلة نفسها.

ويتكون سلاح هؤلاء العرب من البنادق ذات الفتيل والسيوف والتروس. ويقوم سفن صيد الاسماك احيانا بمهام السفن الحربية، بيد ان مثل هذا الاسطول، الذي يضطر الى التوقف مرات عديدة للتزود بالسمك طعاما بينما يتحتم عليه ان يطارد العدو، لا يمكنه والحالة هذه ان يؤدي مآثر عظيمة. ومن هنا فان حروبهم ليست الا مناوشات وغارات لاتنتهي ابدا بنتائج حاسمة، وانما

تؤدي الى مشاحنات متواصلة وحالة من العداء المستمر. ان بيوتهم بسيطة جداً بحيث لا يكلف العدو نفسه عناء لكى يدكها، ولهذا فان هؤلاء الناس لا يخشون ضياع شيء لهم على اليابسة فهم دائما يعتمدون الى سفنهم لدى قدوم العدو ويلتجئون الى احدى جزر الخليج حتى يتراجع العدو، انهم واثقون ان الفرس لا يفكرون بالاستقرار على شاطئ مفقر حيث يقلقهم العرب الذين يرتادون البحار المجاورة

لم يكن هؤلاء العرب والفرس على وفاق. وكان ذلك سببا في فشل محاولة نادر شاه اخضاع هؤلاء العرب. وفي اثناء استعداداته لهذا الغرض قام المغتصب، وكان الثمن باهظا، بتجهيز اسطول من خمس وعشرين سفينة كبيرة في الخليج. ولما لم يكن لديه ملاحون من الفرس قايه اضطر الى استخدام هنود، وقدرفض هؤلاء الهنود محاربة العرب فقتلوا ضباطهم واستولوا على السفن، وكان نادر شاه عند نهاية حياته يفكر في السيطرة على هؤلاء العرب ونقلهم الى بحر قزوين، واقامة مستوطنة فارسية في مكانهم. غير ان موته حال دون تنفيذ مآربه هذا. ومنعت الاضطرابات في فارس منذ ذلك الحين جميع الاعتداءات في تلك الربوع على حرية اولئك العرب.

ويبدو لي ان حكومتهم ووضعهم السياسي الراهن يشبهان الى حد كبير نظائرهما في اليونان القديمة. وقد كانت تحدث اشتباكات قتالية مستمرة وثورات مهمة في الخليج غير ان العرب ليس لديهم مؤرخ يقوم بايصال صيتهم الحميد الى ما وراء حدودهم العتيقة.

## اما الفصل الثاني

### فتناول فيه الاماكن الخاضعة للسلطة الفارسية

بالرغم من ان ملوك فارس ليسوا اسياد هذه السواحل، غير انهم يحتفظون بيضعة اماكن على تلك السواحل. وقد خلع حكام هذه الاماكن من الفرس ولاءهم لدولتهم الفارسية في الآونة الاخيرة الى حد ما وجعلوا منها اماكن مستقلة ذات سيادة واهم هذه الاماكن (جمبرون) و (هرمز) (٢).

و (جمبرون) مدينة ذات ميناء في مقاطعة (لورستان) كانت قديما تعود الى سلطان الفرس. وبعد موت نادر شاه نصب رجل فارسي

يدعى (ناصر خان) نفسه حاكماً على المقاطعة وعلى المدينة تدعى لذلك ، وأعلن نفسه نائباً للوكيل (كريم خان) في (شيراز) غير أنه لا يدفع له أى ضريبة ولا يقيم احتراماً لسلطة الوكيل ما لم يواجه جيشه فيكون مضطراً إلى دفع الضريبة.

كانت مدينة (جمبرون) التى تدعى أيضاً (بندر عباس) مشهورة في غضون القرن الماضى وبداية القرن الحالى باعتبارها ميناء لشيراز وجنوب فارس جميعاً. وكانت تجارتها في ذلك الحين واسعة الانتشار، أما في الوقت الحاضر فهى خاملة. ولا يوجد في المدينة أى مكتب أوروبى لعقد الصفقات. وقد حدث هذا التدهور في احوالها نتيجة للاضطرابات الداخلية في فارس ، والحروب والمنازعات بين الفرنسيين والانجليز ، أما الهولنديون فقد استمروا في القيام بأعمال تجارية بسيطة فيها ، بيد أنهم لما كانوا يشكلون مستوطنة في جزيرة (خارك) ، فإنهم هجروا (جمبرون) تماماً.

أما جزيرة (هرمز) ذات الشهرة العريقة فإنها أصبحت لا تمتلك شيئاً من ذلك المجد العريق . وتعود الجزيرة في الوقت الحاضر إلى (ملا علي شاه) الفارسي الذي جعل نفسه حاكماً عليها بعد موت (نادر شاه) مباشرة. وقد كان أمير البحر لديه . ويمتلك أمير (هرمز) كذلك جزءاً من جزيرة (قشم) والجزء الآخر يعود إلى أمير (صير) (٢). وتقع (ميناء) جنوب (لورستان) وهى مدينة داخلية تبعد ستة فراسخ عن ساحل البحر ، وسكان هذه المنطقة يحترفون الزراعة وهم يتبعون سلطة (خان لورستان) .

وهناك قبيلة عربية تدعى البلوج (٤)، تقطن بين (ميناء) ورأس (جاسك) ويمتلك ابناؤها عدداً كبيراً من السفن ويرتبطون بمصالح تجارية ذات شأن مع البصرة على الخليج ويتوغلون في تجارتهم إلى السواحل الهندية. وقد اشرك هؤلاء العرب جماعة الأفغان في الثورات الأخيرة في فارس .

يصور بعض الجغرافيين هؤلاء (البلوج) بأنهم يسكنون على طول الساحل حتى مصب نهر السند ويصفونهم بأنهم أناس محاربون ولا أدرى هل يعتبرون مستقلين أم تابعين لفارس ، ويغلب على الظن أنهم لا يعترفون بأى سلطة أجنبية إلا سلطة شيوخهم ، وتسرد لنا بعض روايات الرحلات المؤلفة في القرن الماضى مغامرات غريبة عن واحد من أمراء (الجاسك) قاوم سلطة (عباس شاه) حتى أخذه أخيراً بالحيلة، وواصلت أرملة مقاومة الملك الفارسي وقامت بمأثر جليلة تليق بالابطال في عصر الفروسية ، غير أن القصة يمكن أن تنطبق على شيخ من شيوخ (البلوج) .

إن البلاد الممتدة من (بندر عباس) شمالاً إلى (ديلم) (٥) تشبه تهامة في الجزيرة العربية : سهل مجذب يسميه الفرس (كرمسير) أى البلاد الحارة ولا أعرف في هذه المنطقة مكاناً سوى (خامر) وهى قلعة تقع على صخرة شديدة الانحدار وتعتبر مع رقعة صغيرة ملكاً لأحد الشيوخ. وتأتى السفن إلى ذلك المكان من أجل نقل حمولات من الكبريت الذى يوجد بكميات غزيرة في المنطقة .

### وتناول في الفصل الثالث

#### مناطق قبيلة الحولة (٦)

نفرض هذه القبيلة سيادتها على الساحل برمه من (بندر عباس)

إلى (رأس بردستان) وتمتلك جميع الموانئ على امتداد الساحل وفي هذه المنطقة جزء جاف وقاحل ، غير أن سلسلة من التلال مثل (ظاهر عصبان) تمتد حتى البحر تقريباً، وتنتج الخشب الذى يقطعه سكان المنطقة ويصدرونه .

وبالرغم من هذه المزايا الطبيعية فإن عرب (الحولة) لا يزرعون أراضيهم وإنما يعيشون على صيد البر والبحر . ويحترمهم جيرانهم لشجاعتهم. ولو توحدت جميع جهودهم لاستطاعوا السيطرة على جميع مدن الخليج ، غير أن كل مدينة تكاد تكون خاضعة لشيخ معين ، ومع أن هؤلاء الشيوخ ينتمون إلى عائلة واحدة ، فإنهم يفضلون أن يظلوا في حالة فقيرة متواضعة على أن يرفعوا من شأنهم وذلك بخضوعهم لعلم موحد تحت إرشاد أحد الشيوخ الكبار .

وفيما يلي شيوخ أو أمراء قبيلة الحولة .  
شيخ (صير) الذى ذكرته لدى الكلام على عمان ، ولما كان في الأصل من هذه البلاد ومن قبيلة (الحولة) فإنه يمتلك في منطقة (جمبرون) المجاورة مدن (كونك) و (لنج) و (رأس حطى) ويصدر اتباعه خشب الوقود والفحم .

وهناك شيوخ (موقه) و (جارك). وسكان الأخيرة يصدرون الخشب أيضاً . ويقال أنهم من أشجع أبناء قبيلة (الحولة) ثم هناك شيوخ (التاجيلو) و (النابند) و (العلوى) و (الطاهرى) و (الشيلو) و (الكونكون)، ويقدر أبناء (التاجيلو) لمهارتهم في الغوص خير تقدير . وفي مدينة (كونكون) حيث يتمتع السكان بخصوبة أكثر هدوءاً من البطون الأخرى لقبيلة الحولة، يسكن اليهود والبنانيان .

أما الفرس ، الذين لا يمتلكون سفناً وإنما يعيشون على الزراعة، فيحتلون المناطق الواقعة بين إمارة (بوشهر) ورأس بردستان .

### وعالج في الفصل الرابع (إمارات بوشهر وبندر ريق)

تتمتع مدينة (بوشهر) عاصمة الدولة المستقلة (بوشهر) بمرفأ واسع ترسوفيه السفن قريباً من البيوت، وقد أغرى هذا الوضع (نادر شاه) أن يضع أسطولاً فيها، ويمكن رؤية شيء من بقايا ذلك الأسطول حتى الآن. ومنذ ذلك الحين ازدادت شهرة المدينة وأصبحت أكثر أهمية وهى الآن الميناء البحرى لشيراز . ويمتلك الانجليز مصنعاً فيها، وهم الشعب الأوروبى الوحيد الذى له علاقة تجارية بفارس .

لا ينتمى العرب القاطنون في منطقة (بوشهر) إلى قبيلة الحولة ويوجد بينهم ثلاث عوائل بارزة . اثنتان منها تسكنان المنطقة منذ عهود سحيقة موغلة في القدم . أما الثالثة التى تدعى (مطاريش) فقد جاءت بعدهما من عمان حيث كان أفرادها يشتغلون بصيد السمك ، ودخلت معهما في حلف ووجدت وسيلة للاستحواذ على السلطة التى ظلت تحتفظ بها حتى الآن

إن الشيخ الحالى (ناصر) من عائلة (المطاريش) يمتلك أيضاً جزيرة (البحرين) على شاطئ الجزيرة العربية التى يمكن بواسطتها الاستمرار في أعمال الشحن بالسفن وله أسلاك لا يستهان



للخانات المتنافسين على عرش الامبراطورية المضطربة . ولم يحاول احد فرض الضرائب عدا كريم خان الذى اقتنع بقبول مبلغ زهيد . ثم امتدت توسعات سليمان نحو البصرة . وسعى لنيل صداقة ال اعيان Azel شيوخ تلك المنطقة ، ثم جعل نفسه حاكماً على جميع الجزر الواقعة بين مصبات نهر الفرات التى تعرف ببلاد شط العرب .

كان سليمان يسعى لتشكيل قوة بحرية في اثناء قيامه بالتوسع الى مياه الانهر الصالحة للملاحة فبنى اول سفينة له عام ١٧٥٨ . وفي عام ١٧٦٥ صار لديه عشر سفن كبيرة وسبع سفن صغيرة . وفي السنة نفسها ١٧٦٥ ، ارسل كريم خان قوة ضده وكانت قوية فلم يستطع مقاومتها ، فنقل امواله وقطعته من جزيرة الى اخرى حتى استطاع ان ينقلها غرب شط العرب . ولم يستطع الفرس للحاق به لافتقارهم الى السفن ، فاضطروا الى التراجع ، ثم أمر باشا بغداد قواته بمهاجمة سليمان غير انه التجأ الى الجزر ونجا هذه المرة من الاتراك ، كما نجا من الفرس سابقاً . تمتد منطقة قبيلة كعب من صحراء الجزيرة العربية الى بلاد هنديان وشمالا الى ولاية الحويزة ، وترويه انهر عديدة ، كبيرة وصغيرة ، وتكثر فيها التمور والرز والحبوب والمراعى . ومن مدنها (دامسك) الواقعة في فارس و (الحفار) و (قبان) وهى مقر احد الشيوخ قرب احد مصبات نهر الفرات .

### أما الفصل السادس فقد عالج فيه دويلات أخرى مستقلة

تقع هنديان شمال بندر ريق وتحاذي ممتلكات كعب . وهى منطقة صغيرة خاضعة لاحد الملوك ، ويعيش العرب الساكنون فيها على ما تنتج ارضهم وماشيته .

أما الحويزة فهى مدينة ومقاطعة تقع في الاقسام الخلفية من البلاد المحاذية للخليج ، وتعود الى احد احفاد النبی محمد (ص) ويدعى الامير (مولى) (٨) ، ويتمتع بامتياز ضرب النقود . وعلى الجانب الشرقى من الخليج جزر كثيرة اغلبها مأهول بالسكان وليس في اى منها حكومة مستقلة عدا جزيرة هرمز . وتعود ملكية هذه الجزر للامراء الذين تقع ازاء اراضيهم .

وفي الجانب الغربى للخليج توجد جزيرة او بالاحرى مجموعة من الجزر تعرف لدى الاوروبيين باسم البحرين . ويطلق العرب على اكبر هذه الجزر اسم (أوال) (٩) . ولكل من الجزر الصغرى اسمها الخاص بها . ولما كانت هذه الجزيرة تشتهر بصيد اللؤلؤ وشهدت كثيراً من الثورات وغيرت حاكمها مرات عديدة ، فلا بد لي من التحدث عنها بكلمات قليلة .

البحرين مدينة حصينة تقع في الجزيرة المسماة باسمها او باسم (أوال) كان عدد المدن والقرى في هذه الجزيرة ثلاثمائة وستين في يوم من الايام ، اما الآن فتشتمل ، بالإضافة الى العاصمة ، على ستين قرية بائسة فقد دمرت القرى الباقية منازعات حربية طويلة . وانتاج هذه الجزيرة من التمور غزير جداً غير انها تعتمد بصورة رئيسية على صيد اللؤلؤ حيث يكثر اجود انواعه فيها ويجنى اميرها من الضرائب على هاتين المادتين (لوك) من الروبيات او ما يعادل

بها في (كريمسير) وقد اخذها من (كريم خان) الذى احتجز لديه ابناء (ناصر) رهائن ليضمن اخلاص ابيهم . وكانت تلك فرصة سعيدة لشيراز ان تستطيع احتجاز امير (بوشهر) بهذه الطريقة لمصلحة فارس بواسطة ممتلكاته في (كريمسير) .

كان الشيخ ناصر يأمل ان يعين اميراً للأسطول البحرى الفارسى فتزوج امرأة فارسية ، فأساء بذلك الى نفسه والى عائلته ، اذ بات بغيضاً لدى رعيته وجيرانه ، ولم يعد ابناءؤه يحوزون ذلك الشرف العربى .

أما (بندر ريق) فهى مدينة انشأها امير بهذا الاسم تحيطها اسوار غير متينة وتقع شمال بوشهر . وتشمل الدويلة الصغيرة التى تقع فيها هذه العاصمة على اماكن عديدة اخرى في (كريمسير) التى يعد اميرها من بعض الوجوه معتمداً على (كريم خان) . ويشغل عرب هذه المنطقة بالاعمال البحرية ، أما الفرس الساكنون في الاجزاء الخلفية فانهم يشتغلون بالزراعة .

وان العائلة الحاكمة في بندر (ريق) هم قبيلة من (بنى صعب) العربية وهم في الاصل من عمان ، غير ان جد الامير الحالى تزوج امرأة فارسية فلم تعد هذه العائلة تعتبر من اشراف العرب ، ويتميز حاكم بندر (ريق) الامير (مهنا) في هذه البلاد بقوته ووسطوته . وكان يبلغ الثلاثين من العمر عام ١٧٦٥ . وقد وقع الامير (مهنا) مرتين في يدى (كريم خان) . واستطاع في المرة الاولى ان ينجو نتيجة للاندحار الذى منى به الحاكم الفارسى . وفي المرة الثانية استطاع ان ينال حريته نتيجة لمسامحة اخته المتزوجة من موظف فارسى . ولدى عودته الى ممتلكاته الخاصة استطاع ان يسيطر على طريق القوافل بين شيراز وبوشهر . وتبها كريم خان لضربه فحاصر عاصمته ولكن دون جدوى .

وفي عام ١٧٦٥ ارسل كريم خان يطلب دفع الضريبة على ممتلكاته في (كريمسير) غير ان الامير (مهنا) اهان الموظف المرسل اليه وحلق لحيته . فارسل اليه كريم خان جيشاً قوياً استطاع اخضاع بندر ريق وكل المناطق الاخرى ، على ان الامير مهنا تراجع قبل فوات الاوان هو وقطعته وقسم من اتباعه الى جزيرة تدعى (خنرى) حيث انتظر حتى ينسحب الجيش الفارسى من بلاده . فعاد من الجزيرة بعد خروج الجيش منها ، وطرد الحامية العسكرية من بندر ريق واستعاد السيطرة على ممتلكاته . وكان شديداً مع جيشه وقواده ، ومع ذلك كان جنوده شديدي التعلق به حتى انه استطاع وهو في المنفى ان يحرر جزيرة خارك من الهولنديين .

### وتناول في الفصل الخامس

#### قبيلة كعب وشيخها سليمان

تسكن قبيلة كعب . او جعب كما يلفظها الفرس . في الطرف القصي من الخليج ، ولم يكن لهم شأن عظيم قبل حكم الشيخ الحالى سليمان (٧) الذى بلغت شهرته اوروباً نتيجة للمعركة ، التى خاضها ضد الانجليز واستولى فيها على بعض سفنهم .

استغل هذا الشيخ الوضع المضطرب في فارس والخلل الحاصل في حكومة البصرة . وصار يخضع له جيرانه الصغار المستقلين ، ثم جعل نفسه حاكماً لمناطق واسعة عديدة وتعهده ان يدفع ضريبة

٣٠٠٠٠ ليرة فرنسية، وينفق من هذا الدخل على حامية عسكرية في المدينة .

كانت البحرين تعود ذات يوم الى البرتغاليين وعندما طردوا من الخليج وقعت في يدى شيخ (الجسه) (١٠)، ولكن الفرس انتزعوها منه. ثم جعل أمام عمان نفسه حاكماً عليها ، غير انه سلمها ثانية الى الملك الفارسي مقابل مبلغ من المال. وبعد مرور قليل من الوقت في اثناء غارة الافغان ، سلمها الحاكم الفارسي الى شيخ (نابند) من قبيلة الحولة . وقام شيخ آخر من قبيلة الحولة اسمه الشيخ (الطاهرى) بطرده من نابند، ثم حاصره اميرال نادر شاه غير ان شيخ الطاهرى استعادها بعد مغادرة الاميرال . وقد نصب شيخ (الاصلوى) نفسه حاكماً على الجزيرة في اثناء الاضطرابات الاخيرة في فارس، غير ان امراء بوشهر وبندر ريق الذين غزوها مجتمعين ازاحوه عنها ، ثم طرد الامير الاول الامير الثانى منها وطرد بنو حولة هذا الامير ايضاً. وفي عام ١٧٦٥ عادت ثانية الى حوزة شيخ بوشهر الذى اصبح سلطان جزيرة البحرين الوحيد .

يمكن للقارئ ان يكون فكرة من هذا الوصف عن المنازعات المستمرة التي جرت بين هؤلاء الامراء الصغار . وقد اطلعت في البصرة على بعض التفاصيل الخاصة بمنازعاتهم المعقدة التي لا يستطيع استيعابها بصورة جيدة . فقد قيل لي ان كل امير عربى كان في حرب مع اميرين او ثلاثة امراء من بنى قومه . ان الملاحه مضطربة باستمرار وتؤثر فيها هذه المنازعات القوية ، فالسافر على ظهر اى سفينة عربية يكون في خطر الوقوع في ايدي الاعداء ولا يكون المرء في مأمن من القيام برحلة الا على ظهر احدى السفن الاوروبية التي لا تجرؤ السفن العربية الصغيرة على مهاجمتها .

## وتناول في الفصل السابع جزيرة خارك

تقع هذه الجزيرة (١١) على الساحل الشرقى للخليج بين بوشهر وبندر ريق وتضم قرية واحدة فقط ، وتدل قنوات المياه التي شقت في الصخور التي مازالت شاخصة على انها اكثف سكاناً بالنسبة الى مساحتها التي يبلغ محيطها حوالى خمسة فراسخ . اصبحت (خارك) مشهورة نتيجة للمستوطنة التي اقامها الهولنديون مؤخراً فيها والتي تخلوا عنها فيما بعد . وبما ان هذه الحادثة اثارت شيئاً من الضجة في العالم فانى سوف اقدم تقريراً موجزاً عنها .

كان للهولنديين تجارة واسعة في البصرة وكان المدير العام لصنعهم فيها (البارون نيبهاونز) يخصنى بالاحترام في تلك المدينة ، ولكن هذا الالماني تنازع مع الحاكم بسبب علاقة نسائية فالقى به في السجن وكاد يقطع راسه لو لم يدفع مبلغاً كبيراً من المال مقابل حريته . وقبل ان يغادر الى (باتافيا) حصل من المصنع على شهادة خطية بحسن سلوكه وصادقت شركة الهند الشرقية الهولندية على جميع ما قام به

ونتيجة لخلافاته مع حاكم البصرة اتفق نيبهاونز مع الامير ناصر ، امير بندر ريق ، الذى كانت جزيرة ريق تابعة له ، على ان

يسمح للهولنديين باقامة مصنع لهم فيها مقابل ايجار سنوى معين . واستحسنست الحكومة في (باتافيا) المشروع الذى كان في واقع الامر شيئاً حكيماً فارسلت البارون مع سفينتين لتنفيذه .

ولدى وصوله الى (خارك) القى القبض على بعض السفن من البصرة واجتبرها حتى استعاد المبلغ الذى دفعه ثمناً لاطلاق سراحه . وبنى البارون مخزناً واسعاً في الجزيرة واقام على اركانها الاربعة ، تدريجاً اربعة ابراج ، جهاز كل برج منها بستة مدافع . ولم يرض الامير ناصر باقامة هذه التحصينات فهاجم الهولندى الذى رد عليه بهجوم مماثل ، غير انه لم يستطع اللحاق به داخل معقله . على ان هذه الحرب الصغيرة كلفت الشركة ثمناً باهظاً .

وبعد ان حكم نيبهاونز جزيرة (خارك) خمس سنوات بسلطة اجنبية ، خلفه (فاندر هولست) المستخدم سابقاً في البصرة ، وكان عارفاً بالعرب . وقد ظن ان من واجبه ان يشن الحرب على الامير منها ، امير بندر ريق الجديد ، تلك الحرب التي قامت في البدء ضد ابيه واستطاع الامير منها بحنكته الحربية ان يلقى القبض على سفينتين حريتين تعودان للهولنديين وحاول ان ينزل على الجزيرة غير ان ذلك لم يتكفل بالنجاح ، ووسع (فاندر هولست) تحصيناته ورسم خارطة لمدينة سرعان ماسكنها الفرس والعرب .

وكان من المؤمل ان تكون هذه المستوطنة مصدر ربح للضباط والمستخدمين فيها غير ان كلفة الحرب والحاميات العسكرية فيها استهلكت ارباح الشركة فقرروا تركها ، ولكن احتمال النفع التجارى المتوقع مع فارس اغراهم بالبقاء فيها مدة اطول ، لذلك قام الحاكم الجديد (بوشمان) بعقد صلح مع الامير منها ولم تلاق التجارة اى نوع من التدخل .

وبالرغم من ان خلفه (فان هاوتنك) كان رجلاً ذا جدارة من بعض الوجوه ، غير انه لم يتصرف تصرفاً حكيماً ، لكونه اجنبياً لا يعرف عبقريّة العرب ومزاجهم ، ولم يكن لديه من الضباط الخبراء بالامور من يعينه على ذلك . وهذا ما جعله يهاجم قوات الامير منها في اثناء تراجعها الى جزيرة (خنرى) وقد سمح الامير منها لاعدائه بالتقدم ، ولما اطمأنوا ، انقض عليهم بخيائله وهزم جيش الهولنديين وجند (بوشهر) شر هزيمة .

وقد شجع ذلك النجاح الامير منها ان ينزل على جزيرة (خارك) ويطوق المدينة وقام احد الفرس باقناع (فان هاوتنك) ان يسمح للامير منها بدخول القلعة مع حاشية صغيرة لكى يتفقا على شروط تسوية الخلافات .

فالقى الامير العربى القبض على افراد الحامية الهولندية واخذهم اسرى وارسلهم الى (باتافيا) وقد وقعت هذه الحادثة في نهاية شهر كانون الاول عام ١٧٦٥ .

وليس من المحتمل ان تجشم شركة الهند الشرقية الهولندية نفسها مشقة طرد الفاتحين وتجديد مؤسستها في جزيرة خارك .

## التعليقات

\* تعد هذه المقالة وثيقة تاريخية كتبها الالماني كارستن نيور (١٧٢٢ - ١٨١٥) لدى سفره مع بعثة علمية ارسلها فردريك الخامس ملك الدنمارك في عام ١٧٦٠ وقد دون نيور نتائج الرحلة العلمية في الجزيرة العربية وبلاد اخرى في الشرق ومات رملاً في الثلاث في تلك الرحلة ودرج الكتاب روبرت ميردس الانجليزى عام ١٧٩٢ بعنوان M. Niebuhr Travels

Through Arabia and Other Countries وقد أعادت حديثاً مكتبة لبنان طبع هذا الكتاب النادر الذي كثيراً ما يدرجه الدارسون في شت مصادرهم دون أن تجد شيئاً يذكر من الكتاب ومادته سوى الاسم

المقالة هذه ترجمة للباب الثالث والعشرين من المجلد الثاني Vol II Sect. XX 111 P P. 137 - 137 نجد الرحالة بيونير في كتابه المذكور أنفا يطلق على البحر الأحمر مرة اسم (البحر الأحمر) ومرة أخرى اسم الخليج العربي . ويطلق على الخليج العربي تارة اسم (الخليج العربي) وتارة اسم الخليج الفارسي.

إن التسمية لم تكن تدل على الملكية وإنما كانت تدل على الاتجاه، فقد أطلق العرب على ما يسمى اليوم البحر المتوسط اسم (بحر الروم) لا لأنه ملك الروم بل لأنه يواجه أو يؤدي إلى بلاد الروم . ويدعى القنال الفاصل بين فرنسا وإنجلترا بالقنال الإنجليزي مع أنه معر دولي وليس ملكاً للإنجليز . وليس المحيط الهندي ملكاً للهنود . أما الخليج العربي فهو بحيرة عربية لأنه محاط من كل جهاته بسكان من العرب منذ أقدم العصور . وإذا أطلق عليه اسم (الفارسي) فلأنه كان يؤدي إلى بلاد فارس .

يرجى مراجعة الملاحظة المهمة التالية بصدد رأى المؤلف في الخليج العربي

١ - في ص ٨ من المجلد الثاني من كتابه هذا يقول بيونير .

لا يمكنني أن امر مروراً عابراً بالمستوطنات الأكثر أهمية القريبة إلى الجزيرة العربية بالرغم من أنها تقع خارج حدود الجزيرة العربية وأعني بذلك العرب على الساحل الشرقي للخليج المتحالفين عموماً مع جيرانهم الشيوخ أو التابعين لهم أحياناً، أن ظروفهم مختلفة تتفق لتدل على أن هذه القبائل استقرت على طول الخليج قبل فتوحات السلفاء وقد احتفظت باستقلالها منذ ذلك الحين ، وأنه لمن الغريب المضحك أن يعدّ جغرافيوناً جزءاً من الجزيرة العربية تابعاً لملوك فارس في الوقت الذي لم يكن فيه هؤلاء الملوك الفرس أداً لسياد السواحل البحرية لبلادهم بالذات، غير أنهم تحملوا صابرين بقاعها في حيرة العرب .

٢ - هرمز

يرجى مراجعة (مملكة هرمز) للدكتور عبدالسلام عبدالعزير فهمي مجلة العربي ، العدد ١٨٤ مارس ١٩٧٤ ص ١٧٦ يتكلم فيها على هرمز وأزدياد أهميتها بعد الفتح الإسلامي حين اتحدتها القبائل العربية من عمان ونجد واليمن قاعدة تجارية يوجهون سفنهم منها إلى سواحل الهند وشرق أفريقيا وبلاد الصين حتى قضى المغول على الخلافة العباسية ولم يستطع ملوكها الخامس عشر والأخير بهاء الدين السيفي انتقاها بعد أن اغاروا عليها عام ١٢٠١ م ونجحوا كثيراً من أهلها فتحول بهاء الدين إلى جزيرة (جرول) التي سماها (هرمز) أيضاً حتى ازدهرت وامتد نفوذها على جزء كبير من سواحل شبة جزيرة العرب وعلى السواحل الشرقية للخليج العربي حتى المصرة واستمرت كذلك قرابة مئتي عام حتى استولى عليها البرتغاليون في أوائل القرن السادس عشر بعد أن احتلوا عدداً كبيراً من المدن والجزر على شواطئ بحر العرب والخليج العربي وقد استغفر ملكها سيف الدين ملوك المسلمين لبعثته من الشاة اسماعيل الصفوي والسلطان العثماني وبعض شيوخ العرب ولكنه لم يلق أي عون من أحد فجمع ثلاثين ألف جندي بأسلحة بسيطة وكان الأسطول البرتغالي مكوناً من مئتي سفينة مجهزة بالدافع التي أوقعت خسائر فادحة وبعد قتال غير متكافئ انتصر البرتغاليون وكان

ذلك عام ١٥٠٧ . ثم عقدت دولة فارس معاهدة عام ١٥٤٥ سلمت فيها بالسيطرة البرتغالية على هرمز مقابل وقوف البرتغال ضد الدولة العثمانية . وظل الأمر كذلك حتى عام ١٦٢٢ حين ظهرت المنافسة الهولندية - الإنجليزية على المنطقة فاستعان الشاه عباس الصفوي بالعرب واستعادها من البرتغاليين عام ١٦٢٢ بعد أن دمرها وبني في جمبرون بندر عباس بدل هرمز العربية

٣ - صير

يقول بيونير ص ١٢٢ من المجلد الثاني . الباب الحادي والعشرين الفصل الخامس عشر . تمتد إمارة (صير) من رأس (مسندم) على الساحل الشرقي ويطلق الفرس عليها اسم بلاد (جلفار) وهي رأس آخر قرب (مسندم) ثم صار الأوروبيون يطلقون على هؤلاء الناس اسم عرب جلفار . أما العرب فيطلقون عليها (صير) باسم المدينة نفسها التي تتمتع بعرفاً ممتاز وهي مقر الشيخ وكان يمتلك سابقاً جزيرة الشارحة وما يزال يمتلكها . مع بعض الاماكن المهمة على الجانب الآخر للخليج وكذلك كونك ولنعة

٤ - البلوج أو البلوش .

يرجى مراجعة (سوحسان ديار العرب) تأليف معن شناع العجلى الحكاوي ، ١٩٧٩ . وهو بحث عن البلوش وأصلهم العربي

٥ - ديلم

تقع ديلم هذه على الساحل الشرقي للخليج العربي مقابل الكويت وهي ليست الديلم في شمال إيران

٦ - الحولة

قبيلة عربية يلفظها الفرس الهولة .

٧ - الشيخ سليمان

هو سلمان بن سلطان يرجى مراجعة على نعمة الطول الغلاصة . اتفاق عربية عدد ٤ السنة ٧ ص ٢٥

٨ - مولي

مولي أي سيد أو شريف كما يطلق سلالة الرسول الكريم (ص) في مناطق مختلفة من الوطن العربي

٩ - أوال

أوال هو الاسم الذي أطلقه العرب على البحرين أو بالأحرى على جزيرة المنامة . وقد حُرمت الكلمة فاصبحت العوال .

١٠ - لجسة

لجسة هي حجر المعروفة قديماً وتقع بين عمان وحصرموت

١١ - خازك وريق

تلفظان وتكتان خارج أو خرج وريك .

ويراجع رها (جزيرة خارج) تأليف د . مصطفى النجار ود . محمد وصفي ، در سات الخليج والجزيرة الغربية ، العراق ١٩٨٣ .

# المختار من نسخ ابن الجزري

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي  
المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م

دراسة وتحقيق خضير عباس المنشاوي  
مرض : اسامة ناصر النقيشندي

ولم يستطع المحقق ان يعثر على نسخة ثانية للكتاب لذلك نجد ان منهجه في تحقيقه اعتمد على ضبط النصوص في الرجوع الى المصادر المستقاة منها وتدوين اختلافاتها. كما قام المحقق بتنظيم النص وتقطيعه واعادة كتابته بما هو متعارف عليه في السوقت الحاضر، كما انه ترجم للاعلام وعرف بالامكنة وشرح الالفاظ والمصطلحات والمفردات.

لقد قسم المحقق رسالته الى قسمين بعد ان صدرها بمقدمة موجزة وكل قسم جعله على ابواب وفصول .

القسم الاول : ضمنه دراسة تقع في بابين هي :  
الباب الاول : تناول فيه حياة ابن الجزري ونشأته وشيوخه وتحليل موارده دراسية ومصادر ترجمته ومكانته العلمية وآراء العلماء فيه وكذلك تناول حياة شمس الدين الذهبي واهم مؤلفاته والمصادر والدراسات التي تناولته وكتابه ( المختار من تاريخ الجزري ) وقد جعل هذا الباب في ثلاثة فصول .

اما الباب الثاني فخصصه لدراسة كتاب ابن الجزري وجعله في اربعة فصول في موارد الكتاب وانواع تلك الموارد من المشاهدة والملاحظة والمشافهة والمسألة وافادته من الكتب المدونة السابقة واهمية الكتاب وقيمه وأثره في المؤلفين الذين جاؤوا من بعده وراعتوا عليه وقد عدد منهم احد عشر مؤرخا وفي آخر فصل في هذا الباب تناول المحقق وصف القطعتين التي وصلتنا من تاريخ ابن الجزري. القطعة الاولى المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس والقطعة الثانية المحفوظة في مكتبة كوبرلي باسطنبول . كما اشار الى القطع التي نشرت من هذا الكتاب ثم تناول المحقق وصف نسخة كتاب المختار من تاريخ ابن الجزري للذهبي الذي قام بتحقيقه ثم بين منهجه في التحقيق .

اما القسم الثاني فتضمن النص المحقق من الكتاب والذي استغرق ( ٥٠٠ ) صفحة من اصل ( ٥٨٩ ) صفحة وختم الرسالة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها .

راجياً ان يوفق المحقق الى طبع هذا الكتاب الجليل ليكون في متناول الباحثين والمحققين وتعم فائدته

ضمن متطلبات دراسة الماجستير في كلية الاداب بجامعة بغداد هذه الرسالة التي تقدم بها المحقق ونال عليها شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

وهذا الكتاب له اهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاسلامي، رغم انه يتضمن مختارات من تاريخ ابن الجزري الموسوم « بحوادث الزمان وابنائهم، ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائهم » حيث ينقل لنا الذهبي ما فقد من تاريخ ابن الجزري الذي لم تصل الينا منه سوى قطعتين. الاولى، تناولت حوادث واخبار سنة ٦٨٩ هـ ١٢٩٠ م الى بداية ٦٩٩ هـ ١٢٩٩ م والثانية، تناولت حوادث واخبار سنة ٧٢٦ هـ ١٣٢٥ م الى سنة ٧٣٨ هـ ١٣٢٧ م. في حين نرى ان كتاب المختار تضمن حوادث ووفيات من سنة ٥٩٣ هـ ١١٩٦ م الى نهاية سنة ٦٩٨ هـ ١٢٩٨ م اي انه تضمن حوادث (١٠٥) سنوات في حين ان القطعتين من تاريخ ابن الجزري تضمنت حوادث (٢٢) سنة فقط

تم ان قيام مؤرخ الاسلام الامام شمس الدين الذهبي هذا العلم الشامخ من اعلام التاريخ والرجال باختيار الاخبار والوفيات يعني انه لم يترك من تاريخ ابن الجزري من الاخبار المهمة والفوائد النافعة الا ونقلها في مختاره مما يجعلنا نعطي لهذا الكتاب اهمية كبيرة

لذلك نجد ان المحقق عند اختياره لهذا السفر كان موفقا حيث انه اصاب موضعاً دقيقاً من تراثنا الواسع الذي لم يسبقه اليه احد من المحققين. وقدم بذلك للباحثين والدارسين خدمة جلي في انه وضع بين ايديهم مرجعاً مهماً كان في عداد المؤلفات المفقودة

اعتمد المحقق على نسخة فريدة محفوظة في مكتبة كوبرلي برقم (١١٤٧) كتبت بخط الذهبي وهذه النسخة هي بعينها النسخة التي اشار اليها الذهبي في كتابه (تاريخ الاسلام) عند ترجمته لحياة ابن قيس الحراني الزاهد حيث قال : « هو الآن ملك العففي المحدث الاوحد صاحبنا صلاح الدين خليل بن كيكلي الشافعي المذهب، وكما اوضح ذلك المحقق في رسالته .

# عرض الرسائل العلمية الجامعية

## «جرائم التعاون مع العدو في زمن الحرب»

### دراسة مقارنة

رسالة دكتوراه في القانون - جامعة بغداد ١٩٨٤  
تأليف : د. سعد ابراهيم الاعظمي  
اشراف : الاستاذ عبدالامير العيكي - كلية القانون  
والسياسة جامعة بغداد  
عرض : د. فلاح حسن عبدالحسين - جامعة البصرة

ولذلك قسم هذا الباب الى خمسة فصول متوازنة وهي  
١ - الفصل الاول وتناول فيه لمحة تاريخية عن التطور  
التاريخي لجرائم أمن الدولة الخارجى منذ العصور القديمة  
وحتى الحديثة سواء في المجتمعات القبلية منها او التي عرفت  
نوعاً من التنظيم الادارى.

ب - واذا ما انتقلنا الى الفصل الثانى نرى ان الباحث عالج  
بصبر مفهوم أمن الدولة بالمنظور التقليدى والحديث حيث أكد  
« ان مفهوم أمن الدولة في زمن الحرب ومن خلال الحرب  
الدفاعية التي يخوضها العراق قد طرأ عليه تغير كبير في أهدافه  
ومهامه من خلال تشخيص الواقع ومتغيراته وتطوراته في ظروف  
الحرب وتحديه طبيعة التهديدات التي يواجهها القطر وتشخيص  
واقع وأساليب القوى المعادية للثورة .. وسد الفجوات والتغيرات  
التي يمكن لهذه القوى ان تستغلها في تهديد أمن العراق  
واستقراره فالعراق يحارب الاعداء اليوم على الجبهتين الخارجية  
والداخلية وبمختلف الوسائل المشروعة وبذا لم تعد للتقسيمات  
التقليدية بين الأمن الداخلى للدولة وأمنها الخارجى محل  
اعتبار ».

ج - ولذلك لابد من التمييز بين جرائم التعاون مع العدو وما  
يشابهاها من جرائم متنوعة أخرى التي تمس أمن الدولة الداخلى  
والخارجى على السواء كجرائم التجسس وجرائم الاتجار مع  
العدو وهذا ما خصص الباحث الفصل الثالث له .

د - أما في الفصل الرابع فقد ذهب الباحث الى دراسة ذلك  
النوع من الجرائم دراسة مقارنة في التشريع العراقى  
والتشريعات المشابهة في بعض الاقطار العربية والاوربية كما  
اشرت سابقاً حيث لم تختلف تلك التشريعات اختلافاً كبيراً في  
معالجة تلك الجرائم .

هـ - أما في الفصل الخامس فقد تطرق الباحث بشيء من  
التفصيل الى الامور المشتركة لجرائم التعاون مع العدو في فترات  
الحرب ولذلك جراً الباحث هذا الفصل الى قسمين حيث تحدث

تعتبر جرائم خيانة الوطن من الجرائم المهمة التي لازالت  
الدول الحديثة تحاول معالجتها بواسطة التشريعات المتعددة  
لصيانة أمنها الداخلى والخارجى . واذا ما أدركنا ان نوع  
وطبيعة تلك الجرائم نجد ذاتها معقدة ومتطورة في الظروف  
الاعتيادية فكيف تصبح تلك الجرائم في حالة الحرب اذن ؟ من  
هنا تأتى الحاجة الى الباحثين والدارسين في عموم الوطن الكبير  
الى دراسة تلك الجرائم بعمق وصولاً الى الهدف الكبير وهو  
صيانة الأمن القومى العربى . وطالما بقيت الاخطار قائمة في  
الداخل والخارج لهدد ذلك الأمن .

وفي العراق حيث تنهض الثورة باعباء البناء الوطنى  
والاشتراكى . فهي ايضا تخوض حرباً دفاعية للحفاظ على  
المنجزات الكبيرة التي ارسنتها طيلة عقد ونصف من الزمن .  
مسيرة كهذه لابد ان تشير حفيظة الاعداء الذين يدينون بالاراء  
والافكار غير الوطنية والذين يرتبطون بجهات وهيئات مختلفة  
غالباً ما تتمركز خارج الوطن وترتبط بجهات اجنبية متباينة .  
اذن كيف عالج المشرع العراقى جرائم التعاون مع العدو في  
حالة الحرب ؟ من الطبيعى ان هدف تلك الجرائم هو زعزعة  
وتدمير الركائز المادية للدول وبالتالي خلق وضع مضطرب وغير  
مستقر يتناسب وطبيعة ذلك الهدف .

ومن هنا تأتى اهمية بحث الدكتور الاعظمى رغم صعوبة  
وندره مصادره الاولى حيث ركز على بعض الجرائم الهامة  
والرئيسية التي تمس أمن الدولة الخارجى وما يترتب على تلك  
الجرائم من احكام ومعالجات في فترة الحرب ذاتها او عندما  
يكون البلد في حالة حرب وشيكة . بل وذهب الباحث الى ابعد من  
ذلك عندما قارن في الباب الثانى من رسالته بين التشريعات  
العراقية في هذا المجال والتشريعات المشابهة في الدول العربية  
والاوربية الشرقية او الغربية منها .

اشتملت الرسالة على بابين رئيسيين وخاتمة تناول في الباب  
الاول منه الاحكام النظرية والعامّة في جرائم التعاون مع العدو

جـ - جريمة مساعدة العدو على دخول البلاد أو تقديمه فيها حيث تعتبر هذه الجريمة من المساعدات المعنوية التي يقدمها الفاعل إلى العدو في زمن الحرب ، حيث شرح الباحث بالتفصيل الوسائل التي حددها المشروع والتي اعتبر اتباعها بمثابة مساعدة للعدو على دخول البلاد أو تقديمه فيها على اعتبار أن كلا منها يشكل لوحده الركن المادي للجريمة .

د - جريمة تسهيل دخول العدو إلى البلاد أو تسليمه أو التفاوض معه على تسليم جزء من أراضيه ، حيث تعد تلك المساعدة من المساعدات الاستراتيجية العدو . حيث ينصب ذلك التسهيل بالدرجة الأولى على المواقع والمنشآت الاقتصادية والعسكرية وكل ما أعد للدفاع عن البلاد . لقد حدد الباحث المقصود بمعنى التسهيل والتسليم وإمداد العدو بالجند أو الأشخاص أو المال .

هـ - جريمة مساعدة العدو بالموارد البشرية والمالية على جمع الجند والأشخاص والأموال باعتبارها من المساعدات الاقتصادية الهامة لزيادة إمكانات العدو ، ومن المعروف أن الحرب لا يمكن أن تقوم أو تتواصل دون توفر العناصر أعلاه وأي مساعدة تعني تمكين العدو من مواصلة القتال ضد العراق والإساءة إلى وضعه العسكري .

و - وتبقى هناك بعض الجرائم المتفرقة التي خصص الباحث لها الفصل الأخير من الباب الثاني والتي حددها المشروع العراقي بعبارة ( كل من أعان العدو ) لأن صيغ الإعانة قد تكون متطورة طالما أن صيغ الحرب متطورة . ويصعب على المشرع أن يحصرها حصراً دقيقاً ومحدداً .

هذه الدراسة جديدة بالاهتمام لأنها واحدة من الدراسات التي أفرزتها ظروف حربنا العادلة مع النظام الإيراني ولأنها عالجت الجرائم التي قد يرتكبها العراقي وغير العراقي المقيم في العراق ضد أمن الدولة الداخلي والخارجي على السواء

عن الوضع القانوني لحالة الحرب وعناصرها الرئيسية . في القسم الأول حدد معنى حالة الحرب وزمنها وماهية الأعمال العدوانية وانتهاء حالة الحرب وأخيراً الهدنة وموقعها في القانون . أما في الجزء الثاني من الفصل الخامس فقد حاول الباحث أن يحدد نقطة قانونية دقيقة وهي من هو العراقي الذي قد يرتكب جريمة التعاون مع العدو في حالة الحرب ؟ وما هي صفته القانونية ؟ وهكذا درس الأشخاص الذين تنطبق عليهم صفة المواطن العراقية وكيف تكتسب هذه الصفة وكيفية فقدانها ؟ هذه النقطة تثير لنا مسألة أخرى وهي الأحكام العامة للشخص غير العراقي المقيم في العراق والولاء المطلوب منه للعراق في الداخل والخارج وموقف التشريعات ذات السوابق القضائية المعروفة من ذلك .

وإذا ما انتقلنا إلى الباب الثاني من الرسالة فقد اشتمل تحديداً دقيقاً لجرائم التعاون مع العدو وما هيّة تلك الجرائم في زمن الحرب ولاسيما أهمها وأخطرها بحيث اتبع الباحث في كل فصل منهجية واضحة في التحليل والمقارنة للتشريعات العراقية مع التشريعات العربية والاجنبية وموضحاً الأركان المادية والمعنوية لكل جريمة ومن ثم تحديد العقوبة . ومن هذه الجرائم :

أ - جريمة المساس باستقلال البلاد وسلامة أراضيها . درس الباحث التطور التشريعي لهذه الجريمة سواء في التشريع العراقي أو في التشريع المقارن . بعدها تطرق الباحث إلى الأركان المطلوب تحقيقها لاكتمال جوانب هذه الجريمة ومن ثم العقوبات المفروضة على مرتكبيها .

ب - جريمة الالتحاق بصفوف العدو ورفع السلاح ضد العراق وهي في الواقع من أكثر الجرائم لها علاقة بمسألة الولاء والاخلاص للعراق حتى أطلقت عليها بعض التشريعات تسمية ( الخيانة العظمى ) .



# عَرْضُ رِسَالَةٍ "مَاجِسْتِرْ" حزب المؤتمر الوطني الهندي ١٩١٩ - ١٩٣٠ دراسة تاريخية

بقلم :  
كفاح كاظم الخزعلي  
كلية الآداب - جامعة البصرة - نيسان - ١٩٨٣

الطائفية التي شكلت ظاهرة كان لابد من التوقف عندها بما يتلاءم ودراسة جهود المؤتمر الوطني في علاجها خاصة في مجال الاصلاح الدستوري الذي شكل محور سياسة المؤتمر أبان هذه المرحلة .

وفيما يتعلق بالملاحق ، فالأول ترجم لأهم الشخصيات الهندية التي وردت في الدراسة ، والثاني أوضح تاريخ ومكان انعقاد دورات المؤتمر الوطني مع احصائية بعدد الحضور ، والثالث القى الضوء على تركيبة الجمعية التشريعية الهندية والمجالس التشريعية الاقليمية لعام ١٩٢٦ ، والرابع سجل أهم الاحداث الطائفية بين المسلمين والهندوس للفترة ١٩٢٣ - ١٩٢٧ ، كما زودت الدراسة بخريطة توضيحية للهند .

وتوصلت الباحثة في خاتمة دراستها ، الى ان الحزب ، حزب برجوازي وطني تنقصه الابدولوجية الواضحة ، وقد حاول ، يوم كان التنظيم السياسي الوحيد لكل الهند ، ان يعبئ طيلة هذه المرحلة الحكم الذاتي في اطار الامبراطورية البريطانية . كما اكدت الباحثة « بقدر ما كان المؤتمر الوطني يعمل من أجل الاستقلال فقد تحول الى حركة وطنية حقيقية في العشرينات فتحت أبوابها لمختلف فئات الشعب الهندي . وان الانقسامات التي تخللت تنظيمه الداخلي في المرحلة الاخيرة لا تشكل ظاهرة مرضية بقدر ما هي ظاهرة صحية شذبت مسيرة الحزب ، اذ تطور هذا الانقسام ليوجد جناحاً يمينياً يقوده مونيلال نهرو وجناحاً يسارياً تزعمه شبان ذوو آراء متباينة من امثال جواهر لال نهرو الذين نادوا أول مرة بالاستقلال الكامل . وقد حاول غاندي ان يكون بعيداً عن هذه الانقسامات وان يكون بمثابة المحايد بين الآراء المختلفة ، غير ان سرعة تنامي الافكار الراديكالية في نهاية هذه المرحلة كشفت عن موقفه الواضح الى جانب اليمين »

وتكمن أهمية البحث من خلال تنوع مصادر البحث ما بين

حصلت الباحثة بدراستها القيمة هذه على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من كلية الآداب في جامعة البصرة . وفي بداية نالتها اوضحت الباحثة أهمية موضوعها « مما لاشك فيه ان هناك صلة قوية بين مشكلات العرب الاسيوية ومشكلات الشعب العربي عموماً ، وان تجربة أى شعب في العالم الثالث تعد بعد ذاتها نافعة وجديرة بالدراسة ومن هنا كان الاهتمام بهذا الموضوع ، دافعاً للعمل على تذليل مشكلة ندرة المصادر بالسفر الى الاماكن التي تتوفر فيها لتحقيق المشروع » .

وقد جاءت هذه الدراسة محاولة أولى لكتابة تاريخ حزب المؤتمر الوطني الهندي - الذي يتسع لأكثر من دراسة - في حقبة مهمة من تطوره خلال الفترة ١٩١٩ - ١٩٣٠ باللغة العربية ، في الوقت الذي تفتقر فيه مكتبتنا لمثل هذا النوع من الدراسات تتألف هذه الدراسة من مقدمة واربع فصول وخاتمة واربعه ملاحق .

تطرق الفصل الاول الى تطور سياسة المؤتمر الوطني منذ نشأته وحتى عام ١٩١٩ ، حيث تعرض الفصل الى نشأة الحزب ونهجه السياسي مؤكداً على صراع الفئات السياسية داخل التنظيم وموضحاً مواقفها من الادارة البريطانية . كما القت الباحثة الضوء على البدايات الاولى لنشاط غاندي في مجال السياسة الهندية ، الذي تعد ظهوره بمثابة ظاهرة تاريخية أثرت سلباً وايجاباً في قيادة الحركة الوطنية الهندية عموماً والمؤتمر الوطني على وجه الخصوص .

وتناول الفصل الثاني بالبحث والدراسة الظروف التي نقلت المؤتمر نقلة نوعية ليقود أوسع حركة جماهيرية في تاريخ الهند الحديث لمقاومة النفوذ البريطاني .

وعالج الفصل الثالث الازمات وردود الفعل التي اكتنفت سياسة المؤتمر الوطني في اثر فشل حركة عدم التعاون ، وتتبع الانقسامات التي شهدتها الحزب كذلك تصاعد الاحداث

مقدمتها المحاضر السنوية للمؤتمر الوطني . كما اعتمدت الباحثة على المراجع الوثائقية التي تضم وثائق قيمة ومختارة من الارشيفات الهندية . كما رجعت الباحثة الى المذكرات الشخصية لمعاصري الاحداث ، مع عدد ضخم من المراجع باللغة الانجليزية من الكتب والمجلات والصحف . فالبحت دراسة مهمة لا غنى عنها في حقل الدراسات الاسيوية .

الوثائق المنشورة وغير المنشورة والمصادر والمراجع الاجنبية ، وقفت الباحثة فترة ليست قليلة في المكتبات البريطانية في لندن وخاصة مكتبة وزارة الهند ومكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية والمكتبة المركزية لجامعة لندن . فكانت الوثائق البريطانية تضم المراسلات والتقارير والاوراق الخاصة للحكام البريطانيين بالاضافة الى المنشورات الرسمية والاوراق البرلمانية . يضاف الى ذلك منشورات المؤتمر الوطني وفي

## اقليم فارس منذ الفتح العربي حتى ٢١١ هـ

فائق نجم مصلح  
قسم التاريخ / كلية الآداب  
جامعة بغداد

الاسواق والمدن التي تكثر فيها الاسواق، ثم تطرق الى ذكر بعض الجوال التجار الاجتماعية  
اما الفصل الثالث فانه بحث فيه موضوع فتح العرب للاقليم ودخولهم فيه عن طريق البحرين، وتحدث عن دور القادة العرب في تحريرهم وخاصة قادة البصرة، والطرق التي سلكوها ، ثم نظر الى ذكر اشهر المعارك التي وقعت بين العرب والفرس والمناطق التي حررها العرب تبعا لتواريخ الفتح

وفي الفصل الرابع تكلم عن موقف اهل الاقليم من الفتح العربي، وموقف العرب منهم .

اما الفصل الخامس والآخر فانه بحث فيه الجانب الاداري وتطرق الى التقسيمات الادارية فيه ، والى ذكر الولاة الذين حكموا في هذا الاقليم ، كما بحث الاحوال المالية ونظم الخراج والضرائب الاخرى في الاقليم ، وتطرق الى ذكر الدواوين ونظام الجندية والشرطة في الاقليم .

تطرق الباحث الى سبب اختياره لهذا الموضوع ، وبالتحديد لاقليم فارس، وقسم بحثه الى خمسة فصول ، تناول في الفصل الاول فيها ، السطح والمناخ ، ووصف جغرافية الاقليم وطبيعته ، وقسمه وفق ما تعارف عليه الجغرافيون العرب الى خمسة كور او الى ست كور. وقد اضاف بعضهم شيراز الى هذه الاقسام وجعلوها كورة مستقلة وقسم الكور الى مدن ونواح وقرى، وتعرض الى ذكر بعض الرسائل والطاسيح التي كانت غير شائعة في الاقليم والتي اخذ نظامها عن العراق .

اما الفصل الثاني فانه درس فيه الثروات الرئيسية في الاقليم بما في ذلك المنتجات الزراعية ومدى اعتماد الاهالي عليها، ونظام الارواء ، وبحث الجوانب الاقتصادية كالصناعة واشهر الصناعات في الاقليم ، والمدن التي ازدهرت فيها تلك الصناعات والموارد الاولى ، وكيف تمت وتطورت هذه الصناعات .

وتطرق الى التجارة والى اهم الصادرات في الاقليم ، وعن المدن التي ازدهرت فيها التجارة، واشهر الموانئ ثم تعرض الى ذكر



مقدمتها المحاضر السنوية للمؤتمر الوطني . كما اعتمدت الباحثة على المراجع الوثائقية التي تضم وثائق قيمة ومختارة من الارشيفات الهندية . كما رجعت الباحثة الى المذكرات الشخصية لمعاصري الاحداث ، مع عدد ضخم من المراجع باللغة الانجليزية من الكتب والمجلات والصحف . فالبحت دراسة مهمة لا غنى عنها في حقل الدراسات الاسيوية .

الوثائق المنشورة وغير المنشورة والمصادر والمراجع الاجنبية ، وقفت الباحثة فترة ليست قليلة في المكتبات البريطانية في لندن وخاصة مكتبة وزارة الهند ومكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية والمكتبة المركزية لجامعة لندن . فكانت الوثائق البريطانية تضم المراسلات والتقارير والاوراق الخاصة للحكام البريطانيين بالاضافة الى المنشورات الرسمية والاوراق البرلمانية . يضاف الى ذلك منشورات المؤتمر الوطني وفي

## اقليم فارس منذ الفتح العربي حتى ٢١١ هـ

فائق نجم مصلح  
قسم التاريخ / كلية الآداب  
جامعة بغداد

الاسواق والمدن التي تكثر فيها الاسواق، ثم تطرق الى ذكر بعض الجوال التجار الاجتماعية  
اما الفصل الثالث فانه بحث فيه موضوع فتح العرب للاقليم ودخولهم فيه عن طريق البحرين، وتحدث عن دور القادة العرب في تحريرهم وخاصة قادة البصرة، والطرق التي سلكوها ، ثم نظر الى ذكر اشهر المعارك التي وقعت بين العرب والفرس والمناطق التي حررها العرب تبعا لتواريخ الفتح

وفي الفصل الرابع تكلم عن موقف اهل الاقليم من الفتح العربي، وموقف العرب منهم .

اما الفصل الخامس والآخر فانه بحث فيه الجانب الاداري وتطرق الى التقسيمات الادارية فيه ، والى ذكر الولاة الذين حكموا في هذا الاقليم ، كما بحث الاحوال المالية ونظم الخراج والضرائب الاخرى في الاقليم ، وتطرق الى ذكر الدواوين ونظام الجندية والشرطة في الاقليم .

تطرق الباحث الى سبب اختياره لهذا الموضوع ، وبالتحديد لاقليم فارس، وقسم بحثه الى خمسة فصول ، تناول في الفصل الاول فيها ، السطح والمناخ ، ووصف جغرافية الاقليم وطبيعته ، وقسمه وفق ما تعارف عليه الجغرافيون العرب الى خمسة كور او الى ست كور. وقد اضاف بعضهم شيراز الى هذه الاقسام وجعلوها كورة مستقلة وقسم الكور الى مدن ونواح وقرى، وتعرض الى ذكر بعض الرسائل والطاسيح التي كانت غير شائعة في الاقليم والتي اخذ نظامها عن العراق .

اما الفصل الثاني فانه درس فيه الثروات الرئيسية في الاقليم بما في ذلك المنتجات الزراعية ومدى اعتماد الاهالي عليها، ونظام الارواء ، وبحث الجوانب الاقتصادية كالصناعة واشهر الصناعات في الاقليم ، والمدن التي ازدهرت فيها تلك الصناعات والموارد الاولى ، وكيف تمت وتطورت هذه الصناعات .

وتطرق الى التجارة والى اهم الصادرات في الاقليم ، وعن المدن التي ازدهرت فيها التجارة، واشهر الموانئ ثم تعرض الى ذكر

# عمارة القلاع وتخطيطها في شمال العراق

١٠٣٥ - ١٢٨٩ هـ / ١٦٢٥ - ١٨٧٢ م

للسيد سعدى ابراهيم اسماعيل الدراجي  
عرض : الدكتوراة اعتماد يوسف أحمد القصيري

شمال العراق وجنوبه نتيجة ضعف السلاطين وفساد الجهاز الاداري بسبب انشغال السلطة العثمانية في حروبها في اوروبا، ثم تحدث عن عودة الحكم الصفوي للعراق ١٠٢٣ هـ / ١٦٢٢ م والذي استمر حتى سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م ثم استعادة بغداد من ايدي الفرس سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م ونتيجة لهذه الحروب بين الدولتين العثمانية والفرسية في هذه الحقبة الزمنية وكثرة الغزوات الايرانية للمدن العراقية دفعت الى اهتمام العثمانيين باقامة العمارات العسكرية وحسنها الحدود باقامة القلاع والاهتمام بالجيش وتزويده باحدث الاسلحة .

المبحث الثاني : اتى المؤلف في هذا المبحث (ص ٢٢ - ٣٨) على استعراض احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية ووصف مدينة بغداد اسوارها وشوارعها اسواقها بيوتها، كما تحدث عن الهيكل الاقتصادي خلال تلك الفترة والذي كان يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة والصناعة والتجارة واهتمام الولاة بالصناعات الحربية كما اشار الى طرق المواصلات الداخلية والخارجية التي كانت تربط بغداد بالمدن الاخرى .

## الفصل الثاني :

وفي الفصل الثاني (ص ٣٩ - ١٢١) كرس لدراسة القلاع التي لازالت قائمة في مختلف ارجاء القسم الشمالى من العراق مع ذكر خصائصها المعمارية .

قسم الفصل الى ستة مباحث، يضم كل مبحث نموذجاً او اكثر من القلاع ذكرت حسب تسلسلها الزمني ، وفي مقدمة الفصل عرّف لفظة القلعة لغوياً والغرض من اقامتها ، كما اشار الى اقامة القلاع في داخل المدن منها قلعة بغداد والموصل والغرض من اقامتها هو زيادة في تحصين المرافق الحيوية للمدينة منها مقر لاقامة الوالى، دار ضرب النقود، وفرقة عسكرية واجبها المحافظة على الامن اذن القلعة تحتل الصفة العسكرية التي تتصف بها السلطة الحاكمة في المدينة ورمزا لهيئة الجيش .

المبحث الاول : (ص ٤٣ - ٥٨) تحدث فيه عن قلعة باشطابيا وايح قلعة (أى القلعة الداخلية) اشار في هذا المبحث الى القلاع التي اقيمت في العراق قبل الاحتلال العثماني وذكر اهتمام العثمانيين بتلك القلاع

عمارة القلاع وتخطيطها في فترة الاحتلال العثماني لها اهمية خاصة اذ انها تؤلف جانباً مهماً من جوانب العمارة العسكرية كما تشكل ركناً مهماً من اركان الحضارة العربية الاسلامية المتواصلة . والكتاب الذى نعرضه هنا والصادر باللغة العربية هو اول كتاب يدرس تاريخ وعمارة القلاع في العراق فترة الاحتلال العثماني، وهو الاطروحة التى قدمها السيد سعدى ابراهيم اسماعيل الدراجي سنة ١٩٨٥ الى جامعة بغداد بكلية الاداب قسم الآثار وتال بها شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية ويعود سبب اختيار المؤلف هذه الفترة لعلاج عمارة القلاع في شمالى العراق ما بين سنة ١٠٣٥ - ١٢٨٩ هـ لسببين :

الاول - لتوفر وجود القلاع في هذه المنطقة وتشمل محافظات نينوى، اربيل السليمانية، وجزءاً من شمالى منطقة ديالى حيث اثيرت هذه المنطقة دون سواها من مناطق العراق بنماذج من القلاع لازالت قائمة ويعزى بقاؤها الى الوقت الحاضر لاسباب عديدة منها :

١ - كونها قائمة على رؤوس الجبال بعيدة عن ايدي العابثين فضلاً عن طبيعة البناء المستخدمة في المنطقة مما ساعد هذه الابنية على مقاومة العوامل الطبيعية وعوادي الزمن .

٢ - لانها ترتبط باقدم قلعة توفرت عليها الدراسة بالاضافة الى القلاع الاخرى التى شيّدت خلال الفترة المشار اليها. ضم الكتاب مقدمة وثلاثة فصول وخارطة لتعيين مواقع القلاع و (٢) مجسم و (٧٢) صورة فوتوغرافية ملونة صورت من قبل المؤلف اثناء زيارته للموقع و (١٧) رسماً تخطيطياً رسمها بنفسه، وخلاصة (ص ١٦٨ - ١٧١).

وقد خصص المؤلف الفصل الاول من الكتاب لدراسة احوال العراق السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية ما بين سنة ١٠٣٥ - ١٢٨٩ هـ / ١٦٢٥ - ١٨٧٢ م واثرها في نشأة القلاع (ص ٥ - ٣٥) المبحث الاول عالج فيه احوال العراق السياسية والعسكرية (ص ٦ - ٢١) المبحث الثانى تحدث فيه عن احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية (ص ٢٢ - ٣٨).

المبحث الاول : استعرض فيه احتلال الاتراك والصفويين للعراق وما جدت خلال تلك الحقبة الزمنية من الغوصى وحركات انفصالية و

قبل ايران، يرجح تاريخ بناء هذه الابراج الى عهد الوالي مدحت باشا وبين هذه الابراج قلاع صغيرة تشرف وتدير هذه الابراج منها قلعة، الشيخ بابا (ص ١٠٧) وقلعة برلوت، ووصف تخطيط وعمارة القلعة وأهم ما فيها من عناصر معمارية بارزة منها السور، الابراج، المزاغل، المدخل.

المبحث السادس : أما المبحث السادس فقد خصصه لدراسة قلعة بانمان (ص ١١٦ - ١٢١) الواقعة قرب قرية بانمان التابعة لمدينة اربيل بنيت من قبل محمد باشا الراوندوزي الذي سيطر على المنطقة في النصف الاول من القرن التاسع عشر ذكر أهمية هذه القلعة من الناحية العسكرية ووصف المبنى وبعض العناصر المعمارية البارزة فيها على غرار وصفه لبناء القلاع السالفة الذكر، منها وصف الابراج، المزاغل، المدخل.

### الفصل الثالث :

في هذا الفصل استعرض المظاهر العسكرية والعناصر المعمارية التي وجدت قائمة في بناء القلاع السالفة الذكر.

المبحث الاول : استعرض فيه اختيار الموقع الاستراتيجي في بناء القلاع الداخلية (ص ١٢٣ - ١٢٧) القائمة داخل المدن والقلاع التي بنيت خارج المدن لحماية طرق المواصلات والتجارة وأشار الى أسباب إقامة القلاع

- ١ - لحماية المواصلات والتجارة .
- ٢ - حماية الممرات المائية منها قلعة الموصل، بغداد، الرنة، العجوزة .
- ٣ - قلاع تتخذ من قبل الزعامات المحلية تقوم في محلات نائية منها قلعة يوكد .
- ٤ - قلاع اتخذت مقراً للامراء والاقطاعيين منها قلعة امدم في راوندوز

- ٥ - تقوم على الطرق العسكرية لتقديم الخدمات الى الجيش
- ٦ - تبني على الحدود لرصد تحركات الاعداء وتعتبر هذه القلاع خطاً دفاعياً أولياً للجيش .

المبحث الثاني السور (ص ١٢٨ - ١٣٢)، استعرض تاريخ ظهور السور في بناء المدن بغض النظر عن وظيفته وأنواعه وأشار الى اقدم نظام دفاعي في العراق عثر عليه في موقع تل الصوان ويأرم شبه شمال العراق.

المبحث الثالث : الابراج (ص ١٣٣ - ١٣٩) اتى في المبحث الثالث على تأصيل هذا العنصر المعماري الهام والذي يعتبر احدى المظاهر العسكرية المهمة في بناء القلاع.

المبحث الرابع : (ص ١٤٠ - ١٤١) اما المبحث الرابع فقد تحدث فيه عن المزاغل، الذي هو احد عناصر العمارة العسكرية وأهم مقوماتها الاساسية في الدفاع .

المبحث الخامس : خصص لدراسة المدخل وأشار الى اختلاف شكل المدخل تبعاً لوظيفة القلعة وأهميتها ومواد بنائها (ص ١٤٢ - ١٤٦)

المبحث السادس : الفناء (ص ١٤٧ - ١٤٨) أوصح في هذا المبحث أهمية الفناء بالنسبة لبناء القلعة وفوائده. واتى المؤلف في المبحث السابع على تأصيل الايوان في العمارة العراقية والعربية (ص ١٤٩ -

وترميم بعضها وادخال التحسينات على البعض الآخر، كما بنوا قلاعاً جديدة ذات صفة عسكرية بحتة والموصل كانت من بين تلك المدن التي حظيت باهتمامهم. تحدث عن تجديد بناء اسوارها وحصونها وبناء القلاع فيها واستعرض بناء قلعة باشطابيا والاحداث التي جرت عليها خلال مختلف العصور مستعيناً بالصور والخرائط (ص ٥٠ - ٥٣) .

القلعة الداخلية (ص ٥٤ - ٥٧) التي شيدها الوالي بكر باشا بن اسماعيل بن يونس الموصل الذي تولى اياه الموصل ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م ظلت هذه القلعة قائمة الى بداية القرن العشرين حيث ازيلت اسوارها واعتد صاحب البحث في وصفه لها على ما اشار اليه المؤرخون العرب والرحالة الاجانب منهم ناقريته اثناء زيارته للعراق سنة ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م والرحالة نبور سنة ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م والرحالة بكنفهام سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م مستعيناً بمخطط زودنا به الرحالة نبور .

المبحث الثاني : (ص ٥٨ - ٧٠) قلعة اسكي موصل الواقعة، في قرية اسكي موصل في محافظة الموصل، في هذا المبحث قدم لنا وصفاً شاملاً لتخطيط القلعة معتمداً على تخطيط رقم (٥) قام برسمه الباحث ووصف ما تبقى من المبنى منه سور الابراج، المزاغل (ص ٦٢ - ٦٤) المدخل، الفناء، ومن سير الحديث ومن الصور يعتبر الجناح الشمالي من بناء القلعة من اصلح الاجنحة المتبقية من القلعة ولوحظ ان الجانب الغربي من القلعة مشابه للجانب الشرقي .

المبحث الثالث : قلعة دوكان ويؤكد (ص ٧١ - ٨١) للتشابه الكبير بين القلعتين في جميع التفاصيل المعمارية قام الباحث بدراسة قلعة دوكان وقارنها بالثانية مع ذكر الاختلافات القائمة بينهما والقلعتان هما من بناء محمد باشا الراوندوزي في مطلع القرن التاسع عشر والقلعة في الوقت الحاضر بحالة سيئة تهدمت معظم اقسامها .

وصف بناء القلعة (ص ٧٣ - ٨٢) سورها الخارجي، ابوابها المزاغل، المدخل، كما زودنا بوصف دقيق للطابق الارضي والعلوي للقلعة، وذكر أهم المميزات المعمارية التي تميزت بها عمارتها مستعيناً بالصور والتخطيطات من رسم وتصوير الباحث

المبحث الرابع : قلعة كويسنجق (ص ٨٢ - ١٠٥) يرجع تاريخ بنائها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي خلال فترة حكم الوالي مدحت باشا ١٨٦٩ - ١٨٧٢ عالج الباحث في هذا المبحث بناء القلعة ووصف الوحدات السكنية القائمة في الطابق الارضي والعلوي وذكر مميزات بناء القلعة منها احتواء القلعة على مسجد للصلاة يقوم في نهاية الجناح الجنوبي .

ب - جميع مرافقها سقفت باقنية نصف اسطوانية.

كما اشار الى المبنى التي ازيلت من القلعة منها الجناح الغربي الذي ازيل في الآونة الاخيرة .

المبحث الخامس : (ص ١٠٥ - ١١٥) استعرض القلاع والابراج القائمة على نهر ديال تنحصر بين قضاء جلولا ودرينديخان حيث اقيمت عدة ابراج اسطوانية تتخللها قلاع صغيرة وأشار الى سبب إقامة هذه الابراج منها الاعتداءات الايرانية طيلة فترة الاحتلال العثماني للعراق لذا سعى الولاة لتحسين هذا الطريق باقامة عدة ابراج ويذل شكلها على وظيفتها كنقاط سيطرة ومراقبة لتأمين حماية القوافل التجارية او نقاط اذار مبكر اذا ما حصل تحرك عسكري من

خلال الفترة الزمنية التي بحثها السيد سعدي كانت قليلة لا تتناسب واهمية فن العمارة العراقية خلال تلك الحقبة الزمنية. كما ظلت هذه القلاع دون دراسة علمية شاملة استطاع الباحث ولاول مرة توثيق هذه القلاع بالمخططات والصورة حفاظاً على تراث الامة من الضياع كما استطاع ان يحدد تاريخ بناء بعضها معتمداً على الروايات وعلى مقارنتها بمثيلاتها من الناحية المعمارية، وبهذا فقد وثّق لنا جانباً مهماً من التراث المهدد بالزوال ولهذا فان ما قدمه المؤلف يشكّل اضافة علمية قيمة في ميدانها واعطى صورة موضوعية واضحة لعمارة القلاع في فترة الاحتلال العثماني .

الدكتورة اعتماد يوسف القصيري  
باحث علمي المؤسسة العامة للآثار

١٥٢). وفي المبحث الثامن اصل الحجرة والغرفة ثم اتى في المبحث التاسع على تأصيل بعض العناصر المعمارية المهمة منها العقد، القبو (ص ١٥٥ - ١٦٠) وفي المبحث العاشر اصل القبة مع ذكر اقدم الامثلة لها في العمارة العراقية، اما المبحث الحادي عشر (ص ١٦١ - ١٦٢) فقد تحدث فيه عن مرابط الحيوانات في القلاع واتي في المبحث الاخير الثاني عشر بالحديث عن السلم واستعماله في العمارة القديمة . واختتم الباحث بحثه بالخلاصة (ص ١٦٨ - ١٧١) ذكر فيها اهم النتائج التي توصل اليها في دراسته لهذه القلاع من الناحية المعمارية واستعرض دوافع بناء القلاع .

الصفات الاساسية التي تتصف بها جميع القلاع التي ورد ذكرها في الفصل الاول والثاني من حيث التخطيط والشكل العام فقد اشتركت جميع القلاع بعناصر معمارية ان الدراسات والمعلومات المعروفة عن القلاع التي اقيمت في العراق



# نشاطات الاتحاد

## أ - تشكيلات الاتحاد في مجال النشر

### أولاً : الهيئة العربية العليا لكتابة تاريخ الأمة العربية :

١	الدكتور محمد عدنان البخيت	ممثل	مشروع كتابة تاريخ بلاد الشام المملكة الأردنية الهاشمية
٢	الدكتور عبدالجليل التميمي	ممثل	مشروع كتابة التاريخ العثماني الجمهورية التونسية
٣	الدكتور عبدالرحمن الأنصاري	ممثل	كتابة تاريخ الجزيرة العربية المملكة العربية السعودية
٤	الدكتور سيه عاقل	ممثل	لجنة كتابة تاريخ العرب الجمهورية العربية السورية
٥	الدكتور سلمان سعدون البدر	ممثل	هيئة كتابة تاريخ الأمة دولة الكويت
٦	الدكتور صالح احمد العلي	ممثل	هيئة كتابة تاريخ الأمة العربية الجمهورية العراقية
٧	الدكتور محمد الطاهر الجراري	ممثل	مؤتمر كتابة تاريخ الأمة العربية الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

### ثانياً : لجنة تعضيد المنشورات التاريخية :

- ١ - الدكتور فاضل عبد الواحد (رئيساً)
- ٢ - الدكتور حسن فاضل زعين
- ٣ - الدكتورة رجاء حسنى الخطاب
- ٤ - الدكتورة صباح ابراهيم الشبخلى
- ٥ - الدكتور عبد الأمير عبد دكسن
- ٦ - الدكتور فاروق عمر فوزى
- ٧ - الدكتور هاشم صالح التكريتى
- ٨ - الدكتور يحيى الشاهرلى
- ٩ - الدكتور محمد جاسم حمادى المسهدانى (مقرر)

### ثالثا : اللجنة الاستشارية للمنشورات التاريخية :

١	الدكتور صالح الحمارنة	المملكة الأردنية الهاشمية
٢	الدكتور سلطان القاسمي	دولة الامارات العربية المتحدة
٣	الدكتور عبدالله سبت	دولة البحرين
٤	الدكتور محمد الهادي الشريف	الجمهورية التونسية
٥	الدكتور محمد البشير شتيقي	الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
٦	الدكتور يوسف الثقفي	المملكة العربية السعودية
٧	الدكتور تاج السر أحمد	جمهورية السودان الديمقراطية
٨	الدكتور عادل زيتون	الجمهورية العربية السورية
٩	الأستاذ محمد علي كريم	جمهورية الصومال
١٠	الدكتور ابراهيم خليل احمد	الجمهورية العراقية
١١	السيد علي احمد الشنفرى	سلطنة عمان
١٢	السيد احمد العناني	فلسطين
١٣	الدكتور حسن محمد صالح	دولة قطر
١٤	الدكتور عبدالمالك التميمي	دولة الكويت
١٥	الدكتور عمر عبد السلام تدمري	الجمهورية اللبنانية
١٦	الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن	جمهورية مصر العربية
١٧	الدكتور محمد المختار بن زيان	جمهورية موريتانيا الاسلامية
١٨	الدكتور عبد الهادي التازي	المملكة المغربية
١٩	الدكتور احمد العامري	الجمهورية العربية اليمنية
٢٠	الدكتور محمد عكاشة	جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

### ب - نشاطات الاتحاد في مجال النشر :

#### أولا - الكتب :

قام الاتحاد بنشر الكتب التالية

- ١ - كتاب يوميات البصرة بجزئين تأليف الدكتور مصطفى عبد القادر النجار والدكتور الأمير محمد أمين (بيروت ١٩٨٠) باللغة الانجليزية .
- ٢ - بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (بغداد ١٩٧٩) باللغة الانجليزية والعربية واشرف على اعدادها الدكتور هاشم التكريتي والدكتورة عالية سوسة .
- ٣ - الحركة الصهيونية في تونس من الفترة ما بين (١٩١١ - ١٩٢٧) تأليف الأستاذ التيمومي (بيروت ١٩٧٩) .
- ٤ - نشأة الحركة الأباضية الدكتور عوض خليفات (عمان ١٩٧٨)
- ٥ - ملامح النهضة العلمية في العراق من القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٢٤ هـ - ٤٤٧ هـ) (١٤٥ هـ - ١٠٥٨ م) للدكتور محمد حسين الزبيدي (بيروت ١٩٨٠) .
- ٦ - ديوان جواهر الملوك في مدياح الملوك ، للشاعر هلال بن سعيد بن عرابة العماني تحقيق الدكتور داود سلوم (بيروت ١٩٧٩)
- ٧ - القبائل العربية في المشرق خلال العهد الأموي (٤٠ - ١٣٢ هـ / ٦٠٠ - ٧٤٩ م) للدكتور ناجي حسن (بيروت ١٩٨٠)
- ٨ - حضارات الوطن العربي كخليفة للمدينة اليونانية للدكتور سامي

#### ثانيا : الجلسة :

قام الاتحاد باصدار مجلة تاريخية علمية وهي (مجلة المؤرخ

- ٥ - الدول الكبرى والقضية الفلسطينية ١٨/٢/١٩٨٥  
٦ - المستنصرية مدرسة وجامعة (بالاشتراك مع الجامعة المستنصرية) ٤/٥/١٩٨٥  
٧ - حركة مايس ١٩٤١ ٢/٥/١٩٨٥  
٨ - تطور الفكر العربي القومي (اتحاد المؤرخين العرب ، بالاشتراك مع مركز دراسات الوحدة العربية ، والمجمع العلمي العراقي ، ومركز البحوث والدراسات العربية) ٨ - ١٠/٥/١٩٨٥  
٩ - الندوة العلمية الأولى لمدرء تحرير المجلات الانسانية ٢٧/٦/١٩٨٥

العربي) تحتوى على النتائج العلمية الحيدة للمؤرخين والباحثين العرب .  
ان الاتحاد يعتزم تطوير مجلة المؤرخ العربي وجعلها اكثر ملاءمة مع تطور الدراسات والمفاهيم العلمية ، وقد تم الى الآن اصدار (٢٥) جزءا من المجلة اعتبارا من سنة ١٩٧٥ تاريخ صدور العدد الاول ولحد الآن (١٩٨٥) وهو تاريخ صدور العدد الخامس والعشرين .  
علما ان الاعداد السادس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين تحت الطبع

#### ب - المؤتمرات والندوات التي ينوي الاتحاد عقدها حتى نهاية عام ١٩٨٥ :

- ١ - البطل في التاريخ بالاشتراك مع وزارة الثقافة والاعلام ١٠ (او) ١١/١٩٨٥  
٢ - الاسطورة بين الواقع والخيال في حضارة العراق ١٩٨٥  
٣ - الحضارة العربية الاسلامية ١٩٨٥  
٤ - الاسلام والقومية ١٩٨٥  
٥ - المستشرقون والتاريخ العربي ١٩٨٥  
٦ - التحدى الشعبى للامة العربية (بالاشتراك مع نقابة المعلمين) ١٩٨٥

#### من نشاطات الاتحاد في مجال الندوات والمؤتمرات اعتبارا من ١/٩/١٩٨٤

- اولا : المؤتمرات والندوات التي نظمها وسينظمها الاتحاد  
١ - المؤتمرات التي تم عقدها خلال العام الدراسي الحالي .  
١ - ندوة تأصيل المقام العراقي تاريخيا بغداد ١ - ٩/١٠/١٩٨٤  
٢ - الشهيد في التاريخ العربي الاسلامى بغداد ١/١٢/١٩٨٤  
٣ - المخطوطات والتراث ٢٢/١٢/١٩٨٤  
٤ - مكانة الاسير في التاريخ العربي الاسلامى ٨/١/١٩٨٥ ١٩٨٥

#### ت - المؤتمرات التي ينوي الاتحاد المشاركة فيها حتى نهاية عام ١٩٨٥

م	اسم المؤتمر او الندوة	مكان الانعقاد	الجهة المنظمة	التاريخ
	ندوة حول ثورة أكتوبر والعالم	شتوتجارت / المانيا الاتحادية	معهد البحث العلمى السوفياتى	٩٨٥/اب
٢	الاجتماع السادس عشر لمؤتمر العلوم التاريخية الدولي	شتوتجارت / المانيا الاتحادية	المنظمة العالمية للعلوم التاريخية	٥ / ٢ / ٨ - ١٩٨٥/٩/١
٣	الحلقة الدراسية في ادارة وتطوير معاهد التعليم التقنى العربية / بغداد	بغداد	الاتحاد العربى للتعليم التقنى / الامانة العامة	٥ / ٢ / ٩ - ١٩٨٥/١٠/٢
٤	افريقيا المحررة (بمناسبة مرور مائة عام على مؤتمر برلين حول تقسيم افريقيا (١٨٨٤)	جمهورية اتيوبيا	وزارات الاعلام الافريقية	٧/١١/١٩٨٥
٥	ندوة الموانئ في الخليج العربى	بغداد	مركز علوم البحار في الخليج العربى / جامعة البصرة	١٤/١٦/كانون الثانى ١٩٨٥
٦	ندوة الوحدة العربية تجاربها وتوقعاتها	جامعة صنعاء	مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة صنعاء	١٧ - ١٢/٢/١٩٨٦

## ثانيا : المؤتمرات العربية والعالمية التي شارك ويشارك بها الاتحاد

### أ- المؤتمرات والندوات التي شارك فيها الاتحاد خلال العام الدراسي الحالي :

م	اسم المؤتمر أو الندوة	مكان الانعقاد	الجهة المنظمة	التاريخ
١	مؤتمر الثروة النفطية وأثرها على السياسة العربية المعاصرة	ولاية نيوجيرسي الأمريكية	جامعة روجر	أب ١٩٨٤
٢	ندوة الحوار العربي الأوربي	ميلانو ، كاديانابا ايطاليا	المعهد الدولي العالمي التابع لمؤسسة كونراد ايناور	٢٥ / ١١ - ١٩٨٤/١٢/١
٣	الاجتماع الثالث للتنسيق بين الامانة العامة / الجامعة العربية / الادارة العامة لشؤون الاعلام والمنظمات والاتحادات العربية	تونس مقر جامعة الدول العربية	جامعة الدول العربية / الادارة العامة لشؤون الاعلام	٩ - ١٠ / ٢ / ١٩٨٥
٤	المؤتمر الثالث للعلاقات العربية التركية	جامعة اليرموك	جامعة الأردن / جامعة اليرموك / جامعة مؤتة	٢٠ - ٢٥ / ٤ / ٨٥
٥	ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي	سلطنة عمان	مكتب التربية لدول الخليج العربي	١٥ / ١٧ شعبان ١٤٠٥
٦	اجتماعات الدورة (٤٢) للجنة الدائمة للاعلام العربي	تونس / مقر الجامعة العربية	جامعة الدول العربية / الادارة العامة لشؤون الاعلام	٢٩ - ١٩٨٥/٦/٣٠
٧	الدورة العادية (٢١) لمجلس وزراء الاعلام العربي	تونس / مقر الجامعة العربية	جامعة الدول العربية الامانة العامة لشؤون الاعلام	٢ - ٣ / ٧ / ١٩٨٥
٨	اجتماع الامانة العامة للخليج العربي والجزيرة العربية	جامعة صنعاء	مركز البحوث اليمني	١٩٨٥ / ٧ / ٥
٩	اجتماعات الدورة (٢٧) للمجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	تونس / مقر الجامعة العربية	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والامانة العامة للمجلس التنفيذي والمؤتمر العام	١ - ٩ / ٧ / ١٩٨٥
١٠	الدورة التدريبية العربية في طرق التدريس واستخدام التقنيات التربوية	قابس / تونس	الاتحاد العربي التقني بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التونسية	٨ / ٦ - ١٢ / ٧ / ١٩٨٥



بسم الله الرحمن الرحيم  
« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير »  
صدق الله العظيم

## المعقود في مدينة السلام بغداد في الفترة من : ٢-٥ شعبان ١٤٠٥ هـ - ٢٤-٢٥ نيسان ١٩٨٥ م

وكان السيد رئيس الجمهورية قد اناب عنه السيد عزة ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في افتتاح المؤتمر ، فالقى نيابة عن سيادته خطاباً اتخذ المؤتمر وثيقة من وثائق أعماله . وقد تضمن الخطاب الترحيب بالسادة العلماء المؤتمرين باسم العراق قيادة وشعباً وتمنى للمؤتمرين النجاح والتوفيق في ما يسعون اليه من خير المسلمين وعزمهم ، وشرح موقف العراق واستعداده الدائم لاحتلال السلام والوثام وحقق الدماء وحسن الجوار بين الشعبين المسلمين الجارين العراق وايران . واستمع المؤتمرين الى الآراء والدراسات والمناقشات المستفيضة طوال الايام الاربعة بقلوب واعية ونفوس صادقة مخلصة ، واوفوا جوانب هذا الموضوع بحثاً ودراسة وتفصيلاً وانتخبوا لجنة لصياغة البيان الختامي والقرارات مؤلفة من السادة الاعضاء الآتية اسماؤهم :

- ١ - العلامة الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر - مصر .
- ٢ - العلامة الشيخ عبدالفتاح ابو غدة - سوريا .
- ٣ - العلامة الشيخ اسعد مدني - الهند .
- ٤ - العلامة السيد محمد رضا المجتهد - باكستان .
- ٥ - العلامة الدكتور عبدالرزاق اسكندر - باكستان .
- ٦ - العلامة الدكتور السيد موسى الموسوي - امريكا .
- ٧ - العلامة السيد عدنان البكاء - العراق .
- ٨ - العلامة الشيخ محمد ابراهيم شقرة - الاردن .
- ٩ - العلامة الشيخ عمران رشادي - اندونيسيا .
- ١٠ - الاستاذ الدكتور بشار عواد معروف - العراق .

وفي ختام جلسات المؤتمر أعرب المؤتمرين عن جزيل شكرهم وعظيم تقديرهم للرعاية التي اولاهها السيد الرئيس صدام حسين للمؤتمر وتفويضه المسبق لهم للمرة الثانية ، وعن امتنانهم لكرم الضيافة وحسن التنظيم في ادارة اعمال المؤتمر ، واجبن من الله

عقد علماء المسلمين ومفكرهم في مدينة السلام بغداد مؤتمرهم الاسلامي الشعبي الثاني في المدة من ٢ - ٥ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٢ - ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٨٥ م شارك فيه اعضاء المؤتمر الاسلامي الشعبي الاول ، وانضم اليهم نخبة فاضلة جديدة من كبار علماء المسلمين المتألفين في العلم والورع وتحمل المسؤولية التي فرضها الله عليهم ، فبلغ عدد المشاركين اكثر من ثلاثمائة شخصية دونت اسماؤهم في ملحق خاص ، وتدارسوا الحثيات والوقائع الخاصة بالحرب العراقية الايرانية وما دار حولها في المؤتمر الاول ، والوقائع الجديدة التي تكتشفت لهم طوال مدة السنتين الماضيتين : من قيام النظام الايراني بهجمات شرسة قصد منها احتلال العراق واذلال شعبه ، ولم يقف عند حد على الرغم من الخسائر الهائلة التي تكبدها ، بل انه اليوم يعد لهجوم كبير يتضح من تحشيد لقوات كبيرة في المناطق الحدودية استعداداً لهذا الهجوم ، مما يعد دليلاً على نياته المستمرة في احباط كل فرصة للسلام كان آخرها مسعى الامين العام للأمم المتحدة منذ اسبوعين حينما زار البلدين ووجد كل استجابة من العراق ، وكل رفض من النظام الايراني للحل الشامل .

وقد حضر السيد الرئيس صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية احدى جلسات المؤتمر والقى كلمة رحب فيها بالحاضرين وابدى موافقته من موقع المسؤولية الاولى على ما يقرره اعضاء المؤتمر في كل شأن يتعلق بهذه الحرب ، ايماناً منه بأن كل ما يقرره علماء الاسلام فيه الخير للاسلام والمسلمين وانه يلتزمه . وبهذا عبر سيادته مرة أخرى عن ثقته الكاملة بعلماء الامة وتفويضه اياهم ، مما حمل المؤتمرين على تقديم اسمى ايات الشكر له والثناء عليه والدعاء الى الله سبحانه ان يحفظه ويرعاه .

عز وجل الفرج القريب وزوال هذه المحنة عن الاسلام والمسلمين .

وقد احس المؤتمرين بفداحة الاخطار التي تسببها هذه الحرب الضروس للشعبين العراقي والايرائى خاصة ، وللشعوب الاسلامية عامة ، وتدارسوا ما بذل من جهود دولية عالمية واسلامية ، رسمية وشعبية ، لاطفاء نيران هذه الحرب المستعرة منذ قرابة خمس سنوات ، واستعرضوا :

#### أولاً - الجهود الدولية العالمية :

١ - مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .  
أصدر مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة مجموعة قرارات وتوصيات في اوقات متفاوتة دعت الى الاحتكام الى قواعد القانون الدولي وانهاء الحرب بالطرق السلمية وافق عليها العراق دون تحفظ ورفضها النظام الايراني جملة وتفصيلاً وهي :  
١ - قرار مجلس الأمن المرقم (٤٧٩) في ٢٨ / ايلول سبتمبر / ١٩٨٠ وهو قرار حظي بموافقة العراق وقوبل بالرفض من جانب الحكومة الايرانية .

٢ - القرار (٥١٤) لسنة ١٩٨٢ دعا الى وقف اطلاق النار وانهاء جميع العمليات العسكرية وانسحاب القوات الى الحدود المعترف بها دولياً .

٣ - قرار مجلس الأمن المرقم (٥٢٢) في ٤ / تشرين الاول / اكتوبر / ١٩٨٢ وهو قرار يشجب اطلاقا وتصعيد الصراع بين البلدين ، ويدعو الى وقف الحرب . وقد سجل مجلس الأمن في هذا القرار ترحيبه باستعداد العراق للتعاون في تنفيذ القرارات رقم (٥١٤) في ١٩٨٢ الانف الذكر .

٤ - قرار مجلس الأمن رقم (٥٤٠) في ٣١ / تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٣ وهو قرار يدعو الى الوقف الفوري لجميع العمليات العسكرية الموجهة ضد الاهداف المدنية بما في ذلك المدن والمناطق السكنية ويؤكد على حق حرية الملاحة والتجارة في المياه الدولية ويدعو جميع الدول الى احترام هذا الحق ويهيب بالبلدين المتحاربين ان يوقفا فوراً جميع الاعمال العدائية في منطقة الخليج بما في ذلك جميع الموانئ التي لها منفذ مباشر او غير مباشر الى البحر ، وان يحترما السلامة الاقليمية للدول الساحلية الاخرى .

٥ - قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٢ / تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢ وهو قرار أكد ضرورة التوصل الى وقف فوري لاطلاق النار وانسحاب القوات الى الحدود الدولية كخطوة أولى نحو تسوية النزاع بالوسائل السلمية وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي .

ب - مؤتمر قمة دول عدم الانحياز في نيودلهي سنة ١٩٨٣ :  
وهو مؤتمر حضره العراق وايران ، واقترح العراق فيه تشكيل لجنة للتحكيم تتولى مهمة تحديد مسؤولية الطرف البادئ

بالحرب وتحديد المسؤولية عن الاستمرار فيها طوال هذه المدة . ولكن ايران بادرت برفض هذا الاقتراح . هذا فضلاً عن جهود دولية وشخصية عالمية كثيرة لم تلق من النظام الايراني غير التعنت والرفض .

وقد قبل العراق كل هذه القرارات ، ورفضها النظام الايراني .

#### ثانياً - الجهود الاسلامية الرسمية :

١ - مؤتمر القمة الاسلامي في مكة والطائف ، سنة ١٩٨١ .  
وقد دعا اليه ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، واستجابوا للدعوة باستثناء ايران التي قاطعتها . وقد حضر الرئيس صدام حسين هذا المؤتمر وفوض الملوك والرؤساء المجتمعين اتخاذ ما يرونه من قرارات لانهاء هذه الحرب ، واعلن مسبقاً التزامها بها ، كما اقترح سيادته تأليف لجنة لتقصي الحقائق حول من الذي بدأ الحرب .

وقد انتهى المؤتمر الى تأليف لجنة المساعي الحميدة من عدد من رؤساء الدول للاتصال بالطرفين المتنازعين لفض النزاع بما يحفظ حقوق الطرفين .

وقامت اللجنة بمهمتها لدى الطرفين ولكن مساعيها فشل بسبب رفض ايران الاستجابة لمبدأ الصلح واصرارها على الاستمرار في الحرب .

ب - مؤتمر القمة الاسلامي الرابع في الدار البيضاء بالمغرب سنة ١٩٨٤ .

وقد شارك فيه ملوك ورؤساء الدول الاسلامية وحضره العراق وقاطعته ايران . وقد سجل المؤتمر شكره للعراق على استجابته لجهود لجنة المساعي الحميدة . وقد اعاد العراق عرضه بتأليف لجنة تحكيم حيادية لتحديد مسؤولية البادئ بالحرب والمسؤول عن استمرارها .

ج - مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الخامس عشر في صنعاء سنة ١٩٨٤ :

وقد حضره وزراء خارجية الدول الاسلامية ، ومنها ايران والعراق وقد طالب المؤتمر الطرفين بالوقف الفوري للحرب . فاعلن العراق قبوله في حين اعلن وزير خارجية ايران علي أكبر ولايتي رفض ايران وقال : انه لا طريق الا الحرب .

#### ثالثاً - الجهود الاسلامية الشعبية :

١ - مؤتمر كولومبو - ١٩٨٢ .

عقد مؤتمر العالم الاسلامي ندوة اسلامية في كولومبو في سريلانكا اتخذ المؤتمر فيها قراراً بضرورة وقف الحرب واللجوء الى الصلح ، وتوجهت لجنة منهم برئاسة الدكتور معروف الدواليبي الى ايران واجتمعوا برئيسها علي خامنئي ثم اجتمعوا برئيس العراق السيد صدام حسين ، ولكن جهود اللجنة باءت بالفشل اخيراً بسبب تعنت ايران .

ب - المؤتمر الاسلامي الشعبي الاول ببغداد ١٩٨٢ :  
وقد حضره نخبة كبيرة من علماء ومفكرى العالم الاسلامي واتخذوا قرارات مؤصلة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والفوا من بينهم لجنة للسلام واصلاح ذات البين للاتصال بالبلدين باءت جهودها بالفشل بسبب رفض ايران استقبال اللجنة كما سيأتى بيانه لاحقا  
ج - الندوة الاسلامية العالمية في اسلام اباد - الباكستان ١٩٨٤ .

عقدت هذه الندوة تحت شعار « السلام والتضامن لخدمة السلام » برعاية الرئيس الباكستاني الجنرال ضياء الحق ، وقد شارك فيها العراق بوفد كبير بينما رفضت ايران المشاركة فيها . وقد دعت الندوة الى انتهاء هذه الحرب وندد العلماء المشاركون فيها باستمرارها . وقد أعلن العراق عن استعداده للاستجابة لندائها . ورفضت ايران كل ذلك .

د - الندوة الاسلامية العالمية في دكار في السنغال ١٩٨٥  
اقام اتحاد الجمعيات الاسلامية في السنغال ندوة عالمية حضرها عدد كبير من ممثلى الدول والهيئات الاسلامية الشعبية وشارك فيها العراق . وقد قدرت الندوة وشكرت للعراق موقفه واستجابته لكل نداءات الصلح ، ووجهت نداء الى النظام الايراني طالبته فيه وقف الحرب والدخول في المفاوضات والنزول على حكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلم يحظ هذا النداء الاسلامي من النظام الايراني باستجابة او سماع . ان هذا المؤتمر الاسلامي الشعبي الثانى هو امتداد للمؤتمر الاسلامي الشعبي الاول المعقود ببغداد سنة ١٩٨٢ والذي ناقش موضوع الحرب الايرانية العراقية على أساس من هدى كتاب الله في قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

وحضر السيد الرئيس صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية احدى جلسات المؤتمر واعلن موافقته المسبقة على كل قرار يتخذه المؤتمر بقوله

« اقول مسبقا باننا نوافق على كل قرار تتخذونه في هذا المؤتمر » ، مما يسر على المؤتمرين العمل وهياً لهم مزيداً من الثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية الاسلامية ، فاتخذوا في ختام اعمالهم ومناقشتهم القرارات الاسلامية التالية :

١ - ان الحرب الدائرة رحاها بين ايران والعراق تغضب الله سبحانه وان استمرارها مخالف لشريعته القائمة على الاخوة الاسلامية الجامعة ، وهو يهدد بنزول اوخم العواقب على المسلمين جميعا

٢ - قرر دعوه قيادتى ايران والعراق ، الى وقف القتال بينهما

فوراً والعودة الى حدودهما الدولية ، وذلك امتثالاً لأوامر الله تعالى ورعاية لمصالح العباد في الوطنين ، ونزولاً على ارادة المسلمين الجماعية المتمثلة في ارادة علمائهم ومفكرهم المجتمعين في هذا المؤتمر .

٣ - قرر تأليف لجنة سلام واصلاح من اعضاء المؤتمر ، تجتمع بقيادتى البلدين وتطلب منهما الجلوس للتفاوض المباشر للوصول الى حل سريع عادل ومشرف . يحفظ حقوق الفريقين ويعيد الصفاء بينهما استناداً الى كتاب الله الحكيم ، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، واستجابة لقول الله تعالى وخطابه للمؤمنين : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً » . ولتلك اللجنة الحق ان تستعين بغيرها من العلماء ، ورجال الفكر - الخبراء - والغيارى المخلصين اذا اقتضى الامر ذلك

٤ - تتالف اللجنة من تسعة من اعضاء المؤتمر للاضطلاع بهذه المهمة الاسلامية الشريفة وهم اصحاب السماحة .

- ١ - الشيخ الدكتور معروف الدواليبى - سوريا - رئيساً .
- ٢ - العلامة محمد رضا المجتهد - باكستان - عضواً .
- ٣ - الشيخ صلاح ابو اسماعيل - مصر - عضواً .
- ٤ - الشيخ اسعد مدنى - الهند - عضواً .
- ٥ - الشيخ عون الشريف قاسم - السودان - عضواً .
- ٦ - الشيخ عبدالحكيم ولي محمد - باكستان - عضواً .
- ٧ - الشيخ مصطفى امباكى - السنغال - عضواً .
- ٨ - مولانا محمد عبدالمنان - بنغلاديش - عضواً .
- ٩ - السيد عمران رشادى - اندونيسيا - عضواً .

٥ - يناشد المؤتمر القيادتين الايرانية والعراقية : التعاون مع اللجنة الموقرة والاستجابة لها ، وتقديم ما تحتاج اليه من تسهيلات تساعد في اداء مهمتها الاصلاحية .

٦ - اى فريق من الفريقين المتقاتلين ، لا يتسجيب للجنة ، ولا يخضع لارادة المسلمين الجماعية ويصر على الاستمرار في الحرب يتوجه عليه حكم الله الذى انزله في كتابه العظيم بقوله « فان بغت احدهما على الاخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله » ويجب على المسلمين كافة مقاطعته سياسياً وثقافياً واقتصادياً .

٧ - قرر المؤتمر تأليف لجنة من اعضائه تتابع تنفيذ مقرراته وما تتوصل اليه لجنة السلام واصلاح ذات البين من نتائج وتفوض هذه اللجنة الدعوة لعقد مؤتمر اسلامي شعبي آخر في اى بلد تختاره لبتخذ القرارات اللازمة والاحراءات العملية تجاه من لا يستجيب للجنة السلام واصلاح ذات البين وتضم هذه اللجنة اصحاب السماحة

١ - الشيخ انعام الله خان - امين عام منظمة مؤتمر العالم الاسلامي .

٢ - الشيخ الدكتور عبدالله التركي - السعودية .

٣ - الشيخ عبدالفتاح ابو غدة - سوريا .

٤ - الشيخ مشهور حسن حمود - الاردن .

٥ - الشيخ مصطفى امباكي - السنغال .

٦ - السيد احسان المفتي - العراق - مقررأ .

وفي عشية اعلان قرارات المؤتمر اصدر مجلس قيادة الثورة العراقى قرارأ بقبول جميع قرارات المؤتمر، وعلن عن استعداده لوقف اطلاق النار الفوري حال استجابة ايران لذلك . وقد بذلت لجنة السلام واصلاح ذات البين جهودا محمودة فاجتمعت بالقائم بالاعمال الايرانى في بغداد ثلاث مرات وسلمته كتابأ تعبر فيه عن رغبتها في السفر الى طهران والالتقاء بالقيادة الايرانية لعرض الصلح بروح اسلامية صادقة قصد التوصل الى ما يحقن الدماء ويعيد الصفاء، ولكن النظام الايرانى اوصد جميع الابواب بوجه اللجنة ورفض الصلح جملة وتفصيلا، مما دعا للجنة الى اصدار بيان مفصل قررت فيه بناء على قرار المؤتمر الاول ان ايران بهذه الصورة تعد باغية على العراق الذى جنح للسلم، وتناشد البيان الامة الاسلامية شعوبها ودولها وافرادها وجماعاتها ان تطبق حكم الاسلام على الجانب الباغى، وكان من المفروض ان تدعو لجنة المتابعة المؤتمر الاسلامى الشعبى للانعقاد واتخاذ القرارات الاجرائية، ولكنها رأت ان تعطى النظام الايرانى وقتا لمراجعة الذات، فلم ينفع ذلك بحيث وجدت النظام الايرانى مستمرا في اصراره على رفض الصلح، مما حدا بها الى دعوة هذا المؤتمر .

وتدارس العلماء المؤتمرون في هذا المؤتمر الثانى استنادأ الى كل ما تقدم حكم الاسلام حيال هذه الحالة، فتبين لهم توافر عناصر الحكم الشرعى القطعى ومقتضياته ودواعيه وهو « ان القرآن الكريم ، يقرر وجوب تدخل المسلمين حكامأ وعلماء في فض الاقتتال فورأ، بين المتقاتلين، واقامة الصلح بينهما على اساس من العدل .

فاذا رفض طرف من الطرفين وقف القتال وقبول مبدأ الصلح بأية ذريعة توجه عليه الحكم الشرعى بقوله تعالى : « فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله . »

وتطبيقأ لحكم الله الصريح في هذه الحالة القائمة اتخذ المؤتمر القرارات الآتية .

١ - يعد حكام ايران بغاة ظالمين مفسدين في الارض مجاربين لله ولرسوله وللمسلمين جميعا لا للعراق وحده، ويطلق عليهم من الآن فصاعدا « الفئة الباغية »

٢ - يتحمل حكام ايران البغاة المسؤولية الدينية والتاريخية

والاخلاقية عن ازهاق الارواح وسفك الدماء وهدر الاموال وتدمير المشروعات الحضارية واضعاف القدرة الاسلامية التى كان ينبغى ان تدخر للنهوض بالبلاد ومنازلة اعداء الاسلام والتصدى للاطماع الصهيونية التى استشرى بلاؤها بسبب غياب هذه القدرة وتعطيلها .

٣ - يجب على المسلمين في هذه الحالة : حكومات وشعوبا وهيئات ونقابات وجمعيات ان يقفوا في وجه حكام ايران البغاة لاجبارهم على الخضوع لحكم الله .

٤ - على العلماء والمفكرين وقادة العمل الاسلامى تبليغ الامة بحكم الشريعة الاسلامية في حكام ايران البغاة وما ينبغى اتخاذه حيال الفئة الباغية من اجراءات عملية تؤدى الى اخماد بغيتهم وظلمهم وعدوانهم، كل حسب طاقته وظروفه .

٥ - انطلاقا من ضرورة محاصرة الفئة الباغية ومنع شرورها ودرء خطرهما ودفع مفاسدها عن الامة العربية الاسلامية وكسر شوكتها العدوانية يرى المؤتمر ضرورة مقاطعتها سياسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا وفضح منهجها الفكرى الفاسد .

١ - الجانب السياسى :

١ - يطالب المؤتمر الحكومات الاسلامية باتخاذ مواقف واضحة وجريئة تدين الزمرة الباغية التى رفضت وترفض النزول على حكم الله والجنوح الى السلام، ومقاطعة النظام الايرانى الباغى في المحافل الدولية والاسلامية والاقليمية، وفضح بغيه وعدوانه على المسلمين والاستمرار في شن العدوان على العراق .

٢ - مطالبة الحكومات الاسلامية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع نظام خمينى الباغى الذى لم يقم وزنا لمبادئ الاسلام ولم يعترف بالاتفاقيات والمواثيق الدولية .

٣ - المطالبة بطرد نظام خمينى الباغى من المنظمات الدولية والاسلامية والاقليمية او تعليق عضويته فيها والامتناع عن دعوة ممثلى النظام الايرانى الى المؤتمرات والندوات التى تنظمها الدول والهيئات الاسلامية والاستعاضة عنهم بممثلى الشعوب الايرانية من زعماء ايران الاحرار .

٤ - فضح التعاون التسليحي والتنسيق العسكرى بين النظامين الايرانى والصهيونى وتوضيح الاخطار التى تهدد السلام الاسلامى والعالمى من جراء تعاون هذين النظامين العنصريين .

٥ - ادانة كل من يساعد النظام الايرانى الباغى ويدعمه ماديا او عسكريا او سياسيا من الدول والهيئات والافراد وعدهم شركاء في البغى والعدوان على العراق خصوصا والمسلمين عموما .

ب - الجانب الاقتصادى والعسكرى :

ان الغاية المتوخاة من المقاطعة الاقتصادية لنظام خمينى تدمير آتة الحربية وكسر شوكتها الظالمة واضعاف قدراته التى

عن طريق الكتابة او الخطب او الاحاديث الصحفية والاذاعية والتلفزيونية .

— من قام بتبرع مادي او معنوي لنظام خميني او المؤسسات المرتبطة به .

د — فضح المنهج الفكري لنظام خميني الباغى .  
لقد اصبح معلوماً عند كل مسلم غيور خطورة النهج الذي يسير عليه نظام خميني في الفكر والسلوك والممارسة، والطعن في العقيدة الاسلامية والنيل من قادة الاسلام في كل مناسبة وقوله .  
ان الانبياء والرسل لم يحققوا العدالة ، ولم يستثن خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم) من ذلك بل ادعى في غير مناسبة انه هو الآخر لم يحقق شيئاً من ذلك وان الحقيقة القرآنية مفقودة وان القرآن في حجاب فضلا عن عشرات الامثلة التي خالف فيها هذا النظام ورموزه جوهر العقيدة الاسلامية بما دونوه من كتب وما تفوهوا به من تصريحات في خطبهم ولقاءاتهم لذا اصبح من واجب المسلمين التصدي لهذا الامر الخطير بكل الوسائل المتاحة .

٦ — ويطالب المؤتمر الشعوب الايرانية الصابرة بتصعيد كفاحها ضد هذه الزمرة الشريرة ويناشد علماء ايران المتسكين بالعروة الاسلامية تحمل واجبه الشرعى بفضح نظام خميني وتناقضه مع اصول العقيدة الاسلامية وخروجه الصريح على تعاليم الاسلام وتنويع الجماهير المسلمة في ايران بالاطار الجسيمة التي تهدد بلادهم والعالم الاسلامى جراء استمرار الزمرة الخمينية الباغية في التسلط على مقدراتهم وبذل كل جهد لاسقاطها والتخلص من شرورها ومفاسدها ، فهذه القرارات موجهة لقتال نظام خميني الباغى ، والمقاطعة منصبة على تدمير لته العدوانية التي جلبت لايران الهلاك والدمار ، وان شعوب ايران المضطهدة تحتل منزلة سامية في ضمائر المسلمين في العراق وفي جميع العالم الاسلامى .

٧ — يدين المؤتمر بشدة جرائم النظام الايرانى الباغى النكراء بقتل اسرى الحرب العراقيين الذين حرم الله قتلهم والتمثيل بهم ، بل قيامه اخيراً في العاشر من تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٤ باقتراف ابشع جريمة حينما قتل الاسرى العزل على مرأى ومسمع من ممثلى منظمة الصليب الاحمر الدولى ، مما اثار سخط المسلمين وادانة المجتمع الدولى والمنظمات الاسلامية والدولية .  
وطالب المؤتمر بايجاد حل عاجل وفورى لمساة الاسرى يتم باجراء تبادل شامل لهم .

٨ — يقرر المؤتمر ان وقوف العراق بوجه البغى الايرانى العدوانى يعد السد المنيع الذى يحمى العرب والمسلمين من اكبر خطر يواجههم .

وعلى هذا يطالب المؤتمر جميع الدول العربية بالالتزام بتطبيق

تعبية على البغى والعدوان والاستمرار في القتال، وهدر الطاقات الايرانية والعراقية خاصة والاسلامية عامة، بقوة اقتصاده تؤدي به الى التكبر والجبروت ومخالفة المسلمين والاعتداء عليهم في حين تؤدي مقاطعته الاقتصادية الى ضعفه وحمله قسراً والجوء على الرضوخ للسلام، فيطالب المؤتمر :

١ — الامتناع عن التعامل التجارى مع نظام خميني ووقف كل انواع الاتجار معه .

٢ — مطالبة الحكومات الاسلامية وبقية حكومات العالم الداعية للأمن والسلام للامتناع عن شراء النفط الايرانى الذى يمثل اكبر معين لاستمرار البغى والعدوان بما يدره على هذا النظام العدوانى من مبالغ تؤدي الى تعزيز استمراره بالعدوان .  
٣ — الضغط على الحكومات والشركات من أجل وقف تزويد نظام خميني الدموى بالمعدات العسكرية والذخائر وقطع الغيار التى تعبئه على تقوية آلة البغى والعدوان .

٤ — مناشدة الدول الاسلامية قطع كافة وسائل المواصلات مع نظام خميني بما فيها البرق والهاتف والبريد .

ج — الجانب الثقافى :

١ — حظر التعامل الثقافى مع نظام خميني باشكاله كافة .  
٢ — حظر دخول الكتب والنشرات المطبوعة في ايران الى البلدان الاسلامية والعمل على عدم ترويجها والاتجار بها .  
٣ — الامتناع عن قبول الطلبة الايرانيين ممن يرشحهم نظام خميني في الجامعات والمدارس الاسلامية والاستعاضة عنهم بالطلبة الذين يرشحهم الايرانيون الاحرار .  
٤ — الامتناع عن دعوة ممثل النظام الايرانى للاستيلاء في اى مشروع ثقافى اسلامى .

٥ — طرد ممثل النظام الايرانى من جميع المنظمات الثقافية الدولية والاقليمية والاسلامية .

٦ — على علماء المسلمين وكتابهم ومفكرهم بالتنديد بالنظام الايرانى الباغى بكل الوسائل الممكنة وعلى كل مسلم غيور ان لايتترك مجالاً من مجالات نشر الثقافة من كتب ومجلات ونشریات وصحف ومنابر واذاعات الا واستخدمه لدفع هذا المنكر العظيم عن الأمة .

كما يتعين عليهم رصد أى مخالف لاجماع المسلمين بعد اتضاح الرؤية وظهور الحقائق الدامغة للرد عليه واسقاطه فكرياً ومقاطعته ثقافياً لما يمثل من خطر أكيد على الاسلام والمسلمين عند موالاته للفئة الباغية ودعم ظلمها وبغيها ومنهجها المعوج بغير حق ويعد في هؤلاء من اتصف بما يلي :

— من ثبت استمراره بالانضمام الى جمعيات تأكد جنوحها للعمل لمصلحة نظام خميني ومنطلقاته السياسية العدوانية او منطلقاته الفكرية العاسدة .

— من قام بالدعاية الواضحة والمعتمدة لمصلحة نظام خميني

ميثاق الدفاع العربي المشترك لصد هذا العدوان عن البلاد والعباد .

كما يطالب منظمة المؤتمر الاسلامي بتطبيق دستور الاسلام وحكمه على الباغي والتنديد به لكشف بغيه وعدوانه .

٩ - قرر المؤتمر اعتبار اليوم الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) من كل عام - وهو يوم صدور هذه القرارات « يوم العراق » يعبر فيه العالم الاسلامي عن تضامنه مع العراق المسلم ومساندته له وبيان دوره المشرف في الدفاع عن عقيدة الاسلام وتاريخه وراثته وحضارته ، وفضح نظام البغي في ايران وكشف اباطيله ومفاسده وارتباطاته باعداء الاسلام .

١٠ - قرر المؤتمر تشكيل لجنة متابعة تتخذ من بغداد مقراً لها تحدد الخطط والبرامج والوسائل العملية الكفيلة بتنفيذ مقررات المؤتمر وتوصياته وتتابع نشاط وفعاليات وجهود اعضاء المؤتمر على ان تجتمع مرة كل ثلاثة اشهر في الاقل وبدعوة من سكرتيرها العام .

١١ - تتألف لجنة المتابعة من السادة العلماء :

١ - الدكتور الشيخ معروف الدواليبي - سوريا - رئيساً .

٢ - الاستاذ الدكتور بشار عواد معروف - العراق - سكرتيراً عاماً .

٣ - الشيخ الدكتور عبدالمنعم النمر - مصر - عضواً .

٤ - الشيخ اسعد مدني - الهند - عضواً .

٥ - السيد محمد رضا المجتهد - باكستان - عضواً .

٦ - الشيخ محمد عبدالقادر آزاد - باكستان - عضواً .

٧ - الشيخ محمد ناصر العبودي - السعودية - عضواً .

٨ - الاستاذ الدكتور السيد موسى الموسوي - امريكا - عضواً .

٩ - الشيخ عبدالعزيز سي الابن - السنغال - عضواً .

١٠ - الشيخ مصطفى امياكي - السنغال - عضواً .

١١ - الدكتور انعام الله خان - باكستان - عضواً .

١٢ - الشيخ عبدالفتاح ابو غدة - سوريا - عضواً .

١٣ - الشيخ عبدالباقي جمو - الاردن - عضواً .

١٤ - الشيخ عبدالرزاق عبدالرحمن - نيجيريا - عضواً .

١٥ - مولانا محمد عبدالمنان - بنغلاديش - عضواً .

١٦ - الدكتور سيد عزيز باشا - المملكة المتحدة - عضواً .

١٧ - السيد أحمد بزيع الياسين - الكويت - عضواً .

١٨ - السيد شاه احمد نوراني - باكستان - عضواً .

وختاماً يقرر المؤتمر ان الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى

الله عليه وسلم والمثل الاسلامية العليا والاقتداء بسلف الامة

الصالح هو مدعاة النصر والتوفيق والامداد من الله سبحانه

ودفع البلاء عن البلاد والعباد ، وهو الذي تظهر آثاره في

استبسال ابناء العراق في الدفاع عن الحق والارض والقيم

النبيلة التي توارثها الاحفاد عن الاجداد ، فتمكنوا من صد كل

عدوان /قصّوا به في الماضي البعيد والقريب والحاضر .

«ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» ..

- 
- General/Baghdad 25th, Sept. 2nd Oct., 1985.
4. Liberated Africa on the 100th Anniversary of Berlin Conference on the Division of Africa (1884) held by African Ministries of Information, Ethiopia, 7, Nov. 1985.
  5. Seminar on Arabian Gulf seaports held Sea Sciences Centre, university of Basrah, 14th-16th, January 1986
  6. Seminar on Arab Unity; Experiments and Expectations held by the Centre of Unity Researches in collaboration with the University of Sana'a 17th-12th Feb. 1986.



Dr. Masoud Dhahir, Lebanon  
 Dr. Najah Al-Qabsi, Libya  
 Dr. Raouf Abbas, Egypt  
 Dr. Muhammed Mezni, Morocco  
 Dr. Sayid Mustafa Salim, Arab Repub. of Yemen  
 Dr. Saleh Ramadan, Democratic Repub. of Yemen  
 Amir M. Al-Jahiri, Oman  
 Dr. Mustafa Aqil, Qatar  
 Muhammed al-Hauash, Mauritania

THE ARAB HISTORIAN is a quarterly journal devoted to the study of Arab and International history, culture and Heritage.

THE ARAB HISTORIAN is the historical and national voice of the Arab Cause. It invites papers:

- of academic nature
- within the general line of the objectives of the Union of Arab Historians
- not exceeding 10,000 words
- not published or accepted for publication elsewhere with written confirmation to the editor provided by the author
  - on any historical subject in Arabic or English
- the title should be printed on a separate paper (short titles are preferred) including the name of the author or collaborating authors with their addresses.
- the paper should be printed on one side of the sheet and presented in two copies, along with the author's name and title of the paper.
- papers presented to conferences or seminars or as part of a dissertation should be confirmed
- for technical matters footnotes should be unified
- papers will be evaluated by two members of a board of advisors, returned to their authors for reconsideration, if any, within two weeks.

Papers in THE ARAB HISTORIAN are arranged according to technical necessities. They will not be returned to their authors in case of non-publication.

#### Annual Subscription Rates

Governmental and semi-governmental departments inside Iraq (ID 50), outside Iraq (\$150)

Historians inside Iraq (ID 20) outside Iraq (\$60) Students of history inside Iraq (ID 10) outside Iraq (\$30)

Editorial correspondence and manuscripts for consideration for publication should be sent to: Dr. M.J.H. Al-Mashhadani, Union of Arab Historians, P.O. Box 4080, Baghdad, Iraq

2. The Conferences that the Union has attended and/or will attend.

The Conferences and Seminars that the Union has attended during the academic year 1984-1985.

1. "Oil Wealth and State Formation in the Contemporary Arab World" held by Rutgers University New Jersey, U.S.A., August 1984.
2. Seminar on the European-Arab Dialogue. Held by Convad Edinower Institute for International Affairs, Milano, Italy, 25th, Nov.-1st Dec., 1984.
3. The Third Co-ordination Meeting between the Secretariat General of the Arab League and the Directorate General of Information Affairs and Arab Unions and Organisation held by the Directorate General of Information/Arab League Headquarters, 9-10 Feb. 1985.
4. The Third Conference on Arab-Turkish Relations held at Al-Yermuk University and organised by Al-Yermuk University, Jordan University and Muta University 20-25, April, 1985.
5. Seminar on the Civilization Challenges and Cultural Invasion of the Arabian Gulf states held by the Educational Bureau of the Arabian Gulf States, Oman 15-17 Shaban, 1405 Hijra.
6. Meeting of the 43rd Session of the Permanent Committee of Arab-Information held by the Directorate General of Information/Arab League Headquarters, Tunis 29th-30 June, 1985.
7. The Ordinary 21st Session of the Council of the Arab Ministers of Information held by the Secretariat General of Information Affairs/Arab League Headquarters, Tunis 2-3rd June, 1985.
8. Meeting of the Secretariat General of the Arabian Gulf and Arab Peninsula held by Yemeni Centre of Research 5th, July, 1985
9. Meetings of the 37th Session of the Executive Council of ELECISO held by ELECISO, Arab League Headquarters, Tunis 1-9th, July, 1985.
10. Arab-Service Training Course in Methodology and Educational Technology held by Arab Union of Technology in Tunis.

Collaboration with Tunisian Ministry of Higher Education and Scientific Research, Tunis, 28th, June-12th July, 1985.

1. Seminar on October Revolution & the World held by Soviet Institute for Scientific Research/Federal Republic of Germany, August 1985.
2. The 16th Meeting of the Conference of International Historical sciences held by International organization for Historical Sciences 25th August — 1st Sept 1985.
3. Symposium on the Administration and Development of the Institute of Technological Education held by the Arab Institute for Technological Education Secretarial



- "Amru Ben Al As"  
Dr. Badri M. Fahd, Baghdad University.....P
- "Contacts With Byzantine Authorities in Syria During the Rashidun Period in Arab Sources" Dr. Jasim Sagban Ali, Basra University.....P
- "The Movement of Abdul Rahman Ben Al-Ash'ath Against the Umayyad Caliphate"  
Dr. Muhammed J.H. Al-Mashhadani, Mustansiriya University.....P
- "Al-Fadhl Ben Al-Rabic, the Hajib and Minister"  
Dr. Fadhila Al-Shami, Baghdad University.....P
- "The Baghdadi Learned Woman Shuhra Al-Ibri and Her Tellers in the Biographies of Women"  
Dr. Hasan I. Al-Hakim, Al-Mustansiriya University.....P
- "Some Characteristics of the Biography of Lady Shaghab"  
Dr. Maliha Rahmatullah, Baghdad University.....P
- "The Tribe of Jarat and Its Political Role in the Pre-Islamic History of the Yemen"  
Dr. Munder A. Al-Bakr, Basra University.....P
- "The Question of the Succession Between the Abdication of Mu'awiya Ben Yazid and the Ascendancy of Marwan Ben Al-Hakam to the Caliphate"  
Dr. Khalil Hussein, Mosul University.....P
- "Al-Nasir Daoud Al-Ayoubi and His Poetry"  
Dr. Musa B. Al-Alili, Ministry of Religious Endowments, Iraq P

#### Papers on Ancient History

- "On Dimobin and His Speeches"  
Dr. Sami S. Al-Ahmed, Baghdad University.....P
- "A Votive Scripture of a Female Bearing Astronomical Signs"  
Abdul-Jalil A. Amru, Jordanian University.....P

#### Book Reviews

- "History of Islamic States and Dictionary of Ruling Families"  
Reviewed by Dr. Shakir Mahmoud Abdul Mun'im
- "Iraqi Maritime Trade with Indonesia Until the Seventh Century of the Hijra"  
Reviewed by Dr. Muhammed J.H. Al-Mashhadani
- "Arab Independent States of the Arab Gulf"  
Reviewed by Kadhim Sad-e-Din
- "Rusum-e-Qudhat by Abi Nasr Ahmed ben Muhammed Al-Samarqandi"  
Reviewed by Usama N. Al-Naqshabandi

- The "Asabiya and the State: Aspects of Ibn Khaldun's Theory of Islamic History"  
Reviewed by Muhammed M. Al-Kubeisi

#### Review of Theses

- "A Comparative Study of the War Crimes of Collaborating with the Enemy"  
Reviewed by Dr. Falah Abdul-Hussein
- "The Architecture and Planning of Fortresses in Northern Iraq (1035-1289 H./1625-1872 A.D.)"  
Reviewed by Dr. Ttimad Y. A. Al-qasiri
- "The Region of Faris From the Arab Conquest to 218 H."  
Reviewed by Dr. Muhammed J.H. Al-Mashhadani
- "Selections From the History of Ibn Al-Jazri"  
Reviewed by Usama N. Al-Naqshabandi
- "The Indian Conference Party 1919-1930, A Historical Study"  
Reviewed by Kifah K. Al-Khazaali.

## THE ARAB HISTORIAN

"Al-Muarrekh Al-Arabi"

Journal of the union of Arab Historians  
No 28 1986

### THE ARAB HISTORIAN

Editor-in-Chief: Dr. Mustafa A. Al-Najjar

Editorial Assistants: Dr. Muhammed J.H. Al-Mashhadani and Dr. Alya Sousa, Kifah Al-Khazali

Consulting Editors: Dr. Nazar A. Al-Hadithi, President-Iraqi Association of Historians and Archaeologists; Dr. Abdul Munim Rashad, IAHA-Mosul Branch President, Dr. Jihad Saleh Al-Umar, IAHA-Basra Branch President.

#### Advisory Board of Editors:

Dr. Aysha Al-Sayyar, UAE  
Dr. Yusif Ghawanmeh, Jordan  
Haya Al Khalifa, Bahrain  
Dr. Naziha Mahjoub, Tunisia  
Mohammed Al-Tawili, Algeria  
Dr. Abdullah Al-Utheimin, Saudi Arabia  
Dr. Yusuf Fadl, Sudan  
Dr. Layla Al-Sabbagh, Syria  
Dr. Muhammed Mukhtar, Somalia  
Dr. Wamidh O. Nadhmi, Iraq  
Dr. Kheirra Qasima, Palestine  
Dr. Najat Abdul Qadir, Kuwait

## CONSULTANT COMMITTEE FOR HISTORICAL PUBLICATIONS:

1. Dr. S. Al-Hamarna (Jordan)
2. Dr. S. Al-Qasimi (U.A.E.)
3. Dr. A. Sabt (Bahrain)
4. Dr. M.A. Al-Shareef (Tunis)
5. Dr. M.A. Shteiti (Algeria)
6. Dr. Y. Al-Thaqfy (Saudi Arabia)
7. Dr. T.A. Ahmed (Sudan)
8. Dr. A. Zaiton (Syria)
9. Mr. M. Ali Kareem (Somalia)
10. Dr. I.K. Ahmed (Iraq)
11. Mr. A.A. Al-Shinfary (Oman)
12. Mr. A. Al-Anany (Palestine)
13. Dr. H.M. Saleh (Qatar)
14. Dr. A.A. Al-Timeemi (Kuwait)
15. Dr. O.A.A. Tadmiri (Lebanon)
16. Dr. A. Abdul Rahman (Egypt)
17. Dr. M.A. Bin Zayan (Mauritania)
18. Dr. A.A. Al-Tazy (Morocco)
19. Dr. A. Al-Amiry (North Yemen)
20. Dr. M. Ukasha (South Yemen)

## SOME OF THE UNION'S ACTIVITIES CONCERNING CONFERENCES & SYMPOSIUMS STARTING FROM 1ST SEPT. 1984

- A) The Conferences that the Union has organized during the current academic year:
1. The Symposium on the historical Originality of Iraqi Al-Maqam. 1-9 Oct. 1984.
  2. "The Martyr in the Islamic Arab History" 1st Dec., 1984.
  3. "Manuscripts and the Tradition" 22nd Dec. 1984.
  4. The Status of the Prisoner of War in the Islamic Arab History." 8th Jan. 1985.
  5. "The Super Powers and the Palestinian Question." 18th Feb. 1985.
  6. "Al-Mustansiriya as a school and as a university," in collaboration with Al-Mustansiriya University 4th May. 1985.
  7. "May 1941 Movement." — 2nd May, 1985.
  8. "The Development of the National Arab Ideology." In collaboration with the Centre of Arab Unity Studies, Iraqi Scientific Academy and the Centre of Arab Studies and Researches."

8-10 May, 1985.

9. The First Scientific Symposium for Humanistic Journals Editors" 27th June 1985.

B) The Conferences and Symposiums that the Union intends to organize till the end of 1985.

1. "The Hero in History" — in collaboration with the Ministry of Culture & Information — 10-11 Nov. 1985.
2. "The Legend — Reality and Imagination In Mesopotamia History."
3. Islamic Arab Civilization."
4. "Islam Nationalization
5. Arabists & Arab History
6. "The Shuubi Challenge to the Arab Nation" — in collaboration with Teacher's Union.
7. Symposium on the Seaports of the Arabian Gulf" — in collaboration with the Centre of Sea Sciences of the Arabian Gulf. University of Basrah. 14-16, Dec. 1985.

## THE ARAB HISTORIAN

"Al-Muarrekh Al-Arabi"

Journal of the Union of Arab Historians  
No. 28 1986

Contents

The Editor's Note

### Papers on Modern and Contemporary History

- "The Historical Background of the Arab Gulf Ports" Dr. Muhammed M. Abdullah, Center of Archives and Studies in Abu Dhabi....P
- Historical Stages of Asian State Joint Mode of Production  
Ahmed A. Hasan, Asyut University
- "International Conflict and Alexandretta"  
Dr. Yaqdhan S. Al-Amir, Basra University.....P.
- "Turkish Reaction to Arab Union Between Syria and Egypt in 1958"  
Ofi A. Al-Saabaoui, Mosul University....P.
- "Iraq and the Qara Qoinlo Invasion in the Fifteenth Century"  
Ali Shakir Ali, Mosul University....P.

### Papers on Arab Islamic History

- "An Arab Andalusian Emirate in Crete"  
Dr. Amin T. Al-Tibi, Al-Fath University

## PUBLICATIONS OF THE UNION OF ARAB HISTORIANS

(A) The Union of Arab Historians has issued the following works:

1. "Boussorah (Al-Basrah) Diaries."  
Dr. M.A. Al-Najar & A.M. Ameen
2. "A.J. Toynbee: A Presentation Volume." — in English & Arabic.  
Dr. H. Al-Takriti & Dr. A. Susa
3. "The Zionist Movement in Tunis in the Period 1911-1927."  
Mr. Al-Taimomy — Beirut 1979.
4. "The Start of the Abadhi Movement"  
Dr. A. Khlaifat — AMMAN 1978.
5. "The Aspects of the Scientific Renaissance in Iraq in the Fourth & Fifth Centuries of Al-Hijra."  
Dr. M.H. Al-Zubaidy — Beirut 1980.
6. "Jawahir Al-Mulook Fi Madayih Al-Mulook" A Collection written by the Poet Hilal Ibn Sa'eed Ibn Araba Al-Omani  
Dr. D. Saloom — Beirut 1979.
7. "The Arab Tribes in the East during the Al-Amawi Reign."  
Dr. N. Hasan — Beirut 1980.
8. "Arab Civilization as a Substitute for Greek Civilization."  
Dr. S.S. Al-Ahmed. (Beirut 1980).
9. "The Prince Maslama Ibn Abdul Malik Ibn Marwan"  
Dr. A.M. Al-Adhamy. (Beirut 1980).
10. "Introduction to the Study of the Resources of Omani History."  
Dr. Faruk A. Fawzy. (Baghdad 1979).
11. "Introduction to the Jazre Languages"  
Dr. S.S. Al-Ahmed (Baghdad (1981).
12. "Studies in the Convention of Arab Nation Frontiers 1847-1980.  
Dr. M.A. Al Najar (Beirut 1981).
13. "Palestine: Its History and Civilization."  
Dr. A.A. Garbia (Beirut (1981).
14. "The Book of AlMasudy as a Historian"  
Mr. A. Al-Azawi (Baghdad 1983).
15. "Introduction to Mysticism and its Reality"  
Alimam Abdul Rahman Al-Salamy  
verified by  
Dr. H. Ameen.
16. "Index to the Arab Historian Journal"

Dr. M.J.H. Al-Mesh hedani (Baghdad 1984).

(B) The Union's Journal

The Union has issued a scientific journal concerned with history entitled:

"The Arab Historian"

It contains many original and scientific works of the Arab historians and researchers. The Union also intends to develop the journal and make it more convenient for advanced studies and scientific trends. Twenty five volumes have already been issued, 26, 27, and 28 are forthcoming and still in print.

### THE UNION'S ACTIVITIES

The Union has formed the following committees:

1. The Higher Committee for writing up the History of Arab Nation.
  - a. Dr. M.A. Al-Bukheet. Representing the project of the writing up of Al-Sham History Jordan.
  - b. Dr. A.A. Al-Timeemi. Representing the project of the writing up of the Ottoman History Tunis
  - c. Dr. A.A. Al-Ansary. Representing the project of the writing up of the Arab Peninsula History. Saudi Arabia.
  - d. Dr. N. Aaqil. Representative of the Project of the writing up of Arab History Syria.
  - e. Dr. S.S. Al-Badri. Representing the project of writing up the History of the nation. Kuwait.
  - f. Dr. S.A. Al-Ali. Representing the Committee of writing up the History of the Nation. Iraq.
  - g. Dr. M.T. Al-Jarrary. Representing the conference for writing up the Arab Nation History. Libya.
2. The Committee for Supporting Historical Publications:
  1. Dr. F. Abdul Wahid. Chairman
  2. Dr. H.F. Za'ain
  3. Dr. R.H. Al-Khatat
  4. Dr. S.T. Al-Sheikhly
  5. Dr. F.O. Fawzi
  6. Dr. H. Al-Tikriti.
  7. Dr. Y. Al-Shahiri
  8. Dr. M.J.H. Al-Mesh Hedani (Secretary)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز بحوث وتطوير العلوم الإسلامية